

# مجلة دراسات في التاريخ والآثار

مجلة علمية محكمة

مجلة دراسات في التاريخ والآثار - جامعة بغداد - كلية الآداب - بغداد  
العدد (٨٦) لشهر حزيران لسنة ٢٠٢٣

ISSN:2075-3047

الترقيم الدولي :

البريد الإلكتروني : [jasha@coat.uobaghdad.edu.iq](mailto:jasha@coat.uobaghdad.edu.iq)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٦٥) لسنة ٢٠٠٢

مجلة دراسات في التاريخ والاثار – جامعة بغداد – كلية الآداب – بغداد

العدد (٨٦) لشهر حزيران لسنة ٢٠٢٣

عدد الصفحات : ٥٢٣ صفحة

تصميم واخراج

علا صالح الجراح



دار ومكتبة كلكاش للطباعة والنشر

بغداد – باب المعظم – شارع المكاتب

07729093707 – 07736558370

ola.algarah88@gmail.com

رئيس التحرير : أ.د. وفاء عدنان حميد  
مدير التحرير : أ.د. باسمة جليل عبد المعموري

### اعضاء هيئة التحرير

أ.د. انعام مهدي علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. قصي صبحي عباس	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عادل شابث جابر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. عبد الرحمن فرطوس حيدر	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.د. فاضل مهدي بيات	تركيا
أ.د. حسين القهواني	الاردن
أ.د. مارجريتا فان أيس	المانيا
أ.د. والتر زلابيرجر	المانيا
أ.د. بيتر ميكلوس	المانيا
أ.م.د. فاروق محمد علي	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ليث مجيد حسين	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. احمد ناطق ابراهيم	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ميثم عبد الكاظم جواد	كلية الآداب / جامعة بغداد
أ.م.د. ماجدة حسو منصور	كلية التربية / جامعة المستنصرية

التصحيح اللغوي للغة العربية: أ.م.د. لى فائق جميل  
التصحيح اللغوي للغة الانكليزية: أ.م.د. سناء لازم حسن



## شروط النشر في المجلة

١. ان تتضمن الصفحة الاولى من البحث ما يأتي:
  - أ. عنوان البحث باللغتين الانجليزية والعربية.
  - ب. اسم الباحث باللغتين الانجليزية والعربية ، وشهادته العلمية ، ومؤهلاته، وتخصصه العلمي ومكان عمله.
  - ج. البريد الالكتروني الرسمي للباحث ورقم الهاتف.
  - د. ملخصان احدهما باللغة العربية والاخر باللغة الانجليزية وحجم الخط (١٢) .
  - هـ. الكلمات المفتاحية (الدالة) للبحث باللغتين العربية والانجليزية.
٢. ان يتم طباعة البحث بواسطة الكومبيوتر باستخدام Microsoft Office Word 2010 ان يتم تزويد هيئة التحرير بنسخة الكترونية من البحث بوصفه مجلداً واحداً فقط ؛ ولا يمكن تقسيم البحث على اكثر من مجلد.
٣. ضرورة توثيق متن البحث بالمراجع (الاقتباسات) على وفق نظام (APA)
٤. ان لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٢٥ صفحة حجم (A4).
٥. على الباحث دفع رسوم النشر المحددة.
٦. ان يكون البحث خالياً من الاخطاء اللغوية والنحوية والكتابية.
٧. يجب ان تتم طباعة البحث باستخدام برنامج Microsoft Office Word 2010 ووضع المخططات والاشكال ان وجدت في المكان المناسب للبحث وان تكون جيدة من الناحية الفنية للطباعة. وان لا يتم تضمين الرموز في داخل البحث.

٨. ان يلزم الباحث بانواع واحجام الخطوط كما ياتي:
- أ. العربية ( Simplified Arabic ) حجم الخط (١٤).
  - ب. اللغة الانجليزية ( Times New Roman ) حجم الخط (١٦)  
الملخص خط (١٢) . يجب ان تكون جميع صفحات البحث  
الاخري الخط (١٤) .
  - ج. استخدام معالج النصوص في داخل البرنامج Microsoft  
Office Word .
٩. اخطار الباحث المجلة اذا لم يكن البحث مناسباً للنشر في مدة  
لا تزيد عن شهرين من وقت وصله الى المجلة.
١٠. يلتزم الباحث بالتعديلات التي يقوم بها الخبراء في البحث على  
وفق التقارير المرسله اليه . ويجب اجراؤها في مدة لاتتجاوز (١٥)  
يوم.
١١. تضاف قائمة اخرى للمصادر مترجمة للغة الاتينية غير مرقمة  
على وفق نظام (APA) ومرتبة ترتيباً ابجدياً .
١٢. ملء الاستمارة الخاصة بـ (اتفاقية التلخيص لحقوق الطبع  
والنشر) والخاصة بمجلة دراسات في التاريخ والاثار .
١٣. التقديم يكون عبر الموقع الالكتروني للمجلة :  
[jasha@coat.uobaghdad.edu.iq](mailto:jasha@coat.uobaghdad.edu.iq) بعد التسجيل في  
الموقع ثم رفع طلب للنشر .

- لاتنشر البحوث التي لا تطبق هذه الفقرات.

رئيس التحرير

## فهرس العدد (٨٦)

الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث	ت
٣٦-٣	أ.د. يحيى محمد علي	المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي	.١
٦٤-٣٧	أ.د. قصي صبحي عباس الجميلي	دراسة فنية تحليلية لدمى وألواح فخارية غير مدروسة من مواقع سد حديثة	.٢
٩٦-٦٥	أ.م.د. جاسم عبد الأمير جاسم	دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)	.٣
١١٨-٩٧	أ.م.د. سعد محمد علي حسين	مركز التعليم المستمر ودوره في تنمية الموارد البشرية والعلمية والبحثية في جامعة بغداد للمدة ١٩٨٣-١٩٩٠	.٤
١٥٢-١١٩	أ.م.د. د. عبيد عبد الرسول محمد التميمي	تنظيم المال العام والرقابة في الدولة الاسلامية دراسة في كتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلام (١٥٧هـ/٧٧٤م - ٢٢٤هـ/٨٣٨م)	.٥
١٨٦-١٥٣	أ.م.د. زيار صديق رمضان	تأثيرات فنون الشرّق الأدنى القديم في نقش بيستون للملك داريوش الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م)	.٦
٢٢٠-١٨٧	أ.م.د. غفران محمد عزيز	المنصور العامري في ضوء نظرية التحدي والاستجابة لارنولد توينبي (٣٧١-٣٩٢هـ/٩٨١-١٠٠٢م)	.٧
٢٤٢-٢٢١	أ.م.د. كوثر حسن هندي التميمي	الجوانب الاجتماعية عند العرب قبل الاسلام في كتاب تاريخ اليمن القديم لميخائيل بيوتروفسكي	.٨
٢٥٦-٢٤٣	م.د. مرتضى جاسب مثنى	عبادة الآلهة الأم من العصر الحجري الحديث في إيران موقع تبة سراب ٧٠٠٠-٦١٠٠ قبل التاريخ	.٩

٢٨٦-٢٥٧	أ. م مالك مهدي حاييف	١٠. الشاهد ودوره عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية
٣٠٨-٢٨٧	م. خناو محمد محمود	١١. دمی اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة)
٣٣٠-٣٠٩	م. عمر فلاح عبد الجبار	١٢. نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة
٣٥٠-٣٣١	م. م وميض سرحان ذياب م. م عصام صلاح الدين علي	١٣. إدارة الاوقاف في الدولة العثمانية
٣٧٤-٣٥١	مازن محي علي المجمع أ.د. علاء طه ياسين	١٤. البنك المركزي العراقي وتطوره حتى عام ١٩٦١
٣٩٨-٣٧٥	داليا جواد كاظم أ.د. عادل شايث جابر	١٥. النقود النشأة ، والتطور في العصور القديمة
٤٢٤-٣٩٩	دعاء احمد محمد أ.د. وئام عدنان عباس	١٦. النظام القضائي في كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيبي (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
٤٤٣-٤٢٥	نشأت حميد جاسم أ. م . د . آلاء حماد رجه	١٧. مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ) للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م)
٤٦٥-٤٤٥	رنا فاضل عبيس مزهر أ.م.د شيماء محمد حمزة	١٨. الأزياء في كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي ( ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م )
٤٩٧-٤٦٦	هبه احمد عبد النبي حسين أ.م.د. خليل خليل بخيت القيسي	١٩. التعرف بمدينة باجــــة
٥٢٣-٤٩٨	أ.د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرحي	٢٠. موقف الامم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

**المعاملات المالية المحرمة  
في كتاب الموافقات للشاطبي**

**أ.د. يحيى محمد علي**

**جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية**



المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي

أ.د. يحيى محمد علي

المقدمة :

أهتم الاقتصاد الإسلامي بالمعاملات المالية المحرمة فبين أسبابها ومقاصدها ووضع لها الشروط والضوابط المحكمة والمتقنة ضمن تشريعات واجبة التطبيق وسارية المفعول، وأنها لم تكن وقتية أو آنية أو لفئة محدودة وإنما للدوام وللكل ، وقد وردت هذه المعاملات في كتب عديدة منها كتاب الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي الذي يُعد من الكتب المهمة والقيمة ، فتضمن العديد من هذه المعاملات ، فمنها المعاملات المالية المحرمة بسبب الضرر والخداع ، والمعاملات المالية المحرمة بسبب الغرر والجهالة ، وكذلك تضمن تحريم التعامل لأساليب غير مشروعة مستعملة في الكسب المادي .

وأيضاً تضمن كتاب الموافقات للشاطبي مقاصد التحريم لهذه المعاملات المالية ، ومنها وجاب المصالح ودرء المفسد ، والحفاظ على حقوق الناس ، والحفاظ على الاستقرار ، والابتعاد عن التنازع والانقسام والتلاعب والاحتيال ، وهذا أساس الأمن والأمان والبوصلة نحو تحقيق ما يصبوا إليه أي مجتمع من نهوض وتطور ورقي .

هذه الأسباب دعنتني إلى إختيار دراسة المعاملات المالية المحرمة لكي نجليها أمام المتعاملين بالمال ويعرفوا مضارها فيتجنبوها ، سيما وإن هذه المعاملات قد وردت في كتاب الموافقات لعالم جليل وهو الشاطبي الذي عُرف عنه بسعة العلم والفكر والريادة والتميز في المقاصد ، أقتضى هذا البحث أن أقرأ كتاب الموافقات كله ، ومن المعلوم انه ليس بالأمر السهل أو اليسير بسبب تخصص الكتاب بأصول الفقه ومقاصده ، فيحتاج إلى جهد كبير لمعرفة الاصطلاحات الخاصة بهذا العلم ، إلا إن أهمية الموضوع تستدعي بذل الجهد لإتمامه بما يخدم الصالح العام .

وقد حاولت في هذه البحث جمع شتات الموضوع للوصول إلى المبتغى ، أما المنهج الذي كان ملائماً لمثل هذه الدراسة فهو المنهج الاستقرائي التحليلي ، والاعتماد على مصادر في مجالات متعددة

أقتضى هذا البحث الموسوم بـ ( المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي) أن نقسمه إلى مبحثين يسبقوهما المقدمة ، ثم التمهيد الذي تضمن التعريف بالشاطبي ، أما المبحث الأول : فهو مفهوم المعاملات المالية المحرمة ومقاصدها وضوابطها في كتاب الموافقات للشاطبي ، والمبحث الثاني : تضمن أنواع المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي ، ويأتي بعدهما خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا لها

### التمهيد : التعريف بالشاطبي

وهو الإمام الحافظ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي<sup>(١)</sup> الغرناطي<sup>(٢)</sup> الشاطبي، وكنيته أبو إسحاق<sup>(٣)</sup>، أما عام ولادته غير معروف ، ولعل ذلك بسبب قلة الاهتمام بتاريخ المواليدين ، إلا إن المؤكد كانت ولادته في مدينة غرناطة التي نشأ بها وترعرع ، ولا يوجد ما يُبين إنه غادرها<sup>(٤)</sup> ، وأنه كان من أعلام القرن الثامن الهجري ، وقد تميزت غرناطة بهذه المدة بكثرة الاضطرابات والفتن ، وتوالى على عرشها أمراء ضعاف لم يكونوا بمستوى المسؤولية ، قد خلع بعضهم أكثر من مرة ، كما وهدت الممالك الإسبانية جهودها من أجل استنصاف مملكة غرناطة وتوزيع تركتها فيما بينهم<sup>(٥)</sup> ، وقد أشار الشاطبي إلى بعض ذلك بقوله : " لأنه لما كثرت البدع وعم ضررها ، استطار شررها ودام الإكباب على العمل بها ، والسكوت من المتأخرين عن الإنكار لها "<sup>(٦)</sup> ، مما دفعه هذا الحال إلى إبداء المعالجة فكانت أن ألف كتاب الاعتصام<sup>(٧)</sup> .

تميز الشاطبي بأنه أقبل على طلب العلم بمجالات عديدة وقد تحدث عن نفسه فقال : " لم أزل منذ فتق للفهم عقلي ووجه شطر العلم طلبني ، أنظر عقلياته وشرعياته ، وأصوله وفروعه لم أقتصر منه على علم دون علم ؛ ولا أفردت عن أنواعه نوعاً دون آخر حسبما

اقتضاه الزمان والإمكان ... وأقدمت في ميادينه إقدام الجريء " (٨) ، هذا الكلام يدل على شغف الشاطبي لطلب العلم في وقت مبكر من عمره .

ومن المؤكد إن طلب العلم المتنوع يحتاج إلى شيوخ وعلماء ، لذلك كان للشاطبي شيوخ كثيرين<sup>(٩)</sup> ، ومن الواضح إنه قد استفاده من شيوخه كثيرا ، فبرع في علوم عديدة ، وأنتج مؤلفات عديدة منها كتاب التعريف بأسرار التكليف ثم أبدل عنوانه إلى الموافقات في أصول الشريعة وهو يروي ذلك بنفسه<sup>(١٠)</sup> ، وكتاب الإفادات والإرشادات<sup>(١١)</sup> ، وكتاب الاعتصام ، وكتاب الاتفاق في علم الاشتقاق ، وأصول النحو والمجالس وغيرها<sup>(١٢)</sup> .

أما تاريخ وفاته فكان في يوم الثلاثاء من شهر شعبان عام سبعمائة وتسعين للهجرة<sup>(١٣)</sup> .

**المبحث الأول : مفهوم المعاملات المالية المحرمة ومقاصدها وضوابطها في كتاب**

### **الموافقات للشاطبي**

#### **أولا : مفهوم المعاملات المالية المحرمة**

بين الشاطبي أن المقصود بالمعاملات هي : " ما كان راجعا إلى مصلحة الإنسان مع غيره ، كانتقال الأملاك بعبوض أو بغير عبوض ، بالعقد على الرقاب أو المنافع " (١٤) ، أي هي التي يقصد بها تنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم<sup>(١٥)</sup> ، أما المعاملات المالية فهي التي تنظم علاقة الإنسان بغيره من حيث المال<sup>(١٦)</sup> ، وقد أورد الشاطبي بعض هذه المعاملات كالقراض والبيع والشراء والمساقات والسلم وغيرها<sup>(١٧)</sup> .

أما تعريف المحرم فهو : " ما لا يحل فعله ويكون تاركه مأجورا مطيعا وفاعله أثما عاصيا " (١٨) وفي تعريف آخر : " هو ما طلب الشارع الكف عنه على وجه الحتم والإلزام ويكون تاركه مأجورا مطيعا وفاعله أثما عاصيا " (١٩) ، وشمل التحريم ألفاظ أخرى كالنهي والمحذور ، أما النهي فهو الذي يتضمن طلبا لترك المنهي عنه وإرادة لعدم إيقاعه<sup>(٢٠)</sup> ، والنهي عن الشيء يدل على وجود الفساد فيه<sup>(٢١)</sup> ، أما المحذور فهو أن يقصد خلاف ما قصد<sup>(٢٢)</sup> .

وبذلك فإن المعاملات المالية المحرمة ، هي الأسباب أو الوسائل غير الشرعية التي يكتسب بها الإنسان المال<sup>(٢٣)</sup> ، كالربا والغش والسرقه والغصب والاختلاس والرشوة والتدليس والاحتكار والعقود الفاسدة ، وكل ما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل ، والتعامل في كل نجس وضار وخبيث<sup>(٢٤)</sup> ، كبيع النجاسات<sup>(٢٥)</sup> ونحوها من الوجوه التي حجر الشارع على عباده التملك عن طريقها .

وإن المعاملات المالية المحرمة لا بد من وجود دليل على تحريمها على وفق القاعدة التي تتضمن : أن الأصل في المعاملات الإباحة إلا ما دل دليل خاص على حضره<sup>(٢٦)</sup> ، لذلك أوردنا المعاملات المالية المحرمة مع الأدلة على تحريمها ، وقد ألمح الشاطبي إلى أن التحريم في المعاملات المالية ليس كيفي ؛ وإنما على أساس النصوص الشرعية فقال : " لا يجوز تحريم ما أحل الله من الطيبات "<sup>(٢٧)</sup> ، وأعتمد في هذا على آيات عديدة منها قال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق... ﴾<sup>(٢٨)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ... ﴾<sup>(٢٩)</sup> .

وبين الشاطبي أن التحريم إذا كان على أسباب المعاملات المالية فالمسببات تكون تابعة لهذا التحريم ، أي إن الأسباب أو المقدمات إذا كانت محرمة فكل ما نتج عنها محرم ، وذلك لان الأسباب الممنوعة لا تحقق المصالح أبدا إذ لا يصح ذلك بحال<sup>(٣٠)</sup> ، وقال الشاطبي : " الأسباب الممنوعة أسباب للمفاسد لا للمصالح ، كما أن الأسباب المشروعة أسباب للمصالح لا للمفاسد " <sup>(٣١)</sup> ، ومن الممكن معرفة هذه المصالح بمعرفة علة الحكم<sup>(٣٢)</sup>

### ثانيا : مقاصد المعاملات المالية المحرمة

أوضح الشاطبي أن مقصد التشريعات كلها ومن ضمنها تحريم بعض المعاملات المالية : " إنما شرعت لجلب المصالح أو درء المفاسد "<sup>(٣٣)</sup> ، وكذلك قال : " وذلك أن المعلوم من الشرعية أنها شرعت لمصالح العباد ، فالتكليف كله إما لدرء مفسدة أو جلب مصلحة ، أو لهما معا "<sup>(٣٤)</sup> ، وهذا المبدأ ثابت في التشريعات كلها ، إذ أن المقصد مقدم

على الحكم ، فالمقصد ثابت لا يتغير أما الحكم فيتغير حسب مقتضيات المقصد الذي ضابطه جلب المصلحة ودرء المفسدة ، فمتى ما أقتضى الحال والمكان والزمان جلب مصلحة ودرء مفسدة ، فالحكم يتغير من الحرام إلى الحلال كحال المضطر الذي يتطلب حاله ومكانه وزمانه تحقيق مصلحة له ، فالحكم يصبح تابع لهذه المصلحة وقد أورد الشاطبي مثالا لهذه الحالة فقال : " المضطر أنه إذا خاف الهلكة وجب عليه السؤال أو الاستقراض أو أكل الميتة ونحوها " (٣٥) ، وقال أيضا : " ومن أضر إلى شيء مما حرم الله عليه فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار " (٣٦) ، ومن الأمثلة الأخرى إياحة العرايا (٣٧) التي هي بيع الرطب باليابس للحاجة الماسة في طريق المواساة ، وأبيح الدرهم بالدرهم إلى أجل للحاجة الماسة للمقرض والتوسعة على الناس (٣٨) ، وغيرها من الأحكام التي فيها تحقيق المصلحة .

ومن نافلة القول : إن المقصد هو المتحكم في الأحكام ، فالمقصد قد ينقل الحكم من النقيض إلى النقيض أي من الجواز إلى الحرمة وبالعكس ومنها أحكام المعاملات المالية ، وقد أورد الشاطبي إن احد أسباب التحريم لبعض المعاملات المالية هو مخالفة المقصد فقال : " كل قصد ناقض قصد الشارع فباطل " (٣٩) ، وكذلك إذا خالف الظاهر المقصد : " وان كان الظاهر موافقا والمصلحة مخالفة فالفعل غير صحيح وغير مشروع " (٤٠) وبذلك فلا قيمة لظاهر المعاملة إذا خالفت المصلحة والعلة والغاية ، لذلك فإن: النظر في مالات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة " (٤١) .

وأحد مقاصد تحريم بعض المعاملات المالية هو لدفع الضرر ، لأنها إذا جرت بين الناس يكون نتيجتها إلحاق الضرر بهم ولهذا فإن : " جلب المنفعة ودفع المضررة مطلوب للشارع مقصود " (٤٢) ، والقاعدة المقررة " لا ضرر ولا ضرار " (٤٣) وقد أورد الشاطبي أحاديث عديدة مضمونها التأكيد على التعامل الذي لا يؤدي إلى الضرر بين الناس ، وان هذا الضرر أحد أسباب الفرقة والنزاع والتشتت ، قال الرسول (ص): " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (٤٤) ، وقال الرسول (ص): " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر

والحمى " (٤٥) ، ثم أوضح الشاطبي مضمون هذه الأحاديث إن الناس لا يكونوا كالجسد الواحد إلا إذا منعوا الضرر فيما بينهم (٤٦) .

ومن مقاصد التحريم الأخرى عدم سلب حقوق الآخرين ، كالذي يتعامل بالحيل في سبيل التخلص من أداء واجب تجاه الآخرين أو المجتمع ، أو التكسب غير المشروع عن طريق الحيل وقال الشاطبي في هذا : " إن كان فعله أو تركه من جهة كونه شرطا ، قصدا لإسقاط حكم الاقتضاء في السبب أن لا يترتب عليه أثره ، فهذا عمل غير صحيح ، وسعي باطل ، دلت على ذلك دلائل العقل والشرع معا " (٤٧) ، أي الحفاظ على مصالح الناس وحقوقهم من عبث العابثين وتلاعب المتلاعبين وهذا من مصالح الدنيا التي يمكن أن : " تعرف بالتجارب والعادات والظنون المعتبرات " (٤٨) ، وكذلك المحافظة على الأموال ومن المعلوم أن حفظ المال أحد الضروريات الخمس (٤٩) .

ومن الجدير بالذكر أن المقصد ثابت في المعاملات المالية المحرمة كلها ، لذلك ينبغي بعدم التساهل أو التغاضي عن صغائر المخالفات في المعاملات المالية ، لان ذلك قد يكون مبعث على التجرؤ على المخالفات أو المفاصد الأكبر فقال الشاطبي : " فالتجرؤ على الأخف بالإخلال به معرض للتجرؤ على ما سواه فكذلك المتجرؤ على الإخلال بها يتجرأ على الضروريات " (٥٠) ، لذلك فإن المرء في المعاملات المالية لا بد أن يكون حذرا وبعيدا عن ما يفسد أي معاملة لان : " الشريعة مبنية على الاحتياط والأخذ بالحزم والتحرز مما عسى أن يكون طريقا إلى مفسدة " (٥١) وكان ولاية الأمور يدعون إلى التفقه في المعاملات المالية لتجنب المحرمة لذلك قيل في هذا : " لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه " (٥٢) ، وقد حذر الشاطبي من ذلك بقوله : " أن القواعد المشروعة بالأصل إذا داخلتها المناكير ، كالبيع والشراء ... بحيث صار المكلف عند أخذه في حاجاته وتصرفه في أحواله لا يسلم في الغالب من لقاء المنكر أو ملابسته ، فالظاهر يقتضي الكف عن كل ما يؤدي إلى هذا " (٥٣) ، وكل ما يؤدي إلى الحرام فهو ممنوع من باب سد الذرائع (٥٤) ، ولذلك كان البعض يقول : " كنا ندع ما لا بأس به ، حذرا لما به البأس " (٥٥) .

ثالثاً : ضوابط تحريم المعاملات المالية

من ضوابط التحريم للمعاملات المالية أن تكون : المفسدة أكثر من المصلحة : " لان القاعدة الشرعية إن المفسدة إذا أربت على المصلحة فالحكم للمفسدة ، والمفاسد ممنوعة"<sup>(٥٦)</sup> ، لذلك فإن التحريم قد وقع على بعض المعاملات المالية لما فيها من مفسد ، وكل معاملة مالية يغلب عليها الفساد تحرم فقال الشاطبي : " المفسدة إذا كانت هي الغالبة بالنظر إلى المصلحة في حكم الاعتیاد ، فرفعها هو المقصود شرعا ، ولأجله وقع النهي"<sup>(٥٧)</sup> ، وبذلك فإن ضابط معرفة المعاملة المحرمة هي إن المفسدة إذا زادت على المصلحة وقع التحريم<sup>(٥٨)</sup> ، وكذلك من ضوابط التحريم للمعاملات المالية : عدم تفضيل مصلحة الهوى على حساب المصالح الحقيقية المعتمدة فقال الشاطبي : " المصالح المجتنبية شرعا والمفاسد المستدفة إنما تعتبر من حيث تُقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب المصالح العادية، أو درء مفسده العادية"<sup>(٥٩)</sup> وهذا النص يوضح إن أهم ضوابط التحريم لبعض المعاملات المالية ، عدم تحكم أهواء النفوس لقبول المعاملة أو رفضها : "والشرع جاء بالنهي عن إتباع الهوى"<sup>(٦٠)</sup> ، والأصل في هذا قال تعالى : ﴿ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾<sup>(٦١)</sup> .

كذلك من ضوابط تحريم بعض المعاملات المالية : وضع شروط غير شرعية كما في حالة وضع : " شرط في البيع أن لا ينتفع بالمبيع ، أو إن إنتفع فعلى بعض الوجوه دون بعض ، أو شرط الصانع على المستصنع أن لا يضمن المستأجر عليه إن تلف وأن يصدقه في دعوى التلف ، وما أشبه ذلك ، فهذا القسم لا إشكال في إبطاله"<sup>(٦٢)</sup> ، كذلك في حالة إقتران البيع والسلف فإذا زال أو أسقط مشترط السلف شرطه جاز العقد<sup>(٦٣)</sup> ، ومن ضوابط التحريم الأخرى: عدم تأثير عقد على عقد آخر، أو عدم إجتماع عقدان في عقد واحد ، فيؤثر أحدهما على الآخر ، كالبيع والشركة ، والصرف والبيع ، والقراض والبيع، والمساقاة والبيع ، والجعل والبيع ، والجزاف والمكيل<sup>(٦٤)</sup> : " إلى غير ذلك من العقود التي هي باطلة على وجه ، فيزال ذلك الوجه فتمضي "<sup>(٦٥)</sup> ، والأصل في هذا قال

الرسول (ص): " من أشتراط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل وإن أشتراط مائة شرط " (٦٦) ، وهذا نهى عن إيراد شرط لا يريده الشرع .

ومن ضوابط التحريم الأخرى على المعاملات المالية : إختلال ركن من أركانها أو شرط من شرائطها فقال الشاطبي : " وأما إذا لم تفعل الأسباب على ما ينبغي ، ولا استكملت شرائطها ولم تنتف موانعها فلا تقع مسبباتها " (٦٧) ، وهذا ما أيده ابن عبد السلام بقوله : " أن ينهى عن الشيء لاختلال ركن من أركانه أو شرط من شرائطه " (٦٨)

ومن الضوابط الأخرى : مخالفة المقصد الحقيقي للمعاملة ، كالذي يجعل من المعاملة المشروعة مقصد غير المقصد المراد تحقيقه من التشريع كالشخص الذي : " يعلم أو يظن أن الشارع لا يقصدها ، كان هذا العمل باطلا لمخالفته لقصد الشارع " (٦٩) ، مثل البيع الذي يكون مضمونه ربا (٧٠) ، وكذلك من أشكال مخالفة المقصد الحقيقي للمعاملة استعمال الحيل المؤثرة التي هي من أسباب التحريم

فالحيل في قلب الأحكام هي غير جائزة (٧١) ، وقد بين الشاطبي حقيقة الحيل بقوله : " تقديم عمل ظاهر الجواز لأبطال حكم شرعي ، وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر " (٧٢) ، ومن أشكال الحيل رفع أو إنقاص شرط من شروط إيجاب المعاملات المالية أو اقتضاءها: " فان هذا العمل يصير ... عبثا لا حكمة له ولا منفعة به ، وهذا مناقض لما ثبت في قاعدة المصالح وأنها معتبرة في الأحكام ، وأيضا فإنه مضاد لقصد الشارع " (٧٣) ، وأن استعمال الحيل لتحقيق مقصد غير المقصد الحقيقي عمل باطل ، قال الشاطبي: " فصار هذا الفاعل أو التارك بقصد رفع حكم السبب، قاصدا لمضادة الشارع في وضعه سببا ، وقد تبين إن مضادة قصد الشارع باطلة ، فهذا العمل باطل " (٧٤) ، وقال أيضا: " أن التحيل على الأحكام الشرعية باطل على الجملة نظرا إلى المال " (٧٥)

ومن الأمثلة على إتباع حيل باطلة في المعاملات المالية ، إنقاص نصاب الزكاة قبل حلول الحول تهربا من أدائها مثل أن يهب المرء ماله قبل الحول ، لمن أتفق معه على أن يرده عليه بعد الحول بهبة أو غيرها ، وكذلك المنفق نصابه بقصد رفع ما اقتضاه من

وجوب الإخراج<sup>(٧٦)</sup> ، أو التصدق بجزء من ماله لتسقط عنه الزكاة<sup>(٧٧)</sup> ، أو الاستدانة المانعة من انتهاض سبب وجوب إخراج الزكاة<sup>(٧٨)</sup> وكذلك الجامع بين المفترق ريثما يأتي الساعي ثم ترد إلى التفرقة ، كالذي يجمع أربعون شاة مفترقة بأربعين أخرى غير مختلفة حتى يُخرج نصف شاة ، أو المفروق بين المجتمع ثم ترد إلى حالها بعد إخراج الزكاة ، أي إنه يُفروق مائة مختلطة بمائة واحدة حتى يُخرج شاة واحدة<sup>(٧٩)</sup> ، وهذا منهي عنه لأن القصد منها إبطال حكم السبب<sup>(٨٠)</sup> ، فكل هذا هو نهي عن الاحتيال لإسقاط الواجب أو تخفيفه<sup>(٨١)</sup> ، وأصل هذا النهي بينه الرسول (ص) بأن : " لا يجمع بين منفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة " <sup>(٨٢)</sup> ، وكذلك النهي عن الحيل التي تخص البيع : كالقصد في رفع شرط الخيار للمتبايعان أي أن يقوم أحد المتبايعان مباشرة من مكان العقد ليُلزم إتمام البيع<sup>(٨٣)</sup> ، وهذا منهي عنه بقول الرسول (ص) : " المتبايعان بالخيار ما لم يفترقا إلا أن تكون صفقة خيار ولا يحل له أن يفارق صاحبه خشية أن يستقبله " <sup>(٨٤)</sup> ، وان الإتيان بشرط أو رفع شرطاً لتحقيق رفع ما إقتضاه السبب ، فهذا باطلا محرما<sup>(٨٥)</sup> ، وأورد الشاطبي : " لا ترتكبوا ما أرتكبت اليهود والنصارى يستحلون محارم الله بأدنى الحيل " <sup>(٨٦)</sup>

تعد الزواجر أو العقوبات أحد ضمانات منع المعاملات المالية الحرمية ، وقد أشار الشاطبي إلى ذلك بقوله : " الأسباب غير المشروعة يترتب عليها أحكاما ضمنا " <sup>(٨٧)</sup> لمنع الضرر المتأتي من المعاملات المالية المحرمة : " العقوبات كلها جلب مصلحة أو درء مفسدة يلزم عنها أضرار الغير ، إلا إن ذلك كله إلغاء لجانب المفسدة " <sup>(٨٨)</sup> ، وقد بين الشاطبي إن العقوبات هي لمنع التعامل بالمعاملات المالية المحرمة وغيرها فقال : " فإنما حُدَّت الحدود في طريق الحظ ، أن لا يخل الإنسان بمصلحة غيره فيتعدى ذلك إلى مصلحة نفسه ، فإن الشارع لم يضع تلك الحدود إلا لتجري المصالح على أقوم سبيل " <sup>(٨٩)</sup> ، أي إن الشارع وضع هذه الزواجر أو العقوبات للردع عن ارتكاب ما حظر ، وترك ما أمر به ، لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية<sup>(٩٠)</sup> ، قد وصف الشاطبي الذين يتعاملون بالمعاملات المالية المحرمة كأنهم أعداء أنفسهم<sup>(٩١)</sup> ، ومقصد هذه العقوبات : " فأنها زجر للفاعل ، وكف له عن موقعة مثل ذلك الفعل ، وعظة لغيره أن يقع في مثله أيضا " <sup>(٩٢)</sup>

المبحث الثاني : أنواع المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي

توجد العديد من المعاملات المالية المحرمة في الاقتصاد الإسلامي وقد ذكر الشاطبي العديد منها في كتابه الموافقات في أصول الشريعة ومنها :

أولاً : المعاملات المالية المحرمة بسبب الغرر والجهالة

ورد في كتاب الموافقات للشاطبي العديد من البيوع المنهي عنها كالبيع المقترن بالغرر والجهالة ونحوها<sup>(٩٣)</sup> ، والغرر هو : " ما كان له ظاهر يغر المشتري وباطنا مجهول"<sup>(٩٤)</sup> ، أو كل بيع كان مجهول غير معلوم ، وكل بيع غير مقدور على تسليمه فهو غرر<sup>(٩٥)</sup> ، لذلك لا بد من : " إشتراط عدم الغرر والجهالة في البيوع"<sup>(٩٦)</sup> وكل ما ينتج عن هذه المعاملة فهو حرام قال الشاطبي : " وإذا تعلق بها التحريم كبيع ... الغرر والجهالة إستلزم تحريم الانتفاع المسبب عنها"<sup>(٩٧)</sup> ، وإن عدم إنتفاء الغرر والجهالة في البيع لا يؤدي إلى الفائدة المرجوة فقال الشاطبي : " البيع إذا فات فيه ما هو من المكملات كإنتفاء الغرر والجهالة ، أو شك أن لا يحصل للمتعاقدين أو لأحدهما مقصود ، فكان وجود العقد كعدمه ، بل قد يكون عدمه أحسن من وجوده "<sup>(٩٨)</sup>

وأصل تحريم الغرر ورد عن الرسول (ص) الذي : " نهى عن بيع الغرر وعن بيع الحصة"<sup>(٩٩)</sup> ، ومن أنواع بيوع الغرر بيع الحصة<sup>(١٠٠)</sup> ، والمقصود به أن يقول البائع للمبتاع إرم هذه الحصة فعلى أي شيء وقعت فهو لك بدرهم ، وعند رمي الحصة وجب البيع بلا خيار ولا روية ، أو يقول البائع للمبتاع بعثك من هذه الأرض مقدار ما تبلغ هذه الحصة إذا رميتها<sup>(١٠١)</sup> ، وكذلك من أنواع بيع الغرر بيع حبل الحبلبة<sup>(١٠٢)</sup> الذي يعني بيع نتاج النجاج ، أي تلد الناقة ثم تحمل المولودة فيباع نتاجها<sup>(١٠٣)</sup> ، وبيع الثمر قبل بدو صلاحه<sup>(١٠٤)</sup> ، أو بيع الثمرة قبل أن تزهي<sup>(١٠٥)</sup> ، وقال الشاطبي في هذا : " فان النهي لم يرد على بيع الثمر إلا على حكم الاستقلال ، ... فذلك راجع إلى صيرورة الثمرة "<sup>(١٠٦)</sup> ، وأصل هذا النهي إن النبي (ص) : " نهى عن بيع الثمرة حتى تزهو وعن بيع العنب حتى يسود وعن بيع الحب حتى يشتد "<sup>(١٠٧)</sup> ، ولعل الغاية المنشودة من هذا الحكم هي

الابتعاد عن المنازعات التي قد تحصل في حالة تم البيع وعقد الاتفاق ودفع الثمن ،  
والثمار غير ناضجة ، فلا يأمن سلامتها من العاهة بالأمراض أو الأضرار التي قد  
تحصل بالثمار لأسباب متعددة ، وهناك أنواع من بيوع الغرر كبيع المضامين  
والملاقيح<sup>(١٠٨)</sup> ، والمقصود بالمضامين ما في أصلاب الفحول ، والملاقيح ما في البطون  
وهي الأجنة<sup>(١٠٩)</sup> ، وقيل إن المضامين ما في بطون الإبل ، أما الملاقيح ما في ظهور  
الجمال<sup>(١١٠)</sup> .

وكذلك من أنواع بيوع الغرر بيع المجهول الذي بين الشاطبي الإجماع على تحريم  
أنواعه فقال : " ورأينا العلماء أجمعوا على منع بيع الأجنة والطيور في الهواء والسماك في  
الماء " <sup>(١١١)</sup> ، وكذلك النهي عن بيع ما ليس عندك <sup>(١١٢)</sup> ، فعن حكيم بن حزام قال: " قلت  
يا رسول الله (ص) يأتيني الرجل يسألني البيع ليس عندي أبيعه منه ثم أتكلفه له من  
السوق قال لا تبع ما ليس عندك " <sup>(١١٣)</sup> ، وقد أفاد الشاطبي بأن المفسدة في أنواع بيوع  
الغرر متفاوتة إذ قال : " بيع الغرر مثلا وجدنا المفسدة في العمل به على مراتب ، فليس  
مفسدة بيع حبل الحبلة كمفسدة بيع الجنين في بطن أمه الحاضرة الآن ، ولا بيع الجنين في  
البطن كبيع الغائب على الصفة " <sup>(١١٤)</sup> .

### ثانيا : المعاملات المالية المحرمة بسبب الضرر والخداع

تضمن التشريع في الاقتصاد الإسلامي تحريم بعض المعاملات المالية لان فيها الضرر  
والخداع ، قال الرسول (ص): " لا ضرر ولا ضرار " <sup>(١١٥)</sup> ، لأنهما مظنة النزاع  
والخصام بين المتعاملين بهما ، ومن هذه البيوع الاحتكار فقال الرسول (ص): " من  
أحتكر فهو خاطئ " <sup>(١١٦)</sup> ، ومن أضرار هذا البيع الجشع والطمع والتضييق على الناس  
<sup>(١١٧)</sup> ، وقال الشاطبي فيه : " وأما المحتكر فإنه خاطئ باحتكاره ، مرتكب للنهي ، مضر  
بالناس ، فعلى الإمام أن يدفع إضراره بالناس على وجه لا يستضر هو به " <sup>(١١٨)</sup> ، وقال  
أيضا : " وكذلك إخراج الإمام الطعام من يد محتكره قهرا ، لما صار منعه مؤديا لإضرار  
الغير " <sup>(١١٩)</sup> ، وبذلك فإن الاحتكار أحد المسوغات لتدخل الدولة في الاقتصاد ، والضابط

في هذا منع الضرر وجلب المصلحة على وفق القاعدة التي تنص على أن : " تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة " (١٢٠)

ومن أنواع البيوع المنهي عن التعامل بها لما فيها من ضرر ، تلقي السلع وبيع الحاضر للبادي ، وعلّة النهي عن التعامل بهذه البيوع لان فيها ضرر عام قال الشاطبي : " أن يكون الإضرار عاما ؛ كتلقي السلع ، وبيع الحاضر للبادي " (١٢١) ، وقال أيضا : " لان المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة ، بدليل النهي عن تلقي السلع ، وبيع الحاضر للبادي " (١٢٢) ، وبذلك ورد النهي بسبب الإضرار بالناس (١٢٣) ، لما فيه من إستغلال غفلة أهل البادية وجهلهم بالأسعار ، ولما فيه من زيادة السعر على أهل المصر (١٢٤) ، وأصل هذا النهي جاء بقول الرسول (ص): " لا تلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد " (١٢٥) ، وفي رواية أخرى إن رسول الله (ص): " نهى أن يتلقى الجلب فإن تلقاه إنسان فابتاعه فصاحب السلعة فيها بالخيار " (١٢٦) ، فلا تلقي للوافدين بسلعه من خارج المدينة قبل أن يصلوا السوق ويعرفوا الأسعار، قال الرسول (ص): "... لا تلقوا السلع حتى يهبط بها إلى السوق " (١٢٧) ، وبذلك اهتم التشريع في الاقتصاد الإسلامي بالذي ينتج ثم يبيع إنتاجه بالسوق .

وكذلك النهي عن التعامل ببيع الخلابة (١٢٨) ، والخلابة تعني الخداع (١٢٩) ، ومن أوضح الصور لهذه الحالة ، أن رجلا كان يُدع في البيع فذكر ذلك لرسول الله (ص) فقال له: " من بايعت فقل لا خلابة " (١٣٠) أي لا خديعة ولا غبن لي في هذا البيع (١٣١)

وكذلك النهي عن التعامل ببيع النجش (١٣٢) ، ومعنى بيع النجش حضور شخص عند بيع السلعة فيمدحها ، ويزيد في ثمنها وليس هو مشتريا لها ، وإنما يبغى إيهام غيره ليرغبه بشرائها بأكثر من قيمتها الحقيقية فيظن المشتري إن السلعة تساوي هذه الزيادة فيغتر بذلك (١٣٣) ، ووردت أحاديث عديدة للنهي عن النجش منها : " أن رسول الله (ص) نهى عن النجش " (١٣٤) ، وهذا النهي لما فيه من تغرير المشتري وخديعته فهو في معنى الغش (١٣٥) وان النهي عن هذا البيع مع توافر الشرائط والأركان ليس النهي من جهة المعنى عن البيع ، وإنما هو نهى عن الإضرار المقترن بالبيع (١٣٦) .

ومن أنواع البيوع التي فيها ضرر وخداع ، بيوع الغش ، وبين الشاطبي أن التعامل بالغش فيها الكثير من المفاسد <sup>(١٣٧)</sup> ، ثم قال : " وترك الغش كله " <sup>(١٣٨)</sup> ، وقد ذكر العديد من البيوع التي يجمعها صفة الغش ومنها التصرية <sup>(١٣٩)</sup> أي بيع الشاة على أنها غزيرة الدر <sup>(١٤٠)</sup> أي عدم حلب الماشية المراد بيعها أيما ، فيترأى للمشتري أنها غزيرة اللبن فيقبل على شرائها ، لأنه يعتقد أن كثرة اللبن عادة فيها وطبيعة <sup>(١٤١)</sup> ، ويقال للمصراة محفلة <sup>(١٤٢)</sup> ، والنهي عن بيع المصراة جاء بالأحاديث النبوية قال الرسول (ص) : " من إبتاع شاة مصراة فهو فيها بالخيار ثلاثة أيام إن شاء أمسكها وإن شاء ردها ورد معها صاعا من تمر " <sup>(١٤٣)</sup> ، وفي رواية أخرى أن النبي (ص) قال : " لا تصروا الإبل والغنم... " <sup>(١٤٤)</sup> ، وإن سبب النهي عن التعامل ببيع المصراة ؛ لأنه غش وخداع <sup>(١٤٥)</sup> ، ومن صور الغش الأخرى نقص المكيال والميزان <sup>(١٤٦)</sup> ، فتضمن التشريع في الاقتصاد الإسلامي عدم الغش في التعامل المالي وغيره ، ومن الروايات التي تبين هذا ، أن الرسول (ص) عندما مر : " على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام قال : أصابته السماء يا رسول الله قال : أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس من غش فليس مني " <sup>(١٤٧)</sup> فهذه صورة عملية وواقعية للاهتمام بالتعامل المالي والابتعاد به عن المعاملات المحرمة ، والوصول به إلى مراتب الرقي وبهذا إبتعد الاقتصاد الإسلامي عن السطحية .

ومن المعاملات المالية المحرمة التي تقع ضمن الغش تزيف العملات فقال الشاطبي : " أن إنفاق درهم زائف أشد من سرقة مائة درهم ، لأن السرقة معصية واحدة ، وقد تمت وإنقطعت ، وإظهار الزائف ... فيكون عليه وزرها بعد موته ، إلى مائة سنة ، ومائتي سنة ، إلى أن يفنى ذلك الدرهم ، ويكون عليه ما فسد ونقص من أموال الناس بسببه " <sup>(١٤٨)</sup> ، ثم بين الشاطبي غاية الغاش : " فإنه لا يغش إلا استعجالا للربح الذي يأمله في تجارته ، أو للنفاق الذي ينتظره في صناعته ، أو ما أشبه ذلك " <sup>(١٤٩)</sup> .

ومن المعاملات التي تؤدي إلى ضرر كبير معاملة الربا وهي من المعاملات المالية المحرمة <sup>(١٥٠)</sup> ، والنهي عنها يدعو إليها الطبع النازع إلى طلبه مصلحة الإنسان ودرء

المفسدة عنه (١٥١) ، وان أحد أساليب الكف عن الربا هو الزجر في الدنيا والآخرة (١٥٢) والقران الكريم زجر بشكل كبير الذي يتعامل بالربا قال تعالى : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (١٥٣) ، وقال تعالى : ﴿ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ... ﴾ (١٥٤) ، وأيضا ورد تحريم الربا بالأحاديث النبوية قال الرسول (ص): " ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله " (١٥٥) ، وكذلك قال الرسول (ص): " الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد " (١٥٦) ، ثم بين الشاطبي علة تحريم الربا فقال : " المنع فيه إنما هو من أجل كونه زيادة على غير عوض ألحقت السنة به كل ما فيه زيادة بذلك المعنى " (١٥٧) ، وكذلك أورد الشاطبي ضوابط الربا وهي إذا إتحد الجنس فيكون التقابض والمماثلة ، أما إذا اختلف الجنس فيكون التقابض من دون المماثلة (١٥٨) ، وكل ما خالف هذه القاعدة فهو الربا المنهي عنه ، ومفاسد الربا ذاتية لا تنفك عنه أبدا ، وهو من مظاهر إنحلال المجتمع وفساده ، وإستساغة للظلم وفقدان التعاون الاجتماعي فيما بين أفراد (١٥٩) ، وحذر الرسول (ص) الأقسام التي تتعامل بالربا باسم البيع (١٦٠) .

وكل ما يشبه معاملة الربا فهو محرم على وفق القاعدة : " ما وجب للشيء وجب لمثله " (١٦١) كبيع العينة (١٦٢) الذي قال الشاطبي فيه : " كحيل أهل العينة في جعل السلعة واسطة في بيع الدينار بالدينارين إلى أجل " (١٦٣) ، وقال الرسول (ص) في بيع العينة : " من باع بيعتين في بيعة فله أوكسهما أو الربا " (١٦٤) ، وعقوبة التعامل ببيع العينة نزول البلاء لا يرفع حتى يُمْنَع (١٦٥) ، وكذلك بيوع الآجال (١٦٦) الذي قال الشاطبي فيه : " صنفا آخر فيه مفسدة كثيرة ... كبيوع الآجال " (١٦٧) . وأصل تحريم التعامل بمثل هذه البيوع قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين امنوا لا تأكوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ (١٦٨) .

ثالثاً : النهي عن التعامل بمواد محرمة لذاتها ولغيرها

حرم الاقتصاد الإسلامي التعامل ببعض المواد ، وقد أورد الشاطبي في كتابه الموافقات بعضها ، ومنها الخمر (١٦٩) ، وأورد قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ... ﴾ (١٧٠) ، وكذلك أورد قول الرسول (ص): " وكل مسكر حرام " (١٧١) ، وغاية هذا التحريم هو تحقيق المصالح للعباد (١٧٢) ، إذ إن الخمر فيه العديد من المساوئ ، كالصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وإنها تُوقِعُ العداوة والبغضاء بين الناس (١٧٣) ، وإنها عون على الإثم والعدوان فهذه من المثالب التي بينها الله سبحانه وتعالى (١٧٤) .

وبناء على قاعدة سد الذرائع التي مضمونها تحريم كل الطرق أو السبل التي تؤدي الى الحرام ، فقد حُرِّمَ بيع العنب لمن يتخذه خمرا (١٧٥) ، أو شراء الخمر للتخليل (١٧٦) ، ومن الأحاديث التي تضمنت تحريم التعامل بالخمر قال الرسول (ص): " إن الذي حرم شربها حرم بيعها " (١٧٧) .

كذلك من المواد التي حُرِّمَ التعامل بها هي النجاسات فقال الشاطبي : " وفي المعاملات كالمنع من بيع النجاسات " (١٧٨) .

أما البيوع المحرم التعامل بها لغير ذاتها كبيع السلاح لأهل الحرب لما فيه مفسد كثيرة (١٧٩) ، أو لما فيه من التعاون على الإثم والعدوان المنهي عنهما شرعا (١٨٠) ، وكذلك أورد الشاطبي تحريم إجراء معاملات مالية في أوقات معينة كتحرим البيع أثناء صلاة الجمعة (١٨١) ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٢) ، وعلة التحريم هي : " النهي عن ملابسة الشاغل عن السعي ، لا أن المقصود النهي عن البيع مطلقاً " (١٨٣) ، وهذا ما أكده ابن عبد السلام بقوله : " هو نهى عن التقاعد والتشاغل عن الجمعة " (١٨٤) ، وهذا النهي عن التعامل بمثل هذا البيع غير متعلق بذاته أو صفته ، وإنما لمعنى طارئ (١٨٥)

رابعاً : النهي عن التعامل بوسائل كسب غير مشروعة

من الوسائل التي حرم الاقتصاد الإسلامي التعامل بها الرشوة التي تعني " ما يُعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل "(١٨٦) ، وقد أورد الشاطبي تحريمها لأنها سبب في إبطال الحق (١٨٧)، ولكن استثنى ذلك إذا تعرض أحدهم إلى الظلم أو الاضطرار فقال : " الرشوة على دفع الظلم إذا لم يقدر على دفعه إلا بذلك "(١٨٨) ، وتحريم الرشوة قطعي إذ : " لعن رسول الله (ص) الراشي والمرتشي " (١٨٩) ، وكذلك النهي عن شهادة الزور من أجل مصلحة مالية ، أو كسب الثمن بآيات الله سبحانه وتعالى أو أكل مال اليتيم (١٩٠) .

كذلك بين الشاطبي تحريم وسائل الكسب المالي التي تكون بالسرقة (١٩١) والغصب (١٩٢) والتعدي (١٩٣) فقال : " تحريم ... الانتفاع بالمغصوب والمسروق وما أشبه ذلك " (١٩٤) ، وقال بشكل واضح : " تحريم الانتفاع ... كما في التعدي والغصب والسرقة ونحوها " (١٩٥) أما الغصب فهو ممنوع للمفسدة اللاحقة للمغصوب منه (١٩٦) ، وبذلك فإن الغصب أحد الحوائل التي تمنع من الاستفادة من المغصوب ، كالدار المغصوبة والسكين المغصوبة وما أشبههما (١٩٧) ، وان السكين المغصوبة لا يصح إستعمالها في أي عمل فقال الشاطبي : " كان هذا العمل المعين وهو الزكاة منهياً عنه فصار أصل الزكاة منهياً عنه "(١٩٨) ، والسرقة يترتب عليها الضمان والقطع ، أما التعدي الذي هو أحد أوجه الغصب يترتب عليه الضمان والعقوبة فقال الشاطبي : " الأسباب غير المشروعة يترتب عليها أحكام ضمناً ... كذلك التعدي يترتب عليه الضمان والعقوبة ، والسرقة يترتب عليها الضمان والقطع " (١٩٩) ، وبين إن القطع خاص بالسرقة دون الغاصب والجاحد والمختلس (٢٠٠) وإن المسروق له نصاب وله حرز ، وإن القطع يكون من الكوع (٢٠١) ، إذا سرق بالغ عاقل (٢٠٢) وأصل هذه الأحكام قال تعالى: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾ (٢٠٣) .

كذلك من وسائل كسب المال المنهي عن التعامل بها ، أخذ العامل أو المسؤول في الدولة الهدايا من الناس إذ بين الشاطبي أن العامل (المسؤول في الدولة) لا يجوز له ان يأخذ الهدايا من الناس فقال : " قبول هدايا الناس للعمال ... من الغلول الذي هو كبيرة من

كبائر الذنوب»<sup>(٢٠٤)</sup> ، فلا ينبغي لأي مسؤول أن يأخذ هدية من أحد<sup>(٢٠٥)</sup> وهذا مضمون قول الرسول (ص): " هدايا العمال غلول " <sup>(٢٠٦)</sup> ، وفي رواية أخرى أكثر تفصيلا أن رسول الله (ص) أستعمل رجلا على الصدقة فلما قدم قال: " هذا لكم وهذا لي أهدي لي فقام رسول الله (ص) على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا " <sup>(٢٠٧)</sup> ، وكذلك لا يجوز أخذ الأجرة من الناس على عمل عام ، فقال الشاطبي : " لم يجز باتفاق للقاضي ولا لسائر الحكام أن يأخذوا من الخصمين أو من أحدهما أجرة على فصل الخصومة بينهما " <sup>(٢٠٨)</sup> ، أما الماوردي فقال : " وليس لمن تقلد القضاء أن يقبل هدية من خصم ولا من أحد من أهل عمله " <sup>(٢٠٩)</sup> ، لان هذه الوسائل هي مظنة الظلم .

### الخاتمة

بعد الدراسة والبحث لهذا الموضوع الموسوم بـ " المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي " إتضحت لنا العديد من النتائج التي أثبتناها بالأدلة الموثقة من المصادر والمراجع وأهمها هذه النتائج التي توصلنا إليها هي :

تميز الإمام الشاطبي بعلمه الواسع والمتنوع في العلوم الشرعية ، وكان له الريادة في بيان المقاصد لا سيما في كتابه الموافقات في أصول الشريعة ، وقد أحتوى على المعاملات المالية المتنوعة ومنها المحرمة ، وقد فصل في جزئيات المعاملات المالية المحرمة كالضابط والمقصد في التحريم ، مع إيراد الأصل التشريعي ، ولم يكتفي بالمعلومات الإجمالية فقط ، التي قد لا تمس الواقع ولا تكون مؤثرة ، فالكنوز تعبر عن ذواتها ومكوناتها ولا يهمها التقادم ، فذلك الحال في كتاب الموافقات فهو كنز من كنوز العلم .

إن المعاملات المالية المحرمة هي الوسائل غير الشرعية في التعامل المالي بين الناس ، والتحريم لها لا بد أن يكون على وفق النص الشرعي أو المصادر التبعية المعتمدة ، وليس على وفق الهوى والرغبة .

## المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي

بين الشاطبي أن التحريم إذا وقع على أسباب المعاملات المالية أو مقدماتها ، فتكون المسبب أو النتائج تابعة لها .

تضمن كتاب الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي أنواع من المعاملات المالية المحرمة ، وهذا التنوع يعود إلى طبيعة المعاملة أو كيفيتها أو مقصدها ، كذلك تضمن تحريم التعامل بأساليب أو وسائل الكسب المالي غير المشروعة ، بسبب الأضرار التي تسببها هذه التعاملات ، إضافة إلى صرف جهود وأموال لا تخدم العملية الإنتاجية المثمرة الساعية إلى التطور والنهوض ، وكذلك عدم إستغلال الطاقات الطبيعية والبشرية على الصورة المثلى والمطلوبة .

تضمن كتاب الموافقات في أصول الشريعة ضوابط عديدة للمعاملات المالية المحرمة ، ومنها : إن المفسدة إذا زادت على المصلحة فالحكم يكون التحريم ، وضابط آخر هو: تحريم المعاملة المالية إذا وضعت شروط غير شرعية ، وكذلك تحرم المعاملة المالية إذا اختل ركن من أركانها أو شرط من شروطها ، وكذلك تحرم المعاملة المالية إذا خالفت المقصد الحقيقي كإتباع حيل غير شرعية تؤدي إلى مخالفة مقصد المعاملة وكل قصد يخالف قصد الشارع فباطل .

بين الشاطبي أن من مقاصد المعاملات المالية المحرمة جلب المصلحة ودرء المفسدة ، والحفاظ على مصالح الناس وحقوقهم ، وأن المقصد تابع للحكم ، فمتى اقتضى الحال والمكان والزمان التحريم وقع والعكس يكون صحيح .

### قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

أولاً: المصادر الأولية

ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ( ٦٠٦هـ ) .

\_\_\_\_\_ النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر احمد ، ومحمود محمد (بيروت، المكتبة العلمية ، ١٩٧٩م).

- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ).  
\_\_\_\_\_ صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب (بيروت، دار ابن كثير ،  
١٩٨٧م).
- البهوتي ، منصور بن يونس (ت ١٠٥١هـ) .  
\_\_\_\_\_ كشف القناع ، تحقيق : هلال مصلحي (بيروت ، دار الفكر، ١٤٠٢هـ)  
البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).  
\_\_\_\_\_ سنن البيهقي الكبرى، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة ، دار  
الباز ، ١٩٩٤م).
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ).  
\_\_\_\_\_ سنن الترمذي ، تحقيق: احمد محمد شاكر ( وآخرون ) (بيروت، دار إحياء  
التراث العربي ، د.ت).
- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦هـ).  
\_\_\_\_\_ التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الابياري (بيروت ، دار الكتاب العربي ،  
١٩٨٥م)
- الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ).  
\_\_\_\_\_ المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا (بيروت، دار  
الكتب العلمية، ١٩٩١م).
- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد (ت ٣٥٤هـ).  
\_\_\_\_\_ صحيح ابن حبان ، تحقيق: شعيب الارنؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة ،  
١٩٩٣م).
- ابن حزم ، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ) .  
\_\_\_\_\_ الأحكام (القاهرة ، دار الحديث ، ١٤٠٤هـ)  
أبو داود ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ).
- \_\_\_\_\_ سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت، دار  
الفكر، د.ت).

- الزمخشري ، محمود بن عمر ( ت ٥٣٨هـ ) .
- \_\_\_\_\_ الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ( بيروت، دار المعرفة ، د. ت ) .
- السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ)
- \_\_\_\_\_ الأنساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (القاهرة ، ١٩٨٠م)
- السيوطي ، عبد الرحمن بن محمد ( ت ٩١١هـ ) .
- \_\_\_\_\_ الأشباه والنظائر ( بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ ) .
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى الغرناطي (ت٧٩٠هـ)
- \_\_\_\_\_ الموافقات في أصول الشريعة ، تحقيق: إبراهيم رمضان (بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٤م)
- \_\_\_\_\_ الاعتصام (بيروت ، دار الفكر ، ٢٠٠٣م) .
- الشيرازي ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ( ت ٤٧٦هـ ) .
- \_\_\_\_\_ المهذب ، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت) .
- الصنعاني ، محمد بن إسماعيل (ت١١٨٢هـ) .
- \_\_\_\_\_ سبل السلام ، تحقيق :محمد عبد العزيز الخولي ( بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٧٩هـ)
- أبو الطيب ، محمد شمس الحق آبادي .
- \_\_\_\_\_ عون المعبود ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ)
- ابن عبد السلام ، أبو محمد عز الدين السلمي(ت٦٦٠هـ)
- \_\_\_\_\_ قواعد الأحكام في مصالح الأنام ( القاهرة ، دار البيان العربي ، ٢٠٠٢م)
- أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) .
- \_\_\_\_\_ غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ( بيروت ، دار الكتاب العربي ١٣٩٦هـ)
- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)

- \_\_\_\_\_ إحياء علوم الدين، تحقيق: د. محمد وهبي سليمان، وأسامة عمورة (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٦م)
- \_\_\_\_\_ ابن أبي الفتح ، أبو عبد الله محمد (ت ٧٠٩هـ) .
- \_\_\_\_\_ المطلع ، تحقيقي: محمد بشير (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨١م) .
- \_\_\_\_\_ القرطبي ، أبو الوليد محمد بن أحمد (تت ٥٩٠هـ) .
- \_\_\_\_\_ بداية المجتهد ونهاية المقتصد (بيروت ، دار الفكر العربي ، د ت )
- \_\_\_\_\_ ابن قدامه، أبو محمد عبد الله بن احمد (ت ٦٢٠هـ) .
- \_\_\_\_\_ المغني، (بيروت، دار الفكر ، ١٩٨٥م) .
- \_\_\_\_\_ الكاساني ، أبو بكر مسعود بن أحمد (ت ٥٨٧هـ) .
- \_\_\_\_\_ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٢م)
- \_\_\_\_\_ ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد القزويني (ت ٢٧٥هـ) .
- \_\_\_\_\_ سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت ، دار الفكر ، د.ت) .
- \_\_\_\_\_ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ) .
- \_\_\_\_\_ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق : عماد الدين زكي البارودي (القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت) .
- \_\_\_\_\_ المرادوي ، أبو الحسن علي بن سليمان (ت ٨٨٥هـ) .
- \_\_\_\_\_ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، تحقيق : محمد حامد الفقي (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د ت) .
- \_\_\_\_\_ مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) .
- \_\_\_\_\_ صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت )
- \_\_\_\_\_ ابن مفلح ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمد (ت ٨٨٤هـ) .
- \_\_\_\_\_ المبدع بشرح المقنع (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ)
- \_\_\_\_\_ المقرئ ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) .

- \_\_\_\_\_ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: محمد البقاعي (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٦م)
- ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم ( ت ٧١١هـ ).
- \_\_\_\_\_ لسان العرب (بيروت، دار صادر ، د.ت).
- النسائي، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب ( ت ٣٠٣هـ ).
- \_\_\_\_\_ السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩١م).
- الهيثمي، علي بن أبي بكر ( ت ٨٠٧هـ ).
- \_\_\_\_\_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (القاهرة، دار الريان للتراث - بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧م).
- ياقوت ، أبو عبد الله بن عبد الله الحموي (ت ٢٢٦هـ) .
- \_\_\_\_\_ معجم البلدان (بيروت ، دار الفكر ، د ت)

#### ثانياً: المراجع الحديثة

- أسببته ، عدنان علي عبد الرحمن
- \_\_\_\_\_ تحليل الأحكام الشرعية عند الإمام أبي إسحاق الشاطبي ، رسالة ماجستير غير منشورة من الجامعة الإسلامية (غزة ، ٢٠٠٥م)
- الزركلي ، خير الدين محمود .
- \_\_\_\_\_ الأعلام (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م)
- الزلمي ، مصطفى ، والبكري ، عبد الباقي ( الدكتور )
- \_\_\_\_\_ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ( بغداد ، المكتبة القانونية ، ٢٠٠٨م ) .
- زيدان ، عبد الكريم ( الدكتور )
- \_\_\_\_\_ الوجيز في أصول الفقه ( بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٠م).
- \_\_\_\_\_ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ( بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦م)
- سابق ، سيد

- \_\_\_\_\_ فقه السنة (القاهرة ، دار الفتح ، ١٩٩٩م) .
- الشيخ ، بسام الأحمد (الدكتور) .
- \_\_\_\_\_ فقه المعاملات المالية المعاصرة (دمشق ، دار المصطفى ، ٢٠١٢م) .
- طه ، عبد الواحد ذنون (وآخرون) .
- \_\_\_\_\_ تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (بيروت ، دار المدار الإسلامي ، ٢٠٠٤م)
- القره داغي ، علي محي الدين (الدكتور) .
- \_\_\_\_\_ بحوث في الاقتصاد الإسلامي (بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ٢٠٠٩م) .
- نزيد ، حماد (الدكتور) .
- \_\_\_\_\_ قضايا فقهية معاصرة في المال والاقتصاد (دمشق ، دار القلم ، ٢٠٠١م) .

### الهوامش:

- <sup>١</sup> اللخمي بفتح اللام المشددة وسكون الخاء المعجمة ، هذه النسبة إلى لحم قبيلة من اليمن القحطانية نزلت الشام .
- السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ) ، الأنساب ، تحقيق : عبد الرحمن بن يحيى المعلمي
- اليمني (القاهرة ، ١٩٨٠م) ، ج ١١ ، ص ١٨ .
- <sup>٢</sup> غرناطة بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون وبعد الألف طاء مهملة ، ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس سمي
- البلد لحسنه بذلك وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها وبينها وبين البيرة أربعة
- فراسخ وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا . ياقوت ، أبو عبد الله بن عبد الله الحموي (ت ٢٢٦هـ) معجم
- البلدان (بيروت ، دار الفكر ، دت) ، ج ٤ ، ص ١٩٥
- <sup>٣</sup> ينظر الشاطبي ، إبراهيم بن موسى الغرناطي (ت ٧٩٠هـ) ، الموافقات في أصول الشريعة ، تحقيق
- إبراهيم رمضان
- (بيروت ، دار المعرفة ، ٢٠٠٤م) ، ج ١ ، ص ٧ ؛ المقري ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) ، نفح الطيب من غصن

## المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي

- الأندلس الرطيب ، تحقيق: محمد البقاعي (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٦م)، ج٧، ص٢٦٢؛ الزركلي ، خير الدين
- محمود ، الأعلام (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م) ج١، ص٧٥ .
- ٤ ينظر مزيد من التفاصيل أسببته ، عدنان علي عبد الرحمن ، تعليق الأحكام الشرعية عند الإمام أبي إسحاق
- الشاطبي رسالة ماجستير غير منشورة من الجامعة الإسلامية (غزة ، ٢٠٠٥م) ، ص٣ .
- ٥ ينظر طه ، عبد الواحد ذنون (وآخرون) ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس (بيروت ، دار المدار الإسلامي
- ٢٠٠٤م) ، ص٢٩٨ ————— ٢٩٩ .
- ٦ الشاطبي ، إبراهيم بن موسى الغرناطي (ت ٧٩٠هـ) ، الاعتصام (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٣م) ، ج١ ، ص١٧ .
- ٧ المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٩ .
- ٨ الشاطبي ، الموافقات ، ج١ ، ص١٢ .
- ٩ ينظر أسببته ، تعليق الحكام ، ص٥ - ٦
- ١٠ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج١ ، ص٢٥ .
- ١١ ينظر المقرئ ، نفع الطيب ، ج٧ ، ص٢٦٢
- ١٢ ينظر الشاطبي ، الموافقات، ج١ ، ص٦؛ والاعتصام ، ج١ ص٦ ؛ أسببته ، تعليق الحكام ، ص٨ — ٩
- ١٣ ينظر الشاطبي ، الموافقات، ج١ ، ص٦؛ والاعتصام ، ج١ ص٦ ؛ أسببته ، تعليق الحكام ، ص٩
- ١٤ الشاطبي ، الموافقات ، ج٢ ، ص٣٢٦ .
- ١٥ زيدان ، عبد الكريم ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٦م) ص٥٧
- ١٦ الزلمي ، مصطفى ، والبكري ، عبد الباقي ، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ( بغداد ، المكتبة القانونية
- ٢٠٠٨م ) ، ص٦٦
- ١٧ الشاطبي ، الموافقات ، ج٢ ، ص٣٢٧
- ١٨ ابن حزم ، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ) ، الأحكام (القاهرة ، دار الحديث ، ١٤٠٤هـ) ، ج٣ ، ص٣٣٣
- ١٩ زيدان ، الوجيز في أصول الفقه ( بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٠م) .، ص٣٠ ، الزلمي ، المدخل ، ص٢٠ .
- ٢٠ الشاطبي ، الموافقات ، ج٣ ، ص١١١ .

- ٢١ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٥
- ٢٢ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٧.
- ٢٣ نزيد ، حماد ، قضايا فقهية معاصرة في المال والاقتصاد ( دمشق ، دار القلم ، ٢٠٠١م ) ، ص ٤٩
- ٢٤ ينظر الزلمي ، مدخل ، ص ٢٣٢-٢٣٤ ؛ نزيد ، قضايا فقهية معاصرة ص ٤٩
- ٢٥ ينظر الشاطبي ، الموافقات، ج ٢ ، ص ٣٢٧
- ٢٦ ينظر القره داغي ، علي محي الدين ، بحوث في الاقتصاد الإسلامي (بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ٢٠٠٩م) ، ص ٩ .
- ٢٧ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٦٠٣
- ٢٨ سورة الأعراف ، آية ٣٢
- ٢٩ سورة المائدة ، آية ٨٧
- ٣٠ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ٢١٥
- ٣١ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١١
- ٣٢ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٨
- ٣٣ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٣
- ٣٤ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٧
- ٣٥ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٤
- ٣٦ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٤
- ٣٧ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٠
- ٣٨ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣٠
- ٣٩ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩١ ، وينظر ج ١ ، ص ١٩٢
- ٤٠ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٦٠
- ٤١ المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٥٢
- ٤٢ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣٠
- ٤٣ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ ؛ السيوطي ، عبد الرحمن ( ت ٩١١هـ ) الأشباه والنظائر (بيروت دار، الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ) ، ج ١ ، ص ٩ .
- ٤٤ مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج القشيري ( ت ٢٦١هـ ) ، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ( بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت ) ، ج ٤ ، ص ١٩٩٩؛ النسائي ، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب )

## المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي

- ت ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن (بيروت ، دار
- الكتب العلمية ، ١٩٩١م)، ج ٢، ص ٤١.
- ٤٥ مسلم ، صحيح ، ج ٤ ، ص ١٩٩٩ ؛ البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي ( ت ٤٥٨هـ)، سنن البيهقي الكبرى،
- تحقيق : محمد عبد القادر عطا، (مكة المكرمة ، دار الباز ، ١٩٩٤م)، ج ٣ ، ص ٣٥٣ .
- ٤٦ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٦٣٤
- ٤٧ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
- ٤٨ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٥٩
- ٤٩ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٢٦
- ٥٠ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٣٦
- ٥١ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٤٢
- ٥٢ الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، تحقيق: د. محمد وهبي سليمان، وأسامة عمورة
- (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٦م)، ج ٢ ، ص ٩٤٧
- ٥٣ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ٢٠٧
- ٥٤ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٩
- ٥٥ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٩ ؛ وهذا القول مُقتبس من قول الرسول (ص) : " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به البأس " ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد القزويني ( ت ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت ، دار الفكر، د.ت) ، ج ٢ ، ص ١٤٠٩ ؛ وينظر الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى ( ت ٢٧٩هـ) . سنن الترمذي ، تحقيق: احمد محمد شاكر ( وآخرون) ، ( بيروت، دار إحياء التراث العربي ، د.ت)، ج ٤ ، ص ٦٣٤ وقال : " هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه " ؛ وينظر الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ( بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م)، ج ٤، ص ٣٥٥ وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "
- ٥٦ الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ١٥٢
- ٥٧ ينظر المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٤١
- ٥٨ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٢
- ٥٩ ينظر المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٥١
- ٦٠ ينظر المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥١١

- ٦١ سورة المؤمنون ، آية ٧١
- ٦٢ الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ٢٥٢
- ٦٣ ينظر م ن ، ج ١ ، ص ٢٦٢
- ٦٤ المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
- ٦٥ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٦٢
- ٦٦ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، تحقيق: د. مصطفى ديب ( بيروت ، دار ابن كثير ، ١٩٨٧م) ، ج ٢ ، ص ٧٥٦ ؛ وينظر مسلم ، صحيح ، ج ٢ ، ص ١١٤١ ؛ الترمذي ، سنن ، ج ٤ ، ص ٤٣٦ ؛ الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ١٩١
- ٦٧ الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ١٩٤
- ٦٨ ابن عبد السلام ، ينظر ابن عبد السلام ، أبو محمد عز الدين السلمي (ت ٦٦٠هـ) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ( القاهرة ، دار البيان العربي ، ٢٠٠٢م) ، ج ٢ ، ص ١٧
- ٦٩ الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ٢١٩
- ٧٠ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٩
- ٧١ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٦٠
- ٧٢ المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٥٨ .
- ٧٣ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٧
- ٧٤ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٨
- ٧٥ المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥٥٩ .
- ٧٦ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٨ وينظر ج ١ ، ص ٢٤٩
- ٧٧ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥١
- ٧٨ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٥
- ٧٩ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٨ وينظر ج ١ ، ص ٢٤٩ ؛ ج ٢ ، ص ٦٥٨
- ٨٠ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .
- ٨١ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٥٨
- ٨٢ ابن ماجة ، سنن ، ج ١ ، ص ٥٧٦ ؛ وينظر أبو داود ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ( بيروت ، دار الفكر ، د.ت) ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

- ٨٣ ينظر الشاطبي، الموافقات ، ج ١ ، ص ٢٤٩
- ٨٤ أبو داود ، سنن ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ ، الترمذي ، سنن الترمذي ، ج ٣ ، ص ٥٥٠
- ٨٥ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩
- ٨٦ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٥٨
- ٨٧ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣٠
- ٨٨ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣٢
- ٨٩ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٨٩ .
- ٩٠ ينظر الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد ( ت ٤٥٠هـ ) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق : عماد الدين زكي البارودي ، ( القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، د.ت. ) ، ص ٣٧٧ .
- ٩١ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٤٩٢
- ٩٢ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٥١
- ٩٣ ينظر المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٥
- ٩٤ ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ( ٦٠٦هـ ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر احمد ، ومحمود محمد ( بيروت ، المكتبة العلمية ، ١٩٧٩م ) ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ ؛ ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم ( ت ٧١١هـ ) ، لسان العرب ( بيروت ، دار صادر ، د.ت. ) ، ج ٥ ، ص ١٤
- ٩٥ ينظر الشيرازي ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ( ت ٤٧٦هـ ) ، المهذب ، ( بيروت ، دار الفكر ، د.ت. ) ج ١ ، ص ٢٦٣ ؛ الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ( ت ٨١٦هـ ) ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ( بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٥م ) ، ص ٢٠٨ ؛ ابن مفلح ، المبدع ، ج ٤ ، ص ٢٣
- ٩٦ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٣٣٢
- ٩٧ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٠
- ٩٨ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٣٧
- ٩٩ مسلم ، صحيح ، ج ٣ ، ص ١١٥٣ ؛ الترمذي ، سنن ، ج ٢ ، ص ٥٣٢
- ١٠٠ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ١٣٩
- ١٠١ ينظر الشيرازي ، المهذب ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ؛ ابن قدامة ، أبو محمد عبد الله بن احمد ( ت ٦٢٠هـ ) ( المغني )

## المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي

- بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٥م ) ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ؛ البهوتي ، منصور بن يونس ( ت ١٠٥١هـ ) كشف القناع ،
- تحقيق : هلال مصلحي (بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٢هـ) ، ج ٣ ، ص ١٦٧
- ١٠٢ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ١٣٩
- ١٠٣ ينظر الكاساني ، أبو بكر مسعود بن أحمد ( ت ٥٨٧هـ ) ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ( بيروت ، دار
- الكتاب العربي ، ١٩٨٢م ) ، ج ٥ ، ص ١٣٩ ؛ القرطبي ، أبو الوليد محمد بن أحمد ( ت ٥٩٠هـ ) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ( بيروت ، دار الفكر العربي ، د ت ) ، ج ٢ ، ص ١١١ ؛ ابن قدامة ، المغني ،
- ج ٤ ، ص ١٤٧
- ١٠٤ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ١٥٣
- ١٠٥ ينظر المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣٩
- ١٠٦ المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨٤
- ١٠٧ ابن ماجه ، سنن ، ج ٢ ، ص ٧٤٧ ؛ وينظر ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد ( ت ٣٥٤هـ ) ،
- صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، ( بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م ) ، ج ١١ ، ص ٣٦٩ ؛
- البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى ج ٥ ، ص ٣٠١
- ١٠٨ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ١٥٣
- ١٠٩ ينظر ابن قدامة ، المغني ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ؛ المرادوي ، أبو الحسن علي بن سليمان ( ت ٨٨٥هـ ) ( الإنصاف في
- معرفة الراجح من الخلاف ، تحقيق : محمد حامد الفقي ( بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د ت ) ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ ؛ ابن
- مفلح ، المبدع ، ج ٤ ، ص ٢٧
- ١١٠ الصنعاني ، محمد بن إسماعيل ( ت ١١٨٢هـ ) ، سبل السلام ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخولي ( بيروت ،
- دار إحياء التراث العربي ، ١٣٧٩هـ ) ، ج ٣ ، ص ٣٣
- ١١١ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٤ ، ص ٥٢٢
- ١١٢ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .
- ١١٣ البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣١٧ .
- ١١٤ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٥٨٥

- ١١٥ ابن ماجة ، سنن ، ج ٢ ، ص ٧٨٤ ؛ وينظر الحاكم ، المستدرک ، ج ٢ ، ص ٦٦ وقال : " هذا حديث صحيح
- الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه " ؛ وينظر البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى ، ج ٦ ، ص ٦٩ .
- ١١٦ مسلم ، صحيح ، ج ٣ ، ص ١٢٢٧ ؛ وينظر الترمذي ، سنن ، ج ٣ ، ص ٥٦٧ ؛ البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى
- ، ج ٦ ، ص ٢٩ .
- ١١٧ ينظر سابق ، السيد ، فقه السنة ( القاهرة ، دار الفتح ، ١٩٩٩م ) ، ج ٣ ، ص ١١٤
- ١١٨ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٦٣٣
- ١١٩ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣٢
- ١٢٠ السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ص ٢٢١ .
- ١٢١ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٦٢٨
- ١٢٢ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣٠
- ١٢٣ ينظر ابن عبد السلام ، قواعد الأحكام ، ج ٢ ، ص ١٧
- ١٢٤ ينظر الشيخ ، بسام الأحمد ، فقه المعاملات المالية المعاصرة ( دمشق ، دار المصطفى ، ٢٠١٢م ) ، ص ١٤٥
- ١٢٥ البخاري ، صحيح ، ج ٢ ، ص ٧٥٧ ؛ وينظر مسلم ، صحيح ، ج ٣ ، ص ١١٥٥ ؛ أبو داود ، سنن ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ ،
- ١٢٦ الترمذي ، سنن ، ج ٣ ، ص ٥٢٤
- ١٢٧ البخاري ، صحيح ، ج ٢ ، ص ٧٥٩
- ١٢٨ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ٢٤٧
- ١٢٩ أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) غريب الحديث ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ( بيروت ، دار
- الكتاب العربي ١٣٩٦هـ ) ، ج ٢ ، ص ٢٤٣
- ١٣٠ مسلم ، صحيح ، ج ٣ ، ص ١١٦٥
- ١٣١ ينظر أبو الطيب ، محمد شمس الحق آبادي ، عون المعبود ، ( بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ ) ، ج ٩ ، ص ٢٨٧ .
- ١٣٢ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ٢٤٧
- ١٣٣ ينظر ابن الأثير ، النهاية ، ج ٥ ، ص ٢٠ ؛ ابن قدامه ، المغني ، ج ٤ ، ص ١٤٨ ؛ ابن أبي الفتح ، أبو

## المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي

- عبد الله محمد (ت ٧٠٩هـ)، المطلاع، تحقيق: محمد بشير (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨١م)، ص ٢٣٥.
- ١٣٤ البخاري، صحيح، ج ٦، ص ٢٥٥٤؛ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١١٥٦؛ ابن ماجه، سنن، ج ٢، ص ٧٣٤.
- ١٣٥ ينظر البهوتي، كشف القناع، ج ٣، ص ٢١١.
- ١٣٦ ينظر ابن عبد السلام، قواعد الأحكام، ج ٢، ص ١٧.
- ١٣٧ ينظر الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ٦٢٩.
- ١٣٨ المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٧.
- ١٣٩ المَصْرَاةُ: الناقَةُ أو البَقْرَةُ أو الشَّاةُ يُصْرَى اللَّبْنُ فِي ضَرْعِهَا: أي يُجْمَعُ وَيُحْبَسُ، ابن الأثير، النهاية
- ج ،  
٣ ، ص ٢٧
- ١٤٠ الشاطبي، الموافقات، ج ١، ص ٢٤٦
- ١٤١ ابن، قدامه، المغني، ج ٤، ص ١٠٣؛ ابن أبي الفتح، المطلاع، ص ٢٣٦
- ١٤٢ أبو عبيد، الغريب، ج ٢، ص ٢٤٢؛ الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، دار المعرفة، د. ت)، ج ١، ص ٢٩٦؛ ابن منظور، لسان، ج ١١، ص ١٥٧
- ١٤٣ مسلم، صحيح، ج ٣، ص ١١٥٨؛ وينظر الترمذي، سنن، ج ٣، ص ٥٥٣
- ١٤٤ أبو داود، سنن، ج ٣، ص ٢٧٠؛ النسائي، السنن الكبرى، ج ٤، ص ١١.
- ١٤٥ ينظر أبو عبيد، غريب، ج ٣، ص ٢٤٣، ابن الأثير، النهاية، ج ٣، ص ٢٧
- ١٤٦ ينظر الشاطبي، الموافقات، ج ٣، ص ٤٣، ج ٣، ص ١٢٧، ج ١، ص ٢٠٩
- ١٤٧ مسلم، صحيح، ج ١، ص ٩٩
- ١٤٨ الشاطبي، الموافقات، ج ١، ص ٢٠٤
- ١٤٩ المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٧
- ١٥٠ ينظر المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٨٧؛ وينظر ج ٢، ص ٦٥٢؛ ج ٣، ص ١٣٧
- ١٥١ ينظر المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨١
- ١٥٢ ينظر المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨١
- ١٥٣ سورة البقرة، آية ٢٧٥
- ١٥٤ سورة النساء، آية ١٦١

## المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي

- ١٥٥ مسلم ، صحيح ، ج ٥ ، ص ٢٧٣ ؛ وينظر أبو داود ، سنن ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ ؛ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٤ ، ص ٤٢١
- ١٥٦ مسلم ، صحيح ، ج ٣ ، ص ١٢١١ ؛ أبو داود ، سنن ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ ؛ ابن ماجه ، سنن ، ج ٢ ، ص ٧٥٧ .
- ١٥٧ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٤ ، ص ٤٢١
- ١٥٨ ينظر المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٤٢١
- ١٥٩ ينظر زيدان ، مدخل ، ص ٥٠
- ١٦٠ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ٢٥٧
- ١٦١ المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٥١١
- ١٦٢ العينة : هو بيع سلعة بثمن معلوم إلى أجل ثم يشتريها الشخص نفسه من المشتري بأقل لبيقى الكثير في ذمته
- وسميت عينة لحصول العين أي النقد فيها ولأنه يعود إلى البائع عين ماله . ينظر الصنعاني ، سبل السلام
- ج ٣ ، ص ٤٢ .
- ١٦٣ الشاطبي ، الموافقات ، ج ١ ، ص ٢١٥
- ١٦٤ أبو داود ، سنن ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ .
- ١٦٥ ينظر أبو داود ، سنن ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ ؛ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٦٥٩ .
- ١٦٦ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ٢٧٠-٢٧١
- ١٦٧ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٩
- ١٦٨ سورة النساء ، آية ٢٩
- ١٦٩ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٤٨١ ؛ وينظر ج ١ ، ص ٩٠
- ١٧٠ سورة المائدة ، آية ٩١
- ١٧١ مسلم ، صحيح ، ج ٣ ، ص ١٥٦٨ ؛ الترمذي ، سنن ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ ؛ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٥٩٠
- ١٧٢ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٥٩٠
- ١٧٣ ينظر المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩١
- ١٧٤ ينظر المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٣
- ١٧٥ ينظر المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٩
- ١٧٦ ينظر المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٦٧

- ١٧٧ النسائي ، سنن النسائي الكبرى ، ج ٤ ، ص ٥٢ ؛ البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى ، ج ٦ ، ص ١١ ؛ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ١٦٨
- ١٧٨ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٣٢٧
- ١٧٩ ينظر المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٩
- ١٨٠ ينظر الشيخ ، فقه المعاملات ، ص ١٤٦
- ١٨١ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٤٠٦
- ١٨٢ سورة الجمعة ، آية ٩
- ١٨٣ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ١٣٧
- ١٨٤ قواعد الأحكام ، ج ٢ ، ص ١٧
- ١٨٥ الشيخ ، فقه المعاملات ، ص ١٤٣
- ١٨٦ الجرجاني ، التعريفات ، ص ١٤٨ .
- ١٨٧ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ١٢٧
- ١٨٨ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣١
- ١٨٩ أبو داود ، سنن ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ ؛ وينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٦٥٩
- ١٩٠ ينظر الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ١٢٧
- ١٩١ السرقة : هي أخذ الشيء من الغير على وجه الخفية الجرجاني ، التعريفات ، ص ١٥٦ .
- ١٩٢ الغصب : هو أخذ مال منقوم محترم بلا إذن مالكة بلا خفية فالغصب لا يتحقق في الميتة لأنها ليست بمال
- وكذا في الحر لأنها ليست بمنقومة ، ولا في مال الحربي لأنه ليس بمحترم ، وقوله بلا إذن مالكة احتراز عن
- الوديعة وقوله بلا خفية ليخرج السرقة . الجرجاني ، التعريفات ، ص ٢٠٨
- ١٩٣ التعدي يقصد به التعدي على المنافع دون الرقاب . الشاطبي ، الموافقات ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .
- ١٩٤ الشاطبي ، الموافقات ، ج ٢ ، ص ٦٥٥ ؛ وينظر ج ١ ، ص ١٧٠
- ١٩٥ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٠
- ١٩٦ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٢ ؛ وينظر ج ١ ، ص ١٩٥ .
- ١٩٧ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ ، وينظر ج ١ ، ص ٢٦٠
- ١٩٨ المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٣٥
- ١٩٩ المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣٠
- ٢٠٠ المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٦٨
- ٢٠١ ينظر المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٩٥

## المعاملات المالية المحرمة في كتاب الموافقات للشاطبي

- ٢٠٢ . الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٨٦ .
- ٢٠٣ سورة المائدة ، آية ٣٨
- ٢٠٤ الشاطبي ، الموافقات ج ٢ ، ص ٦٤٦ ؛ وينظر ج ٢ ، ص ٦٦٠
- ٢٠٥ ينظر المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٨٦
- ٢٠٦ الهيثمي ، علي بن أبي بكر ( ت ٨٠٧هـ ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ( القاهرة ، دار الريان للتراث - بيروت ،
- دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧م ) ، ج ٥ ، ص ٢٤٩ .
- ٢٠٧ مسلم ، صحيح ، ج ٣ ، ص ١٤٦٣ ؛ أبو داود ، سنن ، ج ٣ ، ص ١٣٤
- ٢٠٨ الشاطبي ، الموافقات ج ٢ ، ص ٦٤٦
- ٢٠٩ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٥ .

**دراسة فنية تحليلية لدمى وألواح فخارية  
غير مدروسة من مواقع سد حديثة**

**أ.د قصي صبحي عباس الجميلي**  
**كلية الآداب / قسم الآثار**



دراسة فنية تحليلية لدمى وألواح فخارية غير مدروسة من مواقع سد حديثة

أ.د. قصي صبحي عباس الجميلي

المقدمة:

جرت العادة عند الشروع في إقامة عدد من المشاريع أو المؤسسات الخدمية، ولاسيما في المناطق التي كانت في السابق ذات أثر أثاري وحضاري عريق، وبهذا الخصوص فإن المستوطنات الأثرية القديمة أو أحيانا تكون آثار لاتزال شاخصة في مناطق أستوجبت الضرورة الاقتصادية أو الخدمية وهكذا أن تقوم في هذه المناطق، وهنا يصبح من الصعوبة التضحية بأثر تاريخي وحضاري يرتبط بحياة الانسان وأنجازاته عبر مراحل التاريخ وكل ما يحمله ذلك من أحساس وشعور في حفظ هذا الأثر العريق وبين الضرورة الواجبة في تقديم خدمة عامة .

ومع هذا كله ظهر ما يعرف ب(علم الآثار الأنفاذي) (Rescue Archaeology) لكي يأخذ دوره في أقل تقدير في توثيق مواطن ومعالم الآثار والحضارة وأنقاذ ما يمكن أنقاذه من آثار شاخصة أو مستظهرة، من خلال أعمال المسح والتنقيب السريع بما يتناسب مع الوقت لأعمال المشروع وفي ظل هذه الظروف يكون العمل سريعا في أستقطاب أكثر من بعثة أثرية لأنجاز العمل إذ يصبح العمل بمثابة خلية نحل ضمن هذا الإطار(سالم يونس حسين، ١٩٨٨، ص ١) .

وعلى هذا الأساس كان مشروع أنقاذ آثار سد حديثة أو (سد القادسية) ، وهو ثاني أكبر سد في العراق بعد سد الموصل، ويقع هذا السد شمال مدينة حديثة في محافظة الأنبار وذلك على نهر الفرات ويبلغ طوله ٩ كم وبأرتفاع ٥٧ م، فقد كان الهدف الأساس من إنشاء السد هو لأغراض توليد الطاقة الكهربائية وتنظيم مياه النهر للأستفادة منها لأغراض الزراعة، تم الشروع بالسد في عام ١٩٧٧ وأكتمل في عام ١٩٨٧ وذلك من قبل شركة يوغسلافية وبالتعاون مع الأتحاد السوفيتي السابق . (Wikihttps://or . im.wikipedia.org)

أخذت دائرة الآثار والتراث مع أنطلاق أعمال السد على عاتقها الشروع بمشروع أنقاذ آثار حوض الفرات الأوسط، أذ قسم المشروع الى أربعة مراحل الأولى بدأت في عام ١٩٧٥ والذي تم فيه مسح ٢٩ موقع، والثانية مسح شامل في مواقع مختارة (١٩٧٨-١٩٨٠)، والمرحلة الثالثة المسح والتنقيب خلال الأعوام (١٩٨٠-١٩٨٥)، والمرحلة الرابعة دراسة المظاهر الأساسية لآثار الفرات الأوسط مع تقييم نتائج المسح والتنقيب (ينظر صورة ١،٢) (Abdul-Amir.S.J,1988,p3).

يتناول البحث دراسة وتحليل عدد من القطع والألواح الفخارية غير المدروسة التي أستظهرت في عدد من المواقع الأثرية في حوض سد حديثة (القادسية)، والتي بلغ عددها ثمانية قطع والهدف من دراستها هو معرفة الأدوار الحضارية التي تعود لها، وبيان الخصائص التقنية والفنية التي جاءت بها، وكذلك تحليل مواضيعها ومضامينها من خلال مقارنتها مع مثيلاتها التي أكتشفت في مواقع أخرى، وقد أسندت الدراسة بجدول تفصيلي للقطع وملحق بالصور والأشكال التوضيحية (ينظر: تفاصيل قطع الدراسة جدول رقم ١).

#### أولاً: الدمى الفخارية (الوصف)

##### العربات :

شكل ١ (١٠٥٠٩٩ م ع):

قطعة فخارية غير كاملة الجزء الأسفل منها مفقود، وهي تمثل في الأصل واجهة عربية صغيرة ذات شكل غير منتظم يميل الى الأستطالة ذو نهايتين مدببة من الأعلى ويقل عرضاً بالاتجاه نحو الأسفل، وفي النهايتين المدببتين من الأعلى ثقب دائري في كل جانب الغرض الأساس منها من أجل التثبيت مع بدن العربة المفقودة،. نلاحظ أن هذه الواجهة المحاطة بأطار يقترب من الشكل المستطيل مزينة من الأعلى بتقوسين في نهاية كل منها موضع ثقب التثبيت، وقد زين الجزء الداخلي لهذه الواجهة مجموعة من المعينات التي توزعت بشكل أفقي تقريباً،. الأسلوب الفني لهذه القطعة هو الأسلوب الزخرفي الهندسي (سجل ١/٢/١٤١/البعثة اليابانية/١٩٨٣/ص ٩).

شكل ٢ (١٠٦٠ م ع) :

قطعة فخارية غير كاملة القسم الأعظم من الأسفل مفقود وجزء في النهاية العليا في جهة اليمين، وهي تمثل في الأصل واجهة عربية صغيرة، ذات شكل غير منتظم وذو نهايتين مدببة من الأعلى ويميل إلى الأستطالة ويقبل عرضاً بالاتجاه نحو الجزء السفلي المفقود وفي النهايتين المدببتين من الأعلى يوجد ثقب دائري لغرض التثبيت مع بدن العربية المفقود، ونلاحظ أن الثقب في جهة اليمين مفقود بسبب تعرضه للكسر، وتظهر الواجهة وهي مزينة من الداخل بنهايتين مقوسة يتكون من ألتقاءهما في الوسط شكل مدبب، إذ زين هذا الجزء المدبب من الأعلى بنقش هندسي ملامحه باهتة، ولكن الملاحظ هو في الجزء الداخلي المفقود لهذه الواجهة هو العمق الواضح في نقش الجزء الداخلي نتيجة الحفر العميق الذي عمله الفنان للقلب في عمل هذا الجزء من الواجهة، ونلاحظ في منطقة التقوسين من الداخل أربعة دوائر صغيرة توزعت كل اثنين منها في جانب، عند الدائرة الصغيرة التي تحيط بدائرة مركزية وإلى الأسفل منها الدوائر الأربعة عند الوسط يظهر على ما يبدو شكل عمود أو قاعدة، قد فقدت بسبب الجزء المكسور للأسف ولم يبق منها سوى بقايا لشكل هلال كبير مزين بخطوط خفيفة عند الوسط، وبالقرب من المنطقة المركزية أذ يبرز وسط الهلال شكل دائري يتوسطه دائرة صغيرة، الأسلوب الفني لهذه القطعة هو الأسلوب الخزفي الهندسي والرمزي (قطعة فخارية تحمل رقم ١٠٦٠٤ م ع) غير مؤشر).

#### التحليل الفني:

تعد العربية الحربية من المعدات القتالية المهمة التي كان لها أثراً كبيراً في حسم المعارك وتحقيق النصر، فقد كانت من الأسلحة الهجومية الثقيلة التي تساعد في فتح الثغرات في صفوف العدو وخطوطه الأمامية، ليتسنى لبقية القوات القتالية عملية الأقتحام، وكذلك كانت وسيلة فعالة في نقل الجيش وأدامة زخم المعركة في نقل الأسلحة، وحتى عملية الإخلاء وجلب الغنائم بعد تحقيق النصر على العدو (حنان عبد الواحد صولاغ، ٢٠١٥، ص ٢٢١-٢٢٣) لقد تطورت العربات التي ظهرت نماذجها في النتاجات الفنية، ولاسيما في نماذج النحت المجسم المتمثل بأشكال العربات الفخارية الصغيرة، والتي وصلتنا من خلال التنقيبات الأثرية أذ نستطيع أن نلاحظ التطور

الحاصل في التنوع الشكلي، وكذلك في الأسلوب الفني فقد كانت من أشكال العربات الحربية الأولى التي تعود الى عصر فجر السلالات وهو الشكل الأول المتمثل بعربة صغيرة، ذات أربع عجلات مع واجهة واطئة أذ تبدو وكأنها عبارة عن كرسي بأربعة عجلات صلدة دائرية وفي مقدمة الكرسي من الاسفل بروز يمثل موطىء قدم للسائس الذي يجلس على الكرسي لقيادة العربة، والتي كانت أصلا تتضمن ثقب النير أسفل الكرسي الذي يربط العربة مع الحيوان الذي يسحبها، ويظهر في جانب الكرسي من الاعلى تجويف مزدوج على الارجح كان لوضع السلاح (الرماح)، وهذا ما نلاحظه في صور العربات الحربية التي تظهر من عصر فجر السلالات في مسلة العقبان وغيرها (Macky.E,1925,P211,PLXLVI,80.) (VanBuren,E,1930,p[no 1239]).

الشكل الثاني للعربات، كان ذو عجلتين وجبهة عمودية مستطيلة تنتهي من الاعلى بزوجين من القرون المقوسة، وفيها فتحات صغيرة لمسك الجزء المرتبط برأس الحيوان لغرض توجيهه، وفي وسط واجهة العربة فتحة نافذة لأمرار النير الخشبي الذي يحمله الحيوان لغرض سحب العربة، وهي تضم سرج منفرد يرتكز على محور وعجلتين، واحيانا كانت الواجهة تزين بزخرفة بسيطة مثل خطين متقاطعة (Mackay.E,1925,p210.plxvi,9,5).

أستمر التمثيل الفني للعربات الحربية في العصر البابلي القديم، وبتنوع فلم يقتصر تصوير المشاهد الحربية على الألواح الفخارية، أذ وجد الفنان مساحة ليمثل المشاهد الحربية في أجزاء من نماذج العربات الفخارية الصغيرة، التي هي في الحقيقة كانت تخدم الطقوس الدينية التي ترتبط بالانتصار وتدعم المؤسسة الحربية، وهذه كانت أيضا من النتاجات الفنية التي قدمت لنا صورة عن المعارك والحروب، ونوع الأسلحة التي أستعملت فيها وصورة المحارب بصفاته ولباسه وميزاته القتالية، التي غالبا ماكانت تنقش بصورة الآلهة المحاربة، كالإلهة عشتار أو الأله نورتا أو (زابابا) أو صورة المحارب (Robert.J,1972,p56). قدمت لنا التنقيبات ما يماثل مجسمات هذه العربات، في عدد من المواقع الأثرية في بلاد الرافدين ضمن مواقع عصر فجر السلالات والعصر البابلي القديم، مثل أبو الصلابيخ وأور وتل الولاية وكيش وغيرها. ويشير الباحث (Moorey) "ان مواضيع ومضامين

المنظر المنفذة على واجهات العربات الثنائية العجلة لكل رجل مع بعض الأسلحة، مثل الصولجان والقوس والسيف مرتبط بالآله زابابا آله الحرب والصيد والآله الحامي لمدينة كيش في العصر البابلي القديم " لذلك فإن نماذج هذه العربات، قد تكون بمثابة نذر أو مقدمة لآله الحرب لضمان حماية المحارب في ساحات الوغى .

مهما يكن من أمر فإن أبرز صورة المحارب أو الآلهة المحاربة، هنا في مقدمة العربة الحربية، هي دلالة واضحة على ماهيتها وأهميتها القتالية ضمن ساحات الوغى وتعكس كذلك القوة والدعاية الحربية، في أظهار البسالة ولترهيب العدو وبث الخوف وأضعافه نفسياً (الجميل. قصي صبحي عباس، ٢٠١٧، ص ٢٥٥) (Robert.J, 1972, p56). وما نلاحظه في نموذجي الدراسة أن الأول جاء بزخرفة هندسية، والثاني من خلال المتبقي من الزخرفة تظهر بقايا رمز آلهي المتمثل بالعمود الذي ينتهي بشكل هلال وهو رمز الآله سين (آله القمر) وفي وسطه القرص الدائري المشع وهو رمز آله الشمس وعليه فإن الرمز هو للآله شمش (اوتو) (ينظر للمقارنة:الجميل.قصي صبحي عباس، ٢٠١٧، ص ٤٧٢، الجبوري.عباس زويد، ٢٠١٢، ص ١٧٤-١٧٥) (VanBuren.E, 1930, pl.lxiii.fig300,301,plate.lxiv,fig304,305).

### ثانياً: الألواح الفخارية (الوصف)

#### شخصية الرجل - الثور :

شكل ٣ (١٠٥٠٩٧ م ع):

لوح فخاري غير كامل يفتقد أجزاء كبيرة من الأعلى والأسفل، الشكل غير منتظم، موضوع المشهد الفني يمثل شخصية الرجل-الثور، تظهر هذه الشخصية من خلال المتبقي من المشهد (النصف العلوي لشخصية الرجل-الثور)، فيظهر الجزء العلوي الصدر والأكتاف عارية وبوضعية أمامية مواجهة، وهو يعتنم غطاء رأس مقرن يتكون من أربعة أزواج من قرون، ومن الأسفل يظهر الشعر والحوابب المقوسة المتصلة، والعيون لوزية كبيرة والأنف قصير مدبب والشم صغير مطبق والوجه ملتحي بلحية طويلة تمتد الى الأسفل على شكل خطوط متموجة الى الأسفل، في حين يظهر الشعر يمتد

من أسفل الرأس على جانبي الوجه بشكل ضفيريّتين ملفوفة تمتد مع اللحية ، والجسم رشيق واليدين كلاهما مثنية تمتد الى الجانب الأيمن من اللوح المواجه للناظر ، وهما يمسكان الرمز المقدس لشكل صولجان طويل مزين من الأعلى بشكل بيضوي ينتهي بشكل مفتوح للأعلى ، الأسلوب الفني المتبع في هذا اللوح الفخاري هو الأسلوب الواقعي (سجل ٢/١٠/١٤١/البعثة اليابانية/١٩٨٣/ص٨) .

### التحليل الفني :

الرجل- الثور من الشخصيات المركبة الأسطورية ، التي ترجع بداياتها الأولى الى عصر فجر السلالات ، فقد ظهرت لأول مرة في مشاهد الأختام الأسطوانية وأرتبطت بمشاهد الصراع والحماية من الحيوانات المفترسة ، وأستمرت في العصور اللاحقة وجاء تمثيلها في نتاجات فنية أخرى ولاسيما الألواح الفخارية ، فكانت من المشاهد المألوفة في ألواح العصر البابلي القديم وكذلك العصور الأشورية ، حيث تعرّف هذه الشخصية ب(الأنسان- الثور) التي تتألف من جسم أنسان يمثل النصف العلوي لأنسان ملتحي ، وله أذنا ثور والنصف السفلي لثور حيث تظهر قوائم الثور وعادة ينتصب على قائمتين وله ذيل ، وهناك شكل آخر حيث يكون ثورا برأس أنسان وله أربع قوائم وذيل ، أما الرأس فيكون آدميا ولكن له قرون وأذنان طويلة وله لحية تمتد على جانبي الفك طويلة ومجعدة ، وفي بعض الأحيان خصلات من الشعر المجعد تمتد على كتفيه ، الشكل الأول من المحتمل أنه أرتبط بأنكيديو رفيق كلكامش ، أذ تظهر هذه الشخصية على الأختام الأكديّة من الألف الثاني قبل الميلاد ، ويظهر مهاجما من شخصان هما كلكامش وأنكيديو ، وبذلك يكون الأنسان - الثور هو ثور السماء الذي نجده في قصص كلكامش وأنكيديو السومرية والأكديّة . والحقيقة ان هذه المخلوقات المركبة ، ربما تمثل كائنات في مرحلة وسيطة بين الأنسان والآلهة ، أذ ان رأس الأنسان يدل على العقل والذكاء ، وجسم الثور يدل على القوة والخصوبة والجبروت ، وقد أرتبطت هذه المخلوقات بوظيفة الحراسة أو الحماية للأماكن المقدسة ، فقد زينت مداخل المعابد ، وفي بعض الأحيان مرافقة للآلهة ، كما تظهر على بعض المشاهد حاملة الرايات وفي أشكال أخرى وهي تحمل شيئا يشبه ذيل الأسد الذي يمثل الشر الذي تمت هزيمته ، وفي أحيان أخرى تظهر حاملة هدايا تقدم للأله شمش وهي

تلبس تاجا مقرنا، وهذا يدل على أنها حظيت بمرتبة أعلى من مرتبة البشر العاديين (الجميل.قصي صبحي، ٢٠١٦، ص٢٦٣، ص٢٩٦) .

وقدمت لنا الأعمال الفنية كالألواح الفخارية، صور عديدة لهذه الشخصية فقد يظهر وهو يلبس التاج المقرن، وله أذنان ولحية طويلة والأيدي مثبتة أمام الصدر وهي تمسك شيء ما، ويظهر برأس مقرن والأذنان واللحية طويلة وهو بوضع أمامي للصدر والرأس، واليد اليمنى منسدلة مع الجسم واليسرى مثبتة عند الخصر، والجزء السفلي من الجسم بوضع جانبي، وهو يرتدي ثوب طويل مفتوح أذ تظهر رجله اليسرى، وقد يظهر بقرون وأذنان ولحية وهو يمسك بأيديه عند الجهة اليسرى ما يشبه الراية والتي ارتبطت بالاله شمش، أذ يظهر الرمز من شكل هلال يتوسطه قرص الشمس، وهو بذلك يرمز الى اله الشمس (أوتارد، د.ب.ت، ص٧٥-٧٦) (Oates.J, Babylon, London, 1979, p79, fig52).

إما النماذج التي قدمتها لنا دراستنا لهذه الشخصية، والتي جاءت بشكل ألواح طينية عثر عليها في مدينة آشور، منها ما كان بجسم أنسان النصف العلوي والصدر والنصف الأسفل ابتداء من الجذع تمثل أرجل وذيل ثور، وأخرى كانت بجسم أنسان النصف العلوي لشخص له لحية طويلة يده اليمنى ممدودة الى الكتف واليد اليسرى يحمل بها شيء، وشعر الرأس يتدلى الى الكتفين، ويظهر له ذيل طويل ويقف على قاعدة، ونستطيع مقارنة هذه المشاهد مع مشاهد ألواح أخرى تعود الى العصر البابلي القديم أكتشفت في مواقع غير معروفة، وأخرى وجدت في مدينة آشور تعود للعصر الآشوري الحديث، وجدت في صندوق من الآجر دفن في أساسات مبنى في آشور، . وبذلك يتضح لنا طبيعة الهدف الذي صنعت من أجله هذه الألواح بشخصياتها الأسطورية، في كونها مخلوقات خرافية جعلها تحتل مكانة وسيطة بين الآلهة والأنسان، بحيث أصبحت رمزا لطرده الأرواح الشريرة وروحا حامية للأماكن التي تتواجد فيها (الجميل.قصي صبحي، ٢٠١٦، ص٢٦٣-٢٦٤).

وبهذا الخصوص نود ان نذكر أنه في كثير من الأحيان سواء في الحضارة البابلية أم الآشورية، كانت الممارسات الدينية أو السحرية الخاصة بالتعاون أو الفأل، كانت تصنع

تماثيل متنوعة من (الطين أو الخشب أو العجين أو القير أو الشمع ...) وجميع هذه المواد قابلة للتلف، والهدف من صناعة هذه التماثيل الصغيرة عادة لأستعمالها في الممارسات الدينية أو السحرية الخاصة بطرد الأرواح الشريرة، أذ تتنوع طبيعة الممارسة لكل حالة، وفي كثير من الأحيان تكتب نصوص أو ألفاظ سحرية تبين نوع المادة وموضع دفن هذه التماثيل والدمى الصغيرة، وحتى الألواح الفخارية موضوع الدراسة، ربما يتم تدميرها في بعض الممارسات بأعتبارها ممثلة للشر بحسب المفهوم السحري وعليه أما تحرق او تحطم وكانت على الأغلب ان هذه التماثيل الصغيرة أو الألواح ذات المضامين الشيطانية. والقسم الآخر كانت تدفن في أساسات المباني بهدف الحماية وطرد الشر، وهذا ما أشارت اليه النصوص الدينية والسحرية وكذلك ما أظهرته التنقيبات الأثرية ( Green And Black.j,2003,p81-82 ).

#### الأشكال البشرية العارية :

شكل ٤ (٩٧٥٣١ م ع):

لوح فخاري غير كامل الأجزاء العلوية والسفلية منه مفقودة، موضوع المشهد الفني يمثل امرأة عارية، بوضعية وقوف أمامية، الرأس مفقود، الجزء المتبقي من اللوح يمثل منطقة الصدر والجذع، في منطقة الصدر والجزء الأعلى من البدن يظهر أثنان من الأتداء الدائرية النافرة في أعلى الصدر، ونلاحظ أن الذراعين مثنية وممتدة نحو الأعلى لتمسك كل منها أسفل الصدر، وهي إشارة الى الأنوثة والخصوبة عند المرأة، وجميع الأجزاء عملت بأسلوب رشيق، والبطن ضامرة، والى الأسفل منها وعند نقطة الأنتقاء بالساقين مثل العضو الأنثوي بشكل مثلث كبير نحو الأسفل، وهو مزين من الأعلى بشكل صفيين من الخطوط العمودية والى الأسفل منه خطوط متموجة تمتد الى الأسفل دلالة على شعر العانة، وعند رأس المثلث مثلث فتحة الفرج بشكل خط عمودي متوسط الطول بالنسبة للمنطقة المثلثة، والساقين رشيقة وملتصقة ومفقودة أسفل منطقة العجز، الأسلوب الفني هو الواقعي (سجل ١/١٠/١٤١/١/ البعثة العراقية، ص ٢١) .

شكل ٥ (١٣٤٩٦ م ع):

لوح فخاري غير كامل يفتقد الأجزاء العليا والسفلى، موضوع المشهد الفني يمثل امرأة عارية، بوضعية وقوف أمامية، المتبقي من اللوح يظهر فيه من الأعلى بقايا لرقبة قصيرة، الرأس مفقود، والجزء العلوي من البدن ومنطقة الصدر تظهر أثنان من الأثداء وهي صغيرة، في حين تظهر الذراع في الجانب الأيمن المواجه للمشاهد (اليسرى) وهي منسدلة تمتد مع الجسم، في حين تظهر الذراع الأخرى في الجانب الأيسر المواجه للمشاهد (اليمنى) وهي مثنية ومضمومة الى منطقة الصدر أسفل الثديين. عملت المرأة بشكل عام بأسلوب رشيق، البطن ضامرة، وأسفل منطقة البطن تظهر الخطوط التي تؤشر المنطقة الأنثوية بشكل مثلث، والتي تمثل العانة ومنطقة الفرج، وتظهر الساقين رشيقة وهي مفقودة عند أعلى الركبتين، الأسلوب الفني هو الأسلوب الواقعي (سجل ١٤١/٦/٢/١٩٨١/ص٦).

#### التحليل الفني :

المرأة كانت ولا تزال الكائن الجميل ضمن منظومة الخلق الألهي، فالمرأة هي وعاء الخصب، وهي قاعدة أساسية في بناء الأسرة، ولا يمكن بدونها أن تكون هناك أسرة ومجتمع متكامل بتكوينه الألهي. ومن هنا أدرك الإنسان الرافديني أهمية المرأة في المجتمع في كل شيء، واخذت دورها في عملية البناء المجتمعي منذ القديم (الزيادي. عادل شاكر، ٢٠١٨، ص٢٧).

نستطيع أن نتلمس ربما أولى الأفكار التي أرتبطت بموضوع الخصب والنماء والعتاء، إذ كانت الصورة للمرأة حاضرة لدى الفنان، وعلى أقل تقدير بالنسبة للإنسان الرافديني مع بؤادر الأستقرار الأولى في القرى الزراعية والتحول الأقتصادي الكبير، المتمثل بآنتاج القوت المعتمد على الزراعة والتدجين بالدرجة الأساس، إذ أستطاعت ان تلعب المرأة دور مميز فقد خصت بموضوع الزراعة والنساجة وعملية صنع منتجات الألبان، في حين تركز دور الرجل بصورة أكبر على تربية الحيوانات، وهذا يحتاج الى مجهود أكبر، ولكن علينا ان ندرك أن هذه الحالة لم تكن دائما سائدة، فقد تتبدل الأدوار ومع أهمية الخصب والزراعة والنتاج الحيواني كل ذلك كان للبيئة الطبيعية دور في

تسيير ذلك ،ولعل هنا مقارنة الإنسان للمرأة بالارض المنتجة هي مقارنة صحيحة ،فكلاهما يحتضن بذرة الحياة ،كما تحتضن الارض البذور لتنمو وتترعرع ،كذلك كانت المرأة تحتضن بذرة الرجل لينمو وليدها وتستمر الحياة (الجميل.قصي صبحي عباس، ٢٠١٧، ص٤٢٧). ولعل هذا السبب الأساس في أفكار الإنسان الرافديني ،ولاسيما الفنان في أنتاج دمي عديدة وبوضعيات متنوعة ،جسدت صورة المرأة كرمز للخصوبة والأنتاج ،وهذا ما قدمته لنا التنقيبات الأثرية في مواقع العصر الحجري الحديث ،مثل جرمو وحسونة وسامراء وحلف وغيرها ،أذ أستمرت وبتنوع في النتاج التقني والفني حتى في العصور التاريخية ،في أعمال النحت المجسم وكذلك بقية النتاجات الفنية ،أذ كان المحور الأساس يصب في الخصب والنماء ،فكانت صورة المرأة العارية سواء في النحت المجسم أم البارز مع كل دلالاتها ووضعياتها كأن تكون واقفة وأيديها مضومة للصدر ،أو على الأتداء أو على البطن فهي تمثل حالة من الاحترام والتودد لكي تنال رضا ومباركة الاله ،لاسيما اذا كانت جزء من النذور المقدمة لمعبد الأله ،كذلك فيها الكثير من الأعتبارات النفسية والصحية ،التي كانت تساعد ربما المرأة في تجاوز الأمور المتعلقة بالحمل والانجاب وتربية الطفل ،وهذا مانجده في كثير من صور المرأة العارية التي تظهر في حالة الأنجاب أو الطمث أو الرضاعة وأحتضان الأطفال (قصي صبحي عباس وأحمد عزيز سلمان، ٢٠١٩، ص٢٥٣-٢٥٦).

ولم يقتصر الموضوع في تجسيد الأشكال العارية في صورة المرأة بجميع مفاتها ،وانما في تجسيد العلاقة الجنسية للرجل والمرأة كاملة ،وبتنوع كبير لكل أشكال العلاقة الحميمة ،فلم يكن الغاية لتمثيل العلاقة فقط للأغراض الجنسية أو إثارة الرغبات الجنسية ، وأنما لغاية أسمى وأعلى وأهم هو الحفاظ على النوع والجنس البشري وهذا يحقق نوع من الأستقرار المجتمعي بصورة عامة (Leick.W,1994,P6) .

الشراب :

شكل ٦ (٤٤٦٧ م ع):

لوح فخاري كامل التفاصيل ،ذو شكل غير منتظم ،الجوانب تميل للأستقامة ومن الأعلى يميل الى التقوس ،والقاعدة أفقية غير منتظمة ،موضوع المشهد الفني ،يمثل أثنين

من الأشخاص بوضعية وقوف جانبية متقابلة ومتناظرة، فالموضوع الأساس للمشهد كما هو واضح الشراب، فكلاهما متشابهان في معظم التفاصيل، من حيث الملامح والملابس، وحتى في الوضعية والحركة لكل شخصية، وربما الفرق الوحيد بين الشخصين هو فقط في اتجاه المشهد نحو المركز، الذي يتمثل بوعاء الشراب، الذي يظهر في الأسفل، وأنبوب الشراب الطويل الذي يمسك به كل شخص .

نأتي الآن على ذكر التفاصيل الدقيقة للمشهد. في الجانب الايمن من اللوح يظهر الشخص الأول بحالة وقوف جانبية ويتجه يسارا، ويظهر الشخص وهو بعتمر غطاء أشبه ب(القبعة الدائرية القصيرة)، الرأس دائري العيون لوزية جانبية كبيرة والأنف كبير مدبب ويظهر صيوان الاذن والفم صغير الوجه دائري، ومن أسفل غطاء الرأس يظهر الشعر قصير، ويظهر البدن من الاعلى عاري، ويمسك بيده اليسرى ربما مايشيه القربة، التي يضعها على كتفه الأيسر، في حين تظهر اليد اليمنى وهي مثنية، وتمسك أنبوب طويل يمتد من الأسفل حيث أشبه ما يكون بوعاء كبير، يحتل المكان الأسفل بين الشخصين، وهو ذو شكل أسطواني تقريبا، ومن الأسفل تظهر القاعدة بشكل نهايتين مدببة، ويصل الأنبوب الى الفم، ليرتشف منه الشراب. أما الجزء الأسفل من الشخص، فالبدن رشيق، وهو يرتدي ما يشبه اللباس الكبير القصير، وهو مشدود من الأعلى بشريط عريض، وتظهر الساقين بتفاصيل قوية، أذ تتقدم القدم اليمنى على اليسرى، وربما يرتدي حذاء خفيف، فالمشهد غير واضح. ومن الأسفل تظهر الأرضية للوح، وباتجاه مقابل ومعاكس ومشابه تماما، تظهر الشخصية الثانية، وهذا مايسمى بالتماثل والتناظر النصفي، الأسلوب الفني هو الواقعي (سجل ٢/٩/١٤١٠/١٩٨٢/ص ٥) .

شكل ٧ (١٠٤٤٦٨ م ع):

لوحة فخارية كاملة تقريبا، الشكل العام مستطيل الشكل تقريبا، موضوع المشهد الفني يمثل على الأرجح جلسة شراب لشخصيتين، على الأرجح لرجل وأمرأة لكن للأسف اللوح تفاصيله غير واضحة وباهتة، وما بقي منها هو الخطوط الخارجية، أما التفاصيل الدقيقة للشخصيتين فمن الصعب تمييزها. تؤثر بقايا التفاصيل شخصيتين جالستين، على يمين ويسار المشهد على كرسي من النوع البسيط أشبه بالدكة المربعة الشكل، ويتوسط

المشهد المنضدة، ذات سطح مستوي وبدن أسطواني يميل للداخل باتجاه الأسفل ليكون تقعرًا قبل القاعدة الدائرية المسطحة، لذلك فإن الشكل العام لهذه المنضدة أشبه بالكأس. تظهر الشخصية الجالسة في الجانب الأيمن، وهي تبدو معتمرة لغطاء رأس أسطواني الشكل، والرأس صغير، الملامح غير واضحة، وتتجه يسارًا، تظهر اليد اليسرى مثنية ومضمومة للجسم، في حين تظهر اليد اليمنى وهي مثنية، وتقرب من سطح المنضدة وكأنها تمسك قذح صغير.

إما الشخصية الجالسة الثانية في الجانب الأيسر، فتبدو بوضعية جانبية تتجه يمينًا، وتبدو أنها تعتمر غطاء رأس بشكل أسطواني أيضًا، واللامح غير واضحة، ولكنها تبدو بشكل عام وهي أطول من الشخصية الأولى في الجانب الأيمن، وحتى أكثر رشاقة، وتظهر اليد اليمنى وهي مضمومة للجسم، في حين تظهر اليد اليسرى مثنية وممدودة، وكأنها تمسك قذح صغير. لا توجد تفاصيل أخرى للمشهد، لذلك على الأرجح أن المشهد يمثل جلسة شراب لأثنين من الشخصيات، ربما تمثل رجل وزوجته في جلسة سمر، الأسلوب الفني هو الواقعي (سجل ٢/٩/١٤١/١٩٨٢/ص ٥).

#### التحليل الفني:

موضوع الشرب والشراب، من المواضيع التي أهتم الفنان الرافديني في تمثيلها في النتاجات الفنية، وقد تنوعت المفاهيم والأفكار التي أرتبطت في ضوء التفاصيل التي حملها كل مشهد مع تنوع النتاج الفني، والهدف من صناعته، فضلًا عن ما قدمته النصوص المدونة بهذا الخصوص وعليه هنا سنقدم أبرز ما يتعلق بنماذج الدراسة.

بالتأكيد عرف الإنسان الرافديني أنواع متنوعة من الشراب، في العصور التاريخية، ولكن ماذا عن عصور قبل التاريخ؟ الجواب في ظل غياب النصوص المدونة، لا نستطيع ان نؤكد ذلك لكن ربما عرف الانسان عدد من الأشربة، التي فضلها في بعض المناسبات او في بعض الطقوس، ولعل بعضها جاءت معرفتها قبل عصر التدوين على أقل تقدير في عصور العبيد والوركاء وجمدة نصر. وربما يمكننا أن نتصور في ضوء بعض المشاهد التي جاءت على الأختام المنبسطة، ان الانسان الرافديني عرف بعض الأشربة، ففي مشهد على ختم من موقع تبه كورا من عصر العبيد، يظهر فيه اثنين من

الأشخاص، وفي الوسط تظهر جرة كبير ويبرز من الجرة ما يشبه القصبين، ويبدو أنهما يقومان بتحريك المزيج في الجرة فهذا المشهد قد ينطوي على نوع من المشاهد الطقوسية، التي تعبر عن مفاهيم معينة. فقد أصبح هذا الوعاء الكبير الذي يشبه الجرة رمزا مهما في مشاهد الشراب في العصور اللاحقة (Goff.B.L,1963,P36.FIG.193).

وفي مشهد آخر لختم أسطواني من عصر جمدة نصر، ربما الموضوع يتعلق بتحضير الحليب، أو مشهد شراب بسيط، فمن الصعب تحديد ذلك إذ يظهر في المشهد خادم يسكب الشراب من أناء الى قرح تمسك به شخصية جالسة ذات ضفيرة كبيرة خلف الرأس، وإلى الخلف من هذه الشخصية، يظهر ما يشبه مزار بمدخلين، كما تظهر في المشهد مجموعة من الجرار التي رتبت في صف من ستة جرار في الاسفل، وهناك ثلاثة منها متفرقة في المشهد (Goff.B.L,1963,P97.FIG.352).

تشير المعلومات من النصوص المدونة، أن الخمور كانت تعمل من العنب والتمر على حد سواء، فالنبيذ الأحمر يبدو أنه كان معروفا من عصر جمدة نصر، إذ كانت أنابيب القصب تستعمل في عملية الشراب، فهي تتضمن في نهايتها ثقب تساعد في عملية التصفية للشراب أثناء الشرب (هاري ساكز، ١٩٧٩، ص ١٩٩) فقد جاء ذكرها في النصوص السومرية بصيغة (gi-nig-kas-sar-ra) وبالأكديّة (qan-kunininnati) فالخمر بصورة عامة كان يشرب في أقداح كبيرة، في حين أن الخمر كان يحفظ في جرار، أو حتى أوعية كبيرة أشبه بالذن إذ يتم تحريك المزيج فيه (بوتس. د. دانيال تي، ٢٠٠٦، ص ٢٣٥) كما تعددت أنواع الجعة، المعمولة من تخمير الحنطة أو الشعير، كما تنوعت أطعمها بحسب اصناف عصائر الثمار المضافة لها، وكان للنساء الدور الأكبر في عملية الأعداد حتى عصر الملك الشهير حمورابي سادس ملوك سلالة بابل الأولى (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م)، إذ ورد ذكر بائعة الخمر في قانونه الشهير (هاري ساكز، ١٩٧٩، ص ١٩٩). ويبدو أن النبيذ الأحمر، كان هو المعتاد وأخذ الأله السومري (ننكشزيدا) ألقا للخمر، وتشير المعلومات أن الجرار الفخارية كانت بمثابة وحدة قياس للخمر لاسيما في مدينة ماري (تل الحريري) (بوتس. د. دانيال تي، ٢٠٠٦، ص ٢٣٥).

وأستمر موضوع الشرب والشراب في عصر فجر السلالات ،بكثره في النتاجات الفنية المختلفة على الأختام الأسطوانية ،وعلى مشاهد النحت البارز على الألواح النذرية ،وحتى المسلات فقد كانت من أبرز الدلالات المعبرة عن الفرح والسرور ،سواء في موضوع الطقوس الدنيوية كالزواج والافراح ،او الطقوس الدينية كالأعياد والأحتفالات الدينية ،او موضوع الأنتصار في الحروب فقد أخذت الشخصيات الحاكمة والبارزة دورها في هذه المضامين (Frankfort.H, , ,1939,p50,pl1o5,pl108.)

وعليه هنا فأن الشكل (٦) يمثل أثنان من الأشخاص ،الذين يشربون الشراب ،بواسطة قصبتين طويلتين تمتدان الى وعاء في الأسفل ،وهما واقفان ،ويحمل كل منهما مايشبه القربة الجلدية، فرما يكونان من الأشخاص القائمين على توفير الشراب ،فكلاهما متشابه في الهيئة واللباس .في حين يمثل الشكل (٧) جلسة شراب وسمر لرجل وأمرأة (ينظر تفاصيل الشكلين (٦ .٧).

#### حيوان الأسد :

شكل ٨ (٩٧٥٣٠ م ع):

لوح فخاري غير كامل فقد أجزاء كبيرة منه ،الشكل غير منتظم ،يمثل موضوع المشهد الفني شكل حيوان الأسد ،وهو بوضعية جانبية ويتجه يمينا ،تظهر البقايا لهذا اللوح فقط الجزء الأمامي لحيوان الأسد ،فالقسم الأعظم من الرأس مفقود .يظهر الرأس كبير ،وله لبدة كبيرة ، تزينها مجموعة من الخطوط المحززة ،بشكل خطوط قصيرة مائلة ،الرقبة غليظة وتظهر عليها خطوط عمودية مائلة ،تندمج مع البدن المزين بصفوف من الخطوط المنتظمة عموديا والتي تقترب من رقم (٧) وبشكل متعاكس ،ونلاحظ بقايا للذيل في أعلى البدن ،أذ يظهر مرفوع ويمتد أفقيا الى الأمام ،مع أمتداد البدن وينتهي من الأمام بالذبالة، الأسلوب الفني هو قريب من الواقعي (سجل ١٠/١٤١/١٩٨٣/١ ص ٢١) .

#### التحليل الفني :

الأسد هو واحد من فصيلة السنوريات الأربعة الكبيرة الأكلة للحوم ،فهو من أقوى وأشرس الحيوانات البرية ،التي فرضت سيطرتها على باقي الحيوانات ،أذ بسبب مايمتلكه من قوة جسدية وعضلية لبدنه ،وقوائمه الأربعة القصيرة ،ورأس كبير ،وفك ذو أنياب

كبيرة، فضلا عن الذيل الطويل، جعله يمتلك مرونة عالية في الجري ومرواغة وأمساك الفريسة، حتى إذا كانت أضخم منه، ويصل العمر التقريبي للأسد بين (١٦-٢٥) سنة (الوائلي، سينا، محسن كاظم، ٢٠١٩، ص ٤١-٤٢).

وقد عرفت الأسود في تاريخ بلاد الرافدين، منذ عصر العبيد إذ ظهر تمثيله على أحد الأختام المنبسطة من عصر العبيد، فقد صور وهو مستلقيا مع وعل وكلب صيد في حال سير يأتجاه اليمين (Tobler.A.J, 1950, fig156) كما صور على الأختام الأسطوانية من عصر الوركاء، وكذلك في أعمال النحت البارز والمجسم، وأصبحت أكثر شيوعا في العصر الأكدي ولا سيما المشاهد التي يظهر فيها الأسد وهو يصارع البطل العاري، أو الإنسان الثور، والحقيقة أن شكل الأسد كحيوان مفترس يثير الرعب والخوف للحيوانات الأخرى أولا، وللإنسان ثانيا قد أدخل في مخيلة الإنسان هذه الفكرة، إذ انعكست على مجمل الفكر الأدبي والديني (الجميل، قصي صبحي، ٢٠١٦، ص ٢٥٠) ويمكننا أن نلاحظ ذلك من خلال النصوص الأدبية والدينية، كما في ملحمة ايرا التي تمثل أصلا تعويذة تمنع صاحبها أو حاملها من مرض الطاعون، وبهذا الخصوص أقرن الأله ايرا (اله الموت)، وهو وجه من وجوه الأله نركال بوجه أسد إذ يقول "في السموات أنا ثور وعلى الأرض أنا أسد" وفي تعويذة أخرى ضد الروح الشريرة (سامان) نقرأ فيها "سامان روح شريرة بغم الأسد جسم تتين مخالبا للنسر، بذنب العقرب، هو الأسد الوحشي للأله أنليل، أسد الاله أنكي الذي يقطع الرقبة والذي هو أسد الإلهة تشين أنا (أنا) بغم يقطر دما، أسد الالهة الذي يفتح فمه" (سجى . مؤيد عبد اللطيف، ١٩٩٧، ص ٦٦-٦٩).

وقد أقرن الأسد كرمز للإلهة عشتار، بصفاتها إلهة للحرب، وكذلك للإله نكرسو والأله ننورتا أيضا بصقته أله محارب، كما كان أيضا من رموز الأله نركال أله العالم السفلي، وقد أستعملت تماثيل الأسود الفخارية، كحيوانات حارسة زينت مداخل المعابد في تل حرمل وتل العبيد وتلو. وقد سجل لنا الأشوريون مشاهد صيد الأسود، التي كانت من الممارسات المحببة عن الملوك الأشوريين، إذ زينت ألواح الجدران في كثير من قصور العواصم الأشورية الأربعة (أشور، نينوى، نمرود، خرسباد) وقد صورت هذه المشاهد بمناظر متنوعة، يظهر في البعض منها الملوك الأشوريين وهم بعرباتهم وعدة الصيد، في

حين تظهر الأسود الجريحة المصابة وهي تقطر دما ،وأخرى قد حبست في الأقفاس ،وكثيرا ما تبجح الملوك بعدد الأسود التي أصطادوها بحيث وصلت أعدادها الى ٥٠٠ أو ٨٠٠ أسد(الجميلى.قصي صيحي،٢٠١٦،ص٢٥٠-٢٥١).

مع تنوع المواضيع التي جاء فيها تمثيل حيوان الأسد في النتاجات الفنية ،للنحت المجسم او البارز ،سواء كموضوع رئيس او ثانوي ،قد أخذ دلالاته سواء الدلالة الشكلية العامة لاسيما عندما يكون كموضوع رئيس مستقل ،كما نجده في موضوع اللوح الفخاري موضوع الدراسة، أذ كثيرا ما صور الأسد في الألواح الفخارية ،وهو بهذا يحمل كل الدلالات الموضوعية والرمزية ،التي أرتبطت بهذا الحيوان ،وفي مشاهد أخرى كان جزءا من موضوع متكامل .

وعليه نجد أن الغاية الأساسية من تمثيل هذا الحيوان في هذه الألواح ،أما لطرده الأرواح الشريرة من الأماكن التي تعلق أو تدفن فيها هذه الألواح بما تملكه من قوة أو أنها كانت برمزها الإلهي الذي أشـرنا إليه (Opificius) (R, 1961, p263, Tof22, pl649). (الجبوري. عباس زويد،٢٠١٢،ص١١٣-١١٦،ص١١٦،١٩١-٩٢الوح٤٢،٤٢).

### الهوامش:

١- سالم يونس حسين،"تقرير أولي عن التنقيبات الأنفاذية لأثار مشروع ري الجزيرة"،الهيئة العامة للآثار والتراث،قسم التوثيق،١٩٨٨،ص١،كذلك:

هناك عدة تسميات لمصطلح "علم الآثار الأنفاذي" منها "علم الآثار التجاري" و"علم الآثار الوقائي" و"علم الآثار الأنفاذي" و"علم الآثار المتعاقد عليه". وجميعها تشترك في المضمون حول المباني أو المناطق أو المواقع المزمع أستثمارها سواء لأغراض تجارية أو اقتصادية أو لأغراض أعمال المشاريع أو الخدمات العامة كمشاريع السدود والقنوات والطرق وغيرها ،وعليه هنا يتم الأستعانة عادة بالمختصين من المنقبين الأثاريين في أنجار أعمال التنقيب والأستكشاف العلمي وعادة ما تكون سريعة بهدف (تصفير) الموقع وتهيئته للمشروع ينظر لمويد من المعلومات: <https://www.articlecand.com> wiki

2- Wiki<<https://arim.wikipedia.org>(سد حديثة ويكيبيديا)

3- Abdul-Amir.S.J, Archaeological Survey of Ancient Settlements and Irigation Systems In The Middle Euphrates Region of Mesopotamiam, Vol1, Unpublished Dissertaton PHD, Chicago, 1988, p 3.

يعد مشروع أنقاذ سد حديثة من المشاريع الكبيرة الواحدة التي أنجزت في منطقة الفرات الأوسط وقد أخذت دائرة الآثار والتراث أعمالها خلال الأعوام (١٩٧٥-١٩٨٦) أذ يقع في منطقة أبو شابور ٧ كم في أعلى نهر حديثة في منطقة الفرات الأوسط ويبعد ما يقارب ٢٥٠ كم شمال غرب بغداد ويكون السد بحيرة (القادسية) التي تنتهي عند ساحل الزخارنة ٣٦ كم شمال غرب عانه التي تبعد ١٣٠ كم طولاً نتيجة تعوج النهر ويصل مستوى الماء للبحيرة ٤٧ م عن مستوى السهل وكحد أقصى ١٥٠ م وهي بسعة خزن (٨٠٢) بليون م<sup>٣</sup> ينظر لمزيد من المعلومات المصدر نفسه.

٤- ينظر حول تفاصيل قطع الدراسة جدول رقم (١)

٥- قطعة فخارية غير مدروسة (١٠٥٠٩٩ م ع)، موقع العوسية، الموسم الأول، سجل ٢/١٠/١٤١/البعثة اليابانية/١٩٨٣، ص ٩.

٦- قطعة فخارية غير مدروسة (١٠٦٠٤ م ع) (التفاصيل غير مؤشرة)

٧- حنان عبد الواحد صولاغ، المركبات ف حضارة بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، بغداد، ٢٠١٥، ص ٢٢١-٢٢٣.

8- Macky.E, Report On The Excavation of The Acemetry at Kish, Mesopotamia Field Museum of Natural History, Vol1, Chicago, 1925, p211, pl. xlv, 80. and: VanBuren.E, Clay Figurines of Babylonia and Assyria, London, 1930, pl. no. 1239.

9- Macky.E, 1925, P210, pl. xlv, 9, 5.

10- Robert.J, The Earliest Semic Pantheon, Baltimore, 1972, p56.

١١- الجميلي. قصي صبحي عباس، "ألواح وقطع فخارية غير مدروسة من موقع أور محفوظة في المتحف العراقي"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦٢، بغداد، ٢٠١٧، ص ٤٢٥. كذلك: Robert.J, 1972, P56.

١٢- ينظر للمقارنة: الجميلي. قصي صبحي عباس، ٢٠١٧، ص ٤٧٢، كذلك: الجبوري. عباس زوي، د، ٢٠١٢، ص ١٧٤. وكذلك: VanBuren.E, 1930, pl. lxiii. fig 300, 301, pl. lxiv. fig. 304, 305 .

١٣- لوح فخاري غير مدروس (١٠٥٠٩٧ م ع)، موقع العوسية، الموسم الأول، سجل ٢/١٠/١٤١/البعثة اليابانية/١٩٨٣، ص ٨.

١٤- الجميلي. قصي صبحي، "دمى وألواح آشورية من المتحف العراقي"، سومر، المجلد ٦٢، بغداد، ص ٢٦٣، ص ٢٩٦ (شكل ٦٨، ٦٧)، ص ٢٩٧ (شكل ٧٠، ٦٩)

- ١٥- أذارد.د، قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطة، بدون تاريخ، ص ٧٥-٧٦. وكذلك: Oates.J, Babylon, London, 1979, p78. fig52.
- ١٦- الجميلي. قصي صبحي، ٢٠١٦، ص ٢٦٣-٢٦٤.
- 17- Creen and Black.J, Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, University of Texas Prees, Austin, 2008, p81-82.
- ١٨- لوح فخاري غير مدروس (٩٧٥٣١ م ع)، موقع العوسية، الموسم الأول، سجل ١٠/١٤١، البعثة العراقية، ص ٢١.
- ١٩- لوح فخاري غير مدروس (٣٤٩٦ م ع)، جزيرة تلبس، سجل ٢/١٤١/الموسم الأول/١٩٨١، ص ٦.
- ٢٠- الزيايدي. عادل شاكر وهام، المرأة في فنون بلاد الرافدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار، بغداد، ٢٠١٨، ص ٦.
- ٢١- الجميلي. قصي صبحي عباس، ٢٠١٧، ص ٢٢٧.
- ٢٢- قصي صبحي عباس وأحمد عزيز سلمان، "جوانب من حياة المجتمع العراقي القديم في ضوء مشاهد الألواح من مدينة كيش"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦٩، بغداد، ٢٠١٩، ص ٢٥٣-٢٥٦.
- 23- Leick.W, Sex Eroticism in Mesopotamia Literature, Newyork, 1994, pl.6.
- ٢٤- لوح فخاري غير مدروس (١٠٤٤٦٧ م ع)، موقع الخربة الدينية /الموسم الثاني/سجل ٢/١٤١/١٩٨٢، ص ٥.
- ٢٥- لوح فخاري غير مدروس (١٠٤٤٦٨ م ع) —موقع الخربة الدينية/الموسم الثاني/سجل ٢/١٤١/١٩٨٢، ص ٥.
- 26- Goff.B.L, Symbols of Prehistoric Mesopotamia, NewHaven and London, Yale University Press, 1963, p36 fig.193.
- 27- Coff.B.L, 1963, p97, fig.352.
- ٢٨- هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص ١٩٩.
- ٢٩- بوتس.د، دانيال.تي، حضارة وادي الرافدين الأسس المادية، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٢٣٥.
- ٣٠- هاري ساكز، ١٩٧٩، ص ١٩٩.
- ٣١- بوتس.د دانيال.تي، ٢٠٠٦، ص ٢٣٥.
- 32- Frankfort.H, Sculpture of The Third Millennium B.C From Tell Asmar and Khafajah, Chicago, 1939, p50, pl1o5, pl108.

- ٣٣- ينظر تفاصيل الشكلين (٧ و٦) .
- ٣٤- لوح فخاري غير مدروس (٩٧٥٣٠ م ع)، موقع العوسية/الموسم الأول/البعثة العراقية/سجل ١٠/١/١٤١/١٩٨٣، ص ٢١.
- ٣٥- الوائلي.سيناء محسن كاظم، الحيوانات اللبونة على مشاهد أختام بلاد الرافدين حتى سنة ٥٣٩ ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار، بغداد، ٢٠١٩، ص ٤١-٤٢.
- 36- Tobler.A.J,"Excavatio at Tepe Gawra ,Londn,University of Pennsylvania,Philadelphia,1950,fig 156.
- ٣٧- الجميلي.قصي صبحي، ٢٠١٦، ص ٢٥٠.
- ٣٨- سجي مؤيد عبد اللطيف، الحيوان ف أدب العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الآثار، بغداد، ١٩٩٧، ص ٦٦-٦٩.
- ٣٩- الجميلي.قصي صبحي، ٢٠١٦، ص ٢٥٠-٢٥١.
- 40- Opificius.R, Das Alt Babylonische Terrakotta Relief, Berlin, 1961, p263, taf22, pl649.
- كذلك: الجبوري.عباس زويد، ٢٠١٢، ص ١١٣-١١٦، ص ١٩١-١٩٢ (لوح ٤٣، ٤٢).

دراسة فنية تحليلية لدمى وألواح فخارية غير مدروسة من مواقع سد حديثة

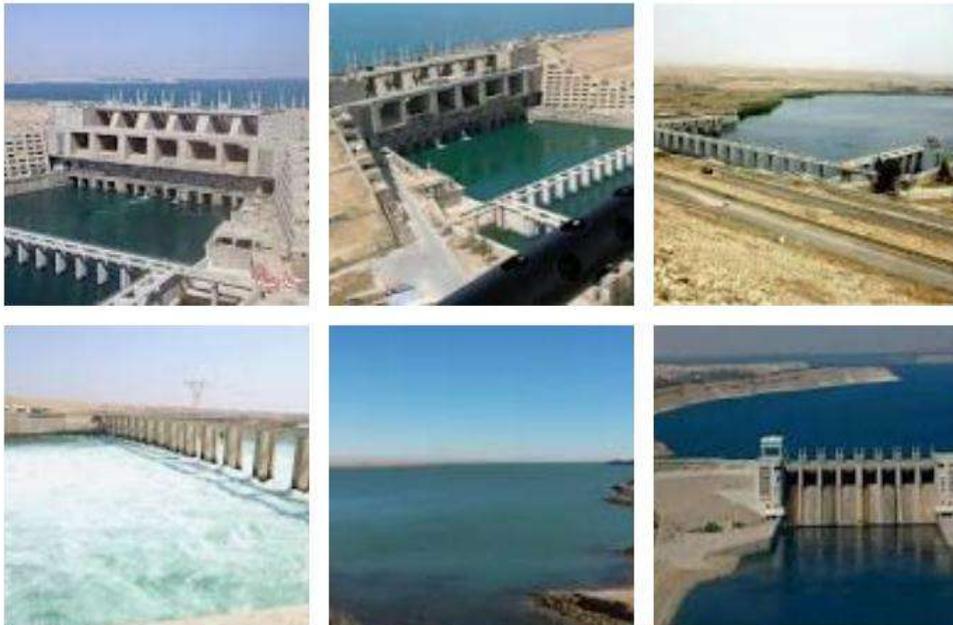
جدول الشكل	الرقم المتحفي	النوع/الموضوع	اللون والتقنية	القياسات	المعثر
١	٢١٠٥٠٩٩ م ع	فخار/ جزء من عربة صغيرة	10YR/8/3 جوزي شاحب جدا مصنوع بطريقة القالب	الأرتفاع ٨،٥ سم العرض من الأعلى ٦،٩ سم العرض من الأسفل ٤،٤ سم	موقع العوسية/الموسم الأول/سجل ١٠/١٤١/١٠٠/١٤١/البعثة اليابانية ١٩٨٣/٩ص/المعثر/خندق رقم ط٣ .
٢	١٠٦٠٤ م ع	فخار/ جزء من عربة	10YR8/3 جوزي شاحب جد مصنوع بطريقة القالب		غير مؤشر
٣	١٠٥٠٩٧ م ع	لوح فخاري	7.5/8/3 وردي	الأرتفاع ٦ ٥،٥ سم العرض ٥،٢ سم	موقع اللعوسية /الموسم الأول/١٩٨٣/سجل ١٠/١٤١/١٩٨٣/ ص٨/البعثة اليابانية/المعثر/طبقة ١/ bx1/
٤	٩٧٥٣١ م ع	لوح فخاري	7.5/8/2 أبيض وردي	الأرتفاع ٥،٨ سم العرض من الأعلى ٣،٢ سم من الأسفل ٣ سم	موقع العوسية /الموسم الأول/البعثة العراقية/١٩٨٣/سجل ١٠/١٤١/١٠٠/ ص٢١/المعثر/دفن المجس ٥ .
٥	١٣٤٩٦ م ع	لوح فخاري	7.5YR/7/2 رمادي محمر	الأرتفاع ٢،٧ سم العرض ٦ سم	موقع جزيرة تلبس /الموسم الأول/١٩٨١/سجل ٢/١٤١/٦/ص٦/الم عثر/طبقة ٦/المربع ٥٨٢ .
٦	١٠٤٤٦٧ م ع	لوح فخاري	10YR/8/3 جوزي شاحب جدا	الأرتفاع ١٠ سم العرض من	موقع الخربة الدينية /الموسم الثاني ١٩٨٢/سجل ٢/١٤١/٩/ص١/المعثر/المربع ٢٤/النقطة ١٠/الطبقة ١٨

دراسة فنية تحليلية لدمى وألواح فخارية غير مدروسة من مواقع سد حديثة

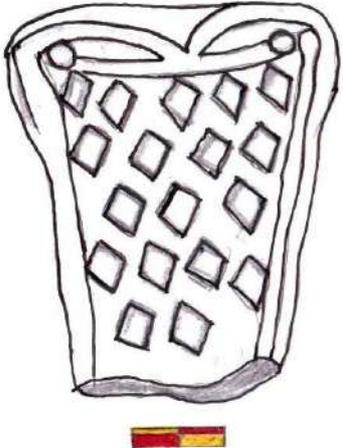
	الأعلى ٦،٥ سم العرض من الأسفل ٧،٥ سم				
الخريطة الدينية/الموسم الثاني/١٩٨٢/سجل ١/٩/٢/١٤١/ص ٩/الم عثر غير مؤشر	الأرتفاع ٥،٢ سم العرض ٧،١ م	7.5/8/3 وردي	لوح فخاري	١٠٤٤٦٨ م ع	٧
موقع العوسية /الموسم ا لأول/البعث العراقية/١٩٨٣/سجل ١/١٠/١٤١/ص ٢١/المعثر/دفن المجس ٥	الأرتفاع ٨ سم العرض ٩،٦ سم	7.5/8/2 أبيض وردي	لوح فخاري	٩٧٥٣٠ م ع	٨

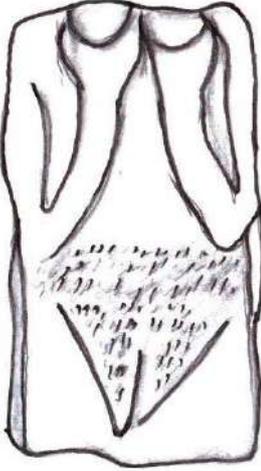
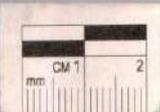
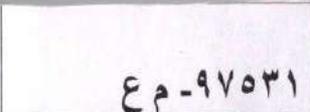


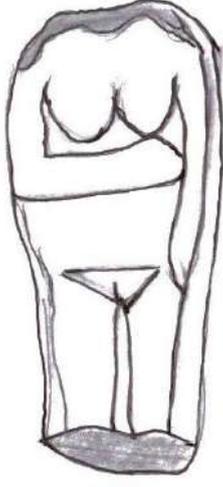
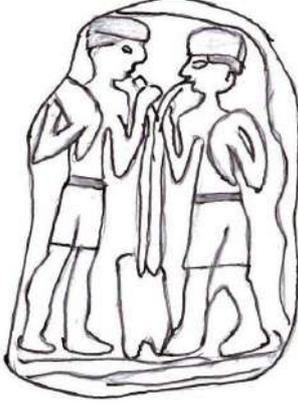
(صورة ١) سد حديثة كما يرى من محطة الفضاء الدولية (الصورة معكوسة) مع أظهار الجنوب والسد في الأعلى) عن: (<https://ar.m.wikipedia.org/wiki>)



(صورة ٢) مجموعة من الصور لسد حديثة وبحيرة (القادسية) عن: ([wiki](https://ar.m.wikipedia.org/wiki)) (<https://ar.m.wikipedia.org>)

الرسم التوضيحي	الصورة	الشكل
		<p>١</p>
		<p>٢</p>

الرسم التوضيحي	الصورة	الشكل
 	  	<p>٣</p>
 	  	<p>٤</p>

الرسم التوضيحي	الصورة	الشكل
		٥
		٦

الرسم التوضيحي	الصورة	الشكل
		٧
		٨

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من  
سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو ( ٢٠٤٠ -  
٢٠٣٩ ق.م)

أ.م.د. جاسم عبد الامير جاسم

جامعة القادسية/كلية الآثار

الإيميل / [jassim.aljanabi@qu.edu.iq](mailto:jassim.aljanabi@qu.edu.iq)

الهاتف / 07811770829



دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو

(٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م.)

أ.م.د. جاسم عبد الامير جاسم

المقدمة

شهدت بلاد الرافدين العديد من الانجازات الحضارية والعلمية على كافة الاصعدة وميادينها، وتأتي في مقدمة هذه الانجازات الكتابة المسمارية على الرقم الطينية وما حوتها في طياتها من علوم ومعارف، والتي وصلت اليها الآلاف منها عن طريق التنقيبات أو عن طريق المصادرة، وقد حُفظت معظمها في مخازن المتحف العراقي والبعض الآخر في المتاحف العالمية، يتضمن البحث دراسة مجموعة من هذه النصوص الغير مدروسة، من مجموعة النصوص المصادرة والتي لم تصل الى المتحف عن طريق التنقيبات العلمية النظامية بل جاءت عن طريق مصادرتها من قبل الهيئة العامة للآثار (المتحف العراقي)، وهي من النصوص الاقتصادية التي تشكل الغالبية العظمى من بين النصوص المتوفرة لدراسة الباحثين والطلبة، وتتميز هذه النصوص بكونها تضم مواد اقتصادية متنوعة تكشف للباحثين جزء من واقع الجوانب الاقتصادية لسكان بلاد الرافدين آنذاك، فضلاً عن كونها تضم في طياتها مجموعة من اسماء الاعلام سواءً اسماء الاشهر التي تعطينا لمحة عن الحياة الاقتصادية، أو اسماء الاشخاص التي تعرفنا بجوانب بسيطة من الحياة الاجتماعية، كذلك تزودنا النصوص الاقتصادية بأسماء مهن وحرف نتعرف من خلالها عن كيفية اجراء التعاملات والتبادلات التجارية، كما أن النصوص الاقتصادية تزودنا في أغلب الاحيان بصيغ تاريخية يتم من خلالها معرفة تاريخ النص والسنة التي دُون بها، والنصوص التي تم دراستها في هذا البحث جميعها تعود الى السنة التي نُصب فيها كاهن مدينة اريدو وهي السنة التاسعة والاخيرة من حكم الملك آمار-سين، ثالث ملوك سلالة اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م.) والذي تولى الحكم بعد أبيه شولكي، ودام حكمه تسعة اعوام، عمل فيها العديد من الانجازات سواءً السياسية أو الحربية كتدمير مدن كيماش

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)

وخارشي واربيوم ووخونوري، أو الجوانب الدينية كعمل عرش للاله أنليل أو تنصيب كاهن الالهة أينانا المعروف بـ(En-mah-gal) وكاهن أريدو موضوع البحث.

### الكلمات المفتاحية...

مدينة أريدو Eridu city، نصوص مسمارية Cuneiform Text، كاهن A priest،  
أمار - سين Amar-su'en، صيغ تاريخية Historical formulas.

### المختصرات والرموز العامة

No.	العلامة أو الرمز Singe Band	Meaning	المعنى
1.	Band	part	بالألمانية جزء
2.	F. FF.	Following Page Following Pages	الصفحة التالية الصفحات التالية
3.	Ibid	In the same page	في نفس الصفحة
4.	I.M	Iraq Museum	المتحف العراقي
5.	Le.edg	Left edge	الحافة اليسرى للرقيم
6.	Lo.edg	Lower edge	الحافة السفلى للرقيم
7.	Obv.	Obverse	وجه الرقيم
8.	Op.cit	The same References	المصدر السابق
9.	p.	Page	الصفحة
10.	Rev.	Reverse	قفا الرقيم
11.	Vol.	Volume	مجلد
12.	⌈ ⌋	Broken Sing From Up	علامات مكسورة من الأعلى
13.	( )	Words Added in Translation	كلمات أضيفت عند الترجمة
14.	[ ]	Broken sings	علامات مكسورة
15.	[XXXXX]	Unknown signs	علامات غير معروفة

### مختصرات المصادر

AbZ	Assyrisch – babylonischeZeichenliste, Germany (1981).
AHw	AkkadischeHandw rterbuch, Weisbaden (1955).
ASJ	Acta Sumerologica, (Hiroshime, Japan) (1979ff).
AUCT	Andrews University Cuneiform Texts, (1984ff).
CAD	The Chicago Assyrian Dictionary, Chicago, (1956ff).
CCT	Catalouge of Coneiform tablets in Birminigham City Museum ,England,(1993)
CDLJ	Cuneiform Digital Library Journal, 2, (2003).
CDA	Concise Dictionary of Akkadian, Wiesbaden (2000).
IRAQ	Journal of British school of Archaeology in Iraq, (London, 1934 ff).
GAAL-4	Göttinger Arbeitschefts ZurAltorientalischen Literatur, Gottingen,2003)
JCS	Journal of Cuneiform Studies, New Haven, (1947ff.).
MAD	Materials for the Assyrian Dictionary, Chicago, (1952 – 1970).

MDA	Manuel D' Épigraphe Akkadienne, Paris (1976).
MVN	Materia Li per Vocabolario Neo-Sumerico, Roma, (1997).
NG-3	Neu-Sumerischen Gerichtsurkunden, Munchen (1957).
RGTC	Repertoire Géographique des Texts Cuneiformes, Weisbaden (1974).
SNAT	Selected Neo-Sumerian Administrative Texts, British Museum 1990.
ŠL	Šumerische Lexikon, Rome (1925).
CUSAS	Cornell University Studies in Assyriology and Sumerology, Maryland, (2007ff)
TCS	Texts from Cuneiform Sources, New York, (1966ff).
UET	Ur Excavation Texts, London, (1928ff).
ZA	Zeitschrift für Assyriologie und Vorderasiatische Archäologie, Leipzig & Berlin (1886 ff).

### قراءة النصوص ترجمتها وتحليلها

النص رقم : ١

رقم المتحف العراقي : ٢٢٦٩٧٤

تاريخ النص: ٩ أمار - سين

**Obv.**

10 (gur) 1(pi) 2(ban<sub>2</sub>) 5 sila<sub>3</sub>

i<sub>3</sub>-šaḥ<sub>2</sub> gur

nig<sub>2</sub>-dab<sub>5</sub> zag-mu-ka

lu<sub>2</sub> ga-sur<sub>2</sub><sup>ki</sup>

ke<sub>4</sub>-ne

**Rev.**

5- ugula sukkal-maḥ

gir<sub>3</sub> mu-<sup>d</sup>utu-mu

ki da-da-ni/ta

ba-zi

kišib ba-ba-ti

mu en eridu<sup>ki</sup> ba-ḥun

## الترجمة:

### الوجه

١٠ (كور) ١ (بي) ٢ (بان) ٥ سيلا

كور من زيت الخنزير

مواد لرأس السنة (العام الجديد)

الى رجال مدينة كاسور

### المفا

٥- المراقب سوكال- ماخ

الوسيط مو- اوتو- مو

من دا- دا- ني

نفقات

بختم با- با- تي

السنة (التي) نصب (فيها) كاهن مدينة اريدو

### المعنى العام

نص يتضمن نفقات كمية من زيت الخنزير كمتطلبات لرأس السنة.

### شرح المفردات

السطر الاول/ gur : وحدة قياس سومرية يقابلها بالاكديّة (kurru) وتعادل في الوقت الحاضر (٢٥٢.٦ لتر) ينظر: رشيد، فوزي. الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٧٩، ص٣٨.

وقد خضع الكور لتغيرات عدة في العصر السومري القديم، وكان يختلف من مدينة لأخرى فقد كان يساوي (٣٠٠ سيلا) وفي منطقة أخرى نجده (١٤٤ سيلا)، و(٢٨٨ سيلا) إلى ان جاء ملوك سلالة أور الثالثة ومنهم الملك أور-نمو وابنه شولكي، إذ قاما بتثبيت الكور واستحداث ما يعرف بالكور الملكي وعرف أيضا بكور شولكي. ينظر:

Gomi,t., 'A Note on gure capacity unit of the Ur III period', ZA-83, 1993,p.31.

pi : وحدة قياس المكايل وهي من أجزاء الكور يقابلها بالاكديّة (pānu) ينظر :  
MDA , p. 177; Abz, p. 156.

لكل واحد (كور) يعادل خمسة (بي) ينظر :

رشيد، فوزي، الشرائع ...، مصدر سابق، ص ٣٨.

ban<sub>2</sub> : وحدة لقياس المكايل وهي من أجزاء الكور، يرادفها بالاكديّة (sūtu) ينظر :  
Abz, p. 71; AHw, p. 1064.

لكل واحد كور يعادل (٣٠) بان. ينظر :

رشيد، فوزي، الشرائع ...، مصدر سابق، ص ٣٨.

sil<sub>3</sub> : وحدة سومرية لقياس المكايل يرادفها بالاكديّة (ûq)، وتعادل في الوقت الحاضر  
٠.٨٤٢ من اللتر. ينظر :

CDA-Q, p. 290.

رشيد، فوزي، اقدم الكتابات المسمارية المكتشفة في حوض سد حمرين، الموصل،  
١٩٨٢، ص ١٤٧.

السطر الثاني / i<sub>3</sub>-šah<sub>2</sub> : مصطلح سومري يعني دهن الخنزير / زيت الخنزير، ينظر :  
Gomi, T&Sato, S., "Selected Neo-Sumerian Administrative Texts from  
the British Museum", SNAT, Chiba(1990), p.100, No276:12.

إذ أن الـ(i<sub>3</sub>) تعني دهن أو زيت بالاكديّة (šamnu)، والـ(šah) كلمة سومرية تعني  
خنزير بالاكديّة (šahu), ينظر :

MDA, p.127 ; CDA-š, p.347.

لازالت المعلومات ناقصة عن الخنزير بالنسبة لزمان ومكان تدجينه، إلا أن نصوص  
سلالة أور الثالثة ذكرت لنا بعض المعلومات عن الخنازير منها أنه كان يُخصص لها  
يوميّاً ٣-٦ سيلا شعير لأجل تسمينها، وأن المنتجات الرئيسية المشتقة من الخنزير هي  
الدهون أو الشحوم، أما اللحوم فأنها كانت توضع في القبور كقرابين، للمزيد ينظر :  
التكريتي، سليم طه، "اقتصاد الدولة في سومر"، سومر، مج ٢٩، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٢.

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)

الزبيدي، أبا ذر راهي سعدون، نصوص مسمارية غير منشورة في المتحف العراقي من عصر سلالة أور الثالثة ٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بغداد/كلية الآداب/قسم الآثار، ٢٠١٠، ص ١٧.

السطر الثالث/ nig<sub>2</sub>-dab<sub>5</sub>: مصطلح سومري يعني ممتلكات/ مواد، مؤن، طلبات، للمزيد ينظر:

Owen, D.I., Cuneiform Texts Primarily from iri- Sagrig / Al- @arr~ki and the History of the Ur III period Catalogue and texts, Nisaba 15/1, Marlyand, 2013, p399; MDA p.245.

السطر الرابع/ zag-mu-ka: مصطلح سومري يعني رأس السنة/ العام الجديد ويقابلها في اللغة الاكدية (zagsmukku rēš šatti)، ينظر: MDA, p. 153; Halloram, J.A., Sumerian Lexicon, Los Angeles, 2006, p. 310.

السطر الرابع/ lu<sub>2</sub> ga-sur<sub>2</sub><sup>ki</sup> e-ne: مصطلح سومري يعني رجال مدينة كاسور، وهو مؤلف من الـ (lu<sub>2</sub>) كلمة سومرية تعني رجل، ويقابلها في اللغة الاكدية (amīlu)، والـ (ga-sur<sub>2</sub><sup>ki</sup>) اسم مدينة سومرية ورد ذكرها من العصر السومري القديم وتبعد بحدود ١٥ كم الى الغرب من مدينة كركوك الحالية وهي الاسم القديم لمدينة نوزي يورغان، خريطة رقم (١)، للمزيد ينظر:

RGTC-1, p. 54; BIN-8, p. 214; Schramm, w., GAAL-4, p. 101; MDA, p. 151.

والـ (e-ne) اداة جمع العاقل في اللغة السومرية. للمزيد ينظر: رشيد، فوزي، قواعد اللغة....، مصدر سابق، ص ٥٣.

عبد اللطيف، سجي مؤيد، قواعد اللغة السومرية في ضوء سلالة لكش الأولى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٠٤ ص ٩٠.

السطر الخامس/ ugula sukkal- mah: المراقب الوزير الاعظم، وهو مؤلف من الـ ugula: أسم مهنة سومرية تعني المراقب/ الوكيل ويرادفها في اللغة الاكدية (aklu)، وتأتي مهنة المراقب في التسلسل الوظيفي بعد وظيفة المشرف الـ (nu-banda<sub>3</sub>) ويكون مسؤولاً عن مجاميع العمال في مختلف المجالات سواء الزراعية منها أو الصناعية أو التجارية، وقد ذكرت النصوص المسمارية أصنافاً عديدة من العمال وأصحاب المهن يكون الـ (ugula) مراقباً عليهم كالتباخين والنساجين والمزارعين وغيرهم . للمزيد ينظر :

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)

MDA,p.135;CAD-A/1,p.277; Schramm,w.,GAAL-4,p.165;Legrain, L.,UET-III,p181; Falkenstein,A.,NG-III,p.171f.

المتولي، نواله احمد محمود، مدخل إلى دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في

ضوء الوثائق المسمارية المنشورة وغير المنشورة، بغداد، ٢٠٠٧ ص ١٤٤.

والـ sukkaḫ-mah: أسم وظيفة سومرية تعني الوزير الاعظم/المستشار الاعظم،

ويرادفها في اللغة الاكدية (sukkallu muḫḫu) لربما تُعد هذه الوظيفة بمثابة رئيس

الوزراء بالوقت الحالي، أو لربما هي تلك الوظيفة التي إلى وقت قريب تُعرف بمهنة

"السر كال" الشخص الذي يكون مسؤول عن إدارة عمل أو مكان ما، ينظر:

Molina,M.,Testi Administrative Neo Sumerici del British Museum

BM-13600-14300,(MVN-XXII),Roma(2003),p.239.

السطر السادس/ gir<sub>3</sub> : أسم مهنة سومرية تعني (الوسيط، المخول) ويرادفها بالاكديّة

(šēpu) ينظر:

CDA, p. 367; Sigrist, M., Drehem, Bethesda, 1992, p. 59.

mu<sup>d</sup>-utu-mu : أسم علم سومري، ورد في نصوص سلالة أور الثالثة، من مدينتي أور

وكرسو ويحتمل أن يكون معنى الاسم بأسم الهي شمش، للمزيد ينظر:

ASJ-13,p. 230;

السطر السابع/ ki da-da-ni ta : الـ ki...ta : حرف جر بمعنى من/ من ... الى، تأتي

في الغالب مع اسماء الاشخاص،

da-da-ni : أسم علم أكدي ورد في نصوص سلالة أور الثالثة من مدن أور ودريهم

وكرسو، وهو يتكون من مقطعين، المقطع الأول (da-da) من المصدر (dādum)

بمعنى محبوب، والمقطع الثاني (ni) ضمير تملك متصل بالاسم للشخص الأول المتكلم

الـ(نا) فيكون معنى الاسم محبوبنا، ينظر :

Legrain,L.,UET-III,p.9; Lafont,B.,&Yildiz,F., Tabletes Cunéiformes

De Tello As Musée D'Istanbul Datant de l'époque de la III Dynastie

Ur TCT-II, Belgium (1996),p.302; CAD-D,p.20

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)

السطر الثامن/ ba-zi : صيغة فعلية سومرية بمعنى أنفق، وتحلل بصيغة: ba-(n)-  
zi، ba : أداة الجملة الفعلية، والـ n : حشوة ضمير الفاعل للشخص الثالث العاقل،  
والـ

Zi: جذر فعل سومري بمعنى أنفق و يقابله باللغة الاكدية (šītu) ، ينظر :  
زويد، وفاء هادي، نصوص النفقات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)،  
رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٢، ص ١٤.

السطر التاسع/ kišib : كلمة سومرية تعني (ختم) ويرادفها في اللغة الاكدية  
(kunukku) ينظر :

Molina, M., Testi Amministrativi Neosumerici Del British Museum (MVN-XXXII), Roma, (2003), p.230; CAD-k, p.543.

ba-ba-ti : أسم علم سومري ورد في نصوص سلالة أور الثالثة من عدة مدن أور  
ودريهم، وهو مؤلف من مقطعين، المقطع الأول (ba-ba) ويعني أب أو شيخ، والمقطع  
الثاني (ti) تعني سهم أو حياة بالاكديّة (uṭṭu, balaṭu)، فمن المحتمل أن يكون معنى  
الاسم الأب حياة ، ينظر :

Vito, R, A., Studies in third..., p.257; Legrain, L., UET-III, p.7; Watson  
, P, J., CCT -1, p 41; Oppenheim, L., AOS-32, p.182; Keiser, C, E., BIN-  
III, p.14; MDA, p.69; CDA, p.36 :428.

السطر العاشر/ mu en eridu<sup>ki</sup> ba- ḥun : الصيغة التاريخية: السنة التي نصب فيها  
كاهن مدينة اريدو، وهي السنة التاسعة من حكم الملك امار - سين.

mu : مفردة سومرية تعني (سنة) يرادفها بالاكديّة (šattu) ينظر :  
CDA, p. 363; AHw, p. 1201.

en: مفردة سومرية تعني (سيد، كاهن) ويرادفها بالاكديّة (ēnu) ينظر :  
CDA, p. 74; CAD, p. 177.

eridu<sup>ki</sup> (NUN<sup>ki</sup>) : مدينة اريدو (ابو شهرين) تقع جنوب غرب مدينة اور بنحو

(٢٤ كم) وشمال شرق مدينة الناصرية بنحو (٤٠ كم)، خريطة رقم (٢)، ينظر :

Lloyd, S., ERIDO, Baghdad, 1982, p. 30.

صالح، قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق، الموصل، ١٩٨٧، ص ٢٥٨.

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)

ba- hun :صيغة فعلية سومرية تعني (نصب، توج) أصلها ba- (n)- hun وتحلل:

ba : اداة الجملة الفعلية ينظر:

Thomsen, M. L., The sumerian...., p. 176.

(n): حشوة ضمير الفاعل . ينظر:

رشيد، فوزي، قواعد اللغة ...، مصدر سابق، ص ١١٤.

hun : جذر فعل سومري بمعنى (نصب، توج) يقابله بالاكديّة (našû) ينظر:

CDA , p. 246; AHW, p. 702.

النص رقم : ٢

رقم المتحف العراقي : ٢٣٥٦٠٢

تاريخ النص: ٩ أمار - سين

**Obv.**

2 (gur) še-gur

še <sup>d</sup>En-lil<sub>2</sub>-la<sub>2</sub>

mu na-kam-tum še<sub>3</sub>

u<sub>4</sub>-ba-a

**Rev.**

5- šu-ba-ti

gir<sub>3</sub> da-wi-ir-a

iti a<sub>2</sub>-ki-ti

space

mu en eridu<sup>ki</sup>

ba-hun

**الترجمة:**

**الوجه**

٢ (كور) شعير كور

شعير (إلى معبد) الإله أنليل

بأسم ناكامتوم

في ذلك اليوم

## القفا

٥- تسلم

المراقب داويرا

شهر أكيتي

السنة (التي) نُصب (فيها) كاهن مدينة اريدو، وهي السنة التاسعة من حكم الملك

امار - سين.

## المعنى العام

نص يتضمن تسليم كمية من الشعير الى الاله انليل

شرح المفردات

السطر الاول/ še : مفردة سومرية تعني (شعير) يرادفها في اللغة الاكديّة (še'u) ينظر: Schramm, w., GAAL-4, p.146; MDA, p.169; CDA, p.369.

السطر الثاني/ En-lil<sub>2</sub>-la<sub>2</sub><sup>d</sup>: اسم علم سومري ورد في نصوص سلالة أور الثالثة من

مدن عدة منها أور ودريهم واوما وكرشانه وغيرها، ينظر:

Vito, R. A., Op.cit, p.78; Owen, D.I., & Mayr, R. CUSAS-3, p.560.

ويعني حرفياً "الاله انليل" والاله انليل اله الجو، وسيد الهواء، وهو ابن الاله انو، وزوجته

الالهة ننليل، وهو والد كل من الالهة ن نار اله القمر والالهة اوتو اله الشمس، للمزيد ينظر:

Leick, G., A Dictionary of Ancient near Eastern mythology London & New York, 1991, p. 45; Vito, R. A., Op.cit, P.178.

السطر الثالث/ mu na-kam-tum še<sub>3</sub> : صيغة سومرية مكونة من الـ mu ... še<sub>3</sub>

تعبير ظرفي بمعنى (لأجل/ بأسم) ينظر:

Civil, M., Elementary Sumerian Glossary, Rome, (1987), p.38

رشيد، فوزي، قواعد اللغة...، مصدر سابق، ص ٧٩.

والـ na-kam-tum : اسم علم سومري ورد في نصوص سلالة أور الثالثة من مدن اور

وايريساكر و نفر وسبار، وكذلك ورد في نصوص العصر البابلي المبكر، للمزيد ينظر:

SUSAS-40, NO.1025; JCS-73, p. 82.

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)

السطر الرابع/ u<sub>4</sub>-ba-a : مصطلح سومري يعني في ذلك اليوم/ لأجل معين، ويقابلهُ في اللغة الاكديّة (adunnu, inūšu)، للمزيد ينظر: MDA, p. 175.

السطر الخامس/ šu ba-ti :صيغة فعلية سومرية لفعل مركب يتكون من (šū....ti) بمعنى (تسَلَّم) ويقابلها باللغة الاكديّة (iqle)، (imḥur) من المصدر (leqû) والمصدر (maḥāra)، ومن أداة الجملة الفعلية الـ (ba)، للمزيد ينظر: Edzard, D. O., sumerian G...., Op. cit, p. 145.

السطر السادس/ da-wi-ir-a : اسم علم اكدي ورد في نصوص سلالة اور الثالثة من مدينة اشنونا (تل اسمر) وهو من الاسماء الواردة من العصر الاكدي، وقد ورد بصيغة da-wi-ir وليس da-wi-ir-a، للمزيد ينظر: MAD-1,p. 73; 109.

السطر السابع/ iti a<sub>2</sub>-ki-ti : الـ iti كلمة سومرية تعني شهر، ويرادفها في اللغة الاكديّة (arḥu)، ينظر: MDA,p.59; CDA,p.23.

والـ a<sub>2</sub>-ki-ti هو أسم شهر الأكيّتو وهو الشهر الأول في تقويم مدينة أدب والشهر السادس في مدينة أور، وفي تقويم مدينة دريهم الشهر السابع وهو شهر الاحتفال ببذر البذور، وأعياد الأكيّتو تبدأ في اليوم الأول من نيسان وتستمر أحد عشر يوماً . للمزيد ينظر:

Cohen,M,E., The Cultic Calendars.....,p.150;Sallaberger,W,& Westenholz, A., Mesopotamien ....., p.19;Bidmead,J.,The Akiti Festival ,Gorgias Dissertations Near Estern Studies, Vol-2 , U.S.A(2004),p.39.

النص رقم : ٣

رقم المتحف العراقي : ١١٧

تاريخ النص: ٩ أمار - سين

Obv.

60 ir<sub>7</sub> mušen-niga

maš-da-ri-a lugal

ki (en-lil<sub>2</sub>)<sup>ki</sup> NIBRU<sup>ki</sup>

xxx 11 xx

5- xxx ka

Rev.

space

iti šu-eš-ša

mu en eridu<sup>ki</sup>

ba-ḥun

الترجمة:

الوجه

٦٠ حمام بري مسمن

ضرائب ملكية

من مدينة نفر

...١١...

٥ - .... كا

القفا

مكان فارغ

شهر شو إش-شا

١٠ - السنة (التي) نُصب (فيها) كاهن مدينة اريدو

المعنى العام

نص يتضمن عدد من الحمام البري من مدينة نفر كضرائب ملكية.

شرح المفردات

السطر الاول/ir<sub>7</sub> mušen-niga: مصطلح سومري يعني حمام بري مسمن، وهو مؤلف

من (ir<sub>7</sub> mušen) بمعنى حمام بري، ويأتي كذلك بمعنى طائر الخشب (ربما يُقصد به

نقار الخشب في يومنا الحالي)، ويرادفه باللغة الاكدية (ūrušṣi)، والـ(niga) كلمة

سومرية تعني مسمن أو سمين يقابلها في اللغة الاكدي (marû) ينظر :

CAD,M-1,p.306; MDA,p.73; 223 ; Halloram, J.A.,Sumerian ..., p.129;  
Mohannad,A., JBCH-16, NO.278.

السطر الثاني/ maš-da-ri-a :مصطلح سومري يأتي بمعنى نوع من الضرائب المنتظمة أو القرابين، وتُكتب ايضاً (máš-da-ri-a) ، ويرادفه في اللغة الاكدية (irbu)، وهناك بعض الآراء تشير الى انها نوع من القرابين التي تقدم في الاعياد في عصر سلالة اور الثالثة كونها ترد مع الماشية في لوائح القرابين الشهرية للمزيد ينظر :  
باسمة، جليل عبد، الذهب، اميرة عيدان، نصوص مسمارية غير منشورة في المتحف العراقي (السلسلة الاكدية) - الجزء الاول، بغداد ٢٠١٥، ص ١٤١.

Hallorau, J.A., Sum... .. p.170; CAD-J, p.173: b

وتعتبر الماشداريا أحياناً، نوع من أنواع القرابين التي كان يُقدمها عامة الناس بوصفها هباتٍ الى الحكام والملوك، وفي بعض الاحيان كانت تهدى للموتى، وتشمل هذه القرابين المتوفرة من الحيوانات و منها الثيران التي كانت من أهم حيوانات القرابين وكذلك الاغنام ومختلف الحيوانات الاخرى ومختلف الهبات للمزيد ينظر:  
أمين، سعد عمر محمد، القرابين و النذور في العراق القديم، بغداد ٢٠١١، ص ١٣، ١٧.  
lugal : كلمة سومرية تعني (ملك) ويرادفها باللغة الاكدية (šarru) ينظر:

MDA, p.103.

السطر الثالث/ En-lil<sub>2</sub><sup>ki</sup> NIBRU<sup>ki</sup> :مصطلح سومري يعني مدينة نيبور، واسمها الحديث هو نفر، تقع على بعد ٤٥ ميل جنوب شرق بابل وقرب مدينة عفك في محافظة القادسية، اشتهرت بمكانتها المقدسة في تاريخ بلاد الرافدين لكونها مركز عبادة الاله أنليل-سيد الهواء وزوجته نليل، جرت فيها تنقيبات أمريكية منذ عام ١٨٨٨ م، للمزيد ينظر:

باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٧٢.  
السطر السادس/ iti šu-eš-ša : هو الشهر الثامن في تقويم مدينة أور، ولم يرد ذكره في تقاويم المدن الأخرى، وهو شهر فك التربة ويقابلُه في تقويم مدينة نفر (giš<sup>is</sup> apin-du<sub>g</sub>) والذي يعني شهر فك التربة بالمحراث ، ويذكر الباحث لاندزبرجر أن هذا الشهر هو الشهر الذي قُدمت فيه طقوس السكب المقدس للملك اورنمو والأضاحي إلى الملك شولكي، للمزيد ينظر:

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)

Landsberger,B.,Der Kultische Calender und Assyer,LSS-VI/1-2,Leipzig, (1968), p.76; The Cultic Calendars...,p.133; Whiting ,R.M.,"Some Observention on the Drehem....,p.13.

النص رقم : ٤

رقم المتحف العراقي : ٢٢٦٧٥٣

تاريخ النص: ٩ أمار - سين

**Obv.**

13 maš<sub>2</sub>-gal?-u<sub>2</sub>

us<sub>2</sub>-bi 30 kam

e<sub>2</sub> <sup>d</sup>amar-<sup>d</sup>se'un-še<sub>3</sub>

ugula a-li<sub>2</sub>-ni-su

5- gir<sub>3</sub> a-ḥu-ṭab

**Rev.**

space

zi-ga

iti <sup>giš</sup>apin

mu en eridu<sup>ki</sup>

ba-ḥun

**الترجمة:**

**الوجه**

١٣ جدي كبير (تيس) يتغذى في المراعي

مدتها ٣٠ (يوماً)

إلى معبد آمار - سين

المراقب ألييسو

٥- الوسيط آخو - طاب

**القفا**

مكان فارغ

نفقات

شهر كش آبين

السنة (التي) نُصب (فيها) كاهن مدينة اريدو

### المعنى العام

نص يتضمن نفقات جداء إلى معبد آمار - سين.

### شرح المفردات

السطر الاول:  $maš_2-gal-u_2$  : مصطلح سومري يعني جدي كبير مسمن بالمرعى، وهو مكون من الـ ( $maš_2-gal$ ) تعني جدي كبير / تيس، يقابلها في اللغة الاكدية ( $mašgallu$ )، والـ ( $u_2$ ) تعني مرعى / عشب بالاكديّة ( $šammu$ ). للمزيد ينظر:

MDA,p.145; Owen, D.I., Cuneiform Texts Primarily from iri- Sagrig / Al- ʔarr~ki and the History of the Ur III period. Catalogue and texts, Nisaba-15/1. Marlyand, (2013),p.394.

ومن المحتمل أن تكون قراءة السطر الاول ( $še gu_2-u_2$ )، والذي يعني ضريبة شعير مضاعفة.

السطر الثاني:  $us_2-bi$  : مصطلح سومري مؤلف من الـ  $us_2$  تعني مدتها، مساحتها، طولها... الخ، بالاكديّة ( $ridûtu, šiddu$ )، والـ ( $bi$ )، ضمير الهاء لغير العاقل، فيكون المعنى مدتها، ينظر:

MDA,p. 121; CUSAS-4, p.211.

السطر الثالث:  $e_2^d amar-d se'un$  : مصطلح سومري يعني معبد آمار - سين، وهو مؤلف من مقطعين، المقطع الاول ( $e_2$ ) مفردة سومرية تعني بيت أو معبد يرادفها في اللغة الاكدية ( $bītum$ ) ينظر:

Schramm,w.,GAAL-4,p.44;CAD-B,p.78.

والمقطع الثاني ( $d amar-d se'un$ ) آمار - سين:

السطر الرابع:  $a-li_2-ni-su$  : اسم علم أكدي شائع في نصوص سلالة أور الثالثة من مدن أور واوما ولكش، كما ظهر في نصوص ديالى ونوزي وكيش ونفر وحميرين، والاسم مكون من مقطعين، المقطع الأول ( $a-li_2$ ) كلمة اكديّة تعني (اين؟)، والمقطع الثاني  $ni-su$  من  $ni-su \leftarrow nis-su \leftarrow ni\textcircled{c}-\textcircled{c}u$  والكاتب غير ملزم بالتضعيف وهي كلمة أكديّة تعني

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)

"عائلة, سكان", من المحتمل ان يكون معنى الاسم أين سكانه؟ أين عائلته؟ ويقرأ الاسم (apil-i<sub>3</sub>-li<sub>2</sub>-su) بمعنى وريث المعبد، للمزيد ينظر:

CAD,p.338; Hilgert,M.Akkadischin der..., p.541;CAD-N,P.283.

الجبوري, علي ياسين, مصدر سابق, ص ٤١, سليمان, عامر, اللغة الاكدية... مصدر سابق, ص ١٩.

السطر الخامس: a-ḥu-ṭab: اسم علم أكدي ورد في نصوص سلالة أور الثالثة من مدن أور ونفر واوما ولكش ويعني حرفياً "الأخ الطيب" ينظر: رشيد, فوزي, اقدم الكتابات ... , ص ٥٢.

Ranke,H., the Babylonian...p.63;Vito,R.A., Op.cit,p.152;MAD-3,p.21-22;Legrain ,L., UET-III, p.4.; Steinkeller, P., Sale documents of the Ur-III- period FAOS-17, Stuttgart, (1989),p.343.

السطر السادس: zi-ga: مصطلح سومري يعني نفقات ويرادفه في اللغة الاكدية (Ṣitu) ينظر:

Lewis,B.&Elizabeth,J.R., "Sumerian Economic text from the Robert hull fleming Museum of the university of Vermont" ASJ-4 Japan, (1982), p.54ff.

وللمزيد عن مصطلح النفقات وزمن ظهوره ينظر:

وفاء, هادي زويد, نصوص النفقات من العصر ... مصدر سابق, ص ١٢-١٥ .

السطر السابع: iti<sup>giš</sup> apin: شهر<sup>giš</sup> apin: هو الشهر الثامن ضمن التسلسل الذي وضعه الباحث فيدل (widell) لأسماء الأشهر التابعة لأرشيف التاجر تورام- ايلي وعده الباحث سالابيرجر الشهر الثاني لأرشيف تورام- ايلي, والشهر الثامن في تقويم مدينة نفر, والشهر الثالث في أرشيف التاجر سياً آ (Si-A-a) ويرد أحياناً بصيغته الكاملة (giš apin-) (du-g-a) ومعناه شهر فتح (فك) التربة بالمحراث, إذ أن<sup>giš</sup> apin بالاكديية (epinnu) بمعنى محراث.

Widell, M., Op. cit, p. 1; Sallaberger, W., Op.cit, p. 7; Cohen, M. E., Op. cit, p. 112; AbZ, p. 67.

النص رقم : ٥

رقم المتحف العراقي : ٢٢١٨٠٧

تاريخ النص: ٩ أمار - سين

## Obv.

15 dim-babar<sub>2</sub>  
ki niq<sub>2</sub>-qum-x ʿta<sup>1</sup>  
puzur<sub>4</sub>-<sup>d</sup>utu  
ugula uš-bar  
š<sub>1</sub>u-ba-ti

## Rev.

space  
5- mu en eridu<sup>ki</sup>  
ba-ḥun

## الترجمة:

### الوجه

١٥ سارية بيضاء

من نيقوم ..

بوزور - اوتو

مراقب النسيج

٥- تسلّم

### القفا

مكان فارغ

١٠- السنة (التي) نُصب (فيها) كاهن مدينة اريدو

### المعنى العام

نص يتضمن استلام ١٥ سارية بيضاء من قبل مراقب النسيج .

### شرح المفردات

السطر الاول : dim-babar<sub>2</sub> : مصطلح سومري يعني سارية بيضاء أو رباط ابيض، وهو مكون من الـ (dim) كلمة سومرية تعني (سارية، عمود، رباط)، تقابلها في اللغة

الاكديّة (dimtu/ dimmu)، والـ (babar<sub>2</sub>)، كلمة سومرية تعني ابيض بالاكديّة (peṣû)، للمزيد ينظر:

MDA,p. 81; 372; CAD-E,p. 183.

السطر الثالث: puzur<sub>4</sub>-<sup>d</sup>utu: أسم علم سومري مؤلف من مقطعين المقطع

الاول (puzur<sub>4</sub>) بالاكديّة (puzuru) والذي يدخل في تركيب العديد من اسماء الالهة والاسماء الشخصية ويعني سر او حماية، والمقطع الثاني (<sup>d</sup>utu) الإله اوتو بالاكديّة شمش، فيكون معنى الاسم سر/ حماية الإله اوتو، ينظر:

Gelb,I,J.,MAD-III,p.221; CDA, p. 280; Owen, D,I,& Mayr,R.,CUSAS-3,p.509; MDA,p.163; Vito,R,A.,Studies in third millennium Sumerian and Akkadian personal names,Roma (1993),p.178:137; Higert, M., Akkadisch..., Op.cit, p.598.

ugula: أسم مهنة سومرية تعني مراقب/ وكيل ويرادفه في اللغة الاكديّة (aklu)، تأتي مهنة الـ (ugula) في التسلسل الوظيفي بعد وظيفة الـ (nu-banda<sub>3</sub>) ويكون مسؤولاً على مجاميع العمال في مختلف المجالات سواء الزراعية منها أو الصناعية أو التجارية، إذ ذكرت النصوص المسمارية أصنافاً عديدة من العمال أو أصحاب المهن يكون الوكيل مراقباً عليهم كالتباخين والنساجين والملاحين والمزارعين وغيرهم . للمزيد ينظر : MDA,p.135;CAD-A/1,p.277; Schramm,w.,GAAL-4,p.165;Legrain, L.,UET-III,p181; Falkenstein,A.,NG-III,p.171f.

المتولي، نواله احمد محمود، مدخل الى دراسة ...، مصدر سابق، ص ١٤٤.

uš-bar : تعني نسيج يقابله في اللغة الاكديّة (išpartu)، وقد أشارت النصوص المسمارية الاقتصادية إلى أن أغلب القوى العاملة في صناعة النسيج كانت من النساء، ولم تكن النساجات من طبقة اجتماعية واحدة، بل كان منهن أحراراً، وكان للإماء دوراً كبيراً في انجاز تلك الأعمال، كما أن بعض الكاهنات كن يمارسن أعمال الحياكة والنسيج داخل المعبد احياناً، فضلاً عن معظم الرجال. ينظر:

MDA,p.231; Schramm,w.,GAAL-4,p.57; CDA,p.134.

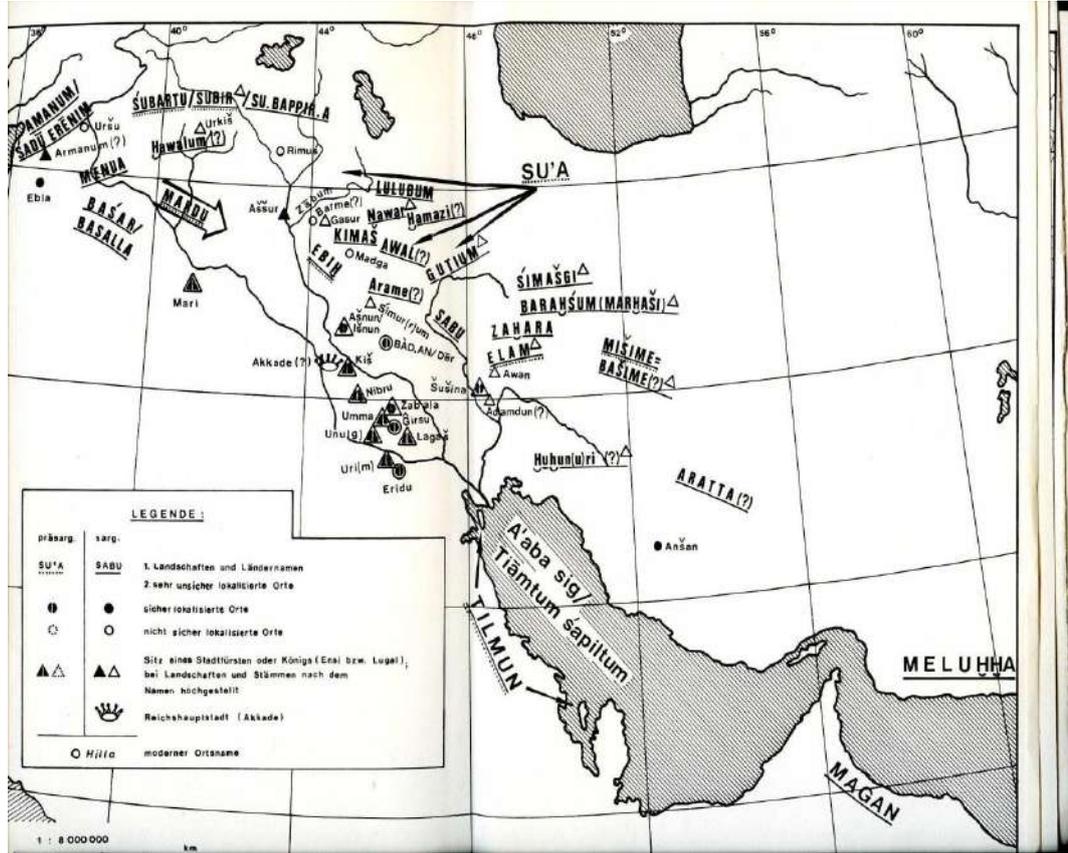
ألحسناوي، فائز هادي علي، المهن الاقتصادية في....، مصدر سابق، ص ١١٩.

فيكون المعنى بوزور ادد مراقب النسيج.

## الاستنتاجات

- ١- جميع النصوص التي تم دراستها هي نصوص ذات مضامين اقتصادية من مجموعة النصوص التي تمت مصادرتها من المتحف العراقي.
- ٢- تنوع مضامين النصوص ما بين حبوب الشعير وزيت الخنزير كمتطلبات لرأس السنة الجديدة، وما بين الجداء التي تتغذى على المراعي والحمام البري كضرائب ملكية الى مدينة نفر، فضلاً عن ذلك نص يتضمن سارية بيضاء اللون.
- ٣- تميزت نصوص الدراسة بأنها شملت بين ثناياها أسماء موظفين وإداريين بمناصب مختلفة وهم: الوزير الاعظم، المراقب، مراقب النساجين، الوسيط.
- ٤- ورد أسم مدينة كاسور وهي من اسماء المدن النادرة والقليلة الظهور في النصوص المسمارية.
- ٥- اتضح من خلال دراسة أسماء الاشخاص الواردة في النصوص أن معظمها متكون من مقطعين أو أكثر بعضها متطابق في اللفظ والمعنى، كما اشتملت بعضها على أسماء آلهة وملوك وقد توزعت بين الأسماء السومرية.
- ٦- تنوع أسماء الأشهر الواردة في نصوص البحث.

دراسة نصوص مسمارية غير منشورة من سنة تنصيب كاهن مدينة اريدو (٢٠٤٠-٢٠٣٩ ق.م)



RGTC-1, p.252.

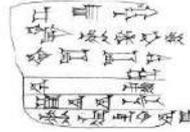
خريطة رقم (١) مدينة اريدو ومدينة كاسور، ينظر:

الاستنساخات

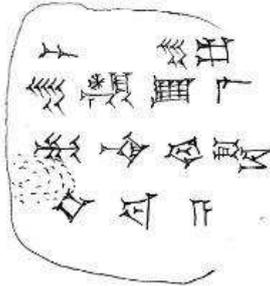
I.M. 226974



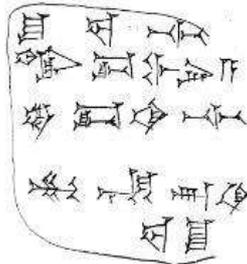
5-



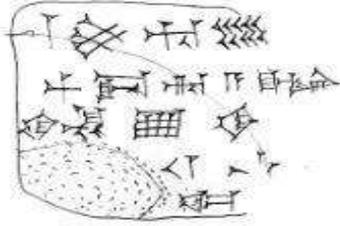
I.M. 235602



5-



I.M. 117



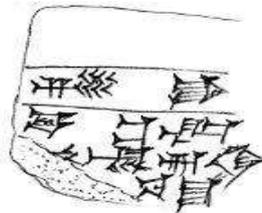
5-



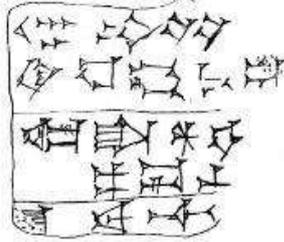
I.M. 226753



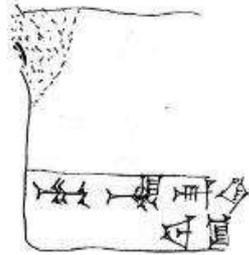
5-



I.M. 221807

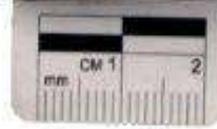
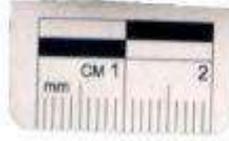


5-



الصور

I. M. 226974



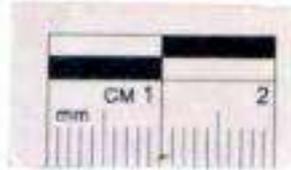
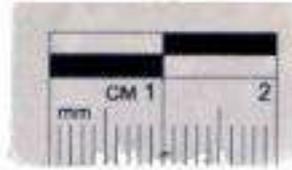
## I. M. 235602



I·M·117



I. M. 226753



I. M. 221807



المصادر العربية

القرآن الكريم

- ١- أمين، سعد عمر محمد، القرابين و النذور في العراق القديم، بغداد ٢٠١١.
- ٢- باسمة، جليل عبد، الذهب، اميرة عيدان، نصوص مسمارية غير منشورة في المتحف العراقي (السلسلة الاكديّة) - الجزء الاول، بغداد ٢٠١٥.
- ٣- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، بغداد، ١٩٨٦.
- ٤- عامر، سليمان، اللغة الاكديّة، (البابلية - الآشورية) تاريخها وتدوينها وقواعدها، الموصل، ١٩٩١.
- ٥- رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٧٩.
- ٦- رشيد، فوزي، اقدام الكتابات المسمارية المكتشفة في حوض سد حمرين، الموصل، ١٩٨٢.
- ٧- رشيد، فوزي، قواعد اللغة السومرية، دمشق، ٢٠٠٩.
- ٨- زويد، وفاء هادي، نصوص النفقات من العصر السومري الحديث (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠١٢.
- ٩- سجي، مؤيد عبداللطيف، قواعد اللغة السومرية في ضوء سلالة لكش الأولى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٤.
- ١٠- صالح، قحطان رشيد، الكشاف الأثري في العراق، الموصل، ١٩٨٧.
- ١١- التكريتي، سليم طه، "اقتصاد الدولة في سومر"، سومر، مج٢٩، بغداد، ١٩٧٣.
- ١٢- الزيدي، أبا ذر راهي سعدون، نصوص مسمارية غير منشورة في المتحف العراقي من عصر سلالة أور الثالثة (٢٠١٢-٢٠٠٤ ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠١٠.
- ١٣- المتولي، نواله احمد محمود، مدخل إلى دراسة الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٤- الموسوي، سالم حسن، الكور الملكي في نصوص غير منشورة من عصر أور الثالثة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ٢٠٢٣.

المصادر الاجنبية:

- 1- Bidmead, J., The Akiti Festival ,Gorgias Dissertations Near Estern Studies, Vol-2 , U.S.A(2004)
- 2- Civil, M., Elementary Sumerian Glossery, Rome, (1987).

- 3- Cohen,M,E., The cultic Calendars of the Ancient Near East, Maryland, (1993).
- 4- Edzard, D. O., Sumerian Grammer, Leidon, (2003).
- 5- Gomi,T&Sato,S., "Selected Neo-Sumerian Administrative Texts from the British Museum",SNAT,Chiba(1990).
- 6- Gomi,t.,(A note on gure capacity unit of the Ur III period), ZA-83, (1993).
- 7- Halloram, J.A., Sumerian Lexicon, Los Angeles, (2006).
- 8- Legrain,L., Business Documents of the Third Dynasty of Ur" UET-III, London, (1947).
- 9- Landsberger,B.,Der Kultische Calender und Assyer,LSS-VI/1-2, Leipzig,(1968).
- 10- Lewis,B.&Elizabeth,J.R., "Sumerian Economic text from the Robert hull Fleming Museum of the university of Vermont" ASJ-4 Japan, (1982).
- 11- Leick, G., A Dictionary of Ancient near Eastern mythology London & New York, (1991).
- 12- Lloyd, S., ERIDO, Baghdad, 1982.
- 13- Lafont,B.,&Yildiz,F., Tabletes Cunéiformes De Tello As Musée D'Istanbul Datant de l'époque de la III Dynastie Ur TCT-II, Belgium (1996).
- 14- Lafont,B.,&Yildiz,F., Tabletes Cunéiformes De Tello As Musée D'Istanbul Datant de l'époque de la III Dynastie Ur TCT-II, Belgium (1996).
- 15- Molina,M.,Testi Amministrativi Neosumerici Del British Museum MVN-XXXII, Roma, (2003).
- 16- Owen, D.I.,& Mayr,R. Cuneiform Texts in the Arizona state Museum, Tuson", JCS-52/2, (2000).
- 17- Oppenheim,L., Catalogue of the Cuneiform Tablets of The Willberforce Eames Babylonian collection" AOS-32,(1948).
- 18- Keiser,C,E., Neo-Sumerian Accounts from Drehem, (BIN-III), New haven & London, (1970).
- 19- Thomsen, M. L., The Sumerian Language, VoL-10, Copenhagen , (1984).
- 20- Steinkeller, P., Sale documents of the Ur-III- period FAOS-17, Stuttgart, (1989).
- 21- Sigrist, M., Drehem, Bethesda, 1992
- 15- Watson,P,J Birmingham city museum CCT-1 ,England , (1988)
- 16- Whiting ,R,M., "Some Observention on the Drehem Calender",ZA-69,(1970).
- 17- Hilgert,M. Akkadisch in der Ur III – Zeit, Münster, (2002).
- 17- Ranke,H., Early Babylonian Personal Names from The published Tablets of the So called Hammurabi Dynasty, (BE-III) Philadelphia, (1905).

مركز التعليم المستمر ودوره في تنمية الموارد  
البشرية والعلمية والبحثية في جامعة بغداد  
للمدة ١٩٨٣-١٩٩٠

أ.م.د. سعد محمد علي حسين

جامعة ديالى / كلية التربية الاساسية



## مركز التعليم المستمر ودوره في تنمية الموارد البشرية والعلمية والبحثية في جامعة

بغداد للمدة ١٩٨٣-١٩٩٠

أ.م.د. سعد محمد علي حسين

### الملخص

يكتسب العنصر البشري أهمية متعاظمة ومتميزة في ظروف التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة والمستدامة، على اعتبار أن تكوين رأس المال البشري يمثل الاساس في كل تنمية وتطور لكونه الموجه والمسيطر على رأس المال المادي، الذي يشكل بدوره العنصر الآخر من عناصر البناء، سيما ان العنصر البشري بطبيعته يعمل بنحو أو بأخر على جعل نتاجاته وانجازاته المادية والعلمية والفكرية متأثرة به، ان لم نقل منحازة لتكويناته وشخصيته ونظراته لكثير من اهتماماته، ومن هنا تتضح أهمية التعليم والتعليم الجامعي بنحو خاص في تكوين العناصر البشرية العلمية والمنتجة، التي يتميز دورها في تحديد حجم ونوعية المتطلبات البشرية المؤهلة والقادرة على استيعاب متطلبات التنمية والقيام بمهامها والتزاماتها، مما يجعل التعليم الجامعي عاملاً حيوياً في التغييرات الاجتماعية البنوية في ضوء احتياجات الدولة والمجتمع الامر الذي عمل عليه في مركز التعليم المستمر في جامعة بغداد للمدة ١٩٨٣-١٩٩٠. على الرغم من ذلك فان استمرار عمل المركز بنحو صحيح يتطلب الانفتاح والاطلاع على تجارب الاخرين وتطورها على مستوى التعليم المستمر وبعبكسه تصبح أنشطة المركز أنشطة ادارية لا تتوافق مع متطلبات العلمية والتنمية وتطور الدولة والمجتمع.

## Abstract

The human element acquires growing and distinct importance in the conditions of comprehensive and sustainable economic and social development, given that the formation of human capital represents the basis of all development and development because it directs and controls material capital, which in turn constitutes the other element of the building elements, especially since the human element by its very nature works. In one way or another, we make his material, scientific and intellectual productions and achievements influenced by him, if we do not say biased towards his formations, his personality, and his view of many of his interests. Hence, the importance of education and university education becomes clear in particular in the formation of scientific and productive human elements, whose role is distinguished in determining the size and quality of qualified human requirements. And capable of absorbing the requirements of development and carrying out its tasks and obligations, which makes university education a vital factor in the structural social changes in light of the needs of the state and society, which was achieved in the Center for Continuing Education at the University of Baghdad for the period 1983-1990. Despite this, the center continues to function properly. It requires openness and knowledge of the experiences of others and their development at the level of continuing education. On the contrary, the center's activities become administrative activities. Do not comply with the requirements of scientific development and development of the state and society.

## المقدمة :

يكتسب العنصر البشري أهمية متعاظمة ومتميزة في ظروف التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة والمستدامة، على اعتبار أن تكوين رأس المال البشري يمثل الاساس في كل تنمية وتطور لكونه الموجه والمسيطر على رأس المال المادي، الذي يشكل بدوره العنصر الآخر من عناصر البناء، سيما ان العنصر البشري بطبيعته يعمل بنحو أو بأخر على جعل نتاجاته وانجازاته المادية والعلمية والفكرية متأثرة به، ان لم نقل منحازة لتكويناته وشخصيته ونظراته لكثير من اهتماماته، ومن هنا تتضح أهمية التعليم والتعليم الجامعي بنحو خاص في تكوين العناصر البشرية العلمية والمنتجة، الذي يتميز دورها في تحديد حجم ونوعية المتطلبات البشرية المؤهلة والقادرة على استيعاب متطلبات التنمية والقيام بمهامها والتزاماتها، مما يجعل التعليم الجامعي عاملاً حيوياً في التغييرات الاجتماعية البنوية في ضوء احتياجات الدولة والمجتمع، كوحدة مترابطة ومتفاعلة في تحقيق الاهداف المشتركة، ومما اسهم في ذلك ان العنصر البشري في الجامعة المتمثل بالهيئات التدريسية وكوادرها الادارية وغيرهم قد لا يتمكنون من تحقيق ذلك الا إذ عملت الجامعة على تطوير قدراتها واهدافها ووسائلها بما يتلائم مع المجتمع وحاجاته، الأمر الذي سيتم التطرق اليه في هذا البحث، في ضوء ما تم تنفيذه من خطط وبرامج للتعليم المستمر في جامعة بغداد بعد تأسيس مركز التعليم المستمر في الجامعة عام ١٩٨٣.

قسم الموضوع إلى مبحثين الأول بعنوان (تأسيس مركز التعليم المستمر في جامعة بغداد واهدافه) والثاني بعنوان (تطور التعليم المستمر في جامعة بغداد ١٩٨٣-١٩٩٠).

أتبع الباحث المنهج البحثي الوصفي التاريخي العلمي، عن طريق عرض الانشطة التي قام بها مركز التعليم المستمر في جامعة بغداد من دورات وبرامج لاحداث التطورات البحثية والعلمية لاحداث التطور المطلوب واخضاعها للمنهج التاريخي التحليلي، لتوضيح تلك التطورات وفقاً لرؤيتها التاريخية والعلمية، واعتمد الباحث في بحثه على الوثائق الرسمية التي قام المركز بنشرها لتوضح انشطته والخطط التي اتبعها المركز في جامعة بغداد، وتضمن البحث الخاتمة التي تضمنت ابرز الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث.

## المبحث الأول

### تأسيس مركز التعليم المستمر في جامعة بغداد وأهدافه

عدّ التعليم المستمر واحداً من الوسائل المهمة في التطورات العلمية والادارية والتنظيمية، وقد شرعت أغلب الدول في وضع البرامج أو الخطط اللازمة لتطور تلك الوسائل لتجاوز البعض من مظاهر التخلف العلمي والتقني، وفي الوقت نفسه محاولة لتضييق الهوة بينها وبين الدول المتقدمة وتغذية الفكر التتموي والتحليل العلمي وتطوره<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى في هذا من تأثير الجانب السياسي، وما ترسب عنه من سياسات وسيطرة الدول المتقدمة والكبرى من الابقاء على الآثار السلبية للتبعية السياسية لها، فحول العالم الثالث، أو الأقل تقدماً على الرغم من كونها مستقلة دستورياً نجدها في الاحيان تفقد الأسس الصحيحة لاستقلال قرارها السياسي واختيارها الوطني، كأشكال مناقضة للتطورات التي يمكن العمل بها أو تحقيقها في البلاد وفي مقدمتها التطورات ذات العلاقة بالتطور التعليمي والعلمي وتنظيمه<sup>(٢)</sup>، مما افصح عن أهمية الوسائل ذات العلاقة بتلك التطورات ومنها التعليم المستمر في الجامعات لوضع الأسس الصحيحة للتنمية المستدامة وتحديد حجم ونوع النشاط التعليمي والعلمي كصفة لهذا التعليم تميزه عن غيره الأنشطة الأخرى، وكإشكالية للتنمية نفسها من حيث أبعادها في تنمية العنصر البشري في الجامعة، كونه كهدف ووسيلة عملية تغيير تشمل الاساتذة الجامعيين ومن معهم في المؤسسة التعليمية لاحداث التطور المستمر<sup>(٣)</sup>، مما افضى إلى اهتمام الدول والمؤسسات العلمية إلى منحه الاهتمام الواضح ووضع اللوائح الخاصة به وانفاق الاموال الكثيرة من اجل تنمية عناصرها وتطور قدراتهم<sup>(٤)</sup>، ومع ذلك فان هذا التعليم يعتمد على نوع العنصر البشري وعن طبيعة قدرته في استيعاب وإدراك مضامينه النظرية والعلمية والعملية بما يحقق أهداف التنمية البشرية والعلمية وتطورها<sup>(٥)</sup>.

اسهم التطور السريع في التقنيات الفنية والاستكشافات العلمية الحديثة والنمو الاقتصادي في هذه المرحلة، في توصيف أهداف التعليم المستمر وتوجيهه لغرض تطور

الملاكات العلمية والتدريسية والادارية والفنية بما يخدم اختصاصاتها وانشطتها المختلفة، وعد العراق من الدول العربية الرائدة في مجال التعليم المستمر، إذ بدأ العمل به منذ عقد السبعينيات من القرن الماضي كمصطلح لتوضيح الأنشطة والاعمال ذات العلاقة بين الاقسام العلمية والمتخصصة في الجامعات والمعاهد العلمية المتقاربة والمرادفة لها، لغرض تحقيق المتطلبات العلمية وسد النقص الحاصل فيها وفقاً للمتطلبات العلمية والتعليمية<sup>(٦)</sup>.

تأسس مركز التعليم المستمر في جامعة بغداد عام ١٩٨٣، وقد ارتبطت اسبابه بتحقيق أهداف هذا التعليم، الذي افترض استحداث وحدات خاصة به في الجامعة والكليات المرتبطة بها والاقسام والفروع العلمية ويكون ارتباطها بمكتب رئيس الجامعة للشؤون العلمية كونه الجهة المناسبة والاقرب لتحقيق مستلزمات، سواءً على مستوى التدريس، والبحث العلمي<sup>(٧)</sup>، وجاء في تخصصه اجراء البحوث والدراسات العلمية والفنية، كركن اساس في مسؤوليات الادارة الجامعية وكلياتها لاحداث التطورات المناسبة في العنصر البشري والارتقاء بالمعرفة العلمية والمهارية وتحسين الاداء، بما يحقق التطور على مستوى الدولة والمجتمع، الذي يمكن تحقيقه عن طريق إقامة الدورات التدريبية والتأهيلية للاختصاصات العلمية والانسانية لمنتسبي الجامعة وكوادرها التدريسية ومؤسسات الدولة الأخرى، ورفد المؤسسات الحكومية بالكوادر ذات العلاقة بتطوير أنشطتها الادارية والفنية، فالتعليم بطبيعته عملية موجهة لتأهيل وتطوير امكانات العنصر البشري وتأكيد مسؤوليته في العملية التنموية في البلاد<sup>(٨)</sup>، مما يؤكد على قدرة الإنسان ودوره على الابداع والتطوير، في المجتمعات والأنشطة العلمية والاقتصادية التي تعني بنمو وتطوير المجتمع وتحديد مساراتها واتجاهاتها، وهكذا يتحول التعليم المستمر إلى صيغة للتنمية المستمرة بهدف نقل المجتمع من أوضاع التخلف ليصبح قادراً على الانطلاق نحو النمو والتقدم<sup>(٩)</sup>.

وبذلك تتمحور اهداف التعليم بما يأتي :

- ١- تطوير التعليم الجامعي ما يجعله متوافقاً مع أحدث الأساليب المتبعة في الدول المتطورة.
- ٢- تدريب أعضاء الهيئة التدريسية على أساليب التدريس الحديثة، وتأهيلهم لاستعمال التقنيات التربوية المتنوعة.
- ٣- زيادة مهارات العاملين في الوسط الجامعي للأرتقاء بمستوى أدائها.
- ٤- إقامة دورات التعليم المستمر بالاختصاصات كافة، وبما يدعم شعار (الجامعة في خدمة المجتمع)<sup>(١٠)</sup>.
- ٥- إصدار التقارير والنشرات والدوريات والمجلات العلمية والتربوية.
- ٦- عقد الندوات والمؤتمرات واللقاءات العلمية وتقديم البحوث التي تخص جوانب التطوير الإداري.
- ٧- بناء علاقات تعاون مع الجامعات العالمية في مجال تدريب أعضاء الهيئات التدريسية، وتبادل الخبرات في مجال العمل المؤسساتي.
- ٨- إعداد الأبحاث والدراسات العلمية والإنسانية الخاصة بتطوير التعليم الجامعي، والمنظومة التعليمية، وإرساء قاعدة لبناء نظام الجودة، والاعتماد الأكاديمي بما يرتقي إلى الإلتزام بالمعايير الدولية للتعليم في الجامعات<sup>(١١)</sup>.
- ٩- تطوير طرائق التدريس الجامعي وفقاً للأساليب والمعايير الحديثة بهدف الارتقاء بمستوى التعليم الجامعي.
- ١٠- تقديم الاستشارات العلمية والفنية والتربوية في حقل الاختصاص للكليات والأقسام العلمية والإنسانية.
- ١١- نشر مفاهيم تطبيق تقنيات المعلومات والاتصالات في منظومة التعليم الجامعي، ودعم المشاريع ذات العلاقة، وإعداد البرامج التأهيلية والتدريبية بمختلف الاختصاصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية، وموظفي الجامعة، وتنظيم الندوات، وورش العمل، والتواصل مع منتسبي مؤسسات الدولة، وأعضاء منظمات المجتمع المدني<sup>(١٢)</sup>.

## المبحث الثاني

### تطور التعليم المستمر في جامعة بغداد ١٩٨٣-١٩٩٠

كان من الطبيعي أن تقوم الجامعة بتطوير وتعزيز دور المركز، وكان شعارها عام ١٩٨٣-١٩٨٤ (الجامعة في خدمة المجتمع) الركيزة التي اعتمدت عليه في مجال تنظيم وإدارة التعليم المستمر في الجامعة في تلك السنة فتم وضع المناهج لأكثر من (٥٠) دورة وفي مختلف لاختصاصات العلمية والانسانية والعلوم الاخرى ومنها (الهندسية، والطبية والبيطرية والتربوية والنفسية<sup>(١٣)</sup>)، ورافقها أيضاً عقد الندوات والمؤتمرات المشتركة والمحاضرات مع الجمعيات العلمية ومؤسسات الدولة في البلاد . وتبعاً لتتوسع واتساع لنشاطاته فقد قسم المركز غلى عدة وحدات ادارية هي<sup>(١٤)</sup>:

١- وحدة التخطيط والمتابعة والبرمجة (الدليل).

٢- وحدة التقويم والمتابعة (التقرير السنوي).

٣- وحدة الدورات المتخصصة.

٤- وحدة الشؤون المالية.

استمر المركز في نشاطاته العلمية والبحثية، فقد نفذت كليات ومراكز جامعة بغداد في السنة نفسها (٨١) نشاطاً للتعليم المستمر شملت الحلقات الدراسية والثقافية والمؤتمرات ذات العلاقة بالبحث والتطور العلمي والمجتمعي، وتوسع عمل المركز ليصل إلى (١٥٧) نشاطاً في السنة نفسها، كما اشتركت كليات أخرى لأول مرة في هذه الانشطة ومنها الادارة والاقتصاد و الاداب والشريعة والعلوم بالتعاون مع كليات اخرى لتنفيذ برامج وخطط مركز التعليم المستمر في الجامعة، واعقبها في السنة الدراسية ١٩٨٥-١٩٨٦، تضاعف حجم النشاط حتى وصل إلى (٣٤٧) دورة وحلقة دراسية وعدد من المؤتمرات واستضافة عدد من الباحثين المختصين لالقاء المحاضرات المتخصصة في هذا التعليم واعقبه في عام ١٩٨٦ تأسيس (مركز طرائق التدريس) من قبل الجامعة كحلقة جديدة في التعليم المستمر وتطوريه<sup>(١٥)</sup>.

يمكن القول أن تحقيق القدرة على مواكبة الانجازات العلمية الخارجية يفترض تنوع بالفلسفة التعليمية في التعليم الجامعي في ضوء توافر القاعدة العلمية ونقل المعلومات والتطورات البحثية الجديدة بما يتوافق مع المدخلات العلمية في العراق والحاجات المستقبلية له في مجالات كافة بمعنى جعل تلك الاتجاهات الحاضنة للبحث والتطور والتواصل مع المنجزات والمؤسسات العلمية ومراكز الابحاث في مجال البحث العلمي المخطط<sup>(١٦)</sup> وبذلك تتحول تلك الاتجاهات إلى عناصر اساسية ومؤثرة في البناء الاجتماعي للمجتمع ويصبح التعليم كالاقتصاد والسياسة والدين يعمل ويؤدي دوره الفاعل في تغيير العناصر البنيوية والمؤسسية للمجتمع<sup>(١٧)</sup>.

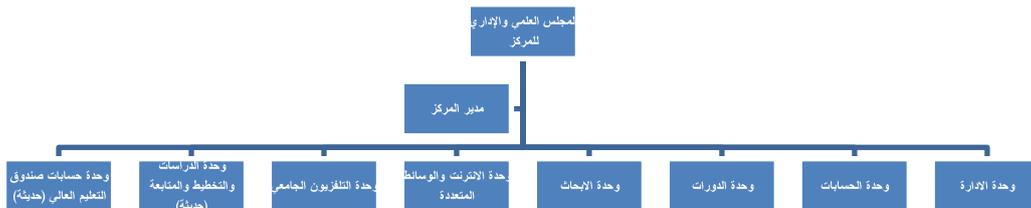
استمر حجم الانشطة للمركز ووصل إلى (٤٣٧) نشاطاً في العام الدراسي ١٩٨٦-١٩٨٧، وبلغ عدد الذين انظموا إلى دورات المركز وحسب احصائيات السنة الدراسية ١٩٨٦-١٩٨٧ لوحدها اكثر من ثلثي عدد المتخرجين من الجامعة وفي العام الدراسي ١٩٨٧-١٩٨٨ تضمن برنامج الجامعة اقامة (٤٥٠) نشاطاً في مجال تنظيم وادارة التعليم المستمر شملت الدورات الادارية والندوات البحثية والحلقات الدراسية ذات العلاقة بالتطور العلمي والاكاديمي المبرمج والمنظم<sup>(١٨)</sup>، مما اكسب التعليم في المركز أهمية لدوره في تنمية الموارد البشرية وتطورها ومنحها المرونة المطلوبة لمهارات العمل الجامعي والقدرات المكتسبة، التي لا بد ان تؤدي إلى الاستثمار في رأس المال البشري، للنمو الاقتصادي المتسارع في ضوء استيعاب التطورات العلمية والتكنولوجية المتزايدة واستعمالها بكفاءة، وهو ما توضح في الدول الاقل تقدماً، أو الدول التي لا زالت في اطوار النمو والتقدم، وفي الوقت نفسه أظهر أهميته كعنصر مهم في كسب الزمن لاختصار التخلف الحضاري<sup>(١٩)</sup>، وقد اظهرت احد الدراسات التي قام بها مجموعة من اساتذة علماء الاجتماع في مدينة (لينينغراد)، الاتحاد السوفيتي السابق في احد السنوات، أن أثر التعليم المستمر وتطوره لما له من تأثير على إنتاجية العمل، وهذه النسبة تتزايد باستمرار، كلما ارتفع مستوى التعليم وتطوراته للعنصر البشري<sup>(٢٠)</sup>.

ولما سبق نجد ان التعليم المستمر، يرتبط بقضية تنمية الموارد البشرية، التي أضحت من أهم القضايا كونها ((العملية الضرورية لتحريك وصقل وتنمية القدرات والكفاءات البشرية في جوانبها العلمية والعلمية والسلوكية ... فهي وسيلة تعليمية لزيادة المعارف والمعلومات، ووسيلة تدريسية للتزود بالطرائق العلمية والاساليب المتطورة للاداء الامثل والخبرات الاضافية والمهارات الذاتية، فضلاً عن كونها وسيلة سلوكية تعيد تشكيل السلوك الانساني ومنحه الفرصة لإعادة النظر في سلوكه الوظيفي والاجتماعي<sup>(٢١)</sup>. وهي من السعة والشمول تعمل على إعادة تشكيل الإنسان وعلى نحو اكثر ايجابية ، بعدها العملية التي تتصف بالعمومية (Generality) والرسمية (Formality) التي يتزود بموجبها الإنسان بمعلومات تفسيرية وتعليمات عامة بحيث تصبح الأسس التي يعتمد عليها الفرد في اختصاصاته لتطور مهاراته المختلفة ومعرفة الاشياء التي تساعده على حل المشكلات ومجابهة المواقف المختلفة في حياته الخاصة والعامة<sup>(٢٢)</sup>، فضلاً عن تنمية قدراته (Development) لتحسين مكانته الوظيفية ولإداء الواجبات الاضافية، أو مسؤوليات الأوسع والأدق، مما اضفى عليها صفة الاستمرار وعدم التوقف<sup>(٢٣)</sup>، ان لم نقل تزويد الفرد بالطريقة أو الأسلوب، التي يؤدي بمقتضاها عملاً ما وبذلك يتحول التعليم المستمر إلى أسلوب حياتي للعمل على تنمية القدرات الذاتية والعلمية.

وتبعاً لما قام به مركز التطور والتعليم المستمر، اصبح المركز يتألف للمدة ١٩٨٦-١٩٩٠، من الوحدات الادارية الآتية، وكما موضح في الرسم البياني رقم (١).

رسم بياني (١) يمثل هيكلية مركز التطوير والتعليم المستمر في جامعة بغداد للسنوات

(١٩٨٦-١٩٩٠)



وللمدة نفسها اصبح المركز يتكون من الاقسام العلمية الآتية وكما موضح في جدول رقم (٢)<sup>(٢٤)</sup>

ت	الوحدات	الملاك حسب الهيكلية		الموجود الفعلي	
		التدريسيين	الموظفين	التدريسيين	الموظفين
١-	مدير المركز	١	-	-	-
٢-	وحدة الأبحاث	٧	٤	٦	٢
٣-	وحدة الدورات	٢	٦	٣	٣
٤-	وحدة الانترنت	١	٤	١	٤
٥-	وحدة التلفزيون الجامعي	٣	١٢	٣	٢
٦-	وحدة الإدارة	-	٨	-	٧
٧-	وحدة الحسابات	-	٤	-	٣
٨-	وحدة الدراسات والتخطيط	٢	٢	٢	٢
٩-	وحدة حسابات صندوق التعليم العالي	-	١	-	١

ولتوثيق الانشطة التي قام بها مركز التعليم المستمر في الجامعة وحسب الوثائق التي قام المركز بنشرها مدة البحث وحسب تسلسلها الزمني نورد الجداول الآتية

جدول رقم (٣)<sup>(٢٥)</sup> يبين عدد الدورات التي نفذها مركز التعليم المستمر في الكليات

ومراكز البحوث في جامعة بغداد لعامي (١٩٨٦-١٩٨٧)

١٩٨٧		١٩٨٦		الكليات ومراكز البحوث
عدد المشاركين	عدد الدورات	عدد المشاركين	عدد الدورات	
١٣	٣	٥٨	٤	كلية الشريعة
٤٨	١	-	-	كلية القانون

٥٢٢	١١	٤٧٢	١٤	كلية الهندسة
١٧٦	٢٠	١٨٤	١٦	كلية التربية
٣١٢	٢٢	٢٠٠	٢٠	كلية الطب
١٢٥	٧	١١١	٦	كلية الصيدلة
١٨٧	١٥	٣٧٢	١٨	كلية الإدارة والاقتصاد
٥٤٨	٢٨	٢٣٠	٢٣	كلية الآداب
٥٠٢	٣١	١٠٨٢	١٩	كلية العلوم
٢٦٨	٢٣	٦٣١	٣٦	كلية الزراعة
٥٣	١٤	٦٨	٨	كلية طب الاسنان
٩١	١٠	٧٩	٩	كلية الطب البيطري
١٨	٣	١٦١	١٠	كلية التربية الرياضية
٦٠	١٤	٣٢	٤	كلية الفنون الجميلة
٣٥	٤	٦٨	٦	كلية التمريض
٣٥	٦	-	-	كلية التربية للبنات
١٤	٢	١٤	٢	متحف التاريخ الطبيعي
٨٩	٣	-	-	مركز البحوث التربوية والنفسية
-	-	١٣٠	٥	مركز التخطيط الحضري والاقليمي
٦٤	٣	٥٦	٢	مركز احياء التراث العلمي العربي
١٢	٢	-	-	مركز الدراسات الفلسطينية
١١٤	٦	-	-	مركز الحاسبة الالكترونية

٥٦	٥	١٠٨	٥	المكتبة المركزية
٨٣	٢	٥٤	١	مركز التعليم المستمر
٣٤٢٥	٢٣٥	٤١١٠	٢٠٨	المجموع

جدول رقم (٤)<sup>(٢٦)</sup> يبين عدد الدورات التي نفذها مركز التعليم المستمر في الكليات ومراكز البحوث في جامعة بغداد من (١/٥-٢٠/٦/١٩٨٧)

-		-		الكليات ومراكز البحوث
عدد المشاركين	عدد الدورات	عدد المشاركين	عدد الدورات	
-	-	-	-	كلية الشريعة
-	١	-	-	كلية القانون
-	-	١٩	١	كلية الهندسة
-	-	-	-	كلية التربية
-	١	٦	٢	كلية الطب
-	١	٤	١	كلية الصيدلة
-	-	-	-	كلية الإدارة والاقتصاد
-	٦	١٥١	١٠	كلية الآداب
-	٢	١٩	١	كلية العلوم
-	-	٤٣	٥	كلية الزراعة
-	-	-	-	كلية طب الاسنان
-	٥	٧	٢	كلية الطب البيطري
-	-	٢٣	١	كلية التربية الرياضية
-	-	١٥	١	كلية الفنون الجميلة
-	٢	-	-	كلية التمريض
-	٣	-	-	كلية التربية للنبات
-	-	-	-	كلية اللغات

-	-	-	-	كلية العلوم السياسية
-	-	٦	١	متحف التاريخ الطبيعي
-	-	٢٠	١	مركز البحوث التربوية والنفسية
-	١	١٣	١	مركز التخطيط الحضري والاقليمي
-	-	-	-	مركز احياء التراث العلمي العربي
-	-	-	-	مركز الحاسبة الالكترونية
-	-	-	-	المكتبة المركزية
٠	٢٢	٣٢٧	٢٧	المجموع

جدول رقم (٥)<sup>(٢٧)</sup> يبين عدد الدورات التي نفذها مركز التعليم المستمر في الكليات ومراكز البحوث في جامعة بغداد من (١/١-٢٩/٢/١٩٨٨)

الكليات ومراكز البحوث والدوائر		عدد الدورات	عدد المشاركين	عدد الدورات	عدد المشاركين
كلية الشريعة	٢	٤	-	-	
كلية القانون	-	-	-	-	
كلية الهندسة	١	١٢	٣	٤٥	
كلية التربية	٥	٥٤	-	-	
كلية الطب	٤	٣٦	٤	٤٧	
كلية الصيدلة	١	١٥	٢	٥٩	
كلية الإدارة والاقتصاد	٢	٢١	٢	٢٠	
كلية الآداب	-	-	١	٢٦	

٧١	٣	٢٣	٢	كلية العلوم
٥٦	٧	٧٥	٨	كلية الزراعة
-	-	-	-	كلية طب الاسنان
٣٦	٤	٤٨	٤	كلية الطب البيطري
٣٤	٤	٤٣	٥	كلية التربية الرياضية
-	-	٤	٢	كلية الفنون الجميلة
-	-	٨	١	كلية التمريض
-	-	٨	١	كلية التربية للنبات
-	-	-	-	كلية اللغات
-	-	-	-	كلية العلوم السياسية
-	-	٥	١	متحف التاريخ الطبيعي
-	-	-	-	مركز البحوث التربوية والنفسية
٢٠	١	-	-	مركز التخطيط الحضري والاقليمي
-	-	١١	١	مركز احياء التراث العلمي العربي
١	١	٨	١	مركز الحاسبة الالكترونية
١١	١	١٤	١	المكتبة المركزية
٤٤٠	٣٣	٣٨٩	٤٢	المجموع

جدول رقم (٦)<sup>(٢٨)</sup> يبين عدد الدورات التي نفذها مركز التعليم المستمر في الكليات ومراكز البحوث في جامعة بغداد من (٣/١-٢٠/٤/١٩٨٨)

-		-		الكليات ومراكز البحوث
عدد المشاركين	عدد الدورات	عدد المشاركين	عدد الدورات	
٧	١	١٧	٢	كلية الشريعة
-	-	-	-	كلية القانون
١٤٠	٣	٧٢	٣	كلية الهندسة
٣٠	٣	٢١	٣	كلية التربية
٢١	٢	٧٩	٦	كلية الطب
١٨	١	٨	١	كلية الصيدلة
٢٦	٢	١٠٥	٨	كلية الإدارة والاقتصاد
٧٢	٨	٩٠	٦	كلية الآداب
١١١	٥	٦٢	٥	كلية العلوم
١٠٦	٩	١٢١	١١	كلية الزراعة
-	-	٤٦	٩	كلية طب الاسنان
٤٦	٦	٣٤	٤	كلية الطب البيطري
-	-	١٦	١	كلية التربية الرياضية
-	-	١٩	٢	كلية الفنون الجميلة
-	-	٧	١	كلية التمريض
١	١	٧	١	كلية التربية للبنات
٢٠	٨	٩٤	٨	كلية اللغات
-	-	-	-	كلية العلوم السياسية
-	-	٢٠	٢	متحف التاريخ الطبيعي
-	-	١٨	١	مركز البحوث التربوية والنفسية
-	-	٢٨	١	مركز التخطيط الحضري

والاقليمي				
مركز احياء التراث العلمي العربي	١	١٨	-	-
مركز الحاسبة الالكترونية	١	٥	-	-
المكتبة المركزية	-	-	-	-
<b>المجموع</b>	<b>٧٩</b>	<b>٩٠٤</b>	<b>٤٩</b>	<b>٦٠٢</b>

واستمرت نشاطات المركز في تطوير عمليات التعليم المستمر لادامة التنمية المستدامة على مستوى الجامعة وكلياتها فضلا عن المؤسسات ذات العلاقة بأنشطة الدولة المختلفة لتأكيد دور المركز في ارساء قواعد وأسس التعليم المستمر وجعله اداة لبناء الدولة والمجتمع حتى عام ١٩٩٠.

#### الخاتمة:

بينت المعلومات الواردة بالبحث ان عمليات التطور والتقدم التي تتشدها الدول والمجتمعات ترتبط بالعديد من الوسائل وفي مقدمة تلك الوسائل التعليم واساليبه المختلفة سواء أكان منها على المستوى العلمي أو التنظيمي وبرز في هذا الجانب العمليات التي يطلق عليها التعليم المستمر كصيغة وأسلوب علمي لخلق التطورات المطلوبة على مستوى الفرد والدولة.

عدّ العراق من الدول التي وظفت تلك الاتجاهات لخلق التنمية المطلوبة وتحقيق استمراريته وكان في أولويات تلك التوجهات ان لم نقل السياسات فتح مركز التعليم المستمر في جامعة بغداد لما للجامعات من أهمية في تحقيق تلك المتطلبات كونها المرحلة الاخيرة في سلم التطورات العلمية والبشرية لتحقيق المتطلبات المطلوبة لعمليات التطور.

أسهم مركز التعليم المستمر في جامعة بغداد وكما توضح لنا في تحقيق المتطلبات العلمية والبحثية فضلا عن تزويد الكادر التدريسي والاداري بكثير من المعارف

والمعلومات العلمية ذات الصلة مما افصح عن مدى تأثيره ودوره في التطور العلمي والعملية للبلاد.

على الرغم من ذلك يمكن القول ان الانجازات التي حققها المركز المذكور تحتاج الى تهيئة المستلزمات الضرورية لادامة فعالية المركز المذكور لتحقيق التفوق والابتكار مقارنة بما حققته الدول الاخرى في هذه المجالات لبناء الفرد وجعل انجازاته العلمية والكرية تتوافق مع متطلبات التنمية المستدامة، سيما ان العراق لازال في طور التقدم الذي يتطلب منه الانفتاح على تجارب الدول الاخرى في عمليات التعليم المستمر وبعكسه يصبح هذا التعليم عمليات من الضعف وعدم الدقة وكأنها دورات ومحاضرات توثيقية عفى عنها الزمن ولتأكد في الوقت نفسه على ضعف العاملين عليها من دون النظر الى ما يجب تحقيقه على المستوى العلمي والعملية في البلاد الامر الذي توضح في الانتقادات التي كانت توجه الى المركز المذكور ومنها أنه أصبح وحدة إدارية غايتها الاساس احتضان المسؤولين ان لم نقل خلق الوظائف الخاصة والمستحدثة لدوائر الجامعة في الوقت الذي لم تتوافق مع ما يجب العمل به لتطوير قدرات الجامعة وهيئاتها التدريسية فضلا عن رقد الدوائر الحكومية ومؤسساتها بالكوادر العلمية لتطوير وتحسين أدائها وقدراتها في إدارة أنشطتها المختلفة بما يجعل التعليم المستمر في الجامعة أحد الأدوات الرئيسية في خلق التنمية المستمرة وتطورها على المستويين المادي والبشري.

## الهوامش والمصادر

- (١) محمود حميد خليل الجبوري، ظاهرة التخلف والنظريات المقترحة لحلها، بحث منشور، (مجلة كلية المأمون الجامعة)، العدد العاشر، بغداد، ٢٠٠٣، ص ٩٧.
- (٢) بشرى علي وهيب، الدول النامية بين التنمية المستقلة والتبعية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الادارة والاقتصاد، ١٩٩٩، ص ٢٣.
- (٣) محمود حميد خليل الجبوري، المصدر السابق، ص ١٠٩.
- (٤) عبد المحسن حمادة، التعليم الثانوي في الكويت، دراسة نظرية ميدانية واقتراح لتطوير التعليم الثانوي في ضوء احتياجات المجتمع الكويتي، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، د.ت، ص ٤٠.
- (٥) منصور حسين، كرم حبيب، التعليم وخطط التنمية، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٦١.
- (٦) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، دليل جامعة بغداد ١٩٨٥-١٩٨٦، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٧، ص ٢٤.
- (٧) المصدر نفسه، دليل نشاطات جامعة بغداد لعام ١٩٨٦-١٩٨٨، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٨٦؛ جامعة بغداد، دليل التعليم المستمر لعام ٢٠٠٣، طبعة الجامعة، بغداد، ٢٠٠٣، ص ١٨٨-١٨٩.
- (٨) مصدق جميل حبيب، التعليم والتنمية الاقتصادية، شركة المطابع النموذجية، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات، ١٩٨٠، ص ١٣.
- (٩) المصدر نفسه، ص ١٤-١٥؛ يحيى غني النجار، آمال شلال، التنمية الاقتصادية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١، ص ٢٠٣.
- (١٠) جامعة بغداد، الكتاب الذهبي لتأسيس جامعة بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٥، ص ١٠٣؛ المؤلف نفسه، دليل التعليم المستمر، لعام ٢٠٠٣، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص ١٨٨-١٨٩.
- (١١) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد دليل المراكز البحثية والخدمية في جامعة بغداد، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٩١.
- (١٢) جامعة بغداد، الكتاب الذهبي، ص ١٠٣؛ دليل المراكز البحثية والخدمية في جامعة بغداد، ص ٩١.
- (١٣) يحيى غني النجار، امال شلال، التنمية الاقتصادية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١، ص ٢٠٣.
- (١٤) وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، الكتاب الذهبي، المصدر السابق، ص ١٠٣؛ المصدر نفسه، دليل جامعة بغداد لعام ١٩٨٥-١٩٨٦، المصدر السابق، ص ٢٤.

- (١٥) وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، دليل جامعة بغداد للعام الدراسي ١٩٨٦-١٩٨٨، المصدر السابق، ص ١٨٦؛ جامعة بغداد، الكتاب الذهبي، المصدر السابق، ص ١٠٣.
- (١٦) عبد علي كاظم المعموري، إشكالية التعليم العالي في العراق، الواقع والاتجاهات "حوار الفكر"، العدد السادس، المركز العراقي للبحوث والدراسات المستقبلية، بغداد، ٢٠٠٨، ص ٤٤-٤٥.
- (١٧) احسان محمد الحسن، دور التعليم في التغييرات الاجتماعية البنوية، (مجلة المأمون الجامعة)، العدد العاشر، كلية المأمون الجامعة، بغداد، ٢٠٠٣، ص ٢٨٩.
- (١٨) جامعة بغداد، دليل نشاطات جامعة بغداد ١٩٨٦-١٩٨٨، المصدر السابق، ص ١٨٦-١٨٧.
- (١٩) للتفصيل عن ذلك انظر : مصدق جميل الحبيب، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٥.
- (٢١) منصور أحمد منصور، قراءات في تنمية الموارد البشرية، منشورات وكالة المطبوعات الكويتية، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٩٥-٢٠٦.
- (22) J. H. Bill and H. J. Johnson, "Management and organization behavior, (new York, John Wiley and Sense, 1970), P.58-59.
- (23) J. D. Dunn and C. S. Elvis, Manage mint of personal (Me Grow Hill Book Company, New York, 1972), P.37-39.
- (24) جامعة بغداد، دليل نشاطات جامعة بغداد لعام ١٩٨٦-١٩٨٨، ص ٩٤.
- (25) المصدر نفسه، ص ١٨٩.
- (26) المصدر نفسه، ص ١٩٢.
- (27) المصدر نفسه، ص ١٩٠.
- (28) المصدر نفسه، ص ١٩١.

#### المصادر

##### أولاً: وثائق وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد

١. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، الكتاب الذهبي لتأسيس جامعة بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٨٥.
٢. \_\_\_\_\_، جامعة بغداد، دليل جامعة بغداد ١٩٨٦-١٩٨٨
٣. \_\_\_\_\_، جامعة بغداد، دليل جامعة بغداد ١٩٨٥-١٩٨٦، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٧.
٤. \_\_\_\_\_، جامعة بغداد دليل المراكز البحثية والخدمية في جامعة بغداد، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٨.

٥. \_\_\_\_\_ ، جامعة بغداد، دليل التعليم المستمر لعام ٢٠٠٣، طبعة الجامعة، بغداد، ٢٠٠٣.

#### ثانياً: المصادر العربية

١. احسان محمد الحسن، دور التعليم في التغييرات الاجتماعية البنوية، (مجلة المأمون الجامعة)، العدد العاشر، كلية المأمون الجامعة، بغداد، ٢٠٠٣.
٢. بشرى علي وهيب، الدول النامية بين التنمية المستقلة والتبعية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الادارة والاقتصاد، ١٩٩٩.
٣. عبد المحسن حمادة، التعليم الثانوي في الكويت، دراسة نظرية ميدانية واقتراح لتطوير التعليم الثانوي في ضوء احتياجات المجتمع الكويتي، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، د.ت.
٤. عبد علي كاظم المعموري، إشكالية التعليم العالي في العراق، الواقع والاتجاهات "حوار الفكر"، العدد السادس، المركز العراقي للبحوث والدراسات المستقبلية، بغداد، ٢٠٠٨.
٥. محمود حميد خليل الجبوري، ظاهرة التخلف والنظريات المقترحة لحلها، بحث منشور، (مجلة كلية المأمون الجامعة)، العدد العاشر، بغداد، ٢٠٠٣.
٦. مصدق جميل حبيب، التعليم والتنمية الاقتصادية، شركة المطابع النموذجية، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات، ١٩٨٠.
٧. منصور أحمد منصور، قراءات في تنمية الموارد البشرية، منشورات وكالة المطبوعات الكويتية، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٧٦.
٨. منصور حسين، كرم حبيب، التعليم وخطط التنمية، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٧٠.
٩. يحيى غني النجار، امال شلال، التنمية الاقتصادية، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩١.

#### ثالثاً: المصادر الاجنبية

1. J. H. Bill and H. J. Johnson, "Management and organization behavior, (new York, John Wiley and Sense, 1970).
2. J. D. Dunn and C. S. Elvis, Manage mint of personal (Me Grow Hill Book Company, New York, 1972).

تنظيم المال العام والرقابة في الدولة الاسلامية  
دراسة في كتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلام  
( ١٥٧هـ / ٧٧٤م - ٢٢٤هـ / ٨٣٨م )

أ.م. د. عبير عبد الرسول محمد التميمي  
[abeer.abdulrasool@uokerbala.edu.iq](mailto:abeer.abdulrasool@uokerbala.edu.iq)

٠٧٧٣٣٧٢٣٤٤٤ / العراق / جامعة كربلاء



تنظيم المال العام والرقابة في الدولة الاسلامية دراسة في كتاب الاموال لابي عبيد  
القاسم بن سلام ( ١٥٧هـ/٧٧٤ م - ٢٢٤ هـ/٨٣٨ م )

أ.م. د. عبير عبد الرسول محمد التميمي

**الكلمات المفتاحية :**

ابو عبيد , الاموال , التنظيم , الرقابة , الادارة , السياسة الاقتصادية, المال العام, السياسة المالية الداخلية , السياسة المالية الخارجية , الواردات , المصروفات .

**المخلص:**

يعد تنظيم المال العام والرقابة المالية وهو من اساسيات الاقتصاد الاسلامي , وقد كانت التنظيمات المالية في عهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم من اولياتها التأكيد على اهمية العمل , وعدم تأخير العطاء حيث كان لا يبقي مالا وكان يوزعه حال استلامه ولا يدعه ليلة واحدة في داره , وكان ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب يوزعون الاموال حال استلامها وكذا اهتدى الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من بعده , حيث كانوا لا يحتفظون بأي فائض من المال للاعوام التالية وانما كانوا يتعبرون ابقاء الاموال في ذلك الوقت نوعا من الاستئثار بالاموال .

وكان التنظيم الاداري المالي في العهد النبوي الشريف بسيطا يتناسب مع صغر الدولة ووارداتها , وهذا يدل على مرونة التنظيم وملائمته للواقع , وكان يرسل السعاة بنفسه ويحاسبهم بنفسه ايضا , واسس اقتصاديات الزكاة والصدقة وموارد صرفها , وقسم اقتصاديات الغزوات والفتوحات من موارد متعددة من الغنائم والفئى والجزية والفداء .

وارتبط التنظيم الاداري للدولة بالتنظيم المالي فان الرسول صلى الله عليه واله وسلم كان النواة الاولى للجهازين المالي والاداري وشؤون السياسة الداخلية والخارجية , ويتضح من العدد الكبير من الكتبه والاداريين والمحاسبين الذين كلفهم بتدوين وكتابة الوقائع والعهود وخاصة التي كانت ترسل الى الملوك ورؤساء الاجناد لتبليغ رسالة الاسلام او الخيار بين الجزية والقتال , وشملت موثيق ومعاهدات مع النصرى واليهود

وعقود مع القبائل وكتب الامان الى الملوك والامراء : ( الروم , والفرس , والحبشة ,  
ومصر , وعمان , واليمامة , والبحرين , والشام , وغيرها... ) , وكان الهدف منها اقامة  
العلاقات والتبادل التجاري والدعوة الى الاسلام وتأمين الطرق التجارية .

وقد اكد الرسول صلى الله عليه واله وسلم على حق رقابة الحاكم على الرعية , ولا تقتصر  
الرقابة المالية على الرعية من المسلمين بل انها تشمل عموم مواطنين الدولة , وكل  
القاطنين ارضها , فقد تدخل في اموال بني النضير عندما اجلاهم وبني عبد القيس  
وغيرهم , وكان صلى الله عليه واله يراقب على بعض الممارسات العملية في الممارسات  
المالية لعقود التجارة والزراعة والحرف , ورقابته على الواردات الاخرى من جباية  
الزكاة وصرفها من حيث التقسيم الاداري لمناطق التمويل او التخصص من حيث ممارسة  
الجباية والتوزيع وتطبيقها , وتتعلق رقابة الرسول صلى الله عليه واله على اموال  
المسلمين من وظيفته الاساسية بتطبيق احكام الشريعة .

وكان هناك تعليمات للرسول صلى الله عليه واله وسلم تنظم واردات الدولة المالية وتحفظ  
الحقوق العامة والخاصة, منها : النهي عن استدراج الناس او اجبارهم على الحلف على  
الاوعية المفروض عليها الحقوق , ومراعاة السنوية في الجباية , والحرص على عدم  
تكليف الممول باكثر مما يطيق , ومراعاة العدالة , وعدم التنازل عن اي حق لمال الله ,  
واخذ الصدقات في وجهها , وجواز اخذ المعادل النقدي للقيمة .

ازدادت موارد الدولة ووظيفة الرقابة المالية عليها في العهد الراشدي نظرا لاتساع  
الدولة وكثرة الفتوحات ودخول الناس للاسلام , فكان هنالك الزكاة والغنائم والفئ  
والخراج والجزية وميراث من لا وارث له وزاد عليها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه العشور على الوافدين بتجاربههم واموالهم الى دولة الاسلام تطبيقا للمعاملة  
بالمثل مع المسلمين الذين يتعاملون معهم في ارضهم , وقد شهد التاريخ الاسلامي اختلافا  
في القرارات المالية بين الخلفاء وهذا يعود لنظرة واجتهاد كل منهم وبحسب متطلبات  
عصره ومستجداته .

### Summary:

The regulation of public money and financial control is one of the basics of the Islamic economy, and the financial organizations during the era of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, were among its priorities to emphasize the importance of work, and not to delay the bid as he did not keep money and he used to distribute it as soon as he received it and did not leave it for one night in his home Abu Bakr Al-Siddiq and Omar bin Al-Khattab distributed the money as soon as it was received, as well as the Rightly Guided Caliphs, may God be pleased with them after him, as they did not keep any surplus money for the following years, but rather they considered keeping the money at that time a kind of monopoly.

The financial administrative organization in the noble Prophet's era was simple commensurate with the smallness of the state and its imports, and this indicates the flexibility of the organization and its suitability to reality, and he used to send couriers himself and hold them accountable himself as well, and the foundations of the economics of zakat, charity and its disbursement resources. .

The administrative organization of the state was linked to the financial organization, because the Messenger, may God's prayers and peace be upon him, was the first nucleus of the financial and administrative apparatus and internal and external policy affairs, and it is evident from the large number of clerks, administrators and accountants who were assigned to record and write facts and covenants, especially those that were sent to the kings and chiefs of soldiers to convey the message of Islam or The choice between tribute and fighting, which included charters and treaties with Christians and Jews, contracts with tribes, and security was written to kings and princes: (the Romans, Persians, Abyssinians, Egypt, Oman, the Yamamah, Bahrain, the Levant, and others ...), and the aim was to establish relations and trade exchange And advocating Islam and securing trade routes.

The Messenger, may God's prayers and peace be upon him and his family, affirmed the right to control the ruler over the parish, and financial control is not limited to the Muslim parish, but rather includes all the citizens of the state and all the inhabitants of its land. On him and his family he monitors some practical practices in the financial practices of trade, agriculture and crafts contracts, and his control over other imports from the collection and disbursement of zakat in terms of the administrative division of areas of financing or specialization in terms of the practice of collection and retention and their application. The basic application of the provisions of Sharia.

There were instructions by the Messenger, may God bless him and his family, regulate the state's financial revenues and preserve public and private rights, including: the prohibition of luring people or forcing them to swear to the

containers upon which rights are imposed, observing the annual collection, and ensuring that the taxpayer is not assigned more than he can afford, and observing justice, And not to give up any right to Allah's money, and take alms in its face, and it is permissible to take the monetary equivalent of the value.

The state's resources and the function of financial control over it increased during the Rashidun era due to the expansion of the state and the many conquests and the entry of people to Islam, so there was zakat, spoils, class, kharaj, tribute, and the inheritance of those without heirs. For reciprocity With the Muslims who deal with them on their land, and Islamic history has witnessed a difference in financial decisions among the caliphs, and this is due to the view and diligence of each of them according to the requirements of his era and developments.

### المقدمة :

تتنوع المذاهب الاقتصادية الحديثة في دور الدولة في إدارة الاقتصاد ونظرتها نحو ادارة الدولة , فقد دعا مذهب المدرسة التجارية مثلا الى تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية من خلال تحكمها في بالفائض من المعادن النفيسة , بينما دعا مذهب الفيزوقراطيين واتباع المدرسة الكلاسيكية الى عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وسيادة الحرية التجارية , ويظهر التتبع التاريخي لدور الدولة الاسلامية انه كان محدودا في جوانب معينة , وقد حرص العلماء المسلمون على عدم تدخل الدولة في ادارة النشاط الاقتصادي , وهذا ما أكد عليه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عندما أقام نظام اقتصادي عادل ومتوازن وقائم على شروط العلم والعمل الصالح وبذل الجهد وحفظ الحقوق الخاصة والعامه , ومنع الدولة في التدخل في تحديد الاسعار او مزاحمة التجار او غصب الحكام للتجارات او احتكار البضائع , او مزاحمة الفلاحين او الحرفيين لنشاطهم الاقتصادي ونحو ذلك , فان هنالك فرقا واضحا بين تدخل الدولة في الاقتصاد الإسلامي وبين تدخلها في النظريات الحديثة , ويلاحظ من خلال تطور الدولة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم , وعهد الخلفاء الراشدين من بعده ان الدولة كان تدخلها محدودا في إدارة الاقتصاد والمنافع العامة وسن القوانين الاقتصادية القائمة على العلم والعدالة وربطه بالشرعية عقيدة ومعاملة من جهة , ومن جهة اخرى ربطه بالجانب الاخلاقي وجعل القيمة الاولى والاساسية ليس للاموال وانما للانسان وسعادته .

لذا كان من مسؤوليات الدولة الاسلامية هو الاهتمام بالمال العام وموارد الدولة، وتنظيم المال العام والرقابة على صرفه، وتنظيم الايرادات العامة وتطورها، وحفظ السوق والاسعار حرة وفقا للنظام الطبيعي من العرض والطلب، واخيرا اقامة النظام الضريبي، بإخراج الحقوق والواجبات من الاموال الشريعة لاقامة مجتمع مستقر ومتوازن اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا في آن واحد.

ويتكون المال العام من الصدقة والفيء والنفل والخراج، والجزية وسائر الاموال الاخرى التي فرضها الله تعالى، وجعل للمسلمين حقا في هذا المال بحسب شروط معينة، وهذا ما حفز العلماء الذين عالجوا مواضيع الاقتصاد الاسلامي على توضيح موارد الدولة الاسلامية ومصارفها، وكان الرسول صلى الله عليه واله وسلم والخلفاء من بعده ينصب اهتمامهم على المال العام وجعله احد اساسيات الحكم للدولة، ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على التنظير وانما طبق هذا النظام وبشكل عملي، فضلا عن انه لم يترك المجتمع المسلم دون مراقبة وتشديد لضمان تطبيقهم لهذا النظام فكان صلى الله عليه واله وسلم يراقب ويحاسب ويقاضي كلا من تخلف او تدخل بشكل غير طبيعي وتسبب في الاخلال بالتوازن الاقتصادي.

ونظرا لأهمية موضوع التنظيم والرقابة المالية في الاقتصاد الاسلامي، ومع الحاجة للإلمام والمعرفة بما تركه له العلماء من إرث علمي كبير، ولما يصب في خدمة واقعا الاقتصادي والتخطيط لمستقبلنا وفقا لرؤى اسلامية أصلية، كان هذا البحث هو باكورة عمل لدراسة هذا الكتاب واستخراج الآلية القانونية والتشريعية للنظام الاقتصادي في مجال التنظيم والرقابة المالية، ومعرفة ما توصل اليه المصنف من قوانين ورؤى وتشريعات اقتصادية للدولة العربية الاسلامية في السياسة المالية الداخلية والخارجية وفي الرقابة على موارد الدولة ومصروفاتها، لذا نظم البحث على هيئة خمس مباحث كان المبحث الاول: التنظيم والرقابة دراسة في كتاب ابي عبيد القاسم بن سلام، وقد ضم محورين ناقشا: التنظيم والرقابة لغة واصطلاحا، والمكانة العلمية للمصنف ابي عبيد وعرضا سريعا لكتابه الاموال، في حين بحث المبحث الثاني في التنظيم المالي والرقابة من

المنظور التشريعي , وجاء المبحث الثالث : التنظيم المالي لواردات الدولة والاموال غير المنقولة , والمبحث الرابع : السياسة المالية الداخلية والخارجية , واخيرا المبحث الخامس : الرقابة المالية على موارد الدولة ومصروفاتها , ومن ثم الخاتمة .

**المبحث الاول : التنظيم والرقابة دراسة في كتاب ابي عبيد القاسم بن سلام :-**

**المحور الاول : التنظيم والرقابة لغة واصطلاحا :**

التنظيم لغة مشتق من النظم , هو : ((النَّظْمُ , التَّأْلِيفُ نَظَمَهُ يَنْظِمُهُ نَظْمًا وَنِظَامًا وَنَظْمَهُ فَانْتَظَمَ وَتَنَظَّمَ))<sup>(١)</sup>, والنَّظَامُ ما نَظَمْتَ فِيهِ الشَّيْءَ , وكلُّ شَعْبَةٍ مِنْهُ وَأَصْلُ نِظَامٍ وَنِظَامٌ كُلُّ أَمْرٍ مِلاَكُهُ وَالْجَمْعُ أَنْظُمَةٌ<sup>(٢)</sup>, وانتظم الشيء تألف واتسق يقال نظمه فاننظم ويقال انتظم أمره استقام<sup>(٣)</sup>, اما اصطلاحا فقد اهتم الاقتصاد الاسلامي بالتنظيم وعُرف بقوانينه الحكيمة والعادلة , وبوضع الرقباء في نظام الحسبة وهو نظام مراقبة الأسواق , وقنن قواعد التبادل , وجعل المنفعة متبادلة بين البائع والمشتري يحقق كل منهما أقصى منفعة بقيمة مجزية للطرفين, وجعل للتبادل قواعد يراعيها البائع والمشتري, من منع تداول السلع الضارة أو التي لا منفعة فيها ومنع الغش, والغرر<sup>(٤)</sup>, وألغى التدخل غير المشروع بين البائع والمشتري , وأوصى الإسلام بتيسير سبل التبادل, وذلك بضبط المقاييس والمكاييل ضمان لحقوق أطراف التعامل, والقاعدة الكبرى في التنظيم الاقتصادي الاسلامي , هي أن الدولة تقوم بمراقبة التبادل وتقيم نظام الحسبة وتعين المحتسب بحيث لا يختل التبادل في الأسواق ولا يظلم أحدٌ أحدًا, فتحفظ بذلك توازن السوق وتحفظ أخلاق الإسلام .

وأما الرقابة لغة فهي مشتقة من الرقيب وهو : ((الحافظُ , والرقيبُ: المُنتَظِرُ, تقول: رَقَبْتُ الشَّيْءَ أَرْقُبُهُ رُقُوبًا, وَرَقِيبَةً وَرَقِيبَانًا بِالْكَسْرِ فِيهِمَا, إِذَا رَصَدْتَهُ, وَالرَّقِيبُ: الْمُؤَكَّلُ بِالضَّرِيبِ))<sup>(٥)</sup>, (( وَرَقِيبُ الْقَوْمِ حَارِسُهُمْ وَهُوَ الَّذِي يُشْرِفُ عَلَى مَرَقِبَةٍ لِيَحْرُسَهُمُ وَالرَّقِيبُ الْحَارِسُ الْحَافِظُ ))<sup>(٦)</sup> وبذلك فإن الرقابة تعني في اللغة : الحفظ والانتظار والاشراف والحراسة والعناية , اما اصطلاحا : (( الرقابة على طرق كسب الموارد المالية وطرق التصرف فيها او انفاقها )) , فإن الدولة لكي تحقق استقرارها وتوازنها الاقتصادي لابد لها

من نظام رقابي مستمر وشامل ، والتي تتضمن تطبيق قوانينها الاقتصادية وتحقيق العدالة التي تنشدها سياسة الدولة الإسلامية ، فإن احدى اركان وقواعد الحضارة الإسلامية هي الرقابة ، وهي مضافة الى القيادة الحكيمة والدستور العادل والقانون المنجز .

#### المحور الثاني: ابو عبيد (مكانته العلمية - كتاب الاموال) :-

هو القاسم بن سلام - بتشديد اللام - ، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة، اشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقهاء، وكان ذا دين وسيرة جميلة، ومذهب حسن وفضل بارع ، وكأنه جبل نفخ فيه الروح، يحسن كل شيء، ولي القضاء بمدينة طرسوس ثمان عشرة سنة، وقرأ القرآن على الكسائي وغيره، وسمع إسماعيل بن عياش وإسماعيل بن جعفر وهشيم بن بشير وشريك بن عبد الله، وهو أكبر شيخ له، وغيرهم (٧).

قال إسحاق بن راهويه: إنا نحتاج إلى أبي عبيد، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا، وقال ابن حنبل: أبو عبيد ممن يزداد عندنا كل يوم خيراً، وقال القاضي أحمد بن كامل: كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وعلمه، ربانياً متفنناً في أصناف علوم الإسلام من القراءات والفقهاء والعربية والأخبار، حسن الرواية وصحيح النقل. (٨)

وقد روى عنه وأخذ منه ثابت بن عمرو بن حبيب مولى علي بن رابطة ، وعلي بن محمد بن وصب المشعري ، وأبو منصور نصر بن داود بن طوق ، ومحمد بن إسحاق الصاغانى، والحسن بن مكرم وأحمد بن يوسف التغلبي ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، والحارث بن أبي أسامة ، ومحمد بن يحيى المروزي ، وأبي عبد الرحمن أحمد بن سهل وأحمد بن عاصم ، وعلي بن أبي ثابت ومحمد بن وهب المنازي ، ومحمد بن سعيد الهروي ، ومحمد بن المغيرة البغدادي ، وعبد الخالق بن منصور النيسابوري ، وأحمد بن القاسم ، وإبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الرحمن البغوي ، وأخوه علي بن عبد العزيز ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، ووكيع بن الجراح ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء. (٩)

عاد أبو عبيد إلى خراسان نحو سنة ١٩١ هـ حيث عمل مُؤدِّباً لأبناء هرثمة بن أعين أحد ولاة هارون الرشيد، ثم اتصل بثابت بن نصر بن مالك الخزاعي يؤدب ولده،

ولمّا ولي ثابت طرسوس سنة ١٩٢ هـ، ولّى ثابت أبي عبيد القضاء بطرسوس ثمانى عشرة سنة، فانشغل عن كتابة الحديث، ثم رحل إلى مصر مع يحيى بن معين سنة ٢١٣ هـ، ومنها عاد إلى بغداد، وفي إحدى حملات طاهر بن الحسين إلى خراسان، مر ببغداد، وطلب من يفقهه فندبوا إليه أبي عبيد، فاستحسن طاهر علمه، وأشفق أن يحمله مع في حملته، واصطحبه في طريق عودته، وسار به إلى سر من رأى<sup>(١٠)</sup>، ولزم أبو عبيد طاهر بن الحسين ومن بعده ابنه عبد الله بن طاهر الذي كان يُجَلُّ أبي عبيد، ويجري له الجرايات، كما كان أبو عبيد إذا ألف كتابًا أهداه إلى عبد الله بن طاهر، فيحمل إليه مالاً كثيراً استحساناً وتشجيعاً.<sup>(١١)</sup>

وله من الكتب: كتاب غريب الحديث، وكتاب غريب القرآن، وكتاب معاني القرآن، وكتاب الشعراء، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب القراءات، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الأموال، وكتاب النسب، وكتاب الأحداث، وكتاب الأمثال السائرة، وكتاب عدد آي القرآن، وكتاب أدب القاضي، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب الأيمان والندور، وكتاب الحيض، وكتاب فضائل القرآن، وكتاب الحجر والتفليس، وكتاب الطهارة، وله غير ذلك من الكتب الفقهية.<sup>(١٢)</sup>

يُعد كتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلام، من أمهات الكتب في الاقتصاد الإسلامي، وقد عرض أبو عبيد فيه: ((الأموال الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها))، للآيات والأحاديث والمأثورات والوقائع والتطبيقات التي تناولت الأموال في الشريعة الإسلامية، وكذلك تناول اجتهادات المذاهب الفقهية في هذا الميدان، كما نقد سند الروايات وتفحص متون الروايات مرجحاً ما رآه راجحاً - إلا أنه ليس موضوع بحثنا -.<sup>(١٣)</sup>

وحدد أبو عبيد في كتاب الأموال، الموارد العامة التي تُجمع لصالح بيت المال التي تتجلى في الخراج والجزية وعشور التجارة والغنيمة والزكاة، كما تمثل أيضاً النفقات العامة في مصارف الفيء والخمس والزكاة وأرزاق الجيش وإحياء الأراضي، وتتطرق إلى عدالة التوزيع وتداول المال والمحاسبة المالية وتحديد الملكية الخاصة، والمواثيق

والعهود بين المعاهدين والأئمة , وبين هؤلاء وأهل الصلح من الدول المجاورة، فيما يعرف اليوم بالقانون الدولي الخاص والعام.<sup>(١٤)</sup>

### المبحث الثاني : التنظيم المالي والرقابة من المنظور التشريعي:-

ابتدأ ابو عبيد القاسم بن سلام كتابه الاموال في بيان المسؤولية السياسية والدينية للإمام في ادارة الدولة وجميع شؤونها , وقد بين الروابط الرئيسية بين السياسية والدين , وانها مسؤولية متبادلة بين الامام والرعية في حفظ الحقوق وإداء الواجبات وتحقيق العدالة والمساواة , ومن اشهر اقواله صلى الله عليه واله وسلم : (( كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ))<sup>(١٥)</sup> , فإن الامير الذي على الناس راع عليهم وهو مسؤول عنهم , فمن واجباته تأمين الحياة الاجتماعية الاثقة ومايرافقها من توازن وازدهار اقتصادي .

واكد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على شرعية الحكم ومقام الامامة الرفيع وانها امانة بقوله للرجل عندما قال بأس الشيء الإمارة , فأجابه صلى الله عليه واله وسلم : (( نعم الشيء الإمارة عن أخذها بحلها وحققها , وبئس الشيء الإمارة عن اخذها بغير حقها وحلها , تكون عليه يوم القيامة حسرة وندامة ))<sup>(١٦)</sup>.

وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسالة الخالدة , في الاخذ بالمشورة وكانت سنتهم التواضع وقبول النصيحة , فقال ابو بكر عند استلامها الخلافة : (( اما بعد فاني وليت امركم ولست بخيركم لكنه نزل القران وسنة النبي صلى الله عليه واله وسلم الى ان قال... ايها الناس انما انا متبع والسبب مبتدع فان احسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني ))<sup>(١٧)</sup>.

وقد قامت السياسة الاقتصادية في الاسلام على بناء الدولة بناءً متينا يقوم على ضرورة الانتاج واحترام العمل وتقديسه , بخلاف ما كان سائدا عند العرب في عدهم الحرف امرا مشينا ومعيبا , فقد جاءت توصيات الرسول صلى الله عليه واله وسلم في التاكيد على العمل وكراهة تأخيرها او تركه سواء كان عملا اداريا او نشاطا اقتصاديا , فقد كتب عمر الى ابي موسى: (( فان القوة في العمل الا تؤخر عمل اليوم الى الغد فإنكم اذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الاعمال ))<sup>(١٨)</sup>, فلا يمكن بناء دولة قوية الا باقتصاد مزدهر

وبمدخلات مستقرة وهذا لا يتم الا مع انتشار ثقافة السعي والجد والاجتهاد في العمل وإتقانه .

ابتدأ ابو عبيد كتابه الاموال في بيان الآلية الادارية المالية التي قام به رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في تنظيم الاموال المنقولة وغير المنقولة , وبيان اصولها في الكتاب والسنة, فلم يترك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم صغيرة ولا كبيرة الا وبين اصلها وكيفية قسمتها ومقدار السهم , ومستحقها , فقد بين صلى الله عليه واله وسلم جميع موارد الدولة وكذلك جميع مخرجاتها في نظام دقيق وعادل , وكانت اولى الاموال التي شرع في بيانها هي : الفية , وبيان وجوه وسبله , ومن ثم باب الجزية وسنة في قبولها وهي من الفية , وبعد ذلك سنن والخمس والصدقة , وهي من الاموال التي تليها الائمة للرعية , وبين اخذ الجزية من عرب اهل الكتاب ومن المجوس ومن تجب عليه الجزية ومن تسقط عنه من الرجال والنساء, ثم ذكر فرض الجزية مبلغها وارضق المسلمين وضيافتهم , والجزية على من اسلم من اهل الذمة .<sup>(١٩)</sup>

والحكم في قسم الفية وفرض اعطية وفرض العطاء لاهل الحاضرة وتفضيلهم على اهل البادية , والفرض للذرية والنساء والمماليك واجراء الطعام وتعجيل اخراجه وقسمته بين اهله , والغنيمة والفيه ومن ايهما تكون اعطيه المقاتله وارضاق الذرية , والتسوية بين الناس في الفية .<sup>(٢٠)</sup>

وكانت سياسة الاسلام في الخمس واحكامه في الانفال والنفل وسهم النبي من الخمس وسهم ذوي القربى من الخمس في المعادن والركائز وفي المال المدفون في ما يخرج من البحر من العنبر والجوهر والسك , ثم بعدها كتاب الصدقة واحكامها وسننها وفضلها.<sup>(٢١)</sup> وفصل الرسول الاكرم صلى الله عليه واله وسلم في فرض الصدقة في الابل , وفي الزكاة والذهب والورق , وصدقة مال اليتيم ومال العبد والمكاتب والصدقة في الخيل والرقيق , وصدقة ما تخرج الارض من الحبوب والثمار وما فيها من العشر ونصف العشر.<sup>(٢٢)</sup>

### المبحث الثالث : التنظيم المالي لواردات الدولة والاموال غير المنقولة :-

وشمل تنظيم الرسول صلى الله عليه واله وسلم المالي ما قام به من تنظيم للاموال غير المنقولة ايضا فهي في غاية الاهمية في نظر الدولة الاسلامية , لانها تعد مصدر مالي مستمر العطاء , فضلا عن سيادة الدولة وحفظ الاموال الضخمة وتوزيع مواردها على المسلمين جيلا بعد جيل , وعدم جعلها في ايدي فئة خاصة مما يسبب الطبقية والأستثار بالاموال العامة على حساب الفقراء والمساكين , فضلا عن حاجة الدولة للاموال في سد حاجتها في تأمين مصروفات الدولة من السلاح وتعبيد الطرق وفتح الانهار وسائر المصروفات العامة , (٢٣) لذا فصل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في فتوح الارضين صلحا وسننها واحكامها , وفتح الارض عنوة وهي من الفيء والغنيمة , تقر في ايدي اهلها ويوضع عليها الخراج , واستمر في بيان تقسيم وتنظيم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لشراء ارض العنوة التي اقر الامام فيها اهلها وسيرها ارض خراج , وارض الخراج من يسلم صاحبها عليها فيها عشر مع خراج ام لا ؟ , وما يجوز لاهل الذمة ان يحدث في ارض العنوة في امصار المسلمين وما لا يجوز , وحكم في الرقاب من اهل العنوة الاسارى والسبي , ثم وصل الى كتاب افتتاح الارض صلحها واحكامها وسننها وهي من تكون غنيمة , وايضا بيان سياسة الاسلام في احكام الارضيين في انقطاعها واحيائها وحماها ومياهاها , والاقطاع واحياء الارضين واحتجازها والدخول على من احياها وحمل الارض ذات الكلا والماء (٢٤) , ويمكن تلخيص اجراءات الدولة لتحصيل الخراج وجبايته على افضل وجه وفقا للسياسة المتقدمة (٢٥) وهي تهدف الى :

- ١- مسح وتقدير الارض الخراجية .
- ٢- فرض الخراج على جميع الارض الصالحة للزراعة سواء زرعت او لم تزرع .
- ٣- ان يأخذ حامل الخراج ما تحمله الارض اساسا لتقدير الضريبة .

وشرع ابو عبيد في تصنيف الواردات المالية للدولة الإسلامية في عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم , فذكر في الباب الثاني من كتابه : باب صنوف الاموال التي يليها الأئمة للرعية واصولها في الكتاب والسنة .<sup>(٢٦)</sup>

وابتداً ابو عبيد في الاموال الخاصة لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم من : الفىء والصفي وخمس الخمس واموال بني النضير وفدك وذكر قدوم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه واله وسلم و قوله له : (( فامرنا بامر نعمل به وندعوا اليهم وراءنا فقال امرم باربع وانهاكم عن اربع ... الايمان بالله ... ثم فسر لهم شهادة ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وانت ادخل كنت ما غنتم وانهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمقير ))<sup>(٢٧)</sup>, فكانت وصاياها الاقتصادية هي عبارة عن وصايا تشريعية لا يمكن مخالفتها لان المخالفة لا تتسجم مع اخلاق المسلم في النصحية والحب لآخيه المسلم وعدم غشه , فقد ربط الرسول الكريم بين حقيقة الايمان بالله تعالى ورسوله الكريم وبين الفروض والواجبات سواء كانت منها العبادية من الصلاة او العبادية والمالية من اخراج الحقوق المالية وذلك وفقا للسياسة الإسلامية القائمة على الوسطية بين الاعتراف بالملكية الخاصة واحترامها , وبين اخراج الاموال الشرعية من الخمس والزكاة والصدقة وإتيانها الفقراء من الأمة وفقا لنظرية التكافل الاجتماعي وسد ثغرات الجريمة والتفكك الاسري وسائر المشاكل الاخلاقية الاخرى , فضلا عن ان الاسلام لا ينظر الى الاموال انها هي الغاية المرجوة وانما ينظر الى الانسان وسعادته هو الغاية التي يجب تحقيقها وبالتالي فان انسانية اصحاب الاموال لا تتم الا باخراج جزء يسير من اموالهم لمساعدة اخوانهم الفقراء , وبذلك تتحقق اهداف السياسة الاقتصادية الإسلامية في كونها انسانية وغير نفعية لفئة او طبقة دون اخرى .<sup>(٢٨)</sup>

#### المبحث الرابع : السياسة المالية الداخلية والخارجية :-

ارتبط التنظيم الاداري للدولة بالتنظيم المالي فان الرسول صلى الله عليه واله وسلم كان النواة الاولى للجهازين المالي والاداري وشؤون السياسة المالية الداخلية والخارجية , ويتضح من العدد الكبير من الكتب والاداريين والمحاسبين الذين كلفهم بتدوين وكتابة الوقائع

والعهود وخاصة التي كانت ترسل الى الملوك ورؤساء الاجناد لتبليغ رسالة الاسلام او الخيار بين الجزية والقتال , وشملت موثيق ومعاهدات مع النصارى واليهود وعقود مع القبائل وكتب الامان الى الملوك والامراء : الروم , والفرس , والحبشة, ومصر, وعمان , واليمامة , والبحرين , والشام , وغيرها... , وكان الهدف منها اقامة العلاقات والتبادل التجاري والدعوة الى الاسلام وتأمين الطرق التجارية , وكان الرسول صلى الله عليه واله وسلم هو المشرع والحاكم الديني والسياسي في الامة , وكانت سياسته لا تقتصر على التنظيم الداخلي لمفاصل الدولة, وانما فتح علاقات واواصر دينية واجتماعية واقتصادية مع المناطق المحيطة بالمدينة المنورة اولاً, ومن ثم بالقوى الدولية ثانية من مخاطبة الملوك والزعماء والحكام في شبة الجزيرة العربية وخارجها , واخذ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يكتب الكتب والرسائل دعوه القبائل للاسلام وبطريقة سلمية وحضارية راقية<sup>(٢٩)</sup>, منها ما ذكره ابو عبيد وفق ما جاء في الصافية رسالة الرسول الى الحارث ابن عبد كلال , والى شريح بن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال , وقد فرض عليهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم تبعات الايمان من الالتزام بقوانينه قال صلى الله عليه واله وسلم : (( ان الله عز وجل قد هذا قد هداكم ان اصبحت مواضع تم الله ورسوله واعطيته من المغانم الخمس وسهم النبي صلى الله عليه واله وسلم و ما كتب الله على المؤمنين في الصدقة ))<sup>(٣٠)</sup> , فإن العلة الرئيسية هي الاسلام , فلم يكن السبب الاول هو التبعية السياسية فحسب او استجلاب الاموال فقط , وانما جاءت الاموال كتبعية لذلك الايمان بالدين الاسلامي وفقا لنظريته في تحقيق العدالة الاجتماعية , ونبذ الاكتناز والاحتكار والغش وغيره.<sup>(٣١)</sup>

وهذا ايضا ما تم التأكيد عليه , في مسألة الفية<sup>(٣٢)</sup>, حيث بين ابو عبيد ان العلة من قتال الناس هو عدم الايمان والكفر بالله , وكان هذا الحكم في بداية الاسلام وقبل نزول حكم قبول الجزية , قال رسول الله : (( امرت ان اقاتل الناس او لا ازال اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فان قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ))<sup>(٣٣)</sup>, وقال ابو عبيد انما توجه هذه الاحاديث على ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم انما

قال ذلك قبل ان تنزل سوره براءة , ويأمر فيها بقبول الجزية (( حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون))<sup>(٣٤)</sup> , وانما نزل هذا في اخر الاسلام .<sup>(٣٥)</sup>

ثم جرت كتب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الى الملوك وغيرهم يدعوهم الى الاسلام, فان ابو فالجزية وبذلك كان يوصي امراء جيوشه وسراياه<sup>(٣٦)</sup>, ومنها ما كتبه صلى الله عليه واله وسلم الى ملوك عمان , ومن كان منهم بالبحرين وهي قائمة على الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم واعطاء حقه : (( ان امنوا وان لهم ما سلموا عليه وان وان لهم ما اسلم عليه غير ان مال بيت النار فثنيا<sup>(٣٧)</sup> الله ورسوله وان عاشور الثمر صدقه ونصف عاشور الحب وان للمسلمين نصرهم ونصحهم ))<sup>(٣٨)</sup>, كذلك كتب الى كسرى وقيصر والنجاشي<sup>(٣٩)</sup> , فان التنظيم الاداري المالي في العهد النبوي الشريف كان بسيطا يتناسب مع صغر الدولة ووارداتها , وهذا يدل على مرونة التنظيم وملائمته للواقع , وارسل السعاة بنفسه ويحاسبهم بنفسه ايضا , واسس اقتصاديات الزكاة والصدقة وموارد صرفها , وقسم اقتصاديات الغزوات والفتوحات من موارد متعددة من الغنائم والفئ والجزية والفداء.

وتضمنت تعليمات الرسول صلى الله عليه واله وسلم تنظيم واردات الدولة المالية وحفظ الحقوق العامة والخاصة, من ها : النهي عن استدراج الناس او اجبارهم على الحلف , ومراعاة السنوية في الجباية , والحرص على عدم تكليف الممول باكثر مما يطيق , ومراعاة العدالة , وعدم التنازل عن اي حق لمال الله , واخذ الصدقات في وجهها , وجواز اخذ المعادل النقدي للقيمة .

فقد كان حكم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوصي امراء وسراياه (( بتقوى الله وعدم التمثيل ولا القتل لوليد , واجري عليهم حكم اكرامهم , ولا يقول لهم في الغنيمة والفيء شيء , الا ان يجاهدوا مع المسلمين فان ابوا دخلوا الاسلام , وعليهم الجزية فان اجابوا فاقبل منهم , وكف عنهم وان ابو فاستعن بالله وقتلهم ))<sup>(٤٠)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : (( من اراد ان ينصح لذي سلطان فلا يبيده له علانية ولكن ياخذ بيده فيخل به فان قبله فذاك ؟ والا فقد ادى الذي عليه ))<sup>(٤١)</sup> , وذكر ان

عمر بن الخطاب قد جاءه مال كثير, قال ابو عبيد احسبه قال من الجزيرة, فقال: (( اني الا اظن قد اهلكتم الناس, قالوا لا والله ما اخذنا الا عفوا صنع قالب لا صوت ولا نوض, قال: نعم, قال الحمد لله يجعل ذلك على يديه, ولا في سلطانه )) (٤٢). واستعمل الامام علي بن ابي طالب عليه السلام رجلا على خراج رؤوس الناس واوصاه بالرفق بهم, وكان على عليه السلام يخذ الجزية من كل الذي صنعه من: (( صاحب الابر ابرا ومن صاحب المسان مسان ومن صاحب الحبال حبالا, ثم يدعو العرفاء فيعطيهم الذهب والفضة يقتسمونه... فيقولون لا حاجة لنا فيه فيقول اخذتم خياره وتركته علي شراره لتحملنه )) (٤٣), قال ابو عبيد وانما يتوجه هذا من على انه انما كان ياخذ منهم هذه الامتعة بقيمتها من الدراهم التي عليهم الجزية رؤوسهم ولا يحض على بيعها, ثم ياخذ ذلك من الثمن اراده الرفق بهم والتخفيف عليهم, وكذلك فعل امر حين كان ياخذ الإبل في الجزية. (٤٤)

وحرصا من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على اقامة تنظيم مالي شامل, واوضح ابو عبيد في كتابه الاموال هذه السياسة الاقتصادية الشاملة وتقسيماتها: سنن الفياء والخمس والصدقة وهي الاموال التي تليها الائمة للرعية. (٤٥)

واخذ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في تنظيم المال العام للدولة العربية الإسلامية, وكان في باب اخذ الجزية من عرب اهل الكتاب, منها ما ذكره ابو عبيد عند بعثه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم معاذ الى اليمن, ان ياخذ من كل ثلاثين بقرة بقرة - او قالت تبيعا - ومن كل اربعين مسنة, ومن كل حال من دينار او عدله من المعافر التبيع والا الذي يتجاوز ال حول العالم الذي بلغ الحلم اي سن البلوغ المسن هي التي اوقفت حولين وجاوزت هما المعافر ثياب. (٤٦)

وكتب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الى معاذ وهو باليمن فيما سقت السماء العشر وفي الحالم دينار او عدله من المعافر, ولا يفتن يهودي عن يهوديته. (٤٧)

وثانيا: كان في تنظيم آلية اخذ الجزية من المجوس (٤٨), فيما كتب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الى مجوس هجر يدعوهم الى الاسلام فمن لم يقبل ضربت عليه الجزية,

وان لا تاكل له ذبيحة و لا تتكح له امرأة , وقد سار الخلفاء الراشدون على سنة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم , فقد بعث ابو بكر خالد ابن الوليد , وامره ان يسير حتى ينزل الحيره ثم يمضي الشام , وقال ابو عبيد هذا خالد ابن الوليد عامل ابي بكر يدعو اهل فارس الى شهداء الجزية وهم مجوس بعد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقد قبلها منهم . (٤٩)

وثالثا : كان في من تجب عليه الجزية وما تسقط عنه من الرجال والنساء (٥٠) , وقد ذكر ابو عبيد انها تجب على الرجال وتسقط على النساء والصبيان , فلما ألغيت الذرية وهم النساء والولدان من القتل اسقطت عنهم الجزية وثبتت على من يستحق القتل لمنعها وهم الرجال ومضت السنة بذلك وعمل به المسلمون . (٥١)

ورابعا : فرض الجزية ومبلغها وارزق المسلمين وضيافتهم, فان الخليفة عمر بن الخطاب ضرب الجزية على اهل الذهب اربع دنانير و على الورق اربعون درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين و ضيافته ثلاثه ايام . (٥٢)

ويمكن تلخيص اهم الامور التي اسست في الجزية , الى :

١- من بلغ من صغارهم او افاق من مجانينهم او اعتق من عبيدهم استقبل به حولا ثم اخذت منه الجزية .

٢- اذا اجتمعت على الذمي جزيت سنتين اخذت منه ولم تتداخل .

٣- من مات بعد الحول اخذت جزيته من تركته ولم تسقط منه الجزية .

وشمل التنظيم المالي كتاب فتوح الارضين صالحا وسننها واحكامها وتضمن عدة ابواب:  
اولا : باب فتح الارض تؤخذ عنوة وهي من الفياء والغنيمه جميعا , وقال ابو عبيد وجدنا الآثار على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والخلفاء بعده قد جاءت في افتتاح الارضين ثلاثة (٥٣):

اولا : احكام ارض اسلم عليها اهلها , فهي لهم ملك ايمانهم وهي ارض عشر لا شيء عليهم فيها غيره .

وثانيا : ارض اخذت عنوة فهي التي اختلف فيها المسلمون فقال بعضهم سبيلها سبيل الغنيمه , تقسم فيها اربع اخماس بين الذين فتحوها خاصة ويكون الخمس الباقي لمن اسما

الله تبارك وتعالى , وقال بعضهم بالحكم فيها والنظر موكل الى الامام الرأي يجعلها غنيمة فإنه يخمسها ويقسمها كما فعل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بخبير في ذلك له او لا يقسمها ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة كما صنع بالسواد وذلك وفقا لنوعية الفتح في كونه عنوة او صلحا , ووفقا لاحكام المصلحة العامة وهي تبعا لرأي الامام والظرف الراهن حينها , فهذه احكام الارض التي تفتح فتحا<sup>(٥٤)</sup>, وقال ابو عبيد فقد تواترت الاثار في افتتاح الارضين بهذين الحكمين ان الاول منهما في حكم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في خبير وذلك انه جعلها غنيمة في خمسها فخامتها وقسمها وبهذا الرأي الذي اشار به بلال على عمر في بلاد الشام , واشاره به الزبير بن العوام على عمر بن العاص في ارض مصر , واما الحكم الاخر في حكم عمر في غيره , وذلك انه جعله فيها موقوفا على المسلمين ما تناسل ولم يكن خمسه ولم يقسم وهو رأي الذي اشار به عليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه معاذ بن جبل رحمه الله وفقا لتحقيق المصلحة العامة ومنعا لتكوين الطبقة في المجتمع الاسلامي .<sup>(٥٥)</sup>

وكان التنظيم الثاني في باب ارض العنوة التي تقر في ايدي اهلها ويوضع عليها وهو الخراج<sup>(٥٦)</sup>, ان الخليفة عمر بن الخطاب وارسل عمار بن ياسر الى اهل الكوفة على صلاتهم جيوشهم وعبد الله بن مسعود على قضائهم وبيت مالهم , وعثمان بن حنيف على مساحة الارض تفرض عليهم في كل يوم الشهادات بينهم , وقد مسح عثمان بن حنيف الارض , ومساحتها : هكتار الكرم عشرة دراهم وعلى جريد النخل خمسه دراهم وعلى جريب القصب ستة دراهم وعلى جريب الحنطة اربع دراهم وعلى جريب الشعير درهمن وجعل على اهل الذمة في اموالهم التي يختلفون بها في كل عشرين درهما درهما , وجعل على رؤوسهم اربع وعشرين درهما من كل سنة وكتب بذلك الى عمر في اجازة مرضية به وطلب شراء ارض العنوة التي اقر ما فيها اهلها وسيرها ارض خراج , واجابه الخليفة عمر بان لا تشتروا رقيق اهل الذمة فانهما اهل خراج ولا ارضيهم وانها عامة للمسلمين.  
(٥٧)

قال ابو عبيد فقد تتابعت الاثار بالكرهه بشراء ارض الخراج وانما كره الكارهون من جهتين احدهما انها فيء للمسلمين , والاخرى ان الخراج صغار , وكلاهما داخل في حديث عمر : ولا يقرن احدكم بالصغار بعد اذ نجاه الله , ونقله : ابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن عمر وقبيصة بن ذئب وغيرهم , وقد وافقه على ذلك الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه , واستمر الحال في عهد علي عليه السلام فعندما اسلمنا دهبان بلاد فارس , فقال الامام علي عليه السلام : اما انت فلا جزيت عليك واما ارض تكفلنا . (٥٨)

#### المبحث الخامس : الرقابة المالية على موارد الدولة ومصروفاتها :-

ان نجاح الدولة العربية الاسلامية انما جاء وفقا لمقومات حضارية ومدنية عادلة , فبالاضافة الى التنظيم الاداري المالي للدولة وافرادها وفقا لدستور قرآني عادل وقويم ومع وجود القيادة الحكيمة لم تفتأ الدولة في التاكيد على مبدأ الرقابة , فعلى الرغم من سنها للقوانين المالية الشاملة وربطها بالشرعية وحرمة مخالفتها , الا انه اكد على ضرورة ديمومية تطبيق القانون في الرقابة المستمرة على موارد الدولة ومصروفاتها والاسواق والتجار والموازن والمكايل وجعل حلولا وعقوبات على من سولت له نفسه وخالف النظام الاقتصادي الاسلامي , لان في مخالفته ظلم وإفساد وضياع للاموال في موارد غير مفيدة بل ضارة , وما يرافقها من تدهور للعملة واخلال بالتوازن الاقتصادي للدولة والسوق والتجار وعامة المجتمع .

وشملت الرقابة المالية تنجيزها الفعلي وفقا للولاية القضائية للإمام المسلمين وحقه في تطبيق الحكم الشرعي على الامة الاسلامية وفي ذلك إحياء للقانون الاسلامي سواء كان اقتصاديا او في اي مجال اخر , قال الامام علي بن ابي طالب عليه السلام: (( يحق على الامام ان يحكم بما انزل الله واي الامانة , فاذا فعل ذلك في حق على الناس ان يسمعوا له ويطلعوا ويجيبوا اذا دعاه )) . (٥٩)

وقد اكد الرسول صلى الله عليه واله وسلم على حق رقابة الحاكم على الرعية , ولا تقتصر الرقابة المالية على الرعية من المسلمين بل انها تشمل عموم مواطنين الدولة , وكل القاطنين ارضها , فقد تدخل في اموال بني النضير عندما اجلاهم وبني عبد القيس

وغيرهم , وكان صلى الله عليه واله وسلم يراقب على بعض الممارسات العملية في الممارسات المالية لعقود التجارة والزراعة والحرف , ورقابته على الواردات الاخرى من جباية الزكاة وصرفها من حيث التقسيم الاداري لمناطق التمويل او التخصص من حيث ممارسة الجباية والتوزيع وتطبيقها<sup>(٦٠)</sup>, وتتعلق رقابة الرسول صلى الله عليه واله على اموال المسلمين من وظيفته الاساسية بتطبيق احكام الشريعة, ففي باب والخراج وما أمر به من الرفق باهلها ونهى عنه ورد تأكيد السياسية الإسلامية على حرمة تعذيب الناس وان كان في قبض الاموال الشريعة فقد اكدت الشريعة الإسلامية والسياسة الاقتصادية على ضرورة الرفق به , (( عن هشام بن حكيم ابن حزام انه مر على قوم يعذبون في فلسطين, فقال : هشام سمعت رسول الله صلى الله عليه واله , يقول ان الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا ))<sup>(٦١)</sup>.

ومن خلال دراسة الموارد المالية للدولة الإسلامية في كتاب الاموال لابي عبيد , يمكننا أن نقسمها إلى خمسة أقسام :

- ١ - الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق الضرائب من: الخراج والزكاة والخمس والصدقات والغنائم وغيرها .
- ٢ - الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق العقارات واحكام الاراضي العامة والصوافي والموات .
- ٣ - الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق قيامها بنشاطات اقتصادية من الزراعة والحرف والصناعات والتجارة والاسواق .
- ٤ - الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق القرض وتقديم المؤن والمساعدات المالية.
- ٥ - الدخل المالي الذي يرد الحكومة عن طريق ولايتها العامة على المواطنين من تقسيم الامام عليهم من حقه الخاص سواء من سهمه في الغنائم او الفىء او سائر الحقوق الشرعية .

فقد ازدادت موارد الدولة ووظيفة الرقابة المالية عليها في العهد الراشدي نظراً لاتساع الدولة وكثرة الفتوحات ودخول الناس للإسلام ، فكان هنالك الزكاة والغنائم والفئ والخراج والجزية وميراث من لا وارث له ، وزاد عليها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عنه العشور على الوافدين بتجاربهم واموالهم الى دولة الاسلام تطبيقاً للمعاملة بالمثل مع المسلمين الذين يتعاملون معهم في ارضهم ، وقد شهد التاريخ الاسلامي اختلافاً في القرارات المالية بين الخلفاء وهذا يعود لنظرة واجتهاد كل منهم وبحسب متطلبات عصره ومستجداته . (٦٢)

فمثلاً نجد ان الفيء وهو ما يرجع إلى المسلمين من المشركين، مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب... وما يتركه الكفار للمسلمين من غير أن يقاتل عليه المسلمون. ويشمل الأموال المنقولة - كالنقود والأثاث - وغير المنقولة - كالعقارات ، ويملكها رئيس الدولة الإسلامية ليصرفها في شؤون الدولة العامة والمصالح الاجتماعية (٦٣)، قال تعالى: ((وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ، فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)). (٦٤)

وكذا الحال في إرث من لا وارث له: فلأن الإمامة هي الولاية الشرعية على المسلمين، يعتبر الإمام وارثاً لمن لا وارث له من أقارب وموالي ، والذي يموت عن غير وارث من الأقارب والموالي، تضبط أمواله فوراً لتنتقل إلى خزينة الدولة. (٦٥)

ويمكن التوصل الى النقاط المهمة في مسألة تحصيل الزكاة والخمس وسائر الاموال الواجبة من خلال تتبع الاحاديث والرويات في ذلك :

- ١- عدم اخذ كرائم اموال الناس فلا يؤخذ في الفرائض الربى ؛ وهي التي ولدت ومعها ولدها ولا المخاض وهي حامل ولا الاكولة وهي السمينة .
- ٢- عدم اخذ المعيب كالهزيمة من الانعام وقليلة اللبن والمريضة والجرباء ونحوها.
- ٣- وجوب اخذ الوسط لان العدل فيه ، فالزكاة فرضت على وجه الرفق .
- ٤- اخذ البديل اذا لم توجد الاموال المطلوبة .

- ٥- لا تأخذ زكاة الثمار الا بعد ان تجف .
- ان حفظ الاموال العامة في الدولة الاسلامية هو اهم الاهداف وحمائتها وحفظهما من الضياع والاختلاس , كما جعلت السياسة الاقتصادية حفظ المال وصيانته وهو الضروريات<sup>(٦٦)</sup>, ويمكن تلخيص اهداف الرقابة المالية في الاسلام بالنقاط التالية :
- ١- التثبيت بان جميع موارد الدولة التي قد تم جمعها وتحصيلها وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية وقد تم ايداعها في بيت مال المسلمين .
- ٢- التحقق بان الانفاق العام من الصادرات كان وافق القواعد الشرعية وان صرف الاموال واستخدامها قد جاء وفقا لما خصص لها دون تبذير او اسراف .
- ٣- الكشف عن المخالفات وصيانة المال العام واقتراح وسائل للعلاج .
- ٤- متابعة تنفيذ الخطط المقررة للمشاريع النافعة والتي تهدف الى تحقيق المصلحة العامة , مع الكشف عن المخالفات والاطفاء وتصويبها .
- ٥- مراجعة اجراءات العقود والبيع والشراء والشركات والائتمانات والتأكد من الانظمة المعمول وفقها .
- ٦- مراقبة الاسعار والاسواق ومعاينة الممارسات الممنوعة فيها .
- ومن مصاديق الرقابة الاسلامية التي كانت على وفق مستويات ثلاثة , قبل العمل فقد كانت رقابة قوية وصارمة ولا تقبل الضيم او الاستثناء , (( وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعنُ يدها ))<sup>(٦٧)</sup>, والرقابة المالية بعد العمل فقد اسس رسول الله صلى الله عليه واله وسلم متابعة اعمل بعد ادائه وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على سنته الشريفة , فقد استعمل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رجلاً على صدقات بني سليم، يدعى ابن اللثبيّة، فلما جاء حاسبه، قال: (( هذا مالكم وهذا هديّة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلاً جاست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني استعمل الرجل منكم على العمل ممّا ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هديّة أهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه

هَدِيَّتُهُ، وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا عَرْفَنَ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خُورٌ، أَوْ شَاةً تَيَعَّرُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ بَصَرَ عَيْنِي وَسَمِعْتُ أُذُنِي))<sup>(٦٨)</sup>، والرقابة المالية اثناء الاداء ، قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : (( لا جلب ولا جنب ، ولا تؤخذ صدقاتهم إلا في دورهم ))<sup>(٦٩)</sup> تخفيفا عليهم وحفظا للمال ، عن الشعبي قال اشترى عتبة بن فرقد ارضا على شاطئ الفرات، فقال له عمر: (( لا تاخذ غصبا ، فذكر ذلك الامر ، فقال: خمسٌ اشتريتها ، قال: من اربابها ... فلما اجتمع المهاجرون والانصار عند عمر ، قال هؤلاء اهلها فقد اشتريت منهم شيئا ، قال: لا ، قال : ردها على من اشتريتها منه واخذ مالك ))<sup>(٧٠)</sup>، وقد بلغ الامام علي رضي الله عنه عن السواد فساداً فقال لم ينتدب فانتدب له ثلاثمائة ، فقال: (( لولا ان تضرب وجوه قوما عن مياهم لقسمت السواد بينهم ))<sup>(٧١)</sup>.

وكانت الرقابة على الاسواق مستمرة عليها وبالمستويات الرقابية الثلاث معا وفي ان واحد ، فضلا عن تنظيمها الخاص<sup>(٧٢)</sup>، وهو تنظيم يدعو الى الحث والاسراع على الاتجار والسعي والتبكير في السوق والعمل ، عن الاصبغ بن نباته ، قال : (( خرجت مع علي عليه السلام الى السوق وراى اهل السوق قد حازوا امكنتهم ، فقال: ما هذا قالوا اهل السوق قد حازوا امكنتهم، فقال : ليس كذلك لهم ، سوق المسلمين كمصلى المسلمين من سبق الى شيء فهو له يومه حتى يدعه ))<sup>(٧٣)</sup>.

#### الخاتمة :

يُعد كتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلام(١٥٧هـ/٧٧٤م - ٢٢٤هـ/٨٣٨م) من أمهات الكتب في الاقتصاد الإسلامي، وقد عرض أبو عبيد فيه ((الأموال الشرعية وبيان جهاتها ومصارفها))، للآيات والأحاديث والمأثورات والوقائع والتطبيقات التي تناولت الأموال في الشريعة الإسلامية، وكذلك تناول اجتهادات المذاهب الفقهية في هذا الميدان، ونقد سند الروايات وتفحص متون الروايات مرجحاً ما رآه راجحاً.

حدد أبو عبيد في كتاب الأموال، الموارد العامة التي تجمع لصالح بيت المال التي تتجلى في الخراج والجزية وعشور التجارة والغنيمة والزكاة، كما تمثل أيضاً النفقات

العامّة في مصارف الفيء والخُمس والزكاة وأرزاق الجيش وإحياء الأراضي، وتتطرق الى عدالة التوزيع وتداول المال والمحاسبة المالية وتحديد الملكية الخاصة، والمواثيق والعهود بين المعاهدين والأئمة وبين هؤلاء وأهل الصلح من الدول المجاورة، فيما يعرف اليوم بالقانون الدولي الخاص والعام.

ويعد تنظيم المال العام والرقابة المالية من اساسيات الاقتصاد الاسلامي ، وقد كانت التنظيمات المالية في عهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم من اولياتها التأكيد على اهمية العمل ، وعدم تأخير العطاء حيث كان لا يبقي مالا وكان يوزعه حال استلامه ولا يدعه ليلة واحدة في داره ، وكذا اهتدى الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم من بعده ، حيث كانوا لا يحتفظون باي فائض من المال للأعوام التالية وانما كانوا يتعبرون إبقاء الاموال في ذلك الوقت نوعا من الاستئثار بالأموال .

وكان التنظيم الاداري المالي في العهد النبوي الشريف بسيطا يتناسب مع صغر الدولة ووارداتها ، وهذا يدل على مرونة التنظيم وملائمته للواقع ، وكان يرسل السعاة بنفسه ويحاسبهم بنفسه ايضا ، واسس اقتصاديات الزكاة والصدقة وموارد صرفها ، وقسم اقتصاديات الغزوات والفتوحات من موارد متعددة من الغنائم والفيء والجزية والفداء .

وارتبط التنظيم الاداري للدولة بالتنظيم المالي فان الرسول صلى الله عليه واله وسلم كان النواة الاولى للجهازين المالي والاداري وشؤون السياسة الداخلية والخارجية ، ويتضح من العدد الكبير من الكتبه والاداريين والمحاسبين الذين كلفهم بتدوين وكتابة الوقائع والعهود وخاصة التي كانت ترسل الى الملوك ورؤساء الاجناد لتبليغ رسالة الاسلام او الخيار بين الجزية والقتال ، وشملت مواثيق ومعاهدات مع النصارى واليهود وعقود مع القبائل وكتب الامان الى الملوك والامراء : ( الروم ، والفرس ، والحبشة، ومصر، وعمان ، واليمامة ، والبحرين ، والشام ، وغيرها...) ، وكان الهدف منها اقامة العلاقات والتبادل التجاري والدعوة الى الاسلام وتأمين الطرق التجارية .

وقد اكد الرسول صلى الله عليه واله وسلم على حق رقابة الحاكم على الرعية ، ولا تقتصر الرقابة المالية على الرعية من المسلمين بل انها تشمل عموم مواطنين الدولة ،

وكل القاطنين ارضها , فقد تدخل في اموال بني النضير عندما اجلاهم وبني عبد القيس وغيرهم , وكان صلى الله عليه واله يراقب على بعض الممارسات العملية في الممارسات المالية لعقود التجارة والزراعة والحرف , ورقابته على الواردات الاخرى من جباية الزكاة وصرفها من حيث التقسيم الاداري لمناطق التمويل او التخصص من حيث ممارسة الجباية والتوزيع وتطبيقها , وتنطلق رقابة الرسول صلى الله عليه واله على اموال المسلمين من وظيفته الاساسية بتطبيق احكام الشريعة .

وكان هناك تعليمات للرسول صلى الله عليه واله تنظم واردات الدولة المالية وتحفظ الحقوق العامة والخاصة, منها : النهي عن استدراج الناس او اجبارهم على الحلف على الاوعية المفروض عليها الحقوق , ومراعاة السنوية في الجباية , والحرص على عدم تكليف الممول باكثر مما يطيق , ومراعاة العدالة , وعدم التنازل عن اي حق لمال الله , واخذ الصدقات في وجهها , وجواز اخذ المعادل النقدي للقيمة .

ازدادت موارد الدولة ووظيفة الرقابة المالية عليها في العهد الراشدي نظرا لاتساع الدولة وكثرة الفتوحات ودخول الناس للاسلام , فكان هنالك الزكاة والغنائم والفئ والخراج والجزية وميراث من لا وارث له وزاد عليها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه العشور على الوافدين بتجاربهم واموالهم الى دولة الاسلام تطبيقا للمعاملة بالمثل مع المسلمين الذين يتعاملون معهم في ارضهم , وقد شهد التاريخ الاسلامي اختلافا في القرارات المالية بين الخلفاء وهذا يعود لنظرة واجتهاد كل منهم وبحسب متطلبات عصره ومستجداته .

## الهوامش

- (١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٥٧٨.
- (٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٥٧٩.
- (٣) الزبيدي، المعجم الوسيط، ج١٧، ص٦٨٩.
- (٤) بيع الغرر هو: "التردد بين أمرين ليس أحدهما أظهر" مثال ذلك: أ- أن يغري البائع الثمن والمُثمن، لأن جهلها غرر، ب- أن يحدد زمن البيع كبعثك إذا جاء رأس السنة، ج- أن يعلق البيع على رضا شخص، كبعثك إذا رضي زيد، د- وبيع المجهول غرر كبيع السمك في الماء والطير في الهواء. الطوسي، الخلاف، ج٣، ص٥٥.
- (٥) ابن عبد القادر، مختار الصحاح، ص١٣٧.
- (٦) الزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٢٩.
- (٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٤١٣.
- (٨) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص٦٠.
- (٩) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٩١.
- (١٠) ابن معين، تاريخ ابن معين، ج١، ص٨.
- (١١) ابن النديم، الفهرست، ص٧٨.
- (١٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٧، ص٢٠٢.
- (١٣) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٨، ص٢٨٤.
- (١٤) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٩١؛ سائد بكداش، أبو عبيد القاسم بن سلام، ص١١٢.
- (١٥) ابن حنبل، مسند احمد، ج٢، ص٥؛ البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٢١٥.
- (١٦) ابو عبيد، كتاب الاموال، ص٧٢؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج١، ص٢٠٣.
- (١٧) ابو عبيد، كتاب الاموال، ص٧٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٨٣.
- (١٨) ابو عبيد، كتاب الاموال، ص٧٣؛ ابن ابي شيبة، المصنف، ج٨، ص٢٦٦.
- (١٩) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج٣، ص٥٣٣؛ البيهقي، معرفة السنن والآثار، ج٥، ص١١١.
- (٢٠) ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج٤، ص٢٨٤؛ ابن الصباغ، الفصول المهمة، ج٢، ص١١٣٤.
- (٢١) الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج٣، ص٥٣٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٣١٩.
- (٢٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٣؛ المازندراني، شرح اصول الكافي، ص١٩٤.

تنظيم المال العام والرقابة في الدولة الإسلامية دراسة في كتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلام  
(١٥٧هـ/٧٧٤م - ٢٢٤هـ/٨٣٨م)

- (٢٣) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٧٠؛ المتقي الهندي , كنز العمال , ج ١, ص ٢٠٣ .
- (٢٤) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٧٣ - ٧٤؛ ابن ابي شيبة , المصنف , ج ٨, ص ٢٦٦.
- (٢٥) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٧٥ - ٧٦؛ الحلي , تحرير الاحكام , ج ١, ص ٤٠٩.
- (٢٦) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٧٦ - ٧٧.
- (٢٧) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٨١.
- (٢٨) الصدر , اقتصادنا , ٤٢٤.
- (٢٩) ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج ٢, ص ٢٦٢؛ الاحمدي , مكاتيب الرسول صلى الله عليه واله وسلم , ج ١, ص ١٢.
- (٣٠) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٨٢.
- (٣١) اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي , ج ٢, ص ٥٤؛ الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج ٣, ص ١٥٧.
- (٣٢) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٨٧.
- (٣٣) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٨٩ .
- (٣٤) سورة التوبة, الآية ٢٩ .
- (٣٥) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٩٠ .
- (٣٦) - ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٩١.
- (٣٧) ثُنِيَا بضم الفاء وسكون النون ما استثنيه والمراد انها مستثناه من حكم الزكاة وانها فيء الله ورسوله .ابن منظور , لسان العرب, ج ١٤, ص ١٢٤.
- (٣٨) ابن الاثير , أسد الغابة , ج ١, ص ٣٥١؛ ابن حجر , الاصابة في تمييز الصحابة , ج ١, ص ٣٨٧.
- (٣٩) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٩٤؛ الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج ٢, ص ٦٤٤.
- (٤٠) ابن عساكر و تاريخ مدينة دمشق , ج ٤٧, ص ٢٦٥؛ الطبراني , المعجم الكبير , ج ٢٢, ص ١٧٠.
- (٤١) ابن حبان , الثقة , ج ٣, ص ٤٣٤؛ المزني , تهذيب الكمال , ج ٣٠, ص ١٩٨.
- (٤٢) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١١٩ ؛ ابن حبان , الثقة , ج ٣, ص ٣٤٣.
- (٤٣) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٢٠.
- (٤٤) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٢٠؛ الطبراني , المعجم الكبير , ج ٢٢, ص ١٧٠.
- (٤٥) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٩٧ ؛ ابن عبد البر , الاستيعاب , ج ٤, ص ٣٠٤.
- (٤٦) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ٩٩ ؛ ابن حجر العسقلاني , الاصابة , ج ١, ص ٣٢٢.
- (٤٧) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٠٠؛ اليعقوبي , ج ٢, ص ٦٠.

تنظيم المال العام والرقابة في الدولة الإسلامية دراسة في كتاب الاموال لابي عبيد القاسم بن سلام  
(١٥٧هـ/٧٧٤م - ٢٢٤هـ/٨٣٨م)

- (٤٨) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٠٥ .
- (٤٩) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٠٨؛ الاصفهاني , الفوائد, ص ٥٢ .
- (٥٠) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١١١ ؛ ابن شهر اشوب , معالم العلماء , ١٥٠ .
- (٥١) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١١٣؛ ابن سعد , الطبقات الكبرى, ج٤, ص ١١٠ .
- (٥٢) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١١٤؛ ابن الخياط , تاريخ ابن الخياط , ٩٣ .
- (٥٣) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٣٢ ؛ الدينوري , الاخبار الطوال , ص ٧١ .
- (٥٤) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٣٢ ؛ البخاري , التاريخ الصغير , ج١, ص ٨٤ .
- (٥٥) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٣٧ ؛ الدينوري , الاخبار الطوال , ص ١١٣ .
- (٥٦) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٤٦ ؛ المزي , تهذيب الكمال , ج٣٠, ص ١٩٧ .
- (٥٧) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٤٦ ؛ المزي , تهذيب الكمال , ج٣٠, ص ١٩٧ .
- (٥٨) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٦٠ ؛ مسلم , صحيح مسلم , ج٣, ص ١٤٦ .
- (٥٩) ابو عبيد , الاموال , ص ٧٤؛ الكليني , الكافي , ج١, ص ١٧٨ .
- (٦٠) البخاري , صحيح البخاري, ٤, ص ٨٢؛ الضحاك , الاحاد والمثاني , ج١, ص ٤٢٥ .
- (٦١) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١١٨ ؛ ابن حنبل , مسند احمد , ج٣, ص ٣٠٤ .
- (٦٢) الواقدي , فتوح الشام , ج١, ص ٩؛ ابن سعد , الطبقات الكبرى , ج١, ص ١٦٨ .
- (٦٣) البلاذري , فتوح البلدان , ج٣, ص ٥٧١ .
- (٦٤) ابن شبة , تاريخ المدينة, ج٢, ص ٢٥٥؛ اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي, ج٢, ص ٢٣٢ .
- (٦٥) الطبري , تاريخ الرسل والملوك , ج٣, ص ٣٨١؛ ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج٢, ص ٣٤٤ .
- (٦٦) الصدر , اقتصادنا , ص ٦٣٢؛ فدك في التاريخ, ٧٨ .
- (٦٧) البخاري , صحيح البخاري, ج٥, ص ٩٧؛ مسلم , صحيح مسلم , ج٥, ص ١١٤ .
- (٦٨) البخاري , صحيح البخاري, ج٨, ص ٦٦؛ مسلم , صحيح مسلم , ج٦, ص ١٢ .
- (٦٩) العيني , عمدة القارى, ج٢٤, ص ١٢٤ .
- (٧٠) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٥٧ ؛ ابن خزيمة , صحيح ابن خزيمة , ج٤, ص ٥٤ .
- (٧١) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٦١ ؛ الجصاص , الفصول في الاصول , ج٣, ص ٢٧٩ .
- (٧٢) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٦٣ ؛ المتقي الهندي , كنز العمال , ج٥, ص ٨١٦ .
- (٧٣) ابو عبيد , كتاب الاموال , ص ١٦٦ ؛ البلاذري , فتوح البلدان , ج٢, ص ٣٦٧ .

## المصادر والمراجع :-

### \* القرآن الكريم .

- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني :

١-أسد الغابة في معرفة الصحابة،د/ط، دار الكتاب العربي (بيروت:د/ت).

٢-الكامل في التاريخ ،ط١،دار صادر (بيروت : ١٩٦٥ م).

-ابن أعثم الكوفي(ت نحو ٢١٤ هـ) ، ابو محمد أحمد بن اعثم الكوفي :

٣- كتاب الفتوح ، ط١ ، دار الاضواء (بيروت : ١٤١١ هـ).

-البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة الجعفي :

٤-التاريخ الصغير ، تحقيق محمود ابراهيم ، ط١ ، دار المعرفة (بيروت : ١٤٠٦ هـ).

٥-صحيح البخاري ، ط١، دار الفكر (بيروت:١٩٨١ م).

- البلاذري(ت٢٧٩هـ)، احمد بن يحيى:

٦- فتوح البلدان، ط١، مطبعة الموسوعات (القاهرة: ١٩٠١م).

- البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي :

٧-معرفة السنن والآثار ،تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت :د/ت).

-الخصائص(ت ٣٧٠ هـ)، أبو بكر أحمد بن علي الرازي :

٨-الفصول المهمة ، ط١، دار الكتب العلمية(بيروت : ١٩٩٤ م).

- ابن حبان(ت ٣٥٤هـ) حمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي:

٩-التقاة، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية(حيدر آباد :١٣٩٣ هـ).

- ابن حجر(ت٨٥٢هـ)، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني :

١٠- الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية (بيروت: د.ت).

١١- تهذيب التهذيب، دار صادر (بيروت: د/ت).

- الحلي (ت ٥٧٦٢هـ)، الحسن بن يوسف بن علي المطهر :
- ١٢- تحرير الاحكام ،تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، مطبعة ستارة (قم: ١٤١٦هـ).
- ابن حنبل (ت ٢٤٦هـ) ، احمد بن حنبل أبو عبد الله (ت ٢٤١هـ):
- ١٣- مسند احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، ط ١ ، دار صادر (بيروت : د / ت ) .
- الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، ابو بكر احمد بن علي :
- ١٤- تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر، ط ١، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٩٩٧م).
- ابن خلكان(ت٦٨١هـ)، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:
- ١٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت: د/ت).
- ابن خزيمة (ت٣١١هـ)، ابو بكر بن اسحاق النيسابوري :
- ١٦- صحيح ابن خزيمة ، تحقيق محمد الاعظمي ، ط٢، المكتب الاسلامي ( لا. مكان/١٩٩٢م).
- الذهبي(ت٧٤٨هـ)، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان:
- ١٧- سير أعلام النبلاء، تحقيق محي الدين سعيد بن عمر بن غرامه الهروي، ط١، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت: ١٩٩٦م).
- الرازي(ت٦٦٦هـ)، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر :
- ١٨- مختار الصحاح ،د/ط، دار الكتب العلمية(بيروت : ١٩٨٣م) .
- ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)،محمد بن سعد بن منيع :
- ١٩-الطبقات الكبرى ،تحقيق إحسان عباس ،د/ط، دار صادر (بيروت:د/ت).
- أبن شهر اشوب (ت ٥٨٨هـ) ، شير الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر اشوب :

- ٢٠- مناقب آل أبي طالب (عليهم السلام) ، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، ط ١ ،  
المطبعة الحيدرية ( النجف : ١٩٥٦م).
- ابن ابي شيبة ( ت ٢٣٥ هـ )، ابو بكر عبد الله بن محمد العبسي الكوفي :
- ٢١- المصنف ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ١، طبعة ومنشورات المجلس  
العلمي (د/ مكان : د / ت ).
- الصفدي ( ت ٧٦٤هـ ) ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله :
- ٢٢- الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤط ، د/ط ، دار أحياء التراث ( بيروت :  
٢٠٠٠م).
- ابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥ هـ)،عليّ بن محمد بن أحمد المكي:  
٢٣- الفصول المهمة في معرفة الأئمة ،تحقيق سامي الغريزي،ط١،مؤسسة دار الحديث  
الثقافية ( قم : ١٤٢٢هـ).
- الصفدي ( ت ٧٦٤هـ ) ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله :
- ٢٤- الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤط ، د/ط ، دار أحياء التراث ( بيروت :  
٢٠٠٠م).
- الضحاك (ت ٢٨٧هـ)، الضحاك ابن أبي عاصم:  
٢٥-الآحاد والمثاني تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة ، ط١، دار الراية (الرياض :  
١٩٩١ م ) .
- الطبراني ( ت ٣٦٠هـ ) ، ابو القاسم سليمان بن احمد:  
٢٦- المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط١، دار احياء التراث العربي  
(بيروت:د/ت).
- الطبري ( ت ٣١٠ هـ ) ، أبو جعفر محمد بن جرير:
- ٢٧- تاريخ الأمم والملوك ، ط ٢، مطبعة دار المعارف ( مصر: ١٩٦٦ ) .
- الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)،ابو جعفر محمد بن الحسن:
- ٢٨- تفسير جوامع الجامع ، ط ١ ، مؤسسة النشر الإسلامي ( قم : ١٤٢١هـ).

- ٢٩- الخلاف، تحقيق علي الخراساني، ط١، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي (قم: ١٤١١هـ).
- ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد:
- ٣٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد الجاوي، ط١، دار الجيل (بيروت: ١٩٩٢م).
- ابو عبيد (ت ٢٢٤هـ)، القاسم بن سلام :
- ٣١- الاموال ، تحقيق محمد عمارة ، دار الشروق ، ط١، بيروت ، ١٩٨٩م.
- العيني (ت ٨٥٥هـ)، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي :
- ٣٢- عمدة القاري في شرح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ( بيروت : د/ت).
- المزني (ت ٧٤٢هـ)، أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي:
- ٣٣- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ط٣، مؤسسة الرسالة (بيروت: ١٩٨٨م).
- الكليني (ت ٣٢٩هـ)، محمد بن يعقوب :
- ٣٤- الأصول من الكافي ، تحقيق علي أكبر الغفاري ، ط١، دار الكتب الإسلامية (طهران: د/ت).
- الواقي (ت ٢٠٧هـ) ، محمد بن عمر بن واقد :
- ٣٥- فتوح الشام ، ط١ ، دار الجبل ( بيروت : د/ت).
- مسلم (ت ٢٦١هـ)، أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري:
- ٣٦- صحيح مسلم ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، ط٣، دار المعرفة (بيروت: ٢٠١٠م).
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت ٣٨٥هـ-٩٩٥م):
- ٣٧- الفهرست، تحقيق رضا تجدد (طهران: ١٩٧١م).
- ابن منظور (ت ٧١١هـ)، جمال الدين محمد مكرم الانصاري:
- ٣٨- لسان العرب، تحقيق يوسف الخياط ، ط٢، دار لسان العرب ( بيروت : د / ت ).
- المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي:
- ٣٩- كنز العمال في سنين الأقوال والأفعال ، تحقيق صفوة السقا، ط١، مؤسسة الرسالة (بيروت: ١٩٨٩م).

- ابن شبه، أبو زيد عمر البصري :
- ٤٠- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهميم محمد شلتوت، ط١، مطبعة قدس (قم: ١٤١٠هـ).
- اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت بعد ٢٩٢هـ-٩٠٤م):
- ٤١- تاريخ اليعقوبي، د/ط، دار صادر (قم: د/ت).
- الأصفهاني (ت ١٣٤٨هـ)، أبو عبد الله محمد تقي الموسوي :
- ٤٢- الفوائد، تحقيق علي عاشور، ط١، مؤسسة الأعلمي (بيروت: د/ت).
- الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني :
- ٤٣- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، ط١، دار الفكر (بيروت: ١٩٩٤).
- الصدر، محمد باقر :
- ٤٤- اقتصادنا، ط٢، مكتب الأعلام الإسلامي، (مشهد: ١٤٢٥هـ).
- ٤٥- فدك في التاريخ، تحقيق عبد الجبار شرارة، ط١، دار الغدير، ١٤٠١هـ.
- المازندراني (١٠٨١هـ)، مولى محمد صالح :
- ٤٦- شرح أصول الكافي، ط١، دار أحياء التراث العربي، (بيروت: ٢٠٠٠م).

تأثيرات فنون الشرق الأدنى القديم في نقش  
بيستون للملك داريوش الأول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م)

أ.م.د. زيار صديق رمضان

/جامعة دهوك/كلية العلوم الانسانية/قسم الآثار

Zhyar.sadiq@uod.ac



تأثيرات فنون الشرق الأدنى القديم في نقش بيستون للملك داريوش الأول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م.)

أ.م.د. ذيار صديق رمضان

### الخلاصة

نسلط الضوء في هذه الدراسة على تأثيرات فنون الشرق الأدنى القديم في نقش بيستون للملك داريوش الأول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م.)، الذي يتضمّن دراسة: مكان النقش وأهميته، والتأثيرات الدلالية والفنية في النقش، وتتمثّل تلك التأثيرات في تجسيدات: التعلق بين الإله والملك، ومشهد الملك المنتصر، وتصوير الأسرى.

الكلمات المفتاحية: الفنون، بيستون، الأخمينيون، داريوش الأول.

### Influences of the Arts of the Ancient Near East in the Bestun Inscription

#### King Darius I (522-486 BC)

#### Conclusion

In this study, we will shed light on the influences of the arts of the ancient Near East in the Beeston inscription of King Darius I (522-486 BC), which includes a study: the place and importance of the inscription, and the semantic and artistic influences in the inscription. And the scene of the victorious king, and the depiction of prisoners.

Keywords: Arts, Bestun, Achaemenids, Darius I.

### المقدمة

يُحظى النحت البارز على الصُخور بأهميّة في الفنون الإيرانيّة القديمة، ويمكن للباحث في تاريخ إيران القديم أن يستنطق تلك المنحوتات؛ لما تحويه من دلالات دينيّة وسياسيّة وعسكريّة، تظهر ما كان عليه المجتمع الإيرانيّ من معتقدات دينيّة واجتماعيّة آنذاك، فضلاً عما كان عليه النظام السياسيّ من قوّة تُجسّد أيّدولوجيّة السياسيّة. ونُقشت تلك المنحوتات بأوامر من الملوك الإيرانيين

القدماء؛ لتلبية دوافع سياسية- اعلامية، فهي تجسيد لتوجهاتهم الدينية والسياسية التي كانت تخدم أهدافهم الاعلامية، لدوام سلطتهم، وكانت في أغلبها سرداً لحكايات انتصاراتهم، وعلاقاتهم بالآلهة، التي منحهم النصر، وديمومة تعزيز بقائهم في السلطة. والدليل ما وثقه الملك دارا (داريوش) الأول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) في نقشه على صخرة في جبل بيستون لسلسلة انتصاراته في بداية توليه الحكم وهزيمة أعدائه وإذلالهم.

وعلى الرغم من أن نقش بيستون يعدّ من أهم الآثار التاريخية الأخمينية بل من النقوش المهمة في الشرق الأدنى القديم. بيد أن هناك من ملوك الشرق الأدنى القديم وحكامهم من سبق الأخمينيين في هذا النوع من الفن في توثيق انتصاراتهم. لذا تركت تلك الفنون تأثيراتها في نقش بيستون، لا سيما ما نلاحظه من تماثل كبير بين نقش ملك اللولوبيين انوبانييني (Anubanini) الذي وثق انتصاراته، ونقش بيستون. فضلاً عن ذلك، هناك ملوك من حضارات مصر القديمة، وبلاد الرافدين (السومريون، والأكديون، والبابليون، والآشوريين)، والعيلاميون، والميديون. قد نقشوا انتصاراتهم على السفوح الصخرية أو على مسلات، أو على جدران قصورهم ومعابدهم. وكان لها تأثير في نقش بيستون، إلا أنه يبقى نقش انوبانييني الأكثر تأثيراً في نقش بيستون إلى الحد الذي يمكن أن نلمس تطابقاً كبيراً في الجوانب الفنية والمعتقداتية والدعائية بين النقشين، فضلاً عن ذلك إنهما يتضمنان موضوعين متشابهين إلى درجة يبدو أن نقش بيستون وكأنه تقليداً لنقش انوبانييني.

ولما يُمكن إغفال أن تلك المنحوتات التي جسدت إنتصارات الملوك، كانت في الأعم الأغلب قد نُقشت على صخور، لذا كان موقع إيران الجغرافي وجبالها، فضلاً عن إتساع الدولة الأخمينية، وانضواء دول وأمم لها قصب السبق في مجال النقوش التذكارية التي تُخلد أمجاد ملوكها وانتصاراتهم، كل ذلك من دفع ملوكها، متأثرين بمن سبقهم من الملوك، بتجسيد آثار إنتصاراتهم على صخور، نقشوا عليها موضوعات تتعلّق بأمجادهم، وعلو كعبهم على باقي الأمم التي عاصرتهم، وخضعت لسطوتهم. أهمها نقش بيستون الصخري البارز الذي اختير في موقع بصري مناسب، فضلاً عن قدسية الرّموز المنحوتة، ونوع الصخرة المنقوش عليها وهيكليةتها.

وتأسيساً على ما تقدّم، أغرتنا أهمية دراسة النقوش التذكارية للملوك والدعائية لهم، فاخترنا عنواناً لها وسمّناه بـ (تأثيرات فنون الشرق الأدنى القديم في نقش بيستون للملك دارا الأول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م.)، تضمنت مطلبين، الأول: أهتمّ بدراسة (مكان النقش وأهميته)، بينما المطلب الثاني: عني بالحديث عن التأثيرات الدلالية والفنية في النقش، وتناول الحديث فيه ثلاثة محاور، الأول: التعلّق بين الإله والملك، والثاني: كرسّ للحديث عن مشهد الملك المنتصر، بينما خصّص المحور الثالث للحديث عن تصوير الأسرى.

## أولاً: مكان النقش وأهميته

يُعدُّ نقش بيستون من أقدم النقوش الإيرانية القديمة، يعود إلى عهد الملك داريوش الأول (ثالث ملوك الدولة الأخمينية)، تضمّن معلومات تاريخية عُرضت لأول مرّة في مثل هكذا لوح تصويري، كذلك تميز بأسلوب فني نادر، وعلاقات تناسبية مع الألواح الموجودة في الشوش وفي تخت جمشيد<sup>(١)</sup>.

وثقّ النقش أحداثاً استثنائية وقعت عند استلام الملك داريوش الأول زمام الحكم وجلسه على العرش الملكيّ مثل التمرّدات والانقلابات التي اندلعت في مناطق مختلفة من الدولة الأخمينية، فحاض على أثر ذلك عدد من المواجهات المسلحة مع أولئك المتمرّدين على حكومته، واستطاع إخمادها، واستعاد هيبة الدولة، ومن بعد ذلك أصدر داريوش في حدود عام (٥٢٠ ق.م) أمراً بتخليد أعماله البطولية وانتصاراته على لوح منقوش على صخرة في جبل بيستون<sup>(٢)</sup>، الواقع بين مدينتي كرمانشاه وهمدان (اكباتانا القديمة).

ولعلّ من المفيد ذكره عن معنى تسمية بيستون، لما لها من ارتباط بقديسيّة المكان، فهو مصطلح فارسي أو ميدي، استنبط من بگه- استانه (stāna-baga) أو بغستان، ويتألف من مقطعين: بگه واستانه، فيعني المقطع الأول، بگه: الإله، أمّا المقطع الثاني استانه، فيعني: مكان أو مقرّ<sup>(٣)</sup>، وبدمج كلا المقطعين، يُعرف بـ (المكان الخاص بالآلهة)<sup>(٤)</sup>. وعُرف أيضاً بتسميات عدّة، مثل: بغستان، بگستان، فغستان، بهستان، وذكره ديودور الصقلي باسم بگستانون (Bagistanon)<sup>(٥)</sup>. بينما ذكره الجغرافيون المسلمون: بهستون، وبهستان<sup>(٦)</sup>.

وتأتي أهمية هذا المكان الذي اختاره داريوش الكبير لنقشه من تسميته التي لها مدلولان ديني وعقائديّ كبيرين آنذاك، كذلك كان ممراً لإحدى الطّرق القديمة التي تسير فيها القوافل<sup>(٧)</sup>. ويُعدُّ حلقة اتّصال طرق الغرب مع إيران، تحديداً على الطّريق الذي يقع بين بابل وأكباتانا (همدان الحالية)<sup>(٨)</sup>. إذ يتّصل بالشرق بما يُعرف بطريق الحرير<sup>(٩)</sup>.

تضمن نقش بيستون مشاهد فنيّة (ينظر: شكل رقم ١)، فضلاً عن نقوش كتابية بثلاث لغات هي: العيلامية والبابلية والفارسية القديمة، ذكر فيها الملك داريوش تعريفاً عن نفسه، فضلاً عن سرد لأحداث المواجهات والمعارك التي خاضها ضدّ الأقوام المتمرّدة على حكومته، كما ذكر فيه إشارات عن مميزات النظام الملكيّ الأخميني، وأشار فيه إلى أسماء الأقاليم التابعة لدولته، وذكر فيه جملة من الإرشادات العقائديّة، واصفاً نفسه بصفته نائباً للإله على الأرض، وناقلاً وصاياها من الأعراض عن قول الزور، والتمسك بقول الصّدق. وورد نصُّ ارشاديّ تحذيريّ في البند السابع عشر من العمود الرابع في اللوح مفاده: "إن اطلعت على هذه التعلّمات والنصائح في هذا اللوح ولم تطبقها أو قمت

بتحطيمه، سوف تتال غضب آهوارامزدا أنت وأسلافك، وتكون من المغضوب عليهم إلى الأبد<sup>(١٠)</sup>. وهذا يتماثل مع نص في نقش أنوباني<sup>(١١)</sup>، ذكر فيه: "أنوباني ملك مقتدر، ملك اللولوبيين<sup>(١٢)</sup>، كل من يحاول إتلاف هذا اللوح سينال غضب الإلهة أنو، سين، عشتار، آدد، ننليل، شمش، انتوم، انوم، والإله الأكبر نركال، وستحل عليه اللعنة وعلى أسلافه<sup>(١٣)</sup>".

### ثانياً: التأثيرات الدلالية والفنية في النقش

كان من إنجازات ملوك الأخمينيين وإبداعاتهم هي النقوش التي تُشير إلى إنجازاتهم السياسية، وتُعبّر عن عقيدتهم الدينية، وأيدولوجيتهم الدعائية، وجسدت تلك النقوش أحداثاً تاريخية وقعت في عهدهم، وعلى الرغم من ذلك التوثيق للأحداث، إلا أنه لا يمكن الاعتماد المطلق لصحة المعلومات التاريخية التي جسدها في ألواحهم المنقوشة وفنونهم الزخرفية؛ لأنّ هذا الأمر كان يتماشى مع رغباتهم وأهوائهم فقط، لذا وظفوا الفن الأخميني في عرض أيدولوجيتهم التي تبوّأوا نشرها في المجتمع الداخلي والخارجي<sup>(١٤)</sup>. وعلى الرغم من أنّ الباحثين الإيرانيين دافعوا عن أصالة النقوش الأخمينية، إذ هناك من اعتقد أنّ نقوشهم والواحهم إمتازت بالطابع المحلي والأسلوب الداخلي، ولم تتأثر كثيراً بالعوامل الفنية الخارجية، بل كان هناك اقتباس محدود من فنون الأمم السابقة، الأمر الذي عدّوا الفن الأخميني الذي تجسّد بنقوشهم لا سيّما داريوش، هو فن وطني بحت<sup>(١٥)</sup>.

ولكن في واقع الأمر أنّ الملك داريوش الأول قد تأثر إلى حد كبير بنقش أنوباني في أثناء توجّهه على رأس الجيوش للقضاء على الثورة في بابل، وعندما مرّ من الطريق الرئيس (بلاد الرافدين - أكباتانا)، شاهد في سربيل زهاب (الحالية) نقش أنوباني الحاكم اللولوبي واسراه التسعة، ورسخ في ذهنه فكرة هذا النقش، فأوحت إليه أن ينحت أو ينقش انتصاراته على سطح جبل بيستون<sup>(١٦)</sup>.

وأنّ التماثل بين اللوحين، قادنا بعدم الشك من أنّ المصمّمين الذين تبوّأوا نقش لوح داريوش، قد شاهدوا لوح أنوباني الذي سبق نقش بيستون، وتأثروا بطريقة تصميمه ومحتوياته<sup>(١٧)</sup>. وقد سبق وأن تأثر نقش أنوباني في النقوش الرافدينية وفنونها ولا سيّما الأكديّة، وسنعرض أهم الأفكار ودلالاتها التصويرية في نقش بيستون، ومدى تأثرها في فنون الشرق الأدنى القديم، لا سيّما ما يتعلّق بتوثيق الانتصارات والملاحم البطولية.

### ١: التعلّق بين الإله والملك

يبدو واضحاً من التمعّن بنقشي (أنوباني، وبيستون)، ثمة تجسيد لفكرة التعلّق بين الملك والإله، وأنّ التأثيرات الرافدينية واضحة في كليهما، ففي نقش الملك أنوباني هناك نصّ مدون باللغة

الأكدية يُشير إلى الانتصار وتنصيب انوبانيي ملكاً على اللولوبيين، ويرمز كامل المشهد في اللوحة إلى تقديم الملك هذا النصر إلى الإلهة إنانا / عشتار، وهو منتصب القامة، واضع قدمه اليسرى على عدوه المهزوم<sup>(١٨)</sup>. وهناك أمام الملك والإلهة الأنثى اثنتين من الأسرى جاثمين على ركبهم ومكبلي الأيدي. ولذلك دلالاته، أنّ تلك الإلهة هي إلهة الحرب، جسدها النقش في اللوحة على شكل إنسان (ينظر: شكل رقم ٢). والراجح كان أسلوب تجسيم الإلهة على شكل بشر من سمات فنون الحضارة الرافدينية ولا سيّما من مُختصات الفنون السومريّة القديمة، التي منها شاعت إلى فنون المنطقة الشرقيّة من تلك الحضارة<sup>(١٩)</sup>.

ويُعدُّ المشهد الفنّي في (مسلة النور للملك اياناتم) (بحود ٢٤٧٠ قبل الميلاد) من أقدم المشاهد الفنّيّة للانتصار في الحروب، خلد فيها الملك اياناتم حاكم مدينة لكش انتصاره على مدينة أوما، جسّد فيها الإله على شكل إنسان، ويبدو في ذلك المشهد، الإله نكرسو واهب النصر لمدينة لكش، بقامتِه ولحيته الطويلتين، وهو واقف أمام جنود الأعداء المهزومين، وهم معتقلين بما يشبه شبكة الصيّد، وهو ممسك طرفها بيده (ينظر: شكل رقم ٣)، والمُلاحظ أنّ النّحات قد ركز على تضخيم صورة الإله موازنةً بصورة الملك وجنده، وذلك لتأكيد أهميّة الإله في تحقيق النصر<sup>(٢٠)</sup>. ويمكن مشاهدة مثل هذا المشهد الترميزي أي مشهد الإله والأسرى ودوره في تحقيق النصر أيضاً في لوحة انوبانيي، إذ تتجسّد فيه الإلهة إنانا، وهي قابضة على اثنتين من الأسرى المهزومين بالحرب، وهم عراة من غير ملابس، جاثمين على ركبهم أرضاً، وأيديهم مربوطة إلى الخلف، بحبل طويل يمر من تقوب أنوف أولئك الأسرى، ويربطهم واحداً بالآخر، وفي يد الإلهة اليمنى الحلقة الملكيّة التي ترمز إلى منح التفويض الإلهي واقتداره للملوك<sup>(٢١)</sup>.

وهناك مشهد فنّي في الحقل الثاني من مسلة تعود للملك أورنمو (٢١١٣ - ٢٠٩٥ ق.م.) الذي يُعدُّ من أقدم النماذج على إعطاء الإله القوّة والقدرة المُتمثّل بتقديم الحلقة الملكيّة إلى الملك، جسّد فيه الإله ن نار (إله القمر)، وهو جالس على العرش، مُمسكا الحلقة بيده اليمنى، وهو يُقدّمها إلى الملك الواقف أمامه، والصّولجان بيده اليسرى، وأمامه مراسيم طقسيّة في حال التّأدية<sup>(٢٢)</sup> (ينظر: شكل رقم: ٤). إنّ الفرق بين مشهد لوحة انوبانيي هو أنّ العصا، كانت بيد الملك وليس بيد الإلهة، التي كانت تقف أمامه، وترمز إلى دعمه بالنصر على الأعداء، وحماية عرشه وحكومته.

أمّا عن تجسيد الإله في أعلى المشاهد الفنّيّة، فهي فكرة رافدينيّة بامتياز، ففي لوح الملك الاكدي نرام سين (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق.م.)، هناك النجوم الثمانية المُشعة التي تعلوها<sup>(٢٣)</sup>. هي رمز للإلهة الدّاعمة للملوك، وبفضلها تتحقق الانتصارات لهم على الأعداء<sup>(٢٤)</sup>. وهذا المشهد يُعدُّ من أقدم المشاهد الفنّيّة التي ترمز للآلهة الدّاعمة للملوك في الحرب.

وتبدو الفكرة نفسها في لوحة انوباني، إذ هناك في أعلى مشهد النقش ما بين الإلهة والملك، نقش يمثّل رمز إنانا/ عشتار على شكل نجمة ثمانية داخل دائرة ومعلّقة في الهواء<sup>(٢٥)</sup>. وقد عُثر على شكل هذه النجمة في كثير من الألواح الصخرية والأختام القديمة في حضارة بلاد الرافدين، وهي ترمز إلى الإلهة إنانا، وبعد بداية العصر الأكدي في حدود عام ٢٣٧١ قبل الميلاد حصل تبديلاً في مراكز الآلهة ووظائفها، فأصبحت إنانا إلهة الخصوبة عند السومريين هي إلهة للحب والحرب عند الأكديين، وعُبدت باسم عشتار<sup>(٢٦)</sup>.

ومن كل ما تقدّم من توصيف لمشاهد فنيّة سومريّة وأكديّة ولولوبية، تبدو تأثيراتها واضحة في المشاهد الفنيّة التي تجسّد الإله آهورامزدا ولا سيّما في نقش بيستون، بشكل بشري يشبه الملك، تحيط به هالة من نور دائرية. وتلك تُشكّل مُجسّمات مُجنّحة فوق الآدميّة، يظهر فيها الإله وفي يده حلقة ملكيّة سماويّة، وذلك متأثراً من الترويج لمعتقد ذكره الملك داريوش مراراً في بنود نقش بيستون، وهو طلب العون من الإله آهورامزدا، لذا لا تتعد هذه المجسمة عن تجسيد لهذا الإله، الذي يُراد منه حماية الملك وشرعيّته ومنحه التوفيق الإلهي. بينما ذهب رأي آخر إلى أنّ هذه المجسمة الموجود في أعلى النقش هي في واقع الأمر مظهرًا من مظاهر الخورنه أو ما يُطلق عليها الفرّه (التوفيق الإلهي)، التي ترافق الملوك دائماً<sup>(٢٧)</sup>. وهو ما يُمثّل التّجسيم الآشوري، ولكنهم وضعوا هذا المُجسّم في الدائرة، وذلك يعني ارتباط الملك بالشمس، وأنّ وضعه في داخل القرص دلالة العظمة والجلالة<sup>(٢٨)</sup>.

ومما يجدر مناقشته هنا في أصل فكرة القرص المُجنّح التي تعلو نقش بيستون، الرَّاجح أنّ جذوره تعود للرّمز المصريّ علامة حورس، أو رمز الإله رع إله الشمس الذي نقش على شكل قرص مضيء طائر فوق المشهد التّصويري، ويبدو أنّ هذا النقش التّرميزي قد انتقل من باب التّقليد إلى مناطق الشرق الأدنى، وكان قرص الشمس المُجنّح رمزاً لعدد من الآلهة، مثل: رع وحورس ورع حور أختي، وحورس بحدتي في مصر؛ وبعل وتشوب في سوريا؛ وسالمو في تيماء؛ وآشور وشمش ومردوخ ونيورتا في بلاد الرافدين، وآهورامزدا في فارس؛ ويهوه في إسرائيل. وكان قرص الشمس يمثّل فكرة في حدّ ذاتها، فهو الإله الحامي للملكيّة بصفة خاصّة، وأول ظهور لاسم قرص الشمس المُجنّح pHDt واضحاً في مصر القديمة على لوحات جسد منذ بداية الأسرة الثالثة، وجسّد الإله الخاص بالحاكم، فهو الحامي للبشريّة بصفة عامّة<sup>(٢٩)</sup>. وأنّ فكرة القرص المُجنّح كانت على هيئة دائرة أو قرص يحوي جناحين مفتوحين في طرفيها، وهما يشبهان أجنحة الشاهين الكبيرة، وهو في حالة الطيران والعلو نحو السماء، والدائرة في هذه الايقونة ترمز للشمس<sup>(٣٠)</sup>. وقد انتقل قرص الشمس المُجنّح عبرّ الفنون الحيثيّة والحورية والميتانية إلى الآشوريين والبابليين، وحمل اسم سالمو (Salmu)، ومن ثمّ انتقل إلى الأخمينيين<sup>(٣١)</sup>. وأضيف له بعض التّغييرات في أوائل العصر الآشوريّ الحديث،

وهي أشكال صغيرة تمثل رجلاً يشبه هيئة الملك، يُحيط به قرص مدور ذو أجنحة، والرجل الصغير في الوسط يرتدي خوذة مقرنة تبدو أنّها خوذة مخصصة للآلهة، ويبدو ذلك أحد رموز الإله آشور (ينظر: شكل رقم ٥) ، وهو رمز وظفه الآشوريين في أثناء اندلاع الحروب من باب دعم الإله لهم فيها لا سيّما الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٨ ق.م.)، إذ تضمنت الألواح التي يعود تاريخها إلى عهد هذا الملك، مشاهد يبدو فيها ذلك الملك، وهو ماسكاً بالقوس، إشارة إلى الحرب، رافعا يده إلى الأعلى باتجاه الإله؛ تعبيراً عن طلب العون والنصر منه. والملاحظ أن هذا المشهد فيه تشابه كبير مع مشهد لوح بيستون، ويتبين أن التقليد واضحاً، كذلك تبدو الاستعارة من الآشوريين واضحة في الحركات الترميزية داخل لوح بيستون، كما أن كثيراً من النقوش الصخرية والألواح الإيرانية احتوت على ما هو مشابه لتلك الأشكال (ينظر: شكل رقم ٦)، إذ نقش فيها الإله آهورامزدا بلحية طويلة مربعة ورأس كبير نسبياً مرتدياً اللباس الفارسي<sup>(٣٢)</sup>. ويرتدي تاجاً مشابهاً للتاج الذي يلبسه آلهة بلاد الرافدين المنقوش في ألواحهم التي مع الأسف ضاع كثير منها؛ بسبب التخريب وعوامل الزمن<sup>(٣٣)</sup>. وفي الأيقونات التذكارية الآشورية والبابلية، فإن الإله في قرص الشمس المُجَنَّح، يهَيئ المشروعية والحماية للملك، فمن وجهة نظر الملوك الآشوريين، فإن الإله آشور في قرص الشمس المُجَنَّح يُراقب ويُشرف ويحافظ على مكانة الملك ونشاطه وأعماله<sup>(٣٤)</sup>. ويظهر هذا القرص المُجَنَّح في العديد من المنحوتات البارزة والمرتبطة بالعصر العيلامي الجديد، صوراً فيه الجسد (الإله) في سطح القرص المدور، إذ إنَّ القرص ناشر أجنحته فوق شجرة خيالية<sup>(٣٥)</sup>.

وعُدَّ نقش المُجَسِّمة المُجَنَّحة داخل الحلقة التي تعلو نقش بيستون، مظهراً من مظاهر الإله آهورامزدا والقدرة التي يمنحها للملوك، وكانت الحلقة لديهم تعني مظهراً للقوة الإلهية المتمثلة بالإله آهورامزدا، والقدرة التي يمنحها للملوك، وهذا يُماثل الحلقة التي كانت بيد الإله البابلي مردوخ<sup>(٣٦)</sup>، كذلك كانت عند اللولوبيين<sup>(٣٧)</sup> حلقة لديهم، تعني مظهراً للقوة الإلهية<sup>(٣٨)</sup>.

وعُدَّ نقش ذلك الرمز الذي يُمثل قرصاً دائرياً مُجَنَّحاً، رمزاً إلهياً في كثير من نقوش الحضارات والأقوام المختلفة، تارة مع إيراد شكل الإله، وتارة أخرى من غير وجود لشكل الإله، وكان أكثر تلك النماذج الإيرانية تماثلاً مع رمز الإله آهورامزدا هو ما نُقش من ذلك الشكل على جعبة للسهم من مادة البرونز في منطقة لورستان (ينظر: شكل رقم ٧)، ومن النماذج المتماثلة لذلك الشكل في الحضارات المجاورة، ويُمكن عدّ شكل الإله الآشوري في لوح شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م.) (ينظر: شكل رقم ٨)، وشكل الختم البابلي (ينظر: شكل رقم ٩) من الأشكال المطابقة لتلك الترميزية. وعلى الرغم من وجود التماثلات الكبيرة من الناحية المكانية والبصرية بين تلك النماذج مع شكل رمز الإله آهورامزدا إلا أنه توجد اختلافات رئيسة بينهما، تتمثل بأن شكل الإله آهورامزدا أكبر من الآلهة

في النماذج الأخرى فضلاً عن أن أكثر نماذج الآلهة نُقشت خارج دائرة الهالة التي تحيط بالآلهة في بعض النقوش، ونظراً كون ذلك الشكل الترميزي معروفاً عند أكثر الأمم التابعة للدولة الأخمينية، لذا فالراجح أن الملك داريوش اقتبس الفكرة، فأوعز بعمل النقش؛ لنيل المشروعية على ما كان ينجزه من أعمال إدارية وحكومية لتوطيد ملكيته على الحكم والقضاء على معارضيهِ والتكثيف بهم. والملاحظ أن نقش الإله داخل الهالة الدائرية المُجَنَّحة كان شبيهاً لشكل الملك؛ واران الفنان الأخميني إيصال فكرة مفادها أن ثمة علاقة بين الإله والملك الذي يُشكّل ظلّاً للإله وتجسيداً له على الأرض.

وأضيف إلى النقش نجمة عشتار الثمانية، ووضعت أيضاً في تصوير الملك على تاجه الذي يرتديه على رأسه؛ لكون عشتار هي إلهة الحرب، فصوّر وهو مدعوم عسكرياً من قبلها، وما انتصاراته كانت بفضل ذلك الدعم الإلهي<sup>(٣٩)</sup>. ولم يكن شكل النجمة الثمانية المحاطة بدائرة موجوداً في التصاميم الأولى ثم أُضيفت لاحقاً إلى اللوح، وهناك شكلاً مشابهاً لشكل هذه النجمة أيضاً يوجد على التاج الذي يرتديه الإله داخل الهالة الدائرية المُجَنَّحة لا سيما في الأختام التي تعود للعصر الآشوري الجديد)، كذلك على التيجان التي يرتديها باقي الآلهة الآشوريين والأورارتيين، وثمة علاقة بين النجمة الثمانية التي نُقشت على شكل الإله آهورامزدا وعلى مثلتها التي نُقشت على شكل الملك داريوش وأيضاً مع الإكليل الزهري الثماني الذي يضعه الرجلان المسلحان اللذان يقفان خلف داريوش (ينظر: شكل رقم ١٠)، فضلاً عن ارتداء هذين الرجلين المسلحين أسورة نادرة في أيديهم تتماثل مع تلك التي يرتديها الإله آهورامزدا في معصميه<sup>(٤٠)</sup>.

وهناك نوعان من الصور والرموز الإلهية في لوح انوبانيني هما الإلهة عشتار (بشكل بشري) التي تظهر في وسط المشهد وفي الصّف نفسه مع الملك، والرمز الآخر هو نجمة عشتار التي نُقشت في الجهة العلوية للمشهد، كذلك في مسلة النصر للملك نرام سين (ينظر: شكل رقم: ١١)، رمز للآلهة بنجوم كبيرة ذات رؤوس ثماني مسننات والمعروف أنها ترمز للإلهة عشتار، أو لإله الشمس (أوتو) الذي أُقيمت المسلة في مدينته<sup>(٤١)</sup>.

أمّا عن متجسّدات النجمة في نقش بيستون فإن الرمز الإلهي الوحيد هو شكل الإله آهورامزدا (داخل شكل دائري مُجَنَّح) الذي يشبه تقريباً شكل نجمة عشتار، ويقف الإله في الوسط في الجهة العلوية من المشهد، ويرمز إلى دعم وإسناد الملك. وإنّ الخصائص البصريّة في هذا الترميز مُستوحاة من الفن الآشوري الحديث، والإله آهورامزدا على غرار الإلهة عشتار يُسلم الحلقة الملكية (رمز التفويض الإلهي) إلى الملك مع اختلاف أن الإله آهورامزدا يمسك الحلقة بيده اليسار، بينما الإلهة عشتار تمسكها بيدها اليمنى، بينما في نقش بيستون أن اليد اليمنى للإله آهورامزدا تجاه الملك إشارة إلى العلاقة الوثيقة بينهما، وأكّد في لوح انوبانيني على الجانب الحربي المتمثّل بالإلهة عشتار وتأثيرها

على إحراز النصر، إذ تقوم في المشهد بإمساك الحبل الذي يربط به الأسرى، أما في لوح بيستون لم يتدخل الإله أهوارامزدا في هذه الأمور، بل كان في أعلى المشهد يراقب الحالة بطريقة رمزية.

أما عن لباس الآلهة في النقوش، فكان زيّ الإلهة عشتار، هو زيّ نساء بلاد الرافدين. بينما ارتدى الإله أهوارامزدا الزيّ الفارسي، وبما أنّ كليهما كان يشغل مقام الألوهة، فقد ارتدى كليهما التّاجين المقرن المعروف في بلاد الرافدين مع اختلاف أنّ تاج الإلهة عشتار كان على الأسلوب القديم لنماذج تيجان بلاد الرافدين، بينما تاج الإله أهوارامزدا كان على الأسلوب الجديد (فوقه هالة من نور).

والملاحظ أيضاً في مشهد نقش بيستون وُضع رمز الإله أهوارامزدا بدلاً من نجمة عشتار في الجزء العلوي من المشهد، وتغيير وجود شكل الإلهة عشتار في النّجمة إلى شكل الإله أهوارامزدا داخل الدائرة المُنحّنة مع بقاء نجمة عشتار في مكانها، لكنها وضعت بشكل رمزي على تاج أهوارامزدا، لذلك يمكن عدّ الترميز الإلهي في نقش بيستون قد جمع بين الإله أهوارامزدا والإلهة عشتار التي يجمعهما رمز واحد، لذا إنّ أوجه التّأثير نلمسه من التّشابه: بوجود الترميز الإلهي المُساند للملك في وسط وأعلى المشهد، وإهداء حلقة القدرة والسّلطة من قبل الإله إلى الملك المنصور.

وبعد استعراض التّأثيرات وأوجه التّشابه بين النقوش الرافدينية ونقش انوبانييني مع نقش بيستون، لنا أن نتساءل هنا، ما سرّ الاختلاف بينهم؟ الرّاجح أنّ الاختلاف متأتّ من تطويع الفنّان الإيرانيّ للاقتباس من تلك النقوش مع المعتقدات الإبرانيّة القديمة، وجعلها متوائمة مع تلك المعتقدات وتتكيف معها، فالاختلاف بجنس الإله، ففي نقش أنوبانييني كان جنس الإله من الإناث، هي عشتار إلهة الحرب، بينما في نقش بيستون جنس الإله مذكّر هو الإله أهوارامزدا الداعم للملكيّة عندهم، كذلك حجم الإلهة ومكانه في النّقشين، والملابس غير المحليّة للإلهة عشتار والملابس المحليّة لـ (أهوارامزدا)، مسك الحلقة في أيادٍ مختلفة، عدم تدخل الإله أهوارامزدا في مسألة الأسرى، وكان يراقب فقط، بينما الإلهة عشتار كانت هي من تقود الأسرى في نقش أنوبانييني. وقبله الإله نكرسو في (مسلة النسور)، الذي يظهر فيها وهو ماسكاً بشبكة صيد قد أسر فيها جنود الأعداء.

## ٢: مشهد الملك المنتصر

إنّ الجزء الصخري المتعلق بمخطوطة لوح بيستون نُقش على اطار مستويّ تبلغ أبعاده ٥,٥ × ٣ أمتار، ونقش على عارض صخرة من صخور الجبل، ويبدو فيه الملك داريوش واقفاً على الجانب الأيسر من اللوح، وهو يرتدي اللباس الفارسيّ الملكيّ، وينتعل بقدميه حذاء بلا أربطة، ويعتمر فوق رأسه تاجاً مرصعاً وفي يده سواراً<sup>(٤٢)</sup>. ويمسك بيده اليسرى قوساً، يرمز إلى قدرته في السّلطة، رافعاً يده اليمنى إلى الأعلى نحو الإله أهوارامزدا الذي يقف في الجهة التي تقابله في اللوح<sup>(٤٣)</sup>.

يتجلى مشهد الملك المنتصر في عدد من المشاهد الفنيّة الشرقيّة المتوسّطيّة القديمة، وهو شامخ القوام، ماسكا بيده القوس رمز الملوكيّة، وتحت قدمه الأعداء المهزومين. وحالة الالتماس من قبل عدد من الأعداء المهزومين في إشارة للاستسلام وطلب الرّحمة من الملك المنتصر، فيبدو مثل ذلك في مسلة سرجون الأكدي (شروكين) ( ٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق.م.)، إذ نُحت بحجم أكبر من بقية جنده، وهو حاملاً بيده اليمنى الصولجان<sup>(٤٤)</sup>. ويظهر سرجون الأكدي في القطعة الثانية من المسلة التي يبلغ ارتفاعها ٥٤سم، وهي ذات شكل هرمي، إذ يشاهد فيها منظراً يمثّل عدداً من الأسرى، وضعوا داخل شبكة، يمسك بها رجل بيده اليمنى، ويظهر في أعلى المشهد رمز الإلهة عشتار وهي تراقب الحدث في ترميزة إلى أنّها واهبة النّصر<sup>(٤٥)</sup>، ويظهر الملك في الصّورة بحجم أكبر من بقية الشّخص في المشهد<sup>(٤٦)</sup>. كذلك في صخرة انوبانييني المنقوشة من صفّين يفصل بينهما شريط أفقي، لعلّه بسبب محدوديّة المساحة المخصّصة للنقش أو تقليداً مقتبساً من طريقة النقوش الصخرية المتبعة في فنون بلاد الرافدين، ويظهر فيها الملك المنتصر متماثل مع المشاهد الفنية الرافدينية المنحوتة. كذلك النقش البارز في (دربند إي كور) الكائن على الحافة الجنوبيّة لسلسلة جبال قره داغ جنوب غرب مدينة السليمانية في العراق (ينظر: شكل رقم ١٢) وفي الغالب نُسب إلى الملك نرام سين، فقد صوّر فيه الملك واقفاً على جهة اليسار، واضعاً قدمه على جسد العدو العاري المضطجع على الأرض أمامه، ماسكا فأساً في يده اليمنى، وفي يده اليسرى صولجاناً وقوس ملكي<sup>(٤٧)</sup>. إذ إنّ الفأس والقوس كانتا من أسلحة المحاربين الأكديين<sup>(٤٨)</sup>. كذلك ملامح الوجوه وملابس الملك (الثوب والقبعة)، والآلهة في النقوش اللولوبية شبيهة إلى حد ما بالنقوش الأكديّة، فضلاً عن أنّ النصوص والعنوانات المكتوبة على النقوش البارزة الخاصّة باللولبين، قد كتبت باللغة الأكديّة<sup>(٤٩)</sup>.

وثمة مشهد آخر لنحت بارز يعود للملك نرام سين، يُجسّد انتصار الملك القوي، له تأثيره الفنيّ والفكريّ في نقشي أنوبانييني وبيستون لا سيّما وهو في مكان قريب عن هذين النّقشين، تحديداً قرب منطقة على بعد نحو (٥٥ ميلاً) شرقي سربيل زهاب، ويتضمّن على نصّ كتابي أيضاً، ويبدو في المشهد الفنيّ نرام سين واقفاً يحمل بيده اليسرى قوساً، وفي اليد الأخرى خنجرًا، واضعاً قدمه اليسرى على صدر عدوه الملقى أرضاً، ويوجد أمامه عدوٌّ آخر رافع يديه إلى الأعلى؛ ملتصقاً العفو والرحمة من الملك (ينظر: شكل رقم ١٣). ويبدو أنّ هذين النّحتين العائدان إلى الملك نرام سين، قد تركا تأثيرهما في مضمون نقش بيستون بإظهار الملك المنتصر واضعاً رجله على الأعداء، وحمل القوس في اليد، وحالة الالتماس والتضرّع وطلب الرّحمة، ويبدو أنّ هاتين المنحوتتان بهذا الحجم وعلى أسطح الأحجار الجبليّة، كانتا مصدر إلهام للملك الأخميني داريوش وفألاً جيّداً له، وهو في طريقه للقضاء على المتمرّدين، وأن يُخلد انتصاراته على الشاكلة نفسها<sup>(٥٠)</sup>.

أمّا عن تأثير مسلة نرام سين في نقش بيستون، تلك المسلة التي عُثِرَ عليها في منطقة الشوش، وتتكون من ثلاثة أقسام، العلوي: يوجد فيه رمز الإلهة عشتار (النجمة)، القسم الأوسط، يظهر فيه الملك نرام سين، والقسم الأسفل من جهة اليمين يظهر اعداءه اللولوبيين، وفي الجهة اليسرى صور الجنود الأكديين<sup>(٥١)</sup>. وهو واضع قدمه اليسرى على جثتين من اعدائه، بينما صور بعض من الأعداء ممّن هم على قيد الحياة رافعو أيديهم، وهم في وضع الانكسار والاستسلام والتوسّل للإبقاء على حياتهم. وتكمن أهميّة (مسلة النصر)؛ كونها تقليداً وطنياً شعبياً لتخليد انتصارات الملوك على شكل رسوم منقوشة على الصخّور، ومن جانب آخر يبدو الأسلوب متعارفاً، ومتفقاً عليه.

وإذا ما قارنا بين منحوتات نرام سين ونقش بيستون، لمعرفة مدى تأثير تلك المنحوتات في النّقش، إذ يبدو فيهما الكارزما والقوّة الجسدية ونشوة النصر لكل من صورتني الملكين (نرام سين، وداريوش)، ويبدو أنّ الفنّانين الأحمينيّين اقتبسوا وبشكل مباشر من هذا التذكّار الأكدي، لا سيّما النّقش البارز في (دربند إي كور)، فمن جهة يوجد تماثل واضح بين النّقشين، فنقش نرام سين قد نُحت على سطح منطقة حجريّة في أحد الجبال، ويظهر فيه الملك نرام سين يسار هذا النّقش البارز، وقد صور وهو طويل القامة له عضلات قويّة، ومنتشٍ بنصره<sup>(٥٢)</sup>، والغاية وراء نقش هذه المسلة لتخليد الانتصار، وقد سار الملك داريوش على خطاه، لتخليد انتصاره.

كذلك يبدو إنّ نقش بيستون ما هو إلا استنساخ للنقوش على الصخّور في منطقة سربيل زهاب مع وجود بعض الاختلافات، ففي نقش انوبانيني وضع الملك قدمه على العدو المضطجع على الأرض وهو عارٍ، ولكن في نقش بيستون وضع الملك قدمه على العدو بينما العدو رافعاً يديه يتوسّل منه المغفرة، في حين يشاهد في لوحة انوبانيني أنّ الإلهة عشتار تقف، وهي ترتدي تاج الألوهية المقرن<sup>(٥٣)</sup>. والملك يرتدي القبعة والرّداء، بينما ترتدي الإلهة عشتار فستان من قماش صوفيّ وقبعة مقرنة مشابهة لتصوير الآلهة في النقوش الأكديّة، والسومرية - الأكديّة، كما يمكن مشاهدة بعض الأسلحة خلف كتفي الإلهة.

لذا فالشكل التّصويريّ للملك المنتصر في نقش بيستون المتمثل بوضع الملك المنتصر قدمه اليسرى على جسد العدو وامساكه بالقوس، وحركة رفع الأيدي من قبل العدو، كانت لها سابقة من التّرميزات المشهورة في العصر الأكدي، وفي نقش أنوبانيني المشاركة إلى الانتصار والغلبة، كذلك في النحت العائد للملك سرجون الأكدي عندما صور مشهد إذلال الأسرى على مسلته.

وهناك تأثيرات رافدينية أخرى في تصوير الملك داريوش في نقش بيستون، فتصوير يد الملك مرفوعة إلى الأعلى هي إحدى السّمات الفنّيّة البابليّة التي ترمز إلى الاحترام أو الدّعاء إلى الإلهة، وهذا النوع من التّرميز ما بين الملك والإله الدّاعم لحكومته، يُشاهد كثيراً في المنقوشات الصخريّة

والألواح في بلاد إيران وبلاد الرافدين، ويُشير إلى عظمة الآلهة التي تعلو حتى على عظمة الملوك أنفسهم، كذلك في تصوير الملك داريوش وهو يضع قدمه اليسار على جسد الرجل المضطجع تحته، وهو رجل الدين كئوماتا الميدي الأصل الذي أعلن تمرده؛ لاستعادة الحكم من الأخمينيين وإعادته إلى الميديين، وقصته معروفة رواها هيروdot وكتزياس، فضلاً عن تفصيلاتها المذكورة في ذلك النقش، فقد صُوِّر وهو رافع يديه نحو الملك كأنه يطلب الالتماس والمغفرة مرتدياً اللباس الفارسي<sup>(٥٤)</sup>.

وثمة خصائص في الفن الأخميني أستمَدت من الفنون الرافدينية، فصوِّر الملك في الألواح المنقوشة باستقامة بشكل أكبر، وأكثر بروزاً في النقش عن الآخرين، وشغل مكاناً بارزاً في نقش بيستون، إذ نُقش شكل الملك بهيبة كبيرة، وبشكل بارز عن بقية الشخصيات في اللوح وفي ارتفاع يعلو الجميع باستثناء شكل الإله، فصوِّر الأشخاص التسعة أمام الملك داريوش في النقش وهم مربوطون بالأغلال على ظهورهم، وربط بعضهم ببعض من الأعناق، بحبل طويل، بحجم أصغر من حجم الملك بطول (١٧، ١م)، بينما قياس طول الملك في النقش (٧٢، ١م)<sup>(٥٥)</sup>. وكان هذا الأسلوب في نقش أشكال الملوك رائجاً في بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل، بدليل في لوح نرام سين، وفي النقوش الفنية الآشورية أيضاً، نُقش شكل الملك أو الحاكم بصورة أكبر من باقي الأفراد الموجودين في المشهد التصويري<sup>(٥٦)</sup>. (ينظر: شكل رقم ١٤)

ويلاحظ في نقش بيستون أن الملك داريوش كان يرتدي على رأسه تاجاً مُرصعاً ومزيناً بنجوم ثمانية الشكل تقع داخل دائرة، والراجح إنها أُقتبست من الملوك الآشوريين والبابليين، إذ صوِّروا وهم يرتدون على رؤوسهم قبعات وعصابات مُركشة ومزخرفة لكن قبعاتهم تلك كانت فاقدة الزخارف وتشبه إلى حد كبير عصابة الرأس أو العمة، وهنا يبدو أن التاج المُرصع والمزخرف هو أحد ابتكارات داريوش أو أنه ارتداه في أثناء تلك المراسيم وهيئاً الاحتفال بالنصر والقصاص من المتمردين، ولكن يجب الإشارة إلى أن شكل هذا التاج لم يكن يماثل باقي التيجان التي كان يرتديها باقي ملوك السلالة الأخمينية. أما شعر داريوش فيبدو في اللوح أنه منسبب وغير مُجعد من الجهة العليا، ومجعد ومتعرج من الجهة السفلى. ويبدو أن هذه الأوصاف المنقوشة للملك وباقي الأشخاص في اللوح تعود إلى الشكل العام للمجتمع في ذلك العصر عن طريقة تصنيف الشعر وغيرها<sup>(٥٧)</sup>.

أما لحية داريوش فهي طويلة، وبشكل مربع وأيضاً فيها قسمان مختلفان العلوي يشبه الضفيرة وشعر رأسه في جهته السفلى أما القسم السفلي من الذقن فهو أكثر نعومة وانسيابية من العلوي، بالنتيجة يبدو أن ملامح الملك داريوش في هذا اللوح أقرب ما تكون مُشابهة لملامح الملوك الآشوريين (ينظر: شكل رقم ١٥)، إذ تبدو هذه الملامح خاصة بالملوك الأخمينيين والآشوريين آنذاك، فضلاً عن ذلك، هناك كثير من الشخصيات قد نُقشت رسومهم بهذا الشكل بل حتى الإله، إذ هناك شبه في ملامح

الإله آهورامزدا مع ملامح الملك داريوش، وهنا يمكن القول: إنَّ الأخمينيَّين قد اقتبسوا كثيراً من الأساليب الفنيَّة الآشوريَّة في تصاميم ألواحهم المنقوشة. وهناك سمة أخرى في الفن الأحميني تتمثل بعدم ظهور الملك في الألواح من غير مرافق، وهذا الأمر متماثل تماماً لأسلوب التصوير النقشي الآشوري الذي دائماً ما يظهر فيه رسوم الملوك مع مجموعة من مرافقيهم أو معاونيهم كما في تصوير الملك الآشوري في الآثار التي يعود تاريخها ما بين القرن العاشر إلى التاسع قبل الميلاد. كذلك في نقش بيستون يبدو هناك اثنين من الجنود المسلَّحين يقفون خلف الملك داريوش يرتدون الزيِّ الفارسيِّ، وأحذية بأربطة، ويضعون الأساور في أيديهم، وعلى رأسهم عصائب رأس مزخرفة، وأذقانهم قصيرة نوعاً ما أقصر من لحية داريوش<sup>(٥٨)</sup>. وحجم وشكل هذان الرجلان المسلَّحان متشابهة تقريباً، وأنَّ وجودهم في الجانب الأيسر خلف الملك جعل هناك توازناً بصرياً في المشهد التصويريِّ، الشخص الأول يمسك بيده اليمنى قوس ويضع يده اليسرى أمام صدره، ويلبس جعبة السهام على كتفه الأيسر، والشخص الثاني يمسك رمحا بكلتا يديه تتعامد نهاية الرُّمح مع ساقه الأمامية، ويبدو أنَّ هذين الشخصين كانا من كبار قادة داريوش، ونظراً إلى الأسلحة التي يحملانها في أيديهما، يبدو أنهم من قادة رماة السهام والمُشاة، أحدهما قائد سلاح السهام، والآخر قائد المشاة<sup>(٥٩)</sup>، وهذا الشكل الفني الذي يُصوِّر فيه رجال مسلَّحين خلف الملك هو من الأساليب التي كانت رائجة في المنقوشات الآشوريَّة (ينظر: شكل رقم ١٤). وعلى الرَّغم من أنَّ هذا الأسلوب الفني قد اقتبسه الفن الأحميني، إلَّا أنَّ شكل الرَّجل صاحب الرُّمح هو من مختصَّات الفن الأحميني حصراً التي تتكرَّر مراراً مع بعض الاختلافات البسيطة في نقوش الجنود في نقوش الشُّوش، ونقوش تخت جمشيد في طريقة امساك الرُّمح المميَّزة.

وقد تضمنت أشكال الأشخاص الأربعة (داريوش وكنوماتا والحارسين المسلحين) في نقش بيستون تفاصيل دقيقة لا سيَّما الثوب الذي يلبسه كنوماتا بما فيه من جزئيات دقيقة، إذ إنَّه من الأزياء الفارسيَّة القديمة بتصميمه المتعدّد الطبقات والمبرشم والفضفاض وأكمامه الطويلة وطياته المنتظمة، وهو زيٌّ مُستحدث لم يُشاهد في الأزياء التي كان يرتديها الفُرس في النقوش التي سبقت العصر الأحميني، ربَّما اقتبسه من الأقوام الميديَّة، وفرض ارتدائه على جميع موظفي بلاطه، أو ربَّما هو تصميم عيلامي، إذ ظهر في نقوش تخت جمشيد لباساً يرتديه العيلاميين في المشاهد المنقوشة في تلك النقوش<sup>(٦٠)</sup>. على أيَّة حال، كانت تلك الملابس من الزيِّ الرسميِّ الحكوميِّ في العصر الأحميني. ويمكن مشاهدتها في كثير من الرُّسوم المنقوشة من آثار هذا العصر، ويُعدّ من خصائصه. كذلك شوهد في النقوش التصويريَّة عند العيلاميين والآشوريِّين، ممَّا يدل على أنَّ الأحمينيَّين اقتبسوا الفكرة الفنيَّة من أولئك، وجسّدوها بأسلوب جديدٍ ورائع، وأنَّ ذلك التقليد والتكرار في الأسلوب، فضلاً عن اللّمسات الفارسيَّة من ناحية الأشكال والملابس، يجعل المتتبع لا يتردّد في إدراج هذه الفنون من ضمن الفنون

الأخمينية والابتكارات الفارسية، فضلاً عن وجود الرموز التي هي فارسية بحتة مثل وجود شكل الإله آهورامزدا، والجنود المدججين بالسلاح الفارسي<sup>(٦١)</sup>.

وهناك عناصر متماثلة بل مشتركة بين مشاهد نقشي بيستون وانبانيني، متأتية من تأثر النقش الأول بموضوعة النقش الثاني، فمن جملة أوجه ذلك التماثل: إمساك الملك في كليهما بالقوس، دلالة على النصر، وأيضاً وضع الملك رجله على جسد العدو دلالة على إخضاعه وإنهاء تمرده، وشكل الأسرى المقيد، ووجود رمز الإله الساند للملك، وإهداء الحلقة الملكية رمز السلطة من قبل الإله إلى الملك، أما الاختلافات فهي فضلاً عن أن نقش انبانيني كان على صفيين من اللوح واحداً فوق الآخر إلا أنه لا وجود لأشخاص مسلحين يقفون خلف الملك.

وتبدو التأثيرات واضحة أيضاً عندما صور في كلا النقشين (بيستون وانبانيني) شكل الملك المنتصر في الجهة اليسرى من المشهد، وهو يوجه وجهه إلى جهة اليمين، وقد وضع قدمه فوق جسد العدو المهزوم المستلقي على الأرض أمامه. ولكن يبدو شكل داريوش أكثر عظمة وبروزاً موازنةً مع انبانيني في نقشه، إذ نقش شكل جسد داريوش أكبر حجماً من بقية الأفراد في المشهد، وبرز واضحاً في المشهد، بينما يقف الملك انبانيني إلى جانب الإلهة عشتار، وقد ارتدى زياً سومرياً - أكدياً، والجزء العلوي من جسده عارٍ من الملابس، بينما الملك داريوش ارتدى الزي الفارسي الكامل مع التاج الفارسي المرصع على الرغم من أن شمائل داريوش كانت مستوحاة من أسلوب الألواح الآشورية. وكانت لحيته كلاً الملكين (داريوش وانبانيني) أطول من باقي أذقان الموجودين في المشهد، ولها جزآن، جزءاً مجعداً، والجزء الآخر منساب. وكان الذقن الطويل المكون من الجزأين في شكل داريوش أكثر هيبة وعظمة.

ويبدو التأثر واضحاً أيضاً في طريقة إمساك القوس، التي ترمز للنصر والغلبة على الأعداء، فكان انبانيني يحمل بيده اليسرى قوساً رافعاً إياه أمام صدره على الطريقة الأكديّة على غرار شكل نرام سين، أما اليد اليسرى لـ(داريوش) فقد وضعها فوق رأس القوس على ساقه الأمامية، وأن طريقة إمساك داريوش للقوس مشابهة لتلك الطريقة الموجودة في الألواح الآشورية المنقوشة مع اختلاف أن داريوش قد وضع قوسه على ساقه الأمامية، بينما في الألواح الآشورية كان القوس نحو الجسد، وتكرر مثل هذه المشاهد التصويرية التي تشير إلى النصر والغلبة في النقوش على ضريحه أيضاً. وأن طريقة رفع داريوش ليدته هي إشارة إلى الارتباط القدسي مع الإله آهورامزدا، الذي ارتقى بالملك ليكون نائباً عن الإله على الأرض، بينما هذا الترميز لم يكن رائجاً عند الملوك اللولوبيين، إذ تشاهد اليد اليمنى لـ(انبانيني) وهو متكئ على نوع من السلاح الأكدي.

### ثالثاً: تصوير الأسرى

يقف أمام الملك داريوش في نقش بيستون في الجانب الآخر من المشهد، تسعة من الأسرى المتمردين، وهم مقيّدو الأيدي، واقفين بصف واحد، وقد ربطت رقابهم بحبل يصل الواحد منهم بالآخر، وقامة كل هؤلاء الأفراد أقصر بدنياً وأصغر من قامة الملك وجسده، وكل واحد منهم يرتدي الزي الرسمي للمنطقة التي كان يسكن فيها<sup>(٦٢)</sup>. كما أشرنا سابقاً أنّ الألواح المنقوشة في بلاد الرافدين المشابهة لهذا اللوح، كان الأسرى فيها يقفون بين يدي الملك عراة من غير ملابس، وهم مقيّدون، وقد كان هذا الأسلوب في التصوير الرمزي شائعاً في مصر أيضاً آنذاك، إذ كان أسرى المصريين يرتدون الملابس، ولم يعمدوا قطعاً إلى تجريدهم منها على غير أقرانهم في بلاد الرافدين، وكانت تلك الملابس والزي الذي يرتديه الأسير تعبير رمزي عن انتمائه الوطني إلى هذه الأمة أو تلك حتى الأسرى من الدول الأجنبية كانوا يرتدون أزياءهم الوطنية الخاصة ببلدانهم، ففي حضارة مصر وقبل ظهور الفن الأخميني صور الملك وهو مُسيطر، وأعلى من كل الأشخاص الآخرين، ويبدون الأعداء في حالة انكسار، مهزومين وأيديهم مقيّدة أو أموات، وأحياناً صوّروا وهم في وضع الانحناء أشبه بالقوس المصري<sup>(٦٣)</sup>، ومن الشواهد أيضاً، الأحجار على السطح الخارجي لمعبد أبو سمبل في النوبة يعود إلى عهد الملك رمسيس الثاني سنة (٢٠٠ ق.م.)، يصور معركة وقعت في السنوات الأولى من عهده، يظهر فيها الملك مع أحد القادة اللوبيين<sup>(٦٤)</sup>. ويظهر في المشهد الفرعون قوياً وجسمه أكبر من عدوه الليبي، وتظهر قدم الملك اليمنى فوق رأس واحداً من الأعداء الأموات، وقدمه اليسرى ضاغطة على ركة الميت، وصور الملك في المشهد كامل الجسم، ويبدو في حالة غلبة ونصر، واختيرت مثل هذه المشاهد، لإظهار قوة النظام الملكي وعظمته<sup>(٦٥)</sup>، ومن أمثلة ذلك أيضاً اللوحة الجدارية في معبد رمسيس الثاني في بيت الوالي الذي كان أحد أمراء مصر، إذ نقش فيها أربعة أسرى أجنبية، شمائلهم مختلفة، ويرتدون ملابس وأزياء تختلف عن أحدهم الآخر، وأيديهم مقيّدة بالحبال ورقابهم مربوطة بحبل طويل يربط أحدهم بالآخر، وهم في وضع الرُكوع أمام الفرعون، والفرعون قابض على شعر أحدهم بيده<sup>(٦٦)</sup>. (ينظر: شكل ١٦). وهذه المشاهد من الفنون المصرية التي تجسد الأعداء وهم قتلى وأسرى، وشكل الملك وعظمته، نجد صدى تكرار تماثلها وتأثيرها في نقش بيستون بالتعامل مع الأسرى وإذلال القتلى المتمردين.

ويبدو تأثير مسألة نرام سين في كيفية تصوير وضع الأعداء وانهزامهم، والتعامل مع الأسرى في الموضوع نفسه في نقش بيستون، ففي المسألة صور الملك نرام سين وهو يتقصد إذلال أعدائه بوضع أحد أقدامه على صدر أحد الجنود الأعداء، في الوقت الذي يظهر فيه الجنود الأعداء في وضع ذليل، وقد التجنّوا إلى أطراف أحد الجبال، وتحديداً أمام نرام سين صور جسد جندي من الأعداء،

يلتمس الرحمة من نرام سين، ويبدو أن تلك الأفكار في التعامل مع الأعداء والأسرى قد استوحاها داريوش في نقشه، وكأنها صدى لما نقش على مسلة نرام سين.

وفي الرجوع إلى نقش انوباني، يظهر في الصف السفلي ستة أسرى وهم عراة يضطجعون على الأرض تحت أقدام انوباني وأيديهم مربوطة، وهم جالسون في صف واحد أحدهم يلي الآخر، وأن تصوير أجساد هؤلاء الأسرى جاء من منظور التصغير، إذ صوروا وهم أصغر حجماً من أسرى الصف العلوي وملابس الأسرى هي غطاء الرأس أو القبعات فقط لا غير، ومن بينهم الأشخاص التسعة في اللوحة، ثمانية منهم تعتمر القبعات السومرية - الأكديّة، وواحد مختلف قليلاً عنهم، إذ يرتدي قبعة مشابهة إلى تلك التي وجدت في آثار النقوش العائدة إلى الألفية الأولى قبل الميلاد والمختصة بالميديين ومن بعدهم الفرس<sup>(٦٧)</sup>. وهذا النوع من القبعات أيضاً تمت مشاهدته في النقوش الأخمينية التي كانت تشير إلى أشكال أكابر القوم، والجنود الفرس وهم يرتدونها على رؤوسهم.

وإذا ما قارنا بين نقشي انوباني وبيستون، نلاحظ التماثل في شكل العدو المستلقي على الأرض، الأسرى المقيّدون في الصف. أما أوجه الاختلاف، فيظهر في تجريد الملابس وصغر حجم الأجساد وعلامات التحقير، والإذلال، وعدم التنسيق الشكلي، وعدم معرفة الهوية، وتنوع اللباس والزيّ كلها من خصائص أشكال أسرى لوح انوباني التي تختلف عن أشكال أسرى لوح بيستون.

ويبدو أن الشخص الأول في الصف السفلي من نقشي انوباني، والذي أضيف لاحقاً إلى اللوح هو الملك أو الأمير (حوري)، إذ إن اسمه محفور على ذراعه في الشكل المنقوش<sup>(٦٨)</sup>. كذلك منقوش على ذراع أسير العدو المضطجع تحت قدمي انوباني اسم ذلك الشخص، وأن نقش اسمي هذان الشخصان يدل على إنهما من الشخصيات المهمة في القصة<sup>(٦٩)</sup>. ولكن لم يُشر إلى عرقهما أو أصلهما.

إنّ الرسوم المنقوشة في المشاهد الفنية التي تشير إلى أسرى العدو المهزوم، كانت من مختصات الفنون القديمة لبلاد الرافدين، فهذه النماذج توجد في مسلة النور، ومسلة نرام سين التي تحتوي على صور لرضوخ الأعداء المهزومين، وتصويرهم بأحجام صغيرة، وأجساد عارية من باب التحقير. فضلاً عن ذلك ففي الألواح السومرية والأكديّة يرمز إلى الأعداء في كثير من الأحيان بشكل أسرى عراة واقفين بالصف واحداً يلي الآخر، وأيديهم مربوطة بالقيود. كذلك ما صور على الوجه الأمامي من مسلة الملك الآشوري شمشي - أدد الأول (١٨١٣ - ١٧٨١ ق.م) الملك وهو يبطأ بقدمه اليسرى فوق جسد أحد الأعداء المدحورين، الذي يظهر على هذا الوجه، وقد سقط على الأرض متكاً بيده اليمنى، ورافعاً الأخرى نحو رأسه<sup>(٧٠)</sup>. وإذا ما قارنا تلك المشاهد مع ما صور في نقش بيستون، نجد أنها تتماثل تماماً مع مشهد تعامل داريوش مع أحد المتمردّين المنحدرين (كئوماتا)، حينما وضع قدمه على جسده، ورافعاً يديه في إشارة إلى طلب العفو من داريوش والرحمة منه والإذعان إليه.

ومن الأمور الملفتة للنظر أنّ كلّ الأسرى في نقش أنوباني، حفاة الأقدام باستثناء الملك كان يرتدي الحذاء في قدميه، وهو يقف شامخاً بلحيته الطويلة، والأطول من اذقان الأسرى، وتتكون من جزئيين، الجزء السفلي فيها أكثر نعومة من العلوي، وذلك كان مطابقاً لأسلوب التصوير في مسلة نرام سين التي تعود إلى سلالة أور الثالثة، وأنّ أسلوب نقش اذقان الملوك بهذا الشكل هو من صفات الفن الأكدي، وفنون سلالة أور الثالثة وأيضاً في العصور التي تلت في بلاد الرافدين، إذ إنّ أغلب النقوش التصويرية للملوك في هذه المنطقة تحتوي على ذقن طويل له جزئيين مثل ملوك آشور .

وقد صوّروا الأسرى بشكل أصغر، وبمقطع عرضي من باب التّصغير والتّحقير، وهنا تجدر الإشارة إلى فنون النقش الزخرفي والتصوير البشري في بلاد الرافدين، كان يُصوّر الشّخص ذو المكانة العليا أو الشّخص المنتصر بجسد ضخم وأكتاف عريضة لتمييزه عن باقي الموجودين في التصوير، كذلك تنقش رسوم الآلهة في المنطقة العليا من اللوح، تعبيراً عن مكانتهم العليا. أمّا وضع القدم على جسد العدو وهو مضطجع تحت أقدام الشّخص المنتصر، فهو ترمز للانتصار والقدرة وتحقير الأعداء، وعلى الرغم من التّشابه والتأثير الفنّي لبلاد الرافدين في نقشي أنوباني وبيستون من ناحية الخصائص البصريّة لم يشاهد قبل تاريخ هذا اللوح المنقوش ما يُشبهه من ناحية التّصميم العام والصّور القصصيّة المنقوشة.

وفي العودة إلى تصوير الأسرى في نقش بيستون، توخّى الفنّان من نقش تفصيلات أشكال الأسرى؛ كان للتعبير عن انتماهم، والتأكيد على أصولهم وأعرافهم ومناطقهم، إذ كانوا كلّ الأسرى التّسعة بكامل لباسهم، باختلاف أنّ الأسرى الثمانية الأوائل كانوا لا يرتدون القبعات، وهؤلاء هم قادة التمرد والانقلاب الذي حصل في السنة الأولى من عهد الملك داريوش في عدة مناطق من الدولة الأخمينيّة<sup>(٧١)</sup>. ونقش شكل الأسير الأخير في الصّف الأخير بقامة أطول بقليل من البقية، ويرتدي قبعة مدبية تعود إلى الزّي الذي كان متعارفاً في منطقة اسكونخا (اسكونخه)، ويبدو أنّه قائد طائفة السكائيين، الذي أُضيف إلى النقش فيما بعد على الرّغم من أنّ التمرد حدث في عام ٥١٩ ق. م.

وتوخّى الفنّان إيضاحه في نقش بيستون، أنّ صف الأسرى قد ضمّ كلّ المتمردين الذين طالبوا بانتزاع العرش من الأخمينيين بأزيائهم المحلية؛ لكي يتم التعرف عليهم، وجاء تسلسل وقوفهم طبقاً للتّسلسل الزمّني لانقلاباتهم وأوقات تمردهم<sup>(٧٢)</sup>. وللتوضيح أكثر، نقش فوق رأس كلّ أسير واقف في الصّف، اسمه واسم منطقته والمكان الذي قام بالتمرد فيه حتّى كئوماتا المضطجع على الأرض تحت أقدام الملك أيضاً نقش فوقه اسمه وباقي التفصيلات<sup>(٧٣)</sup>.

إنّ أشكال الأسرى في نقش بيستون تكون متشابهة نوعاً ما، ولكن الملاحظ من تقاسيم وجوههم، لا تبدو عليهم آثار الندم أو الخضوع أو الخوف من العقاب الصارم، كما أُشير إليه في بنود

النقش من أن مصير هؤلاء التعذيب القاسي والإعدام ببطيء، ولكن في أشكالهم المنقوشة في اللوح لا توجد آثار تعذيب أو نزف دماء أو إنهاك جسدي جراء العنف المستعمل ضدهم، وهنا يتبادر لنا سؤال مفاده، لماذا طرح مصمموا النقش صورة الأسرى بهذا الشكل، بينما في بنود النقش المكتوبة ما يشير إلى وجود تعذيب وعنف وتنكيل حتى الموت<sup>(٧٤)</sup>؛ الجواب: إن عدم عرض أساليب العنف وانتهاك حرمة الأسرى بتجريدهم من ملابسهم، هي أحد خصائص الفن التصويري الأخميني، إذ إن أعمالهم التصويرية والتميزية كانت تتماشى وايدولوجية الدولة، فالروح البصرية حاضرة في اللوح التي تشير إلى عظمة الملك واقتداره وتمكّنه من أعدائه من غير الالتفات إلى جانب العنف والتنكيل، لأن ذلك النقش سيخلددهم، ويقدم انطباع، إنهم مع مبدأ السلام واحترام حقوق الإنسان الذي هو من أولويات دولتهم التي صوروها في آثارهم وعروضها على الشعوب والقبائل الأخرى. على هذا الأساس، كان قادة الأقوام المهزومة في لوح بيستون صوّروا وهم بكامل أزيائهم حتى الأحذية، ولا تظهر عليهم أي أعمال عنف أو علامات إهانة وتحقير لهم ما عدا تصوير وضعية رجل الدين المتمرّد كئوماتا الذي نقش وهو ملقى على الأرض تحت أقدام الملك داريوش، وهذا الترميز هو إشارة إلى الاقتدار والغلبة التي كان الملك يتمتع بها والوضعية المهزومة لخصمه. أمّا ما وضع من حبال ربطت بها الأيدي وربطت بها رقاب الأسرى، فهذا تقليد فني رائج في النقوش والألواح الآشورية والمصرية، وهو ترميز إلى سيطرة الدولة على تحركات المتمرّدين وإخماد تمرّداتهم ووقوعهم في قبضتها.

وتوخى داريوش من أن نقش بيستون الصخري الذي نصب على قارعة الطريق الرئيس، ومحط لأنظار القوافل العابرة من هناك، كان دعايةً أبلغيةً إلى كلّ مُشاهد، يتطلّع إلى المستوى الفنيّ العالي الذي وصل إليه الشعب الأخميني من جهة وإلى عظمة واقتدار ملوك تلك الحكومة من جهة أخرى<sup>(٧٥)</sup>. وهو نوع من الرسائل الدعائية التي عمد ملوك الدولة الأخمينية تقديمها إلى الأقوام التي كانت تحت سيطرتهم وإلى الأقوام الخارجية الأخرى، بأنهم مقتدرون و متمكّنون على أعدائهم، وأنّ كلّ من يحاول التمرّد على حكومتهم، فسيكون مصيره، مصير هؤلاء الذين نقشت أشكالهم في اللوح .

### الخاتمة

ثمّة تأثيرات فنيّة وفكرية ومعتقدانيّة من نقوش شرق متوسّطيّة قديمة ومنحوتاتهم نلمسها بوضوح في نقش بيستون، تتمثّل في تصوير الآلهة بالتّجسيم البشريّ أو برموز دالة عليها، وتجسيد معتقد مفاده أنّ الإله واهب النصر، وصوّر حجم الإله أكبر من بقيّة الأشخاص في النقش، كذلك تجسيد معتقد التّفويض الإلهيّ المتمثّل بالحلقة الملكية التي تُمنح للملك، وهي معتقد رافديني بامتياز، فضلاً عن تجسيد صورة الإله في أعلى المشهد. واقتبسوا فكرة القرص المُجنّح التي لها بديات مصرية، وإضافات رافدينيّة، انقلبت بتأثيرهم بالقرص المُجنّح الآشوريّ.

ومن جملة أوجه ذلك التماثل والتأثر التي تبدو واضحة في نقش بيستون، تصوير الملك المنتصر التي تتمثل بإمساك الملك بالقوس، الدال على النصر، والغلبة على الأعداء، وأيضاً وضع الملك رجله على جسد العدو؛ دلالة على إخضاعه وإنهاء تمرده، ووجود رمز الإله الساند للملك، وإهداء الحلقة الملكية التي هي رمز السلطة من قبل الإله إلى الملك، فضلاً عن تصوير الملك أكبر حجماً من بقية الأشخاص في المشهد.

وتمثلت التأثيرات فيما يخص تصوير الأسرى في نقش بيستون، فهناك تماثل إلى حد كبير مع مشهد ربط الأسرى، مع بعض الاختلافات في تعلّم الأسرى، وهذا مأخوذ من التعريف بالتمرديين وجنسياتهم؛ لإيصال رسالة سياسية ودعائية للأمم الأخرى، ستتألمون المصير نفسه في حالة التمرد، والخروج عن طاعة الدولة. كذلك صورة وضع الملك قدمه على جسد المهزومين، ورفع اليد من قبل العدو المنكسر في إشارة إلى طلب العفو والرحمة من الملك المنتصر أو للخوف والإذعان والاستسلام.

فضلاً عن التأثيرات الراهنية والمصرية بيد أن أكثر التأثيرات وضوحاً في نقش بيستون كانت مع لوح انوباني، أهمها الشكل الرمزي للملك المنتصر الذي يمسك القوس بيده، ويضع قدمه على جسد العدو المهزوم المستلقي أمامه على الأرض، وإعطاء الإله الداعم للملك المنتصر الحلقة الملكية للملك التي ترمز إلى إسناده ودعمه، وهذا التماثل الرمزي كان شائعاً في فنون الأمم الأخرى لا سيما المجاورة لإيران منها، وهو ناتج من قاعدة فنية كانت متبعة آنذاك.

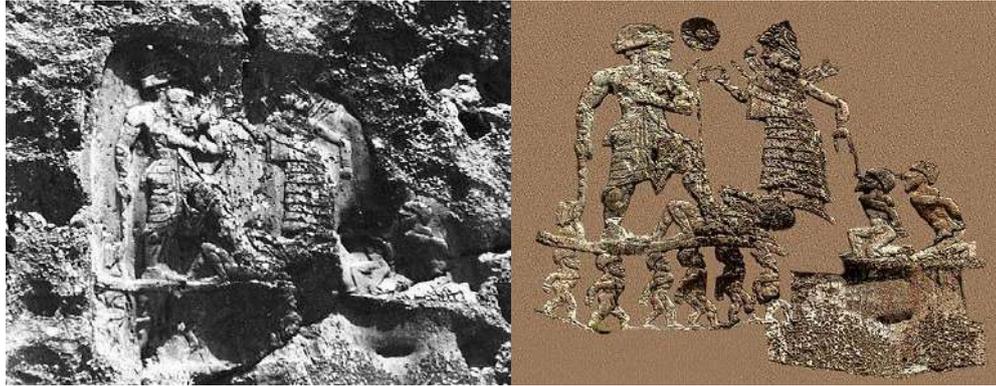
وعلى الرغم من وجود المتماثلات بين نقشي انوباني وبيستون، إلا أن هذا لا يعني أن لوح بيستون هو تقليد صرف من لوح انوباني، وإنما هو أسلوب متبع ومحدث يتماشى مع الأسلوب الفني الاخميني، وعرض الدعايات البطولية للملك داريوش.

## الملاحق



(شكل رقم ١) نقش بيستون

ژان پرو ، داريوش ، شاه بزرگ ، ت: خشايار بهاري ، تهران: ١٣٩٦ ، ص ٩٩



(شكل رقم ٢) نقش أنوباني

رغد عبد القادر عباس محمد، العصر الاكدي معطياته الحضارية والفنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة (بغداد: ١٩٩٦)، ص ٣١١



شكل رقم (٣)

مسلة النصور

في الوجه الآخر منها يظهر الإله نكرسو ماسكاً الأسرى بما يشبه الشبكة اندري بارو, سومر فنونها وحضارتها, ترجمة: عيسى سلمان, وسليم طه التكريتي, (بغداد: ١٩٧٧), ص ١٨٥



شكل رقم (٤) مشهد الإله ن نار وهو يُقدّم الحلقة الملكية للملك أور - نمو

بارو, المصدر السابق, ص ٢٨٣



شكل رقم (٥) القرص المجنح الآشوري

أية طارق مظلوم، تأثير الفنون الآشورية والبابلية الحديثة في الفنون الإيرانية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد: ١٩٩٩، ص ١٢٧



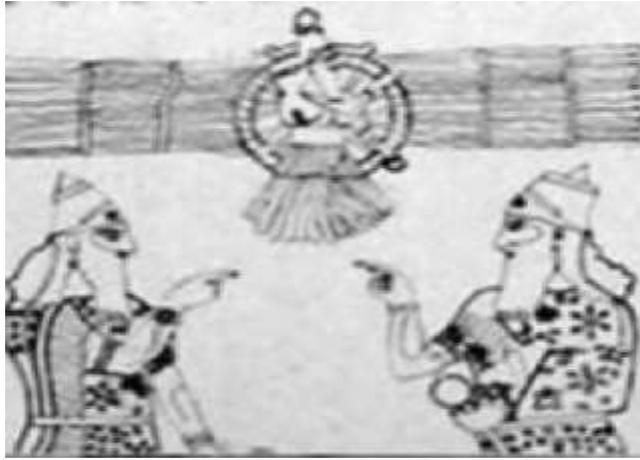
شكل رقم (٦)

مشهد الملك آشور ناصر بال الثاني ماسكا القوس بيد ورافع الأخرى تجاه الإله آشور ثروت عكاشة، تاريخ الفن، الفن العراقي القديم، (بيروت: د/ت)، ص ٣٧٧



شكل رقم (٧) جعبة السهام من لرستان

سودآور، ابوالعال ، فره ايزدی. چاپ اول، تهران: می‌رک، ١٣٨٣ هـ ش ، ص ١٨٤



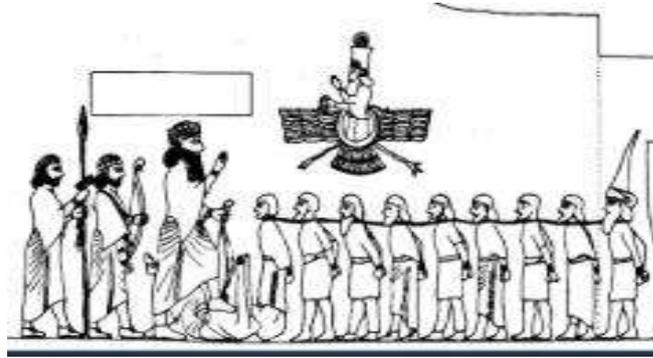
شكل رقم (٨) رسم تخطيطي للوح شلمنصر الثالث

J.Black,A.,Green,Gods Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia,(London:1992),p.177



شكل رقم (٩) ختم بابلي

(سودآور، أبو العال ، فره ايزدى، چاپ اول، تهران: ميرك، ١٣٨٣ هـ ش، ص ١٨٤)



شكل رقم (١٠)

علاقة بين النجمة الثمانية التي نُقشت على شكل الإله آهورامزدا وعلى مثلتها التي نُقشت على شكل الملك داريوش

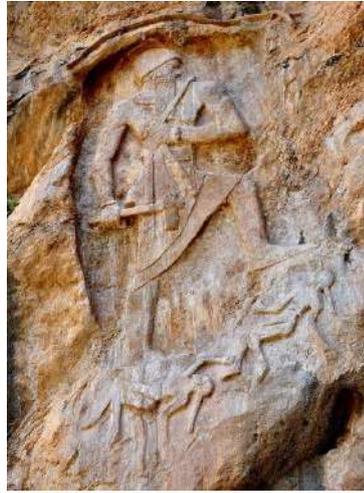
ژان پرو ، همان ماخذ ، ص ٩٤



شكل رقم (١١)

مسلة النصر لـ (نرام سين)

Kim. B. SsarahB..Yelena..R.Edith W. Watts, Art of the Ancient Near East , (New York , 2010) , P.36 .



شكل رقم (١٢)

منحوتة في دريند إي كور تُنسب إلى الملك نرام سين يظاً بقدمه أحد الأعداء

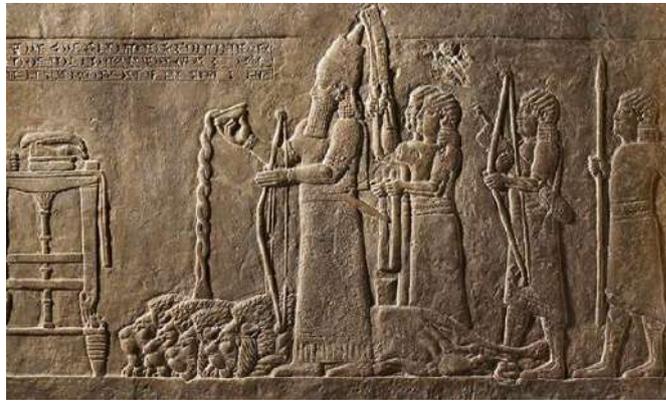
Edrnonds, C.J., Two Ancient Monument in Southern Kurdistan , JSTOR , vol .65 no.1 , (1925) , P.64 .



شكل رقم : ١٣

نقش صخري قرب منطقة على بعد (٥ ميل) شرقي سربيل زهاب

حسن باشا، الفنون القديمة في بلاد الرافدين، (بيروت: ٢٠٠٠)، ص ١٥٥



شكل رقم (١٤)

جزء من نقش اللوح الآشوري - المتحف البريطاني

T.A,MADHLOOM, The Chronology Of Assyrian Art, (London:1970),

PLATE XXXIX



(شكل رقم: ١٥)

في اليمين صورة داريوش في لوح بيستون، ويسار الشكل صورة آشور بانيبال في لوح آشور، ويظهر تشابه الملامح (المتحف البريطاني)

ژان پرو ، همان ماخذ ، ص ٩٣



(شكل رقم ١٦)

تصميم رسم أسرى الملك المصري رمسيس الثاني في لوح بيت الوالي المنقوش (كول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ٣٨٠)

## الهوامش والمصادر

- (١) سلحشور، على اصغر، بررسی و تحلیول نقش برجسته های هخامنشی در ایران از دیدگاه اتنوماتمتیک و شمایل شناسی. پایان نامه کارشناسی ارشد، باستان شناسی. اصفهان: دانشگاه هنر اصفهان، ١٣٩٣ هـ. ش، ص ٣١.
- (٢) کخ، هایدماری، از زبان داریوش، از زبان داریوش. ترجمه پرویز رجبی، چاپ دوم، تهران: کارنگ، ١٣٧٦ هـ. ش ص ١٩.
- (٣) Kent. R.G. Old Persian, Grammar, Texts, Lexicon, American Oriental Society. Second edition, New Haven, Connecticut, (1953). p.190.
- (٤) پیر لوكوك، كتيبه های هخامنشی. ترجمه: نازیلا خلخالی، ج ٢، انتشارات فرزانه روز، تهران، ١٣٨٦ هـ. ش، ص ٨٦.
- (٥) دیودور سیسیلی، ایران و شرق باستان در کتابخانه تاریخی، ترجمه: حمید بیگس شورکایی و اسماعیل سنگاری، انتشارات جامی، تهران، ١٣٨٤ هـ. ش، ص ١٢٤.
- (٦) احمد بن محمد ابن الفقيه، البلدان، ترجمه: ح. مسعود، انتشارات بنیاد فرهنگ ایران، تهران، ١٣٤٩ هـ. ش، ص ٨٩ و ١٩٦؛ محمد بن حوقل، صورة الأرض، ج ٢، دار الصادر، بیروت، ١٩٣٨، ص ٣٥٩.
- (٧) یزف فیزهوفر، فارس القديمة ٥٥٠ ق.م - ٦٥٠ م، التاريخ - الحضارة - العبادات - الإدارة - المجتمع - الاقتصاد - الجيش، ترجمة: محمد جدید، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بیروت، ٢٠٠٩ م، ص ٣٦ - ٣٧.
- (٨) Cochell, trevor . D ,An interpretation of Isaiah 6 : 1-5 in response to the art and ideology of achaemenid empire . Ph .D Diss. Faculty of Baylor university 2008 , p . 89 .
- (٩) یزف فیزهوفر، فارس القديمة ، ص ٣٦ . وينظر: بیر بریانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية من قورش إلى الإسكندر، ترجمة بيتر تي دانيلز، بحيرة وينونا، إنديانا ايزنبراونز، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ٢٠١٢ م)، ج ١، ص ٢٩٨ وما بعدها.
- (١٠) اكبرزاده، داریوش و یحیی نژاد، آرزو، كتيبه بیستون. چاپ اول، تهران: نقش هستی، ١٣٨٥ هـ. ش، ص ١٥٣.
- (١١) أقدم أثر تاريخي من نوع الصخور المنقوشة المكتشفة لحد الآن في إيران هي صخرة انوبانيني المنقوشة ٢٠٠٠ قبل الميلاد التي تعود لملك اللولوبيين يقع هذا الأثر التاريخي قرب مدينة سربيل زهاب على صخرة مرتفعة بارتفاع ستة عشر متراً بالقرب من الطريق الرئيس المعروف بطريق خراسان الكبير، وقد كان لهذا الطريق أهمية استراتيجية في الزمن القديم إذ يقوم بربط التنقل بين الأقوام الساكنة في زاكروس الوسطى والساكنة في وادي بلاد الرافدين، ينظر: نيكنامي، كمال الدين و ميرقادرى، امين سرخ هاي جدي از

روی دادهای تاریخی در سرپل ذهاب در اواخر هزاره سوم ق.م. با نگاهی به نقش برجسته آنوباتی نی. پژوهش های ایرانشناسی، سال هشتم (٢)، ١٣٩٧ هـ.ش، ص ١٣٠.

(١٢) سكن اللولوبیون في الألفية الثالثة قبل الميلاد اجزاء واسعة من جبال وسفوح إلى الغرب من إيران في المنطقة الممتدة من دیالی حتى بحيرة آرومیه واطرافها، وكانوا قبائل جبلية سيطرت على طرق القوافل التجارية المارة من طرق تلك الأراضي. فضلاً عن ذلك كانت هذه الأقوام تعمل في مجال التجارة مع المناطق الشرقية وبسبب هذه الرحلات التجارية تأثروا بشدة بثقافة تلك المناطق وثقافة بلاد الرافدين، ينظر: كخ، هایدماری، از زبان داریوش، ص ١٩.

(13) Edzard, D.o (1973). Zwei Inschriften am Felsen von Sar-i-Pul-i-Zohab: Anubanini 1 und 2. Archiv Für Orientforschung, 1973, P: 74.

(١٤) کول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی. ترجمه علی بهادری، چاپ اول، تهران: دانشگاه شهید بهشتی، ١٣٩٧ هـ.ش، صفحات: ١، ٤، ٣٠٧.

(١٥) موسوی، مهرزاد، جستاری در پیشینه هنر هخامنشی. چاپ اول، شیراز: رخشید، ١٣٩٠ هـ.ش، ص ١٩.

(١٦) ناصر جدیدی و مریم حسن پور، علل کزینش محل کتیبه بیستون از سوی داریوش بزرگ، فصلنامه علمی - پژوهشی تاریخ اسلام و ایران، دانشگاه الزهراء (س)، سال بیست و ششم، دوره جدید شماره ٣٠، پیاپی ١٢٠، تابستان ١٣٩٥ هـ.ش، ص ١٣٠.

(١٧) کول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ٢٠٣.

(١٨) ملک زاده، فرخ بررسی تاریخ و هنرگوتیان و لولوبیان. بررسی های تاریخی، سال سوم (٦)، ١٣٤٧ هـ.ش، ص ٥٦-٥٩.

(١٩) ورتگات، آنتوان، هنر بین النهرین باستان. ترجمه زهرا باستی و حمید صراف، چاپ اول، تهران: سمت، ١٣٧٧ هـ.ش، ص ٢٨، ص ٨٠.

(٢٠) لوید، سینون، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة: محمد درویش، بغداد ١٩٨٨، ص ٩٨.

(٢١) واندنبرگ، لویی، نقش برجسته های صخره ای ایران باستان، ص ١٢٢.

(٢٢) هاله عبد الکریم سلیمان کرמוש الراوی، المسلات الملكية في العراق الفجیم دراسة تاريخية- فنية، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة الموصل، ٢٠٠٣ م، ص ٩٢.

(٢٣) مورتگات، آنتوان، هنر بین النهرین باستان، زهرا باستی، **محمد رحیم صراف**، **جودیت ویلسون**، ناشر: سمت، ١٣٧٧ هـ.ش، ص ١٠٠.

(٢٤) پارو، آندره، سومر و اکد. ترجمه محمد رحیم صراف و منیژه ابکائی، چاپ اول، تهران: سمت، ١٣٩١ هـ.ش، ص ٢١٠.

- (٢٥)- واندنبرگ، لوی، نقش برجسته های صخره ای ایران باستان. ترجمه حسن کهنسال و ستاره صفا، چاپ اول، رشت: دانشگاه گیلان، ۱۳۹۷ هـ. ش، ص ۱۲۲.
- (٢٦) کولون، دومینی و پرادا، ادیت، مهر در خاور نزدیک و ایران باستان. ترجمه پوری خدی، چاپ اول، تهران، ۱۳۹۴ هـ. ش، ص ۱۲۲.
- (٢٧) ماری بویس، تاریخ کیش زرتشت، ترجمه إلى اللغة الفارسية: همایون صنعتی زاده، انتشارات گسترده، طهران، ۱۳۹۳ هـ. ش، ص ۱۵۲.
- (٢٨) همان منبع، ص ۱۵۵.
- (٢٩) هدی محمد عبد المقصود، قرص الشمس المجنح ودلالاته في مصر و الشرق الأدنى القديم، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، الاتحاد العام للآثاريين العرب، ۱۵ ع، سنة ۲۰۱۲ م، ص ۳۶۰.
- (٣٠) باقری، مهناز، بازتاب اندیشه های دینی درنگاره های هخامنشی، نشر: امیر کبیر، تهران، ۱۳۸۹ هـ. ش، ص ۱۲۲-۱۲۳.
- (31) S. Dalley , The God Salmu and the Winged disk , Iraq , vol.XLIII (1986) , pp.85-101
- (32) Garrison, M.B. Visual representation of the divine and the numinous in really Achaemenid Iran: Old Problems, New Directions. IDD. Zurich: Universität Zurich(2009),P:26.
- (٣٣) کول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ۱۸۹.
- (34) Frankfort, Henri, Cylinder seals: A documentary essay on art and religion of the ancient near east, London: macmillan and co, 1939,p: 207.
- (٣٥) باتس، دنیل تی، باستان شناسی ایلام، ترجمه: زهرا باستی، چاپ چهارم، سمت، تهران، ۱۳۸۸ هـ. ش، ص ۴۵۹.
- (36) Black. J and Green. " A. Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia", p.129.
- (٣٧) جاء اسمهم في النصوص المسمارية بصيغة (لولوبو- لولو- لولومو- لولوبوم)، وكان موطنهم الاصلی منطقة شهرزور، انتصر الملك نرام - سین عليهم إبان حكم ملكهم (ساتوني)، وانتشر هؤلاء اللولوبو من مركزهم إلى الجهات الشرقية والغربية ومنها منطقة زهاب (زهاو) بالقرب من سريبول في بلاد عيلام. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ۱، ص ۳۷۱.
- (٣٨) محمد رضایی راد، میانی اندیشه سیاسی در خرد مزدایی، تهران، ۱۳۷۸ هـ. ش، ص ۲۴۸.
- (٣٩) کول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ترجمه علی بهادری، چاپ اول، تهران: دانشگاه شهید بهشتی، ۱۳۷۷ هـ. ش، ص ۱۸۸.
- (٤٠) کرتیس، جان، بین النهرین و ایران در دوران هخامنشی، ترجمه: زهرا باستی، چاپ دوم، تهران: سمت ۱۳۹۳ هـ. ش، ص ۶۶، ص ۶۹.

- (٤١) أنطون مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيس سلمان، وسليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٧٥م، ص ١٨١.
- (٤٢) كول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ١٨٨.
- (٤٣) كول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ١٨٨.
- (٤٤) ناجي، عادل، النحت الأكدي، مجلة سومر، م ٢، ع ١، سنة ١٩٦٨م، ص ٩٠.
- (٤٥) مورتكات، أنطون، الفن في العراق القديم، ص ١٥٧ - ص ١٥٨.
- (٤٦) ناجي، عادل، النحت الأكدي، مجلة سومر، م ٣٤، ع ١، سنة ١٩٦٨م، ص ٩١.
- (٤٧) ملك زاده، فرخ بررسی تاریخ و هنرگوتیان و لولوبیان. بررسی های تاریخی، ص ١٢٢.
- (٤٨) نیا، عباس رضائی، نیا، سیر تحول هنری نقش برجسته های صخره ای ایران، کلسان هنر ١٠ / زمستان، ١٣٨٦ هـ ش، ص ٨٨.
- (٤٩) همان منبع، ص ٨٨.
- (٥٠) موسوی، مهرزاد، جستاری در پیشینه هنر هخامنشی، ص ١٥٠.
- (51) Bernbeck, Reinhard. 2012. Royal deification: an ambigution mechanism for the creation of courtier subjectivness. Religion and power divine kingship in the ancient world and beyond. Edited by Nicole Brisch, chicagi, Illinois: Oriental institute of the university Chicago. No.4, pp: 162- 163.
- (٥٢) مورتگات، آنتوان، هنر بین النهرین باستان، ص ١٠٠.
- (٥٣) واندنبرگ، لویی، نقش برجسته های صخره ای ایران باستان. ترجمه حسن کهنسال و ستاره صفا، چاپ اول، رشت: دانشگاه گیلان، ١٣٩٧ هـ ش، ص ٢٢.
- (٥٤) مشکور، محمد جواد، گئوماتای مغ، برر سیهای تاریخی، شماره ٥، سال ششم، ص ١٤٧ - ١٥١.
- (٥٥) یزف فیزهوفر، فارس القديمة، ص ٣٨ - ص ٣٩.
- (٥٦) كول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ٢٢١.
- (٥٧) کرتیس، جان، بین النهرین و ایران در دوران هخامنشی. ترجمه زهرا باستی، چاپ دوم، تهران: سمت، ١٣٩٣ هـ ش، ص ٦٩.
- (٥٨) كول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ١٨٩، ص ٢١٢.
- (٥٩) توانگر زمی، محمد کاظم، ترجمه کتیبه های هخامنشی، نشر: فاتحان راه دانش مرودشت، شریراز، ١٣٨٥ هـ ش، ص ٢٢.
- (٦٠) موسوی، مهرزاد، جستاری در پیشینه هنر هخامنشی. چاپ اول، شریراز: رخشدی، ١٣٩٠ هـ ش، ص ١٤٦.
- (٦١) كول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ٢٢.

(٦٢) هامان منبع، ص ١٨٨.

(63) Cochell, Trevor. D. an interpretation of Isaiah 6: 1-5 in response to the art and Ideology of achaemenid empire. Ph.D diss. faculty of baylor university, 2008, pp:56- 58.

(64) Aldred, Cyrill Egyptian art, London, 1980, p: 189.

(65) Asena, Burcu, the rhetoric of achaemenid art. master thesis of department of graphic design and the institute of fine arts of bilkent university, 2002, pp:29- 30.

(66) Janzen, M. D. "The Iconography of Humiliation: The depiction and treatment of Bound Foreigners in New Kingdom Egypt". A Dissertation for the Degree of Doctor of Philosophy Major: History The University of Memphis (2013), PP:167- 174.

(٦٧) ملك زاده، فرخ، بررسی تاریخ و هنرگوتیان و لولویان. بررسی های تاریخی، ص ٦٢.

(٦٨) ذی‌کنامی، کمال الدین و میرقادی، امین سرنخ های جدید از روی دادهای تاریخی در سرپل ذهاب در اواخر هزاره سوم ق.م. با نگاهی به نقش برجسته آنوبانی نی. پژوهش های ایرانشناسی، ص ١٤١.

(69) Mofidi Nasrabadi, B.M (2004). Beobachtungen zum Felsrelief Anubanini. 2004 ,P P: 293- 294.

(٧٠) مورتکات، أنطوان، الفن في العراق القديم، ص ٢٤٠.

(٧١) کول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ١٨٨.

(٧٢) فیزهوفر، فارس القديمة، ص ٤٠.

(٧٣) دادور، أبو القاسم و غربی، الهه، مطالعه تطبیقی نقوش برجسته هخامنشی و ساسانی در ایران. چاپ اول، تهران: دانشگاه الزهراء، ١٣٩١ هـ ش، ص ٢٢١.

(٧٤) کول روت، مارگارت، شاه و پادشاهی در هنر هخامنشی، ص ١٩٦.

(٧٥) هامان منبع، ص ١٩٥.

المنصور العامري في ضوء نظرية التحدي  
والاستجابة لارنولد توينبي  
٣٧١-٣٩٢هـ / ٩٨١-١٠٠٢م

أ.م.د. غفران محمد عزيز  
جامعة ميسان - كلية التربية



المنصور العامري في ضوء نظرية التحدي والاستجابة لارنولد توينبي ٣٧١-

٣٩٢هـ/٩٨١-١٠٠٢م

أ.م.د. غفران محمد عزيز

الملخص :

يسلط البحث على اهمية الشخصية المبدعة في تسيير الاحداث التاريخية وتغيير منهج الدولة الحاكمة وامكانية المواجهة والتصدي لكل التحديات الداخلية والخارجية بدءا من النشأة وصولا الى قيام الحضارة واستمرارها وتمثلت ايام الخلافة الاموية بالدولة العامرية التي اسسها المنصور العامري على الرغم من كل الظروف والعقبات الموجودة مما دفعني الى قراءتها في ضوء نظرية التحدي والاستجابة للفيلسوف ارنولد توينبي , متناولا في البحث مفهوم التحدي والاستجابة في اللغة والاصطلاح فضلا عن القران الكريم وصولا الى تناول النظرية عند صاحبها , بعدها تناول البحث في المبحث الاول نشأة المنصور العامري في ظل التحديات المختلفة واستخدامه لمختلف الطرق لغرض المواجهة والاستمرار في تحقيق الاهداف ورغبات الوصول ليتم الانتقال الى التحديات الداخلية والخارجية قبيل الوصول الى السلطة فضلا عن اساليب الحكم خلال مدة الحكم وطرق الاستجابة لها .

Mansour Al-Amiri

In light of Arnold Toynbee's challenge-response theory

AH / 981-1002 AD ٣٩٢-٣٧١

Prof. Dr. Ghufran Muhammad Aziz

Abstract

The research sheds light on the importance of the creative personality in the conduct of historical events and changing the approach of the ruling state and the possibility of confronting and addressing all internal and external challenges, starting from the establishment and leading to the establishment and continuity of civilization. In the light of the challenge and response theory of the philosopher Arnold Toynbee, dealing in the research with the concept of challenge and response in language and terminology as well as the Holy Qur'an leading to dealing with the theory of its owner, then the research dealt in the first topic with the emergence of Mansour Al-Amiri in light of the various challenges and his use of various

methods for the purpose of confrontation and continuing to achieve Goals and desires to reach in order to move to the internal and external challenges prior to accession to power as well as the methods of government during the term of government and ways to respond to them.

#### المقدمة

نتطرق في بحثنا الى شخصية اندلسية قيادية انفردت بقدرتها في مواجهة الكثير من التحديات الكبيرة التي اجتازتها وهنا نطرح تساؤل عن الاسباب التي مكنت المنصور العامري من هذا الامر خلال حكم الدولة الاموية في الاندلس من حيث القدرات والصفات الشخصية الابداعية التي ادت هذا الدور ضمن افكار توينبي في نظريته (نظرية التحدي والاستجابة).

تكمن اهمية البحث في مناقشة التحول الحضاري والطريقة التي ادت الى تاسيس دولة جديدة ضمن اسرة لا تنتمي الى البيت الحاكم وهذا التطور ونتائجه ضمن هذه النظرية , فالتحديات البشرية الداخلية والخارجية ناهيك عن الاضطرابات التي صاحبته في نشأته ووصوله الى السلطة وكيفية مواجهته للتحدي والإصرار على الإبداع الذي اسهم في بناء الجانب الحضاري وتحقيق استمراره .

اعتبر "توينبي" أن حركة التاريخ تسير على إيقاع التحدي والاستجابة. وما هذه التحديات إلا ظروف طبيعية قاسية أو ضغوط بشرية خارجية، وامام هذه التحديات توجد استجابة ناجحة تقوم بها الأقلية المبدعة، بوصفها الفئة القادرة على عملية الخلق والإبداع وصنع الحضارات، ولذلك اعتبر توينبي أن الظروف الصعبة – لا السهلة – هي التي تستثير في الأمم قيام الحضارات، وأن الفئة المبدعة في أي مجتمع من المجتمعات هي الفئة الوحيدة التي تضطلع بمهمة صنع الحضارات، وأما عامة الناس فما عليهم إلا اقتفاء أثر المبدعين ومحاكاتهم.

يعتبر المنصور محمد بن أبي عامر من القادة الشجعان المبدعين الذين لهم الدور الكبير في التاريخ الاندلسي بعد أن ظهرت علامات الضعف في الخلافة الأموية سواء سياسياً كانت ام ادارية فضلا عن الجانب الفكري حيث ازدهرت الحياة الفكرية في مدة حكمه كونه محبا للعلم مؤثرا للأدب يكرم العلماء ويكثر مجالستهم حتى زخرت الأندلس في مدة حكمه بطائفة من العلماء والادباء والشعراء , اما بالنسبة للجانب الاقتصادي فقد ازدهرت بشكل واضح بحيث كثرت الأموال نتيجة الإجراءات التي اتبعها في هذا الجانب فكان قائدا عسكريا شجاعا فارسا قاد العديد من الحملات العسكرية ضد الممالك الإسبانية بحيث احصتها المصادر التاريخية بسبعة

وخمسون غزوة غزاها كلها بنفسه ولم يخسر في واحدة منها ، وهكذا ازدهرت في ايامه العلوم والصنائع وتقدمت الزراعة والعمران وبلغت الاندلس في مدة حكمه من السعادة مبلغا لم تعرفه من قبل.

### أولاً- مفهوم التحدي والاستجابة لغةً وإصطلاحاً:

#### ١- التحدي في اللغة :

ترجع مفردة التحدي الى الفعل (حدا) كان يقول : يتحدّى فلانا، إذا كان يُباريه ويُنازعه الغلبة. وهو من هذا الأصل ، مثلما يقال أنا حُدِّيَاك لهذا الأمر، أي ابرز لي فيه (ابن فارس ، ١٩٧٩). (تحدي) الشيء حداه وفلانا طلب مباراته في أمر (مصطفى ، الزيات ، عبد القادر ، و النجار ، د.ت) ومنه قول: كنت أتحدّي القراء فأقرأ ، أي أتعمّد (الازهري ، ٢٠٠١) والمفعول مُتحدّى ، ويأتي مفهوم اتحدّى فلان فلانا : اي غالبه وباراه "تحداه أن يحلّ لغزاً- مثلما نقول تحدّى الشعب الاستعمار" ومن المفردة يشتق الفعل أتحدّى: الذي هو تعبير يُقصد به إنذار شخص بفعل شيء مع التلميح إلى عدم قدرته عليه (عمر ، ٢٠٠٨). ويتلخص من ذلك: أن التحدي في اللغة يدور حول معنى السوق، والمباراة والمبارزة والمنازعة والتعمد لشيء ما .

#### ٢- التحدي إصطلاحاً:

التحدي يأتي اصطلاحاً بمعنى الازمة فالتحديات مجموعة الأزمت التي تقع في جميع المجالات (رياض، بلا)

#### ٣- الإستجابة في اللغة:

الاستجابة لغة : تأتي من الإجابة مصدر الفعل : أجاب والإجابة رجوع الكلام، نقول: أجابه عن سؤاله، ومنه: استجاب الله دعاءه (ابن منظور ، د.ت) (الرازي ، د.ت). وَمِنْهُ قَوْلُهُ نَعَالَى: {وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي} (الفجر، الاية ٩١) وَ (جُبْتُ) الْبِلَادَ بِضَمِّ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا مِنْ بَابِ قَالَ وَبَاعَ وَ (اجْتَبَيْتُهَا) قَطَعْتُهَا (الرازي ، د.ت، صفحة ٦٣) .

#### ٤- الاستجابة اصطلاحاً:

وقد ورد للاستجابة تعريفات عدة بعبارات متقاربة، وإليك أبرزها: قال مجاهد "الاستجابة الطاعة" (الطبري، د.ت ، صفحة ٤٨٤ ج٣) وقال جمهور المفسرين: «المعنى: استجبوا للطاعة، وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه (الشوكاني، ١٤١٤ ، صفحة ٣٤٢ ج ٢) -وقيل : هي الإجابة إلى ما دعاهم الله إليه من التوحيد والعدل والنبوة وبعث الرسل عليهم، والتزام الشرائع الواردة على لسان رسوله (ص) (الرازي م.، ٢٠٠٠، صفحة ٣١

ج ١٩) . وقيل: المعنى» :أجيبوه إلى ما دعاكم من الإيمان به والطاعة» (الطبري، د.ت ، صفحة ٤٨٤ ج٣)<sup>(٤)</sup>. الاستجابة: استجاب له، واستجابه: أي أجابه، قال الله تعالى: فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَقَالَ تَعَالَى: ((وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا)) (اليماني، ١٩٩٩، صفحة ١٢٢٦ ج٢) وَ (الاستِجَابَةُ) بِمَعْنَى وَمِنْهُ (اسْتَجَابَ) اللَّهُ دُعَاءَهُ. وَ (الْمُجَابَبَةُ) وَ (التَّجَاوُبُ) التَّحَاوُرُ (الرازي م.، د.ت، صفحة ٦٣) .

### ثانياً- مفهوم التحدي و الاستجابة في القرآن الكريم:

برز مفهوم التحدي في القرآن الكريم من خلال أول مواجهة لتحدي ثقافي في زمن النبي - صلى الله عليه واله وسلم - فزعم المشركون أن باستطاعتهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم وزعموا أن النبي - صلى الله عليه واله وسلم - قد اختلقه فتحداهم الله أن يأتوا بمثله، وقرعهم بالعجز عن الإتيان- مع ما هم عليه من الأنفة والحمية- بما فيه من الآيات التي تبين أنه بلغتهم ومن جنس كلامهم فطالبهم أن يأتوا بمثله أو بمثل عشر سور منه ، وتمر عليهم السنوات وتزداد الآيات وهم على عجزهم دائمون (الخالدي، د.ت ، صفحة ١٥) .

- فتحداهم أولاً أن يأتوا بمثل هذا القرآن وذلك في قوله - عز وجل - : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ - فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ) (سورة الطور ، الآية ٣٣-٣٤) .

- فلما لم يستطيعوا تحداهم بعشر سور من مثله وذلك في قوله - عز وجل - : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَفَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (سورة هود، الآية ١٣-١٤) .

- ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله وذلك في قوله - عز وجل - : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) (سورة يونس ، الآية ٣٨) .

-كما كرر هذا التحدي في قوله - عز وجل - : ( وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (سورة البقرة ، الآية ٢٣-٢٤) .

- فسلك الله معهم أسلوب التدرج في التحدي فثبت عجزهم عن ذلك بل تحدى الله - عز وجل - الإنس والجن مجتمعين عن أن يأتوا بمثل القرآن، وهذا في قوله - عز وجل - : (قُلْ لَنْ يَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَأَيُّونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ) (سورة الاسراء ، الآية ٨٨) .

وهكذا يقرر القرآن الكريم عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن مهما بلغوا من العلم والمعرفة إلى يوم القيامة.

### ثالثاً- مفهوم التحدي والاستجابة لدى ارنولد توينبي:

يرى توينبي أن الظروف البيئية الصعبة تستثير الطاقات وتحرك مكامن الإبداع البشري، فالتحدي يواجهه باستجابة ليولد تفاعلاً بين البيئة والإنسان ، ولهذا يرى ان الحضارة تقوم بفعل الظروف الصعبة التي تتجلى بنوعين من التحديات هما : تحدي البيئة الطبيعية القاسية ، وتحدي البيئة البشرية الصعبة ويتفرع عن كل هذين التحديين الرئيسيين تحديات اخرى (النجم، ٢٠١٠، صفحة ٩٨) ، وكذلك اكد أكد أن البشر والمجتمعات البشرية لا يمكن أن تفهم بشكل منعزل عن بيئاتهم.

أن العلاقة بين قطبي هذه النظرية فنتخذ إحدى صور ثلاث:

أ- قصور التحدي يجعل الطرف الآخر عاجزاً عن استجابة ناجحة.

ب- التحدي البالغ الشدة يحطم روح الطرف الآخر.

ج- التحدي الذي يكون على درجة معقولة يستثير الطاقات المبدعة، فهذه وحدها الاستجابة الناجحة، ومن هنا طرح قانون «الوسط الذهبي» في نظريته، مؤكداً أن الظروف الصعبة تتحدى الإنسان فتستثير هممه وقوى الإبداع لديه، وتستحثه على التحضر، وقد يكون مصدر التحدي البيئة الطبيعية أو الظروف البشرية (النجم، ٢٠١٠، الصفحات ٦١-٦٢) .

كما و يرى بعض دارسي التاريخ ان عملية النمو والنهوض تتم عبر دورة ديناميكية مميزة فالظروف التي تحيط بالإنسان تمثل تحدياً وتستثير إرادته وتحركه بردود أفعال اما ان تكون ناجحة او عقيمة، وعندما يكون رد الفعل موففاً تتحقق عملية النمو والنهضة، حيث يرى توينبي: النمو يكون مميزاً بتحدٍ يقود الى رد موفق يستثير تحدياً جديداً يؤدي الى رد موفق وهكذا دواليك بانتظار الانتهاء. أي ان الانتهاء يبدأ عندما لا يستجيب لها الفرد او المجتمع ولا يتأثر بنتائجها تأثراً عملياً وانما تتملكه حالة اللامبالاة، او يستجيب لها بشكل سلبي حيث رد الفعل يكون باتجاه التراجع او الجمود. ويضيف توينبي: أما التفكك فيكون متميزاً بتحدٍ يستجر رداً غير ناجح فيستثير محاولة أخرى تؤدي الى إخفاق جديد وهكذا دواليك بانتظار الاضمحلال (مجلة النبأ، العدد ٤٣) .

ولكون متابعة تفاصيل الكتاب كلها أمراً غير ممكن فلا بد من الاجتزاء؛ لذا من الضروري عرض أفكار التحدي أو نظرية التحدي والاستجابة، وتصورات توينبي الخاصة بها، من خلال

عوامل التحدي والاستجابة واستخلاص عوامل الصعود والهبوط ، وكيف تفسر وفق نظرية التحدي والاستجابة عليه؟

يذكر توينبي أن تحول المجتمعات البدائية إلى حضارات، كان بمثابة الانتقال من حالة الركود إلى حالة (التغيير والنمو)، ، مثلما هو الحال بالشباب الذي استيقظ وبدا يكافح وهنا حاول الأخير في نظرية الاستجابة للتحديات عند المجتمعات الارتكاز على عنصري الجنس والبيئة الجغرافية في مولد الحضارات، والجنس عند توينبي هو صفات نفسية، وروحية، وحضارية في حين يدافع علماء الأجناس عن نظرية الجنس، فهم يرون أن التفوق الفكري مرتبط بلون البشرة، فيما يرى توينبي غير ذلك حيث أنه لا يؤخذ بنظرية الأجناس أي أن لا علاقة لتفوق الحضارات بلون البشر أو بنوع الجنس، بل هو مرتبط بالإنجازات التي حققها ذلك الجنس (الزيود، ٢٠١٣، صفحة مج ٤٠ ١٤) .

فسّر توينبي نشوء الحضارات الأولى، من خلال نظريته الشهيرة الخاصة بـ ((التحدي والاستجابة))، والتي استلهمها من علم النفس السلوكي، وعلى وجه الخصوص من "كارل يونغ ١٨٧٥ - ١٩٦١م" الذي يقول أن الفرد الذي يتعرض لصدمة قد يفقد توازنه لفترة ما، ثم قد يستجيب لها بنوعين من الإستجابة:

١. إستجابة سلبية: النكوص إلى الماضي لاستعادته والتمسك به تعويضاً عن واقعه المرّ، فيصبح إنطوائياً.

٢. إستجابة إيجابية: تَقَبُّل الصدمة والإعتراف بها، ثم محاولة التغلب عليها، فيكون في هذه الحالة إنبساطياً.

ويبدو ان الحضارة التي تنهض بفعل الفئة المبدعة انما جاءت بفعل شخصيات اتسمت بصفات نوعية استطاعت ان تنقل هذا المجموعة الى الحالة الابداعية فحققت الطموحات التي تريدها وبالتالي افادت الحضارة وطورتها ، ومن هذا الباب وجدت ان شخصية المنصور العامري كان على راس هذه الفئة خلال المدة المدروسة بما حققه من نقلة مهمة في كافة الميادين.

## المبحث الثاني

### النشأة ودورها في بناء الشخصية المبدعة

#### أولاً : الاسم والثقافة :

الشخصية المبدعة تأتي من عوامل التنشأة المختلفة ومن هذا نسلط الضوء على بثته واثرها في بناء هذه الشخصية :

أسمه : هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري (الابار، ١٩٩٣، صفحة ٢٤٨ ج١) (بشكوال، ١٩٥٥، صفحة ٣٥٩ ج١) (الخطيب، ٢٠٠٤، صفحة ٥٩ ق٢) ينتسب الى قبيلة معافر اليمانية القحطانية (القلقشندي، دت، صفحة ٤٢٣) ويذكر ان أصله: من الجزيرة الخضراء ((مدينة مشهورة بالاندلس تقع مقابل مدينة سبتة المغربية )) (الحموي، دت، صفحة ٥٥ ج٣) ، من قرية طرش او تركش التي تقع على نهر وادي أروا (الضبي، ١٩٨٩) (المراكشي، ١٩٤٩، صفحة ٢٨)، ويقال انه من شلب، البرتغال حالياً (مؤنس، ٢٠٠٤، صفحة ٣٩١) .

تكونت شخصية محمد بن ابي عامر من عوامل ذاتية واخرى مكتسبة من بيئته فكانت :

١-الصفات (الذاتية) الشخصية : تميز محمد بن ابي عامر في حداثة عمره انه طموحاً ذا هممة عالية ويتوقع لنفسه مستقبلاً عظيماً (عان، ١٩٤٧، صفحة ١٨٣) .

٢-الصفات المكتسبة : كان والده عالماً بالحديث والشريعة وسمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبانة ومحمد بن فطيس ورحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج (الابار، ١٩٩٣، صفحة ٢٩٨ ج٢) (التجاني، ١٩٨٥، صفحة ٥٧) ليتم دراسته بجامعة قرطبة ويسلك سبيل القضاء في اول الامر مقتفياً آثار عمومته وخولته ، درس اللغة والأدب على أبي القالي البغدادي وابن أبي بكر بن القوطية ودرس الحديث على يد ابي بكر بن معاوية القرشي (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٣٨٣ ج٢) ، وكان له مجلس معروف في الأسبوع يجمع فيه اهل العلوم للكلام فيها بحضرته (الضبي، ١٩٨٩، صفحة ١٠٩) وساعده على تنمية مواهبه كثرة العلماء من حوله وعناية أهل العصر بالعلم والعلماء .

يظهر من السابق توافر الاسباب الرئيسية في تكوين شخصية ادارية وعلمية مبدعة كان لها الاثر البارز في تطور الجانب الحضاري ، وكما يرى توينبي بان العامل الاساسي لنشوء الحضارات هو الدين والذي يبدا بشخصيات مبدعة تتفقت دينيا فالحضارة الاسلامية قامت على

اساس الشريعة الاسلامية وطبعت بطابعها الخاص كل المنجزات المادية والفكرية (النجم، ٢٠١٠، الصفحات ٨٢-٨٣) .

وهنا يمكن ان نجد اهتمام المنصور بتهيئة نفسه من كل الجوانب المعرفية بكيفية فعل الفرد المبدع لدى توينبي الذي يصف حركته بالمزدوجة بغية الوصول الى الاستنارة . (نيفين، ١٩٩١، صفحة ١٢٧)

ثانياً- تحديات الوصول :

اشار توينبي الى ان الحضارة لاتنشأ في ظروف سهلة انما هي على النقيض تنشأ في ظروف صعبة تخلق للانسان تحديا وهذا التحدي يسفر عن استجابة تتفاوت حسب الاجيال (توينبي، ٢٠١١) .

سعى محمد بن ابي عامر في الوصول الى المراتب العليا في السلطة لتحقيق الطموحات الابداعية فهو لم يات قرطبة بنية التعلم والعودة من دون الوصول الى الطموح والاهداف التي يرغبها فعمل في مهنة كاتب رسائل في فترة بداية خروجه إلى الحياة العامة (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٥٩) (المقري ، ١٩٠٠ ، صفحة ٣٩٩ ج١) وهي الطريق نفسها التي اختارها والده من قبل، وقد اختار دكانه ليكتب فيها العرض للخدم والمترافعين إلى الخليفة أمام باب قصر ( الحكم المستنصر) .

حظي بإعجاب خدم القصر لبراعته في كتابة الشكاوى ، بأسلوب شيق، فبذلك وطد علاقته بمن في القصر ونال ثقة الجميع ويورد ابن عذارى روايات مختلفة في بداية اتصال ابن ابي عامر بقصر الخلافة إذ إن الخليفة المستنصر أراد أن يعين مراقبا لإملاك ابنه عبد الرحمن فاشار اليه الحاجب جعفر المصحفي من بين المرشحين لتولي هذا المنصب بعد أن سمع عن نجابته وقدراته في الكتابة (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، الصفحات ٢٦٨-٢٦٩ ج٢) .

كان الحكم قد ارتبط بعلاقة مع جارية اسمها أورورا Aurora، وأطلق عليها اسم هيج وهي باسكاوية الأصل (بشكنسية الاصل من اقليم الباسك في شمال اسبانيا قيل لها صبح وكان يطلق عليها الخليفة اسم جعفر) ، وأصبحت بعدها الشخصية القوية في القصر، وقد أنجبت الخليفة الحكم عبد الرحمن الذي توفي صغيرا ثم ما لبثت أن أنجبت ولد ثاني هو هشام بن المستنصر الذي ولد سنة (٣٥٤هـ/١٩٦٥م)، وولي العهد والخلافة فيما بعد " فعظم استبشاره به وسروره بموهبة الله فيه" (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، الصفحات ٢٥٢-٢٥٣ ج٢) (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٤٣) والسيدة صبح تصفها المراجع المعاصرة ( بالجارية أو المحظية )

وترجمة اسمها (Aurora) بالفرنسية هو الفجر أو الصباح الباكر " وهو الاسم النصراني الذي كانت تحمله صبح فيما يظهر " .

ان الولوج الى القصر والقفز الى الحاشية الحاكمة لم يكن تحدياً سهلاً في ظل وجود الكثير من القوى المسيطرة والمؤثرة في هذا المكان ، مما جعل ابن ابي عامر يختار الموقع المناسب والطريقة المناسبة في التقرب الى السيدة صبح البشكنسية التي كان لها الدور الاكبر ببروز نجمه وترقيته إلى المناصب العليا في الدولة حيث فتحت أمامه سبل الارتقاء لتحقيق طموحه الكبير . (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، الصفحات ٢٦٨-٢٦٩ ج٢) . وهنا يكمن الابداع واختيار الطريق الصحيح لتحقيق الاهداف المرغوبة .

يبدو ان عملية الوصول لرضى السيدة او بالاحرى الوصول الى قلبها لم يكن عفويا بقدر ما كان عن تخطيط ومعرفة لهذه الشخصية، خاصة انها استأثرت بكل نفوذ ورأي لدى الخليفة وساسة القصر بعد أن أنجبت ولي العهد هشام ، ولم تكن جارية أو محظية بل ملكة حقيقية غير متوجة . حيث يطلق عليها (السيدة صبح أم المؤيد) (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، صفحة ٤٣ ج ١ ق ٢) (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، الصفحات ٢٦٧-٢٨٢ ج ٢) وتصفها كتب التاريخ الإفريقية (بالسلطانة صبح) (Dosy, 1932, pp. 190-195 V11) لذلك حقق ابن ابي عامر الاستجابة لهذا التحدي الداخلي الامر الذي جعل السيدة الحاكمة الرائعة الجمال تحت تصرف هذا الشاب الطموح الذي اغدق عليها حبه، وعطفه، (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، الصفحات ٢٥١-٢٥٣ ج ٢) ويمكن القول ان السيدة الحاكمة الباسكية الاصل التي وصلت للقصر بحكم المصاهرة كانت جزءا من الفئة الابداعية المؤثرة التي اسهمت بشكل او باخر في اختيار وتقريب هذا الشاب الطموح وايصاله الى السلطة ، بمعنى اخر ان الاختلاف الحضاري الذي صار موجودا في القصر انعكس على الحكم .

ناتي الان الى الخطوات التي عملها ابن ابي عامر للتقرب الى السيدة الحاكمة من خلال التقرب الى الشخصية الاولى التي عينت بامر منها وهو الحاجب جعفر المصحفي الذي امر بتوليته مشرفا على أملاك ولد الخليفة هشام وهو الولد الثاني للحكم من محظيته السيدة صبح، وكان لذكائه ونجابته دور كبير في لفت نظر السيدة صبح منذ دخوله البلاط وهو في السابع والعشرين من العمر ، حينما أراد الخليفة الحكم أن يعينه مشرفا لإدارة أملاك ولده عبدالرحمن (الذي توفي لاحقا) لذلك رشحه الحاجب جعفر لتولي هذا المنصب (المقري ، ١٩٠٠ ، صفحة ١٨٧ ج ١) .

تعرفت السيدة صبح إلى محمد بن أبي عامر من بعض خدم القصر والمرافقين للسلطان (فعرها به بعض من كان يأنس الجلوس إليه من فتيان القصر فاستحسنت كتابته وعينته أمينا لبعض شؤونها) (المقري ، ١٩٠٠ ، صفحة ١٨٧ ج ١) ، ثم ازداد إعجابها به وبذكائه وحسن روائه وظرف شمائله (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٩٧ ج ٢) وبهذا صار محبوبا فختارته مشرفا لإدارة أملاك هشام بعد وفاة أخيه عبد الرحمن، وبالغ المنصور في إتحاق السيدة صبح ومهاداتها ، ومن في القصر من حريم " كانت حاله عند الجميع بتصديه لمواقع الإدارة، ومبالغته في تأدية طبق الخدمة" (المقري ، ١٩٠٠ ، صفحة ٩٧ ج ٣) . كان ابن أبي عامر شاعرا مفوها، شعره رقيق وهو القائل :

سألت نجوم الليل : هل ينقضي الدجي؟  
فخطت جوابا بالثريا كخط لا!  
وكنت أرى أي بآخر ليلة  
فأطرق حتى خلته عاد أو لا  
وما عن هوى سامرتها، غير أنني  
أنافسها المجرى إلى رتب العلا (المقري  
، ١٩٠٠ ، صفحة ١٠٧ ج ٣)

استغل محمد بن أبي عامر وجوده في القصر أحسن استغلال وهو العارف بأن أفضل وسيلة للوصول إلى قلب سيدة القصر (تقديم الهدايا) فأغدق عليها الهدايا (كصنعه قصر من فضه للسيدة صبح). حتى روي ان الحكم قال : ( إن هذا الفتى قد قلب عقول حرمانا، بما يتحفظن به) (المقري ، ١٩٠٠ ، صفحة ٨٨ ج ٣) (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، الصفحات ٢٠١-٢٠٧ ج ٢) .

ويتبادر إلى الذهن ماهية العلاقة بين السيدة صبح ومحمد بن أبي عامر، فالسيدة كانت امرأة حسناء، لا تزال في زهرة العمر، وكان سيدها "الحكم" قد أشرف على الستين من العمر وقد هدمه الإعياء والمرض، في حين كان محمد بن أبي عامر فتى في نضرة الشباب، وسيم المحيا، حسن القدر والتكوين، سامر الحلال)، وكان ينفاني في خدمة السيدة صبح وإرضائها لذلك آثار الحكم وتساؤله بقوله: (ما الذي استلطف به هذا الفتى حرمانا حتى ملك قلبها، إنه لساحر عظيم، أو خادم نبيل، واني خائف على ما بيده) (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٧ ج ٢) .

وهذا ما آثار الشك في ماهية هذه العلاقة بين السيدة صبح وابن أبي عامر حتى ذاعت وغدت حديث أهل قرطبة إلا أن هذه العلاقة بينهما لم تتعد حدود الأدب، وقد أشارت بعض المصادر إلى الشك في أنه كان عشيقها وان العلاقة بينهما غرامية (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ،

صفحة ٢٤٨ ج٢) "سار محمد بن أبي عامر إلى غاية بسرعة مدهشة، واستطاع بعزمه وصرامته في الاعتلاء بوظائف الدولة ، فأضيف إلى مهامه النظر على الخزانة العامة ثم على أمانة دار السكة ثم عين للنظر في خطة المواريث ثم عين في العام (٣٥٨هـ/٩٦٩م) قاضي الكورة أشبيلية ومدير للشرطة الوسطى عام (٣٦١هـ/٩٧٢م) ليعينه الحكم قبل وفاته " ناظرة على الجيش العام". وفي مدة قصيرة، استطاع محمد بن أبي عامر أن يصل إلى أرفع وظائف الدولة في القصر، وصار حلقة الوصل بين الأمير الأموي ووزرائه، وقوي أمره، ونفذت كلمته في القصر (المقري ، ١٩٠٠)، ولما ارتاب الخليفة بذلك وسعى بعض الخصوم لإبعاده واتهامه بتبديد الأموال العامة فطالبه الحكم بالكشف وكانت الخزانة في عجز فلجأ إلى صديقه الوزير ابن جدير وكان غنيا فأعانه على العجز وقدم الأموال إلى الخليفة كاملة فزال شكه وازدادت ثقته به، وكان يستغل العلاقة مع السيدة صبح لصالحه فبدأ بالصعود إلى رتب بالوزارة وجعله معاون للحاجب (ابن بسام ، ١٩٤٩، صفحة ٤٢٤ ج١ ق٤) (ابن عذاري ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٥ ج٢)، فبدأ الصراع بين المنصور والحاجب جعفر وذلك استنادا إلى بعض الاشارات والتتويهاات التي أبداه المؤرخون على الرغم من أنه استحوذ على اهتمام عامة النساء في القصر وبموت الحكم (الحجي، د.ت، صفحة ٣٠٩) وتولي ولده هشام الخلافة، وهو لم يتجاوز إحدى عشرة سنة، تبدلت الأحوال في الأندلس ، وأدت الأمور والأحداث إلى بروز المنصور إذ لم يكن باستطاعة هشام اليفاع النهوض بأمور الدولة وهو غير قادر على رعاية شؤونها .

يبدو ان خطوات المنصور في تحقيق تلك الخطوات جسدت الطاقة الكامنة لغرض التحقيق الذاتي كما يقول توينبي (( ... ان الشخصية النامية او الحضارة تسعى الى ان تصير هي نفسها بيئة نفسها وتحديا لنفسها , ومجال عمل لنفسها )) (النجم، ٢٠١٠، صفحة ١٠٥) .

#### ثالثاً: الاضطرابات وقيام الحضارة العامرية

يرى توينبي اهمية اوقات الاضطراب او ما تسمى بالفترة الفوضوية التي تسهم في ولادة حضارة جديدة تخرج من رحم الحضارة السابقة (النجم، ٢٠١٠، الصفحات ٨٦-٨٧) وبالفعل فان الاضطرابات والانقسامات التي حصلت بعد وفاة الحكم اسهمت بفسح المجال للمنصور لتحقيق طموحاته وبناء الحضارة العامرية .

انقسم القصر بعد وفاة الحكم إلى معسكرين: - المحور الأول : معسكر الصقالبة بزعامة فائق وجوزر اللذان يرغبان بتولية اخيه المغيرة بن عبد الرحمن لان ابنه صغير السن

ولا يقدر على الحكم ، أما المحور الثاني: فتخالف فيه محمد بن أبي عامر والحاجب جعفر (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، الصفحات ٤٠-٤١ ق ٤ مج ١) (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، الصفحات ٢٧٨-٢٨٠ ج ٢) وبدعم أم هشام السيدة صبح وهم يرغبون بالابقاء على الوصية بالخلافة للابن القاصر لغرض السيطرة على زمام الامور وتحقيق الاهداف السلطوية . وبالفعل اسرع كلا من المصحفي وابن أبي عامر بالفتك بالمغيرة بن عبد الرحمن على يد محمد بن أبي عامر وذلك بممالة جعفر بن عثمان المصحفي حاجب أخيه" (ابن خلدون ، د.ت ، صفحة ٣١٨ ج ٤). ثم العمل على مقارعة الصقالبة ( المسيطرين على القصر والجيش ) فقد اجتمع المصحفي وابن أبي عامر للقضاء على نفوذهم ، ولكل منهما أسبابه ودوافعه فالمصحفي من محترفي السياسة، وكان بحكم منصبه وتأيد عصبته مسيطرة على السلطة العليا. في حين كان محمد بن أبي عامر له طموحه الخاص فرأى في تولية هشام ضمنا لاستمرار مصالحه في الحكم وتزعم هذه الفئة من أعضاء مجلس الوصاية وكبار موظفي القصر (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، صفحة ٣٩ ج ١) .

قام المنصور بعدة اجراءات حاول خلالها كسب العامة من الناس فهو عمل على إرضاء العامة من أهل الأندلس بأساليب عديدة منها ضبط المدينة ضبطا أنسى أهل الحضرة من سلف من أفراد الكفاءة وأولى السياسة وقد كانوا قبله في بلاء عظيم، يتحارسون الليل كله، ويكابدون من روعة إطراره ما لا يكاد أهل الثغور من العدو، فكشف الله ذلك عنهم بالمنصور وكفايته (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٥٨ ج ٢) ، وحرص على أن يضيف إلى أعماله نوعا من الشرعية المدعمة بفتوى الفقهاء، إلا أنه كان وافر الجود والبذل يغدق صلواته على من يستحقها من العاملين والمتصلين به من الفقراء وذوي العاهات.

رابعاً-التحديات الداخلية التي واجهت المنصور قبل وصوله للسلطة وطرق استجابته لها:

-التحديات الداخلية تمثلت بـ :

#### ١-الصقالبة:

ظهرت تلك التحديات بعد وفاة الخليفة احتدم الصراع بين رجال الدولة لاختلاف مصالحهم السياسية وعلاقاتهم الخاصة فكانوا معسكرين الاول حول هشام وتمثل بجعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن ابي عامر وغالب بن عبد الرحمن مولى الحكم وحاكم مدينة سالم الى جانب والدة هشام السيدة صبح وكانوا الحكام الفعليين للدولة (المقري ، ١٩٠٠) .

اما المعسكر الثاني فتمثل بمعسكر الصقالبة بزعامة فائق وجوزر ( ابن خلدون ، العبر ، ج ٤ ، ص ٣١٨ ، ويقول المقري : )) انه بعد وفاة الحكم اراد الجيش والصقالبة

المجودين بحماية الخليفة والقصر تبديل الوصية ونقض البيعة وتولية المغيرة بن عبد الرحمن وقد ناهز عمره ٢٧ سنة بدلا من ابنه القاصر هشام (( (المقري ، ١٩٠٠) ، فالصقالبة رفضوا تنصيب هشام لصغر سنه وعجزه عن القيام بأعباء الحكم، ووقع اختيارهم على عمه المغيرة بن عبد الرحمن الناصر (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، الصفحات ٢٨٠-٢٨١ ج٢) (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، صفحة ٤ ق٤ ج١) لتجربته السياسية والإدارية ولغرض ابقائهم في مناصبهم ونفوذهم لأبسط فاشتد. طغيانهم على الشعب إلا أن المصحفي وبعد علمه بوفاة المستنصر ومشروع تولية المغيرة جمع قواده وأجناده ، فنعى إليهم الحكم وعرفهم مقصد جوذر وفائق في إبعاد هشام، وتولى المغيرة الحكم، فبادر المصحفي على ضوء ذلك بإتفاق محمد بن أبي عامر مع طائفة من الجند إلى دار المغيرة لقتله، لكن بعد أن علم المغيرة بجلوس ابن أخيه في الخلافة قال : " أنا سمعا وطاعة" .

كان التخلص من المغيرة وتولية هشام الصغير فتحا للطريق امام طموح ابن ابي عامر ولهذا التفت تلك الاهداف مع رغبة المصحفي، فما كان إلا أن أرسل جنوده للقبض عليه، عندها قام محمد بن أبي عامر بقتله خنقا (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٤١ ج١) (ابن خلدون ، د.ت ، صفحة ١٤٧ ج٤) أمام زوجته فلما قتل المغيرة واستوثق الأمر لهشام لإدارة الحكم. وكان هدف كلا من المصحفي وابن أبي عامر وغالب على تنفيذ وصية الخليفة التي جاءت بما ينسجم مع رغباتهم وغاياتهم (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، الصفحات ٤٠-٤١ ق٤ ج١) .

وبالفعل كان محمد بن ابي عامر ابعد هدفا من الجميع اذ كان التحدي الاساس هو السيطرة على السلطة كلها بحيث استعمل كل الطرق لمواجهة كل منافس على حدة وهو ما بدا تحقيقه مع المغيرة والذي جاء بما ينسجم مع تطلعات المصحفي السلطوية (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، الصفحات ٤٠-٤١ ق٤ ج١) .

وبعدها جمع المصحفي الشخصيات التي تؤازره ومنهم (زىاد بن مفلح ومولى الحكم وقاسم بن محمد، ومحمد بن أبي عامر، وهشام بن محمد بن عثمان وغيرهم) واستدعى بنى برزال إذ كانوا بطانته واستحضر سائر قواده وقال لهم: أن حبسنا الدولة على هشام أمنا على أنفسنا وصارت الدنيا في أيدينا، وان انتقلت الى المغيرة استبد بنا (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٩٠ ج٢) .

وكان الصقالبة يمتلكون قوة كبيرة في قصر الخليفة قد تستخدم للانقلاب على الخليفة الجديد ولكن بعد مقتل المغيرة لم يجد الصقالبة بدا من الطاعة والتظاهر بها ومواصلة المشروع الذي كانوا يعدونه لاعادة سطوتهم وهيبتهم في البلاد، ومع كشف خيوط هذه المؤامرة بدأ المصحفي يتحوط من غدرهم، ويقول ابن خلدون عن المنصور "أول ما بدأ بالصقالبة الخدم بالقصر، فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم وإخراجهم من القصر، فوضع زعماءهم تحت الرقابة الشديدة، وسرح أعدادا كبيرة وألحق بعضهم بخدمة محمد بن أبي عامر، وكانت من الأخطاء القاتلة التي ارتكبها المصحفي" (ابن خلدون ، د.ت ، صفحة ١٤٧ ج٤).

## ٢-الحاجب المصحفي:

بعد القضاء على الصقالبة أي ابن أبي عامر أولى الخطوات التي عليه القيام بها للسيطرة على السلطة هي القضاء على الحاجب المصحفي أقوى الشخصيات السياسية في قرطبة بعد وفاة الحكم المستنصر وكانت بداية ابن أبي عامر للإيقاع بالمصحفي واستغلاله لنكبة الصقالبة فقد أغرى المصحفي بنكبتهم ثم ألحقهم بحاشية ابن أبي عامر الذي بالغ في إكرامهم، ثم استمال برزال وكانوا ضمن بطانة المصحفي، ولم يكن المصحفي ليعي أبعاد هذه السياسية التي جردته من أنصاره وحماته وعد هذا العمل حسنة بعد أن ثقلت مطالب أنصار المصحفي المالية عليه. والمعروف عن الحاجب شهرته بالبخل والتقتير على أتباعه وهو على عكس ابن أبي عامر المشهور بالجوود والكرم وقد بسط كرمه على أنصاره فأصبحوا أداته لتحقيق أهدافه ، ثم لجأ إلى "السيدة صبح" أم هشام لتوطيد سلطته لدي جعفر المصحفي فلقى الاستجابة التي يريتها. في هذا الوقت كان محمد بن أبي عامر بالمرصاد للحاجب المصحفي مستغلا علاقته بسيدة القصر ومقلبا عليه وزراءه وأتباعه " يمكر به، يضرب عليه، ويناقضه في أكثر الكثير من المعاملات مع الناس ويقضي حوائجهم" فمال الوزراء إليه وسعى في ترفيتهم وأخذهم بالعصبية فيه (ابن بسام ، ١٩٤٩، الصفحات ٤٤-٤٥ ق٤ ج١) .

ثم جاءت حادثة قشتاله بعد وفاة الحكم المستنصر، فقد شنت قشتالة هجومية على الأراضي الإسلامية في الأندلس، مستغلة الصراع على النفوذ والسلطة بين أعوان الخليفة الحكم وهاجمت قلعة "رباح"، مما أثار هذا الهجوم القلق لدى أهل قرطبة لقرب القلعة من عاصمة الدولة، كما أثار قلق السيدة صبح التي خشيت على عرش ابنها الفتي من الضياع ، في الوقت الذي لم تحرك الغارة مشاعر الحاجب جعفر وهو المسؤول الأول عن الدولة وأمنها، حيث تجاهلها ربما خشيته من مغادرة العاصمة في تلك الأجواء الملبدة في البلدة ، وهنا برز محمد بن

أبي عامر، حيث وعد السيدة صبح بمواجهة الأخطار الخارجية على أن تمده بالوسائل الضرورية للقتال والجهاد، فعكست سياسة الجهاد في الأندلس ظلالها الايجابية على شخصية المنصور العامري حينها (بيضون، ١٩٨٧، الصفحات ٣٤٤-٣٤٧).

ومما يلفت النظر هو دور غالب بن عبد الرحمن من هذه الأحداث وهو القائد المتمرس في شؤون القتال وفارس الأندلس، فغيابه عن مسرح الأحداث في التصدي للهجوم القشتالي كان بالتنسيق مع محمد بن أبي عامر أو لأسباب ودوافع أخرى.

فالمرجح أن غالبا لم يكن في صميم لعبة الصراع على السلطة والتي اتخذت قرطبة مسرحا لها، وان كان بينه وبين الصحفي أشد مما كان بين اثنين من العداوة والتقاطع، فقد كان الصحفي يخشى غالبا كثيرا، وغالب يزدرية ويمقته ولا يراه أهلا للمنصب الرفيع الذي يشغله، وكان يرى نفسه وهو الذي حاز النصر في مختلف الميادين أولى بمنصب الحجابة من الرجل الذي لم يجرد حسامة ولم يقصد جيشة، وإن لم يكن هذا هو الدافع الغالب لعدم تحركه، فالمؤكد إن جبهة الثغر الأعلى عند حدود نبره وهي دائرة نشاطه العسكري تعد من مناطق الحدود الساخنة والخطيرة، بحيث يصرف كل اهتمامه لها في ذلك الوقت (بيضون، ١٩٨٧، صفحة ٣٤٦) وكان الصحفي من أصحاب الرأي القائل بالتروفي في معالجة أحداث الشمال وما رافقها من دمار لقلعة رباح، إلا أنه رضخ إلى طلب عقد مجلس الحرب بإيعاز من ابن أبي عامر واختيار أفضل المقاتلين وتجهيزه بأفضل الأسلحة والعتاد وبمباركة السيدة صبح، وخرج على رأس حملة سنة (٣٦٦ هـ / ٩٧٧ م)، منفذا بذلك تجربته الأولى على مستوى القيادة، واتخذت حملته طابعا انتقامية مستهدفة المملكة القشتالية محاصرة حصن الحمامة داخل إقليم سلمنقه فدمره وحاز على غنائم كثيرة، بما فيها الأسرى وعاد محملا على الأكتاف إلى قرطبة (ابن بسام، ١٩٤٩، صفحة ٣٩ ج ١) (ابن عذارى، ١٩٨٧، صفحة ٢٤٧ ج ٢).

وقد جعل من حملته انتصارا باهرا قوبل بارتياح كبير وإعجاب قرطبة وبقية الأندلس. وكشفت هذه الحملة عن مواهب ابن أبي عامر العسكرية وزادت شعبيته في قرطبة، وكان الصحفي هو الخاسر الأكبر لانتصار ابن أبي عامر وقد بدأ يشعر بأفول نجمه وتراجع نفوذه، وهذا ما يشير إليه المقرئ بقوله "فجاشت الروم فجهز الصحفي ابن أبي عامر لدفاعهم فنصره الله عليهم وتمكن من قلوب الناس" (المقرئ، ١٩٠٠، صفحة ٣٩٩ ج ١) وبذلك ارتفعت وتيرة الصراع بين ابن أبي عامر والمصحفي فالحاجب جعفر مازال مستأثراً بالسيطرة على المناصب

الهامة والحساسة من خلال أبنائه وأقربائه وامتلاكه للأموار وهي ظاهرة هامة لاكتساب الأعوان وشراء الأنصار .

كذلك اتهم غالب بالتباطؤ في الدفاع عن الحدود الشمالية أثناء الهجوم القشتالي على قلعة رباح لكونه يتمتع بحرية الحركة، وله سلطة مطلقة على قوات الثغور، فعانى غالب من لوم المصحفي له واتهمه بالتخاذل (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، الصفحات ٤٣-٤٤ ج ١) (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٣٤٥ ج ٢) في هذا الوقت انبرى ابن أبي عامر للدفاع عن غالب في القصر مبررا موقفه من حادثة قلعة رباح، وأقنع الخليفة بدفاعه عنها فمُنح غالبا لقب (ذي الوزارتين) (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٩٧ ج ٢) ، وبهذا قدم محمد بن أبي عامر في سفره هذا خدمة لأهدافه فمال إليه غالب بكليته (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٤٧ ج ٢) ، وبذلك خسر المصحفي رجلا كان على الحياد وأصبح حليفا ونصيرا قويا يشد عضد ابن أبي عامر في صراعه الخفي مع المصحفي، وأن القائد غالبا أصبح يحمل لقب (ذي الوزارتين) إلى جانب قيادته لجيش الثغور . في حين ندب ابن أبي عامر لقيادة جيش الحضرة، ثم كانت غزوة ابن أبي عامر الثانية بالاشتراك مع غالب، وكان له طريقته في استدراج أعدائه واحدا بعد الآخر.

وكان للمنصور طريقة ذكية في التخلص من خصومه وهنا تكمن الاستجابة التي تحقق نتائج ايجابية فإذا كشف أحدهم بعداوته له ، بالغ التقرب منه ، وهذه كانت طريقة المنصور في العلاقة بين المصحفي وغالب وهي تدل على البراعة والدهاء وسعة الحيلة فهو يريد هدم المصحفي وغالب معا، ويقول ابن خلدون: " ثم أظهر غالب مولى الحكم، وبالغ في خدمته والتتصح له واستعان به على المصحفي (ابن خلدون ، د.ت ، صفحة ٣١٩ ج ٤) ، وبعد انتصار ابن أبي عامر وكان غالب قد شاركه بها، ولدى مغادرته ودعه غالب بقوله سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم وذكر جليل يشغلهم السرور به عن الخوض فيها والتحدث فياك أن تخرج عن الدار حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتقلدها دونه (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٣٩٤ ج ٤) .

وظهرت نتائج هذا التحالف سريعة بعد الانتصارات في الجبهة الشمالية وذلك عندما أمر الخليفة هشام بتحريض من محمد بن أبي عامر (عزل محمد بن جعفر المصحفي) عن حكم قرطبة وتوليبتها له. والراجح إن السيدة صبح لم تكن بعيدة عن هذا الاجراء ، وبذلك تم لمحمد بن أبي عامر السيطرة على المدينة والجيش معها، وبعد شيوع الأمر والهدوء، استخلف محمد

بن أبي عامر على حكم المدينة ابن عمه عمرو بن عبدالله بن أبي عامر، فسار على طريقته في انتهاج الحزم والشدة في ضبط الأمور من البغي والعدوان.

في هذا الوقت كان الحاجب جعفر يشهد بزوال سلطانه شيئاً فشيئاً وسلطان ابن أبي عامر يصعد وشعر بالمصير الذي ينتظره، فحاول إيقاف صعود نجم ابن أبي عامر باستمالة القائد غالب ومصالحته، طالبا يد ابنته أسماء لابنه محمد فاستجاب غالب لطلبه، وكادت تتم المصاهرة لكن سرعان ما علم ابن أبي عامر بذلك المشروع فشارت نفسه وكتب إلى غالب يناشده الولاء ويخطب ابنته لنفسه، فنزل غالب عند تلك الرغبة فارتبط مع ابن أبي عامر برباط المصاهرة حيث تزوج من ابنته أسماء (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، صفحة ٤ ق ٤ ج ١) (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٧٦ ج ٢).

لقد كان غالب بن عبد الرحمن خارج حلبة الصراع السياسي وهو أكثر تعلقاً بعمله العسكري، وإن ظل لنقله المعنوي تأثير في ترجيح كفة أحد المتصارعين (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، صفحة ٣٨ ق ٤ ج ١)<sup>(٢)</sup>، لاسيما ابن أبي عامر ضد خصمه جعفر وعمد إلى استبدال الحرس الخلفي بعناصر جديدة موالية له، فكانت هذه الخطوة الأولى من قراراته اتخاذ ركائز له في الدولة، لاسيما القصر توصلنا إلى تحقيق هدفه القادم (بيضون، ١٩٨٧، صفحة ٣٤٥) .

وأصبح جعفر يشعر شعورا بالخطر المحدق به، وأنه لم يكن له من الحجابة سوى الاسم وأصبح ابن أبي عامر كل شيء في القصر والدولة.

لقد سهل ضعف المصحفي نجاح ابن أبي عامر وسارع لإسقاطه، وصدر مرسوم خلافي بتعيين غالب عبد الرحمن شريكا له في الحجابة (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، صفحة ٤٠ ق ٤ ج ١) وأحس بأن حليفه القادم يخشى جانبه، فهو يحظى بمساندة نساء القصر، وكذلك غالب بن عبد الرحمن الذي طغى بنفوذه الجديد على صلاحيات المصحفي التي انتقلت إليه تدريجياً .

وازدادت شهرة وشعبية محمد بن أبي عامر عندما جهز الجيش للجهاد في غزوته الثالثة بالاشتراك مع القائد غالب، فاستولت قواتهما على حصن المال، وحصن زنيق وحاصرت مدينة شلمنقه .

واحتلت قوات المسلمين معظم المناطق المحيطة بها وبعد عودة القوات إلى قرطبة منتصرة بادر الخليفة إلى تكريم ابن أبي عامر ولقبه "بذي الوزارتين" ورفع رتبته إلى مرتبة " صاحب الحجابة" التي تولاها مع المصحفي خلال هذه الفترة القائد غالب، وعند استتباب الأمور لابن أبي عامر استكان الحاجب جعفر وأيقن أن النكبة وزوال الحال وانتقال الرتبة، والكف عن

اعتراض محمد بن أبي عامر ومشاركته في تدبير شؤون الدولة ، وأبعد الناس عن الرواح إليه أو التماس خدماته ولم يعد له من الحجابة سوى اسمها ، إلى أن عزل المصحفي وأودع السجن بتهمة استغلال أمور الدولة لشؤونه الخاصة (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٧١ ج٢) (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، صفحة ٤٢ ج١)

وبذلك تفرد محمد بن أبي عامر يشؤون الدولة لوحده بعد فضح المصحفي وهوى نجمه (العسلي ، ١٩٧١ ، صفحة ٣١) ، فسلط عليه محمد بن أبي عامر من يحقد عليه وينتقم منه وصار في غياهب السجن حبيساً (المقري ، ١٩٠٠ ، الصفحات ٤٠٧-٤٠٨ ج١) ، وأمعن في استجوابه حضور زملائه القدامى فكتب المصحفي إلى ابن أبي عامر يستعطفه ، إلا أنه رفض ولم يتوقف عند حدود إنزال العقاب بخصمه إنما تجاوزه لإنزال العقاب بأولاده وأهله ونسبائه وتوصل بذلك إلى اجتثاث أصولهم وفروعهم (المقري ، ١٩٠٠ ، الصفحات ٩٠-٩٢ ج٣) وأخذ المصحفي أعواما يعاني خلالها أروع الآلام والإذلال وهو يستعطف ابن أبي عامر فلا يرحمه، حتى مات وزالت بموته أكبر عقبة في طريق ابن أبي عامر، وقد كانت نهايته قاسية ومفجعة ومثيرة إلى أن مات في سجنه، وقيل إنه قتل خنقا أو سماً (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٤٧ ج٢) <sup>(٥)</sup> ومن الشعر الذي كان يسلي به نفسه في سجنه ويصف ما آلت إليه الأمور من بعد العز مهانة :

صبرت على الأيام لما تولت	والزمت نفسي صبرها فاستمرت
يا حبا للقلب كيف اصطبارة	وللنفس بعد العز كيف استذلت؟
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى	فإن طمعت تافت وإلا تسلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة	قلما رأيت صبري على الذل ذلت
وقلت لها نفس موتي كريمة	فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

لكن بعد مقتله فتح لابن أبي عامر الطريق للوصول إلى القمة، وجعلته يفجر كل موارد غضبه وحقده ضد الذي اعترض سبيله في بداية مشواره.

وبالفعل انتهت هذه المواجهة بين شخصيتين جمعتهما الظروف في مرحلة مع بعض وكل منهما له أهدافه وطموحاته، وليس من الغريب أن يفهم المصحفي أكثر مما يفهمه الآخرون، ولم تنفع محاولة إعاقته والوقوف بوجه طموح ابن أبي عامر الذي إزال جميع العقبات التي تعترض وصوله إلى القمة مستفيدا من وجوده في القصر ومعرفة مراكز القوى، وشعر

بعداوة الجميع للمصحفي والاستفادة من إدارته والتصدي لطموحاته وحشد كل القوى المضادة في خندق واحد وهو القضاء على المصحفي.. والتوجه مباشرة للقوى الأخرى... وبهذا تكون طويت صفحة المصحفي للأبد وتفرغ العامري لحليفه بالأمس الذي أعانه على المصحفي وعدو اليوم ثاني أهم وأكبر الشخصيات المتصرفة في الدولة غالب الناصري (ابن بسام ، ١٩٤٩ ، صفحة ٦٧) .

### ٣- غالب بن عبد الرحمن (العامري):

لم يبقى أمام المنصور لتحقيق سيطرته الكاملة على منافذ الدولة كاملة سوى غالب بن عبد الرحمن والد زوجته، والذي كان يتمتع بسمعة رفيعة في ميدان القيادة العسكرية وعلى مستوى عموم الأندلس، وكان غالب يستطيل بأسباب الفروسية وبيانه بمعاني الشجاعة ويعلوه من هذه الجبهة التي لم يكن لابن أبي عامر بها معرفة (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٧٨ ج٢) <sup>(٣)</sup>. وبينما كان ابن أبي عامر يعد العدة للمعركة التي سنتشب بينه وبين عمه غالب، كانت العلاقات بينهما لا تزال حسنة في الظاهر ولا تفوته فرصة لإظهار ولائه لغالب ومصانعته ومداراته لكن هذا الجندي المحنك لم يكن ليستمر مخدوعة بمظاهر الملق والمداهنة والاحترام الزائف والولاء المصطنع، واستشف من وراء هذه التغيرات عن غاية بعيدة فزاده ذلك ضيقا بمحمد بن أبي عامر، وكرهاً له ولما استقدم المنصور جعفر لم يبق عند غالب من شك في نيات ابن أبي عامر وإدراك مغزى سياسته، وعندها أراد أن يمكر به ويستدرجه، فدعاه لزيارته في إحدى غزواته وقد حمل بظاهر مدينة "انيسه" وأعد له وليمة في إحدى قلاعهما، بعد أن عزم على إستيحاء الأمور من صهره ، فأنفرد به وكان بينهما حوار ثم أسرع في عتابه واحتدم الجدل بينهما واستشاط غالب غضبا فسب ابن أبي عامر وصاح به قائلاً: "يا كلب أنت الذي أفسدت الدولة وخربت القلاع" (ادهم، ١٩٩٤ ، صفحة ١٠٣) .

ثم سل سيفه لقتل ابن أبي عامر وكسر عليه فضربه وكان بعض الناس قد حبسَ يده فلم تتم الضربة ولكنه أصابه بجراح أبانت بعض أنامله وأثرت أثرا كبيرا بصدغه وفر من أمامه وألقى بنفسه من رأس القلعة فنجا بأعجوبة وكانت من سعدة بعد أن نجا من محاولة اغتياله فأحتمله أصحابه وعالجوه، فالتحق بالعاصمة قرطبة واعد قوة خاصة من أتباعه توجهت أولا إلى مدينة سالم مقر غالب فتمت السيطرة عليها (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٦٢) ، وهي دار غالب وأهله واستولى على سائر أمواله ومتاعه وفرق جيوشه (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٧٩ ج٢) ، في حين اعتصم غالب في إحدى القلاع تحضيراً للمعركة الحاسمة بين الطرفين.

وانتهت هذه المعركة بسقوط غالب ميثاً عن فرسه خلال المعركة ولا اثر لشيء من السلاح في جسده ، ولم يتفق بسبب حتفه (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٦٤) ، فأختل توازن جيشه بعد موته وولى افراده منهزمين في كل اتجاه (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٧٩ ج٢) (عنان م. ، ١٩٩٧ ، صفحة ٥٣٩ ج٢) ، وبعد موت غالب ، اسرع بعض أصحاب غالب يبشرون العامري فلم يصدق حتى أتوا له بيده وفيها خاتمه ثم جيء برأسه وهنا ازداد جيش المنصور قوة . ولم يعد للعامري ما يخشاه في البلاد ، واستبد بشؤون العباد.

#### ٤- السيدة صبح أم الخليفة:

أدركت السيدة صبح متأخرة خطورة موقف ابن أبي عامر على مستقبل ولدها هشام والخلافة بعد أن سلبها كل نفوذ وسلطة، فانقلبت إلى خصومه ومقاومته (المقري ، ١٩٠٠ ، صفحة ٦٠٣ ج١) (١) ، عندها كان من الصعب عليها إزاء حذر ويقظة محمد بن أبي عامر القيام بأبي عمل مباشر فلجأت إلى العمل السري .

دفعت ولدها هشام الطلب من ابن أبي عامر لاسترداد سلطانه منه وتولي مقاليد الحكم بنفسه. ثم عمدت إلى التشهير بابن أبي عامر بواسطة أعوانها والناقمين على تسلط ابن أبي عامر من أركان الدولة ووزرائها بالإشارة إلى أنه يسجن الخليفة الشرعي ويحكم رغم إرادته مغتصب للسلطة.

ورغم محاولة السيدة صبح لإسقاطه بإثارة غالب بن عبد الرحمن صاحب مدينة وتحريضه عليه، إلا أن تحوط ابن أبي عامر وحذره ثم زيادة الإجراءات الأمنية على الخليفة أفشلا خطط السيدة صبح، وأصدر ابن أبي عامر قرارا بعدم السماح لأحد بالدخول على الخليفة إلا بتصريح خاص فابتعد الناس والزائرون عن مدينتي قرطبة والزاهرة (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٧٢ ج٢) .

بعد كل هذه القرارات أضحت السيدة صبح والدة الخليفة المعتقل المحروم من كل حقوقه وسلطانه من ألد خصوم ابن أبي عامر وأخطرهم، خاصة بعد أن عمد إلى اتخاذ ألقاب السيادة والملك وخطب بالملك الكريم كما بولغ في تكريمه وتعظيمه في سائر المخاطبات عندها شعرت بأن الوضع لم يعد يحتمل وأن الضربة القاضية أضحت وشيكة فعقدت العزم على أن تضاعف العمل في سبيل حماية ولدها وتحريره من قبضة المنصور (الخطيب، ٢٠٠٤ ، الصفحات ٦٤-٦٥ ج٢) .

لقد كانت السيدة صبح القوية خصما جديرة بمنازلة المنصور إلا أن اكتشاف المنصور لسياستها في الوقت المناسب أضع عليها فرصة الاستفادة من الأموال وإخراجها وصادرها ونقلها إلى قصره ، وأعلمها أن الخليفة مشغول على حفظ الأمور بأنهماكه في العبادة وأن إضاعتها آفة على المسلمين وأثار بنقلها إلى حيث يؤمن عليها فيه.

بعد ان فشلت السيدة صبح في محاولتها إسقاط ابن أبي عامر وجاءت النتيجة قاسية، وتوطدت سلطات المنصور وسحق التبعية الباقية من خصومه ومعارضيه، وأيقنت السيدة صبح أن مقاومة المنصور عبث، وأنه لا منفذ لولدها من ذلك النير الحديدي.

أما السيدة صبح التي دافعت عن أموال القصر وعجزت عن إخراجها، فقد أجمع المنصور بالخليفة معترفا بفضل المنصور وفنائه في حفظ قواعد الود له فخرست السنة الأعداء والحسدة، ثم تبع ذلك زيادة الحجر على الخليفة وعزله وفرض عليه رقابة صارمة ، في حين لجأت والدته إلى السكنية والعزلة بعدما تأكدت من عجزها على تحرير ولدها من سلطة ووصاية المنصور ولم تعد تسمع عنها بعد ذلك في سير الحوادث.

**المبحث الثالث : (حكم محمد بن ابي عامر في ضوء التحديات وأساليب المعالجة) :**

**أولاً : التحديات الداخلية وأساليب المعالجة :**

سارت تدابير المنصور العامري بشكل دقيق حدده برغبته لغرض معالجة التحديات التي قد تؤثر على العمل الذي يرغب بتحقيقه ومن هذا اقدم على حجر الخليفة ومنعه من كل تدبير حتى لم يعرف له " إلا اسم السلطان في السكة والدعوة" (ادهم، ١٩٩٤، صفحة ٨٥) كذلك حصن قصر الخليفة بالسور والخندق المطبق من جانبه، وكذلك بأبوابه الوثيقة التي منعت الوصول اليه إلا بإذن منه. فإن تجاوز أحد من الناس أو أصحاب الشأن في الدولة هذا الحمد عاجله ونكل به، فلم يكن ينفذ للخليفة أمر في داره ولا عن حرسه الخاص إلا بإذن المنصور وتوجيهاته وكان لا يخفى عليه خافية من حركات الخليفة وسكناته، ثم إن قرار المنصور بعدم السماح لأحد بالدخول على الخليفة إلا بتصريح خاص منه، فابتعد الزائرون والناس عن مدينتي قرطبة والزهراء" (ابن عذارى ، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٢ ج٢) (ابن الخطيب ، ١٤٢٤)

وكان السماح للخليفة بالظهور بمناسبات معينة وذلك للرد على تقولات المروانيين وبعض الإشاعات التي تبث بالعاصمة عن سجن الخليفة بقصره، وعدم السماح له بالظهور وسط العامة (الخطيب، ٢٠٠٤ ، صفحة ٣٦) قد يكون الأمير هشام قاصراً عقلياً، وقد تكون العزلة التي

فرضت عليه ساهمت في هذا القصور، إلا أن الثابت أن الحاجب المنصور قد استفاد من مجموعة الظروف ووجهها لمصلحته.

وهنا يمكن ان نقول ان محمد بن أبي عامر هو أبرز شخصية أحاطت بالخليفة الصغير هشام بعد موت الحكم، قدر لها أن تضطلع بأعظم قسط في توجيه مصالح الأندلس، ويصح صاحب السلطة المطلقة وبعبارة أخرى يمكن ان نقول ان محمد بن أبي عامر الذي لقب بالمنصور هو "دكتاتور الاندلس" (الترك، ١٩٧٢، صفحة ١٦٠).

وظل الأمير هشام المؤيد اسماً مجرداً في سلسلة خلفاء الاندلس ورمزاً تمارس بأسمه جميع السلطات لاكتساب السلطة الشرعية فأشاع محمد بن أبي عامر أن السلطات تخوله النظر في الرعاية حتى اطمأنوا إليه (ابن عذارى، ١٩٨٧، صفحة ٢٧٨ ج١)، فكان حجب الأمير هشام على هذا المحور عماد ذلك الانقلاب العظيم الذي اعترم المنصور أن يحدثه في نظم الدولة في الاندلس لتمكين سلطانه وجمع سلطان الخلافة كلها في يده.

ثانياً-التحديات الخارجية التي واجهت المنصور اثناء حكمه وطرق الاستجابة :

#### ١- إستجابته لتحدي الممالك الاسبانية في الشمال :

سارت خطوات المنصور استجابة للتحديات الخارجية على قدر كبير من المواجهة وبقدر التحدي الذي واجهته الدولة حينها ولهذا قاد مايقارب اثنين وخمسين معركة دمر خلالها الكيانات وقضى على حكامها وملوكها ومزق قواتهم المقاتلة، إلا أن الصراع كان مستمرا وبمعدل أكثر من صائفة وشاتية في العام الواحد، وهذا يعني بكلمة أكثر وضوحاً أن إعلان الحرب من قبل الكنيسة لم يكن إلا نتيجة لهذه المقاومة القوية والمتعاضمة للمسلمين في الأندلس بقيادة المنصور، لكن عجز المقاومة، وعدم التعاون فيما بينها سهل الأمر أمام الكنيسة بما يتوافر لها من إمكانات مادية وقدرة معنوية على ملئ هذا الفراغ القيادي، وتوجيه الفعاليات الحربية كلها في اتجاه واحد للعمل ضد المسلمين، وإن دور كنييسة قرطبة في التحريض ضد المسلمين قد ظهر منذ الأيام الأولى للحكم الأموي في الأندلس، غير أن هذا الدور كان محدود بسبب قوة المسلمين و شدة عصبيتهم، ولما تعاضمت قوة المقاومة أمكن للكنيسة ممارسة دور أكبر، وذلك بالانتقال من العمل السري إلى العمل العلني ومن دور التحريض على الفتن الى الإشهار بالحرب الشاملة، ويظهر أن الكنيسة قد تكيفت في كل مرحلة من المراحل مع ما تتطلبه مناسبة العمل، وتركز الجهد على منع المسيحيين من الدخول إلى الإسلام، ومقاومة العروبة والإسلام،

ثم تطوير الصراع باستنارة المولدين وسواهم من الذين اشهروا إسلامهم منذ الأيام الأولى للفتح (ابن عذارى ، ١٩٨٧ ، صفحة ٢٥٠ ج ٢) .

وقد خاض الحاجب المنصور صراعا صعبا طوال حياته وهو يرفع راية الجهاد في سبيل الله ويدرك بوعي تام أخطار السيل القادم من الشمال، وأمكن له توحيد جهد مسلمي الأندلس كلهم فاستطاع إقامة سد قوي في وجه الطوفان المتدفق عبر ممرات الجبال ، وهذا ما حفزه إلى التفكير بعبور هذه الجبال، بعد أن أمكن له القضاء على كيانات النصارى في الأندلس من شمال الأندلس.

ولما كانت التحديات الخارجية كبيرة عمل الحاجب المنصور في توفير عاملين أساسيين هما:

-التصعيد

-والاستمرار

وهما ارتبطا دائما بالتكوين الداخلي للمجتمع الإسلامي والقدرة على توحيد الجبهة الداخلية لذلك عمل الأخير على بناء القاعدة القوية والصلبة من خلال إعادة التنظيم الشامل لأقاليم الأندلس وحشد كل القوى والامكانيات ضد العدو الخارجي، وتوحيد كل القدرات المتوفرة تحت راية الجهاد في سبيل الله ، فعاد بذلك لتأكيد الجدلية الثابتة بين الانتصارات الخارجية والداخلية، وبطريق قيادته لكل الغزوات بنفسه أو عن طريق تكثيف الأعمال القتالية بأكثر من صائفة وشاتية في السنة الواحدة، وكان أمراء الأقاليم وحكام المدن مرغمين على مجاراة الحاجب المنصور بالخروج معه للجهاد ، فصرف تفكير الجميع بالحرب والاستعداد لها ، وكانت انتصاراته الخارجية بفضل رؤيته واستعداده لحشد القوى ، وبفضل الكفاءة القيادية لقواته ، وهذا الانتصار ينعكس بديهيا على الجبهة الداخلية فيزيديها تماسكا وتلاحما .

هذه الخطوات ساعدت الحاجب المنصور لصرف أنظار القادة بالأندلس وحكامها من تفردته بالحكم والإجهاز على الشرعية، والأعمال التي قام بها بلا شك إنما عززت مكانة العرب المسلمين، ورفعت قدر الإسلام ودعمت من قدر أندلس المسلمين، وأضعفت من كيانات "نافار وليون"، بل أنها قضت عمليا على هذه الكيانات (العسلي، ١٩٧١، الصفحات ١١٤-١١٨) .

## ٢- استجابته لتحدي قيام مملكة ليون :

تواصلت التحديات الخارجية والمتمثلة بتحالف ملوك المسيحية ضد المسلمين، وأن هذا الحلف يتألف من ردميرة الثالث، وقومس قشتالة غرسية (Garcia Fernandez)، وملك بنبلونة شانجة (Sancho Abarca)، فأسرع ابن أبي عامر بالسير إلى طليطلة ووصل إلى

وادي دويرة الأوسط حيث كانت تتجمع القوات المسيحية والتحم الجيشان في رويدة في أغسطس سنة ٣٧٠هـ / ٩٨١م، في مقاطعة بلد الوليد على بعد ٢٥ كلم من جنوب غربي شنت مانكس (Simancas)، ودارت الدائرة على قوات أسبانيا المسيحية مجتمعة (الخطيب، ٢٠٠٤، صفحة ٧٤)، وعندما عاد إلى قرطبة عقب هذه الغزوة تلقب بالمنصور.

وفي غزوته الثالثة والعشرين أغار على برشلونة وكان يحكمها بوريل الثاني منذ عام (١٩٥٤)، وخرج المنصور من قرطبة في سنة ٣٧٤ هـ / ١٩٨٠م ومر بألبيرة وبسطة ومرسية ثم اتجه المنصور شمالا وسار بمحاذاة الساحل الشرقي، وهزم بوريل الثاني في عدة مواقع وواصل زحفه حتى وصل إلى أسوار برشلونة، وخربها وأضرم النيران في المدينة واستولى عليها (Bleye, p. 506).

وفي غزوته الثامنة والأربعين استخدم أسطوله وهو يحمل المشاة والأسلحة، من ميناء قصر أبي دانسس على ساحل غرب الأندلس، وعبر به هر دويرة بالبرتغال، ونزل بشنت ياقوب في سنة (٣٨٧هـ / ٩٩٧م)، وعندما وصل إلى سانتياغو وجدها خالية من السكان الذين هربوا خوفاً، فأمر بتدميرها وتدمير كنيستها بغرض تحطيم أسطورة سانتياغو الحربية الذي أطلق عليه الإسبان كلمة (Matamoras) أي قاتل المسلمين، وتقول الأسطورة أنه كان يخرج مع المحاربين الإسبان على شكل ملاك بيده سيف ويمطي فرسا أبيض لينصرهم على المسلمين، علماً أن سانتياغو (سان جاك) هو القديس يعقوب أحد الحواريين الإثني عشر للسيد عيسى المسيح عليه السلام، لذلك حافظ المنصور على مقام هذا القديس احتراماً للتقاليد الإسلامية، وعاد إلى قرطبة محملاً بالأسرى والغنائم (العبادي، د.ت، الصفحات ٢٣٢-٢٣٣)، وكانت غزوته المعروفة بغزوة جربيرة سنة (٣٩٠ هـ / ٩٩٩م)، أشد غزواته وأغلظها، كرها فلقد تقاطرت عليه جيوش النصارى وتجمعت إليه من كل مكان، فاقتحم المنصور قشتالة من جهة، مدينة سالم واشتبك مع ملوك الجلالة من بنبلونة إلى استرقة، ومعهم شائجة ملك قشتالة، في موقعة جربيرة، وهزمهم هزيمة نكراء (الخطيب، ٢٠٠٤، الصفحات ٧٩-٨٠).

ونتيجة لهذه السياسة الهجومية المكلفة دائماً بالانتصارات اكتسب المنصور شعبية كبيرة داخل الأندلس (شبارو، د.ت، صفحة ١٩٧)، وأمر بالدعاء له (عقب الدعاء للخليفة) على المنابر، وجلس على سرير الملك، ومحا رسوم الخلافة، ولم يبق للخليفة هشام المؤيد من هذه الرسوم الخلافية سوى الدعاء من على المنابر، ومن هنا بدأ خطواته ببناء الحضارة الخاصة

بدولته الناشئة في رحم الخلافة الاموية مستثمرا كل التحديات التي واجهته لصالحها من خلال استجابات شجاعة اوصلته للمستوى المطلوب .

### الخاتمة :

يمكن من خلال البحث الوقوف على نتائج عدة منها :

- يمكن القول على سبيل المقارنة انه تحققت رؤية توينبي في بناء الحضارة من الدين في الجذور المعرفية للمنصور العامري من خلال دراسته بالعلوم الشرعية على يد علماء افاذ في ذلك الوقت فضلا عن ذلك ان والده كان عالما بالحديث والشريعة .
- اهمية وجود الشخصية المبدعة التي تطرق اليها توينبي في نظريته لخلق الحضارة الجديدة وعندما تطرقنا للمنصور وخطواته وجدنا هذه الشخصية التي تحدث تلك العقبات وبدايات بازالتها الواحدة تلو الاخرى حتى اقام الدولة العامرية , حيث رايناها قد استثمر التحديات البشرية الصعبة لصالحه في كل استجاباته الناجحة بدا من تقربه لحاشية القصر ولاصحاب القرار فيه وعلى الخصوص سيدة نساء القصر السيدة صبح البشكنسية التي كانت في المراحل الاولى الداعم الاساس لشخصية المنصور المبدعة في كل افعاله واعماله.
- تنوعت استجابات المنصور مع التحديات المختلفة التي واجهه طموحاته حيث تعامل بديارية وحكمة بالرغم من وجود شخصيات بارزة في الدولة مثل جعفر بن عثمان المصحفي كبير الوزراء ، وكذلك دوره في اختيار الحكم ولده هشام المؤيد وكان عمره إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر، على الرغم من وجود أخوته المؤهلين لمثل هذا المنصب ومع فرض محمد بن أبي عامر الاجبار على الخليفة الطفل ولم يعد من سلطات الخلافة غير الاسم وانتقل حكم الدولة من الأسرة الأموية إلى أسرة أخرى هي الأسرة العامرية .
- كانت أهم المؤثرات على شخصيته التأثير الديني وحبه للجهاد في سبيل الله وعدم خلافه مع أهل العلم في ذلك الوقت، وقد بدأت تظهر شخصيته عند دخوله القصر وتقربه من السيدة صبح، وكان دائما يردد: الملك لا ينام إذا نامت الرعية ولولا استوفيت نومي، لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة.

- لاشك بأن المنصور بن أبي عامر كان شخصية فريدة تتميز بعبقرية فذة، تمثل ذروة النبوغ والطموح للوصول إلى أعلى المراتب، وقد وصل إلى مرتبة من السلطان والقوة لم يصلها أحد من أمراء الأندلس. حتى يمكن القول بأنه ألمع صورة في تاريخ أسبانيا المسلمة، فقد استطاع بموهبته أن يدرك أنه يجب أن يكون للأندلس قوة عسكرية عظيمة تكفي لإرهاب عدوها. ولجأ إلى رفع راية الجهاد ولتأديب النصارى، وأنزل به الخسائر وأذهرهم بأوخم العواقب أن فكروا بمهاجمة البلاد، وكما كان في كل مرة يعود محملاً بالغنائم، حتى دانت له البلاد الأسبانية فتعلقت، وإن كانت في الأصل تنطوي على غاية عسكرية وسياسية بعيدة المدى وهي سحق أسبانيا النصرانية وكف عدوانها عن الأراضي الإسلامية .

### قائمة المصادر والمراجع

#### أولاً: المصادر

- القرآن الكريم:

- ١- ابن الأبار: محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م).
- الحله السيراء، تحقيق: د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٣م).
- ٢- ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي كرم الجزري (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م).
- الكامل في التاريخ، دار صادر، (القاهرة، ١٩٦٣).
- ٣- ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م).
- الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٢٤هـ).
- أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام. تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة ٤ ٢٠٠٠م).
- ٤- ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م).
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، (القاهرة - ١٩٤٩).
- ٥- ابن بشكوال: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٣م).

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ، الناشر مكتبة الخانجي ، (القاهرة - ١٩٥٥ م) .
- ٦- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م).
- جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ٢٠٠١م).
- ٧- ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف ابن حيان (ت ٤٢٧هـ / ١٠٧٥م).
- المقتبس في اخبار بلاد الأندلس، تح: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة (بيروت، د.ت).
- ٨- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت-د.ت)
- ٩- ابن عذاري: أبو العباس احمد بن محمد (ت ٧١٢هـ/١٣١٢م).
- البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق: ليفي بروفنسان وكولان (بيروت - ١٩٨٧) .
- ١٠- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)
- معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، (بيروت- ١٩٧٩م).
- ١١- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
- لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي، (بيروت - د.ت) .
- ١٢- أبو الفداء: إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).
- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحديثة ، (القاهرة، د.ت).
- ١٣- اثير الدين: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) .
- البحر المحيط في التفسير ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، (بيروت ، الطبعة 1420 هـ) .
- ١٤- الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) .
- تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت- ٢٠٠١م).
- ١٥- التجاني: أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م) .
- رحلة التجاني ، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب ، (تونس- ١٩٨٥م).
- ١٦- الحموي: ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م).

- معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت - د.ت) .
- ١٧- الحميري: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م).  
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق د.حسين بن عبد الله العمري ، مطهر بن علي الإيراني و د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر (دمشق - ١٩٩٩ م) .
- ١٨- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤م).  
- سير اعلام النبلاء ، شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، (بيروت- ١٩٨٢ م) .
- ١٩- الرّازي: أبو عبدالله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التميمي (ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠ م).  
مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ٢٠٠٠ م) .
- ٢٠- الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م).  
- مختار الصحاح ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية للطباعة والنشر ، (بيروت - د.ت) .
- ٢١- السمعاني: عبدالكريم بن احمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ / ١٠٩٦م).  
- الانساب ، تحقيق محمد احمد حلاقدار، احياء التراث العربي، (بيروت ١٩٩٩م).  
٢٢- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩م).  
-فتح القدير - دار ابن كثير، (بيروت - ١٤١٤ هـ) .
- ٢٣- الضبيّ: أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبيّ (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣م).  
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تحقيق: ابراهيم الابياري ، دار الكتاب اللبناني (بيروت، ١٩٨٩م).  
٢٤- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت ٣١٠ هـ - ٩٢٣ م).  
- تفسير الطبري ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر، (بيروت - د.ت) .
- ٢٥- القلقشندي: شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م).  
-صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، (القاهرة، د.ت).

٢٦-الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).

- اعلام النبوة ، دار ومكتبة الهلال ، (بيروت - ١٤٠٩ هـ) .

٢٧-المراكشي: هو محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م).

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، (القاهرة، ١٩٤٩م).

٢٨-المقري: احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م).

- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٠٠) .

ثانياً: المراجع :

١-ابن عاشور ، محمد الطاهر

- التحرير والتوير : الدار التونسية للنشر، (تونس- ١٩٨٤) .

٢-ادهم ، علي

- منصور الاندلس - الهيئة المصرية العامة للكتاب للطباعة والنشر (القاهرة - ١٩٩٤) .

٣-الاعرجي ، حسين نور

- تاريخ العراق القديم في ضوء نظرية التحدي والاستجابة: فلسفة في التاريخ القديم ، عالم الكتاب ، (بيروت - د.ت) .

٤- بدر ، احمد

- الحضارة العربية الإسلامية - مطبعة دمشق ، (دمشق - ١٩٨٢) .

٥-بكار ، عبد الكريم

- المسلمون بين التحدي والمواجهة نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي الناشر: دار القلم، ٢٠١٥ .

٦-بيضون ، إبراهيم

- الدولة العربية في إسبانيا - دار النهضة العربية ، (بيروت، ١٩٨٧) .

٧-الترك ، عفيف

- تاريخ المغرب والاندلس ، دار كريدية للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٧٢) .

٩- حسن ، ساجد مخلف

- لسان الدين بن الخطيب وجهوده التاريخية في كتابه اعمال الاعلام قسم الاندلس والمغرب، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تكريت، كلية التربية (تكريت، ٢٠٠٦م).
- ١٠- الخالدي ، محسن سميح
- التحدي بالقرآن الكريم ، دار الكتاب العربي ، (بيروت - د.ت) .
- ١١- الحجى ، عبد الرحمن
- التاريخ الاندلسي : من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧هـ / ٧١١ - ١٤٩٢م) ، نشر دار القلم ، ١٤٠٢ - ١٩٨١م .
- ١٢- الددو ، محمد الحسن
- سلسلة الأسماء والصفات المؤلف ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net> ، شريط ٦ .
- ١٣- الرومي ، فهد
- دراسات في علوم القرآن، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
- ١٤- رياض ، فاطمة نتاج
- الجامعة ومواجهة التحديات التكنولوجية ، دار الفكر ، (بيروت - د.ت) .
- ١٥- سالم ، عبد العزيز
- المسلمون وآثارهم في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ٢٠٠٨).
- ١٦- السامرائي ، عبد الحميد حسين
- تاريخ الجهاد الاسباني في الاندلس، دار شموع الثقافة (ليبيا، ٢٠٠٣) .
- ١٧- السامرائي ، خليل إبراهيم وعبد الواحد ذنون طه ، وناطق صالح مطلوب
- تاريخ العرب وحضاراتهم في الاندلس ، دار الكتب الجديد المتحد، (بيروت-٢٠٠٠).
- ١٨- شبارو ، عصام محمد
- من الفتح العربي المرصود الى الفردوس المفقود (٩١- ٨٩٧هـ / ٧١٠ - ١٤٩٢م) ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت - د.ت) .
- ١٩- الصوفي ، خالد

- ٢٠- الطباطبائي ، محمد حسين  
- تاريخ العرب في اسبانيا ، دار الفكر ، ( حلب ، ١٩٩٣م ) .
- ٢١- الطنطاوي ، مصطفى  
- الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ( بيروت - ١٩٩٧ )
- ٢٢- العبادي ، احمد مختار  
- تطوير برنامج إعداد معلم العلوم بكليات التربية على ضوء تحديات القرن الحادي والعشرين دراسة تربوية واجتماعية ، دار النهضة ، (بيروت - د.ت) .
- ٢٣- العسلي ، بسام  
- في التاريخ العباسي والاندلسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٧١م) .  
- في تاريخ المغرب والاندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعة (الاسكندرية، د.ت) .
- ٢٤- عمر ، احمد مختار  
- الحاجب المنصور ، الطبعة الأولى ، دار النفائس (بيروت - ١٩٨٠) .
- ٢٥- عنان ، محمد  
- معجم اللغة العربية المعاصرة ، بمساعدة فريق عمل الناشر :عالم الكتب (بيروت - 2008م) .
- ٢٦- القحطاني ، سعيد  
- تراجم اسلامية ، دار النهضة العربية (القاهرة، ١٩٤٧م) .  
- دولة الإسلام في الاندلس ، الناشر: مكتبة الخانجي ، (القاهرة - ١٩٩٧) .  
- الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ، (القاهرة - د.ت) .
- ٢٧- القطان ، مناع  
- شرح أسماء الله، مطبعة سفير - (الرياض - د.ت)
- ٢٨- مصطفى ، إبراهيم و احمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار .  
- مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة ، (بيروت - ٢٠٠٠م) .
- ٢٩- مكي ، محمود علي  
- المعجم الوسيط، نشر دار الدعوة ، (القاهرة - د.ت)

- موسوعة المفاهيم الإسلامية، حرف الحاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف جمهورية مصر العربية ، ( القاهرة - د.ت) .
- ٣٠- مؤنس ، حسين
- رحلة الاندلس ، ( القاهرة - ١٩٩٣ م ) .
- معالم تاريخ المغرب والاندلس ، ( القاهرة - ٢٠٠٤ م) .
- ٣١- الميداني ، عبد الرحمن حبنكة
- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي المنعقدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض - ١٣٩٦هـ) .
- ٣٢- نجم ، زياد عبد الكريم
- توينبي ونظريته التحدي والاستجابة(الحضارة الإسلامية نموذجا) ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، (دمشق - ٢٠٠٩ م)

٣- المراجع الأجنبية:

- 1-Levi-provencal: op.cit.
- 2-Aguado Bleye, Manuel de Historia de Espana.
- 3-Dosy, Reinhart: Histoire des Musulmans-d'Espagne.Leyde. 1932. Vol.11.

الجوانب الاجتماعية عند العرب قبل الاسلام في  
كتاب تاريخ اليمن القديم لميخائيل بيرتوفسكي

أ.م.د. كوثر حسن هندي التميمي

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

موبايل: ٠٧٨١٦١١٣٦٦٧

[kawther.hasan@uokerbala.edu.iq](mailto:kawther.hasan@uokerbala.edu.iq)



الجوانب الاجتماعية عند العرب قبل الاسلام في كتاب تاريخ اليمن القديم لميخائيل بيرتوفسكي

أ.م.د.كوثر حسن هندي التميمي

الكلمات المفتاحية: بيرتوفسكي ، المجتمع اليمني ، الحضرة ، البدو ، الملك ، الاقوال

**Abstract :**

Oriental studies are among the important studies in pre-Islamic Arab history because they relied on modern recorded antiquities and built their ideas on this basis and did not depend on myths and legends.

The orientalist Bertovsky was one of those who wrote about the ancient history of Yemen, and he has books, seminars and conferences on that. He attended and gave another division, as he divided it into the institution of the state, communes, peoples, tribes (migratory and later civilized) and urban dwellers, so it was necessary to divide the research into three sections. The second topic concerned the social conditions

In the south of Arabia before Islam and consisted of two paragraphs, the first: the social formation of the Arabs before Islam, while the second included the Bedouin and the urban population in Yemeni society. The third topic came under the title of the social structure in Yemen before Islam. For modern inscriptions, so we note that there is a difference between one writer and another in the social divisions of the ancient country of Yemen.

المقدمة:

تعد الدراسات الاستثنائية من الدراسات المهمة في التاريخ العرب قبل الاسلام لكونها اعتمدت على الاثار المدونه الحديثه وبنيت افكارها على هذا الاساس ولم تعتمد على الاساطير والخرافات ، وكان المستشرق بيرتوفسكي ممن كتب في تاريخ اليمن القديم

، وله مؤلفات وندوات ومؤتمرات في ذلك ،ويعد من المستشرقين الحيادين في عرض مادته معتمدا على النقوش والكتابات القديمة ، وفيما يتعلق بموضوع بحثنا فقد تطرقنا الى ما اورده المستشرق من افكار ركزت على الجانب الاجتماعي اليمني في كتابه تاريخ اليمن قبل الاسلام حيث تناول فيه تاريخ اليمن منذ عصر قبل الاسلام الى القرن العاشر الميلادي لذا كان نطاق بحثنا عن المجتمع اليمني في عصر ما قبل الاسلام ، وكانت افكاره واضحة في عرضه لتقسيم المجتمعات، حيث قسمه بدو وحضر، كما واعطي تقسيم اخر اذ قسمه الى مؤسسة الدولة والمشاعيات- تجمعات سكنية - والشعوب والقبائل (المرحلة وفيما بعد المتحضرة ) وسكان المدن ، لذا اقتضت الضرورة تقسيم البحث ثلاث مباحث تناول المبحث الاول نبذة من حياة المستشرق ميخائيل بيرتوفسكي والذي تناولنا فيه مفهوم الاستشراق والاستشراق الروسي ومن ثم نبذة عن حياة المستشرق اما المبحث الثاني فأختص الاوضاع الاجتماعية في الجنوب العربي قبل الاسلام وتالف من فقرتين الاولى: التكوين الاجتماعي عند العرب قبل الاسلام اما الثانية فشملت البدو والحضر في المجتمع اليمني اما المبحث الثالث فجاء بعنوان البنين الاجتماعي في اليمن قبل الاسلام واخيرا فان الدراسات قد اختلفت في تحديد التقسيمات الاجتماعية لليمن بحسب ما ورد من كتابات وتقنيات للنقوش الحديثة لذا نلاحظ هنالك اختلاف بين كاتب واخر في التقسيمات الاجتماعية لبلاد اليمن القديمه .

### المبحث الاول: نبذة من حياة المستشرق ميخائيل بيرتوفسكي

اولاً: مفهوم الاستشراق الروسي :

الاستشراق لغة: لفظة اشتقت من الشرق :شرق الشمس تشرق وشروقاً ،وشرقاً : طلعت واسم الموضع المشرق ويقال :اذا طلعت واشرقت اذ اضاءت<sup>(١)</sup>.والاستشراق هي الدراسات والاهتمامات الاكاديمية لثقافات الشرق ولغاته(Oriental) تعني شخصاً مشرقياً او شرقياً و(Orientalist) تعني مستشرق<sup>(٢)</sup> .

الاستشراق اصطلاحاً: ويعرف الاستشراق هو محاولة مفكري العالم الغربي وكتابه لفهم الفكر الاسلامي والوقوف على حضارته وثقافة شعوبه من خلال الولوج فيه<sup>(٣)</sup>.

كما يعرف بانه البحث في امور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم اذن هو تيار فكري يدرس الشرق الاسلامي اي يدرس حضارته وديانته وادبه ولغاته وثقافته<sup>(٤)</sup>.

وتعد دولة روسيا من الدول التي اهتمت بالاستشراق وانشأت لها مدارس خاصة ، والتي بدأت صلتها بالعرب منذ العصر العباسي او عن طريق التجار من بغداد ، الى روسيا للبيع والشراء ، واقدم – وصف عربي لروسيا كتبه احمد بن فضلان<sup>(٥)</sup> الذي انفذه المقتر (٩٢١م) الى بلاد البلغار ، وكان يقيم على ضفاف الفولغا ، وعن طريق حجاج الروس الى بيت المقدس الذين وصفوا ما شاهدوا في رحلاتهم<sup>(٦)</sup> ، لقد بدا العمل الرسمي والمنظم في الدراسات الاستشراقية العربية الاسلامية، في عصر القيصر بطرس الاكبر، عندما تمت اول ترجمة للقران الكريم الى اللغة الروسية عام ١٧١٦ م<sup>(٧)</sup>، على يد الدكتور بيتر بو ستتيكوف من الترجمة الفرنسية الى الروسية ، وفي سنة ١٨٧٨م كانت اول ترجمة للقران الكريم من العربية الى الروسية للمستشرق سابلوكوف<sup>(٨)</sup>.

وفي القرن التاسع عشر بدأ العمل في تنشيط مسالة الدراسات الاستشراقية ففي عام ١٨٠٤م ، قامت باصدار ميثاق الجامعات الذي ادرج بشكل منهجي تدريس اللغات الشرقية في برنامج المدرسة العليا ومنها العربية<sup>(٩)</sup>، وبدأت بتأسيس اقسام اللغات الشرقية وفي مقدمتها العربية في مدن روسيا المختلفة ومنها بطرسبرج ، وموسكو ، وبطرسبيرغ<sup>(١١)</sup>.

ان الاستشراق الروسي ، شرقي في نزعه و اقرب الى الانصاف والبحث عن الحقيقة على اساس ان السياسة الروسية اساسا لا مصالح لها مع العالم الاسلامي ، والوطن العربي ، كان الاستشراق الروسي امينا في نقل الاحداث معتمدا في ذلك ادلة مادية للاحداث والسبب الاخر انهم يرون ان العرب حلفاء لهم ضد الاتراك والدولة العثمانية.<sup>(١٢)</sup>

### ثانيا: المستشرق ميخائيل بيوتروفسكي:

ولد المستشرق في عام ١٩٤٤م ، ترعرع في جو يتصف بحب الشرق واحترام الحضارات العريقة. وكان والده، بوريس بيوتروفسكي، مستشرقاً عالمياً معروفاً في مجال

المصريات ومديرا لمتحف الأرميتاج أيضا. أما والدته، هريبيسيمة جان پولادجيان، فهي عالمة آثار وباحثة في حضارة الأورارتو<sup>(١٣)</sup>

درس ميخائيل بيوتوفسكي في قسم الشرق بجامعة لينينغراد مدينة بترسبورغ حاليا التي أوفدته إلى مصر ليتلقى دورة تدريبية وليتمرن في جامعة القاهرة، كما درس في كلية الآداب لجامعة القاهرة في عام ١٩٦٥-١٩٦٦ عند الاساتذة خليل يحيى نامي وشوقي ضيف وسعاد ماهر<sup>(١٤)</sup>، وفي عام ١٩٦٧ أصبح ميخائيل بيوتوفسكي باحثا في فرع لينينغراد لمعهد الاستشراق لدى اكااديمية العلوم السوفيتية، دافع ميخائيل بيوتوفسكي عام ١٩٧٣ عن أطروحة الدكتوراه في موضوع قصة الملك الحميري أسعد الكامل، ثم توجه إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حيث عمل مترجما ومدرسا لتاريخ اليمن بالمدرسة العليا للعلوم الاجتماعية، وقد رافق بيوتوفسكي الصبي أبويه الذين شاركوا في التنقيبات الأثرية للمستوطنات القديمة. ولعل ساعده هذا الامر في تقرير مصيره العلمي فيما بعد والهمة على المشاركة في عمليات التنقيب الأثرية في كل من منطقتي القوقاز وآسيا الوسطى. اما في عام ١٩٨٣ فعمل في البعثة السوفيتية اليمنية التاريخية المشتركة التي قامت بالدراسات الميدانية لطرق المواصلات التجارية العريقة. كما شارك في عمليات التنقيب عن المدن والمعابد العريقة والدراسات الاثنية المرافقة، وكتب الدراسات في مملكتي سبأ وحمير وتاريخ الإسلام والنقوش العربية القديمة في الجزيرة العربية وملحمة العرب وحكاياتهم القديمة. واهتم بيوتوفسكي بصورة خاصة بالعلاقة بين الحضارتين الجاهلية والإسلامية. وتناولت دراساته أواخر العصر الجاهلي ومطلع العصر الإسلامي. وقد ترجمت دراساته الكثيرة في موضوع تاريخ العرب إلى اللغة العربية. وألقى محاضرات في جامعات الدول العربية حيث حظي بشهرة كونه مستشرقاً ومستغرباً معروفاً، في عام ١٩٨٤ دافع بيوتوفسكي أطروحة دكتوراه الدولة في موضوع «جنوب الجزيرة العربية في مطلع القرون الوسطى». <sup>(١٥)</sup>

ومن أشهر مؤلفاته<sup>(١٦)</sup>:

١- سيرة الملك الحميري تبع اسعد كامل

- ٢- تاريخ اليمن المختصر (بالاشتراك مع الاخرين )
- ٣- اليمن قبل الاسلام والقرون الاولى للهجرة القرن الرابع حتى العاشر الميلادي
- ٤- مقالات عديدة حول تاريخ العرب نشرت في المجالات السوفاتية والعربية ، وكان اخرها " الاقيال والابناء والقبائل في اليمن " في مجلة الثقافة في عدن .
- ٥- اشترك في ندوات علمية ودولية من بينها ندوة دراسات الحضارة اليمنية في عدن عام ١٩٧٥ .
- ٦- شارك في مؤتمر المؤرخين العالمي في بوخارست عام ١٩٨٠ وندوة عن الهمداني في صنعان عام ١٩٨١
- ٧- يشترك في اعمال البعثة السوفاتية اليمنية للدراسة الحضارة اليمنية.

### المبحث الثاني : الازواض الاجتماعية في الجنوب العربي قبل الاسلام .

#### اولاً: التكوين الاجتماعي عند العرب قبل الاسلام :

الاسرة هي اصغر واقدم التكوينات الاجتماعية التي عاشت في اطارها الاقوام العربية ثم تليها العشيرة من حيث الحجم والقدم ثم القبيلة<sup>(١٧)</sup>.

اذن القبيلة هي اللبنة الاولى في التكوين الاجتماعي في اليمن ،حيث تكونت مجموعة قبائل متفرقة ترتبط برابطة الدم والانتساب الى جد واحد ،وكانت تدير شؤونها بنفسها يشرف عليها شيخ يجعل تقاليد والاعراف قانونا تشريعيا يدير به الحكم<sup>(١٨)</sup> ، فالمجتمع اليمني قبلي تحضرت القبائل فيه وكونت وحدات سكنية عن طريق التقارب والعلاقات ،ومارسوا المهن متعددة فضلا عن القبائل البدوية<sup>(١٩)</sup>.

فيذكر بيوتروفسكي بما ورد النقوش السبئية بقوله "طابع البناء الاجتماعي لعرب ما قبل الاسلام باليمن يمكن استجلاؤه من الرقوم الكتابية القديمة لتلك البلاد فدراسة الرقوم السبئية تقود الى الاستنتاج بأن عدد من المصطلحات تربط بمراحل مختلفة ...وبعض هذه المصطلحات عشائري قبلي ... " <sup>(٢٠)</sup>

ولو تمعنا في نص بيروفسكي فانه يقودنا الى ان التكوين الاساسي للمجتمع العربي قبل الاسلام هو مجتمع قبلي قائم على افراد القبيلة او العشيرة .

كما اوردت التقنيات الايطالية في منطقة خولان الطيال جنوب شرقي صنعاء التي تؤرخ بين ٢٧٠٠-٢٠٠٠ ق.م او ٢٩٠٠-١٨٠٠ ق.م، كان سكان المنطقة من المستقرين ويعتمدون في معيشتهم على الزراعة وتربية الحيوان ، كما تميزت بأنشاء المستوطنات صغيرة فضلا عن المجتمعات البدائية التي تتالف من اربعة بيوت تحيط بمساحة عامة مركزية<sup>(٢١)</sup>.

ويمكن تمييز نوعين من المستوطنات فيها صغيرة لا تتجاوز مساحتها ١٠٠٠ م<sup>٢</sup>، واخرى تزيد مساحتها على ٢١٠٠٠٠ م<sup>٢</sup> حيث كشفت عنها في الوادي متباعدة عن بعضها البعض ، بمسافة طويلة ومتساوية اما الصغيرة فقد اقيمت بين الكبيرة<sup>(٢٢)</sup>.

كما اورد بيوتروفسكي كلمة شعب (ش ع ب ) في الكتابات السبئية بمعنى قبيلة فوردت (شعب سبأ ) بمعنى قبيلة سبأ فوردت (سبأ واشعبمو) بمعنى سبأ واشعبهم ، أي السبئيون وقبائلهم الاخرى الخاصة بهم<sup>(٢٣)</sup>.

اقدم ذكر للفظه الشعب جاءت في نقش النصر (RES3945) الذي يعود تاريخه الى القرن السابع قبل الميلاد ، ويتشكل هذا التنظيم نتيجة لاتحاد عدد من المجتمعات او القبائل (اتحاد قبلي ) كما في شعب سمعي المؤلف من ثلاثة اثلاث احدها حاشد<sup>(٢٤)</sup>، كما ان تجمع قبائل حاشد وقبائل بكيل يكونون تجمعين قبيليين كبيرين يضم كل منهما قبائل فرعية<sup>(٢٥)</sup>.

ومن امثلة القبائل العربية التي شكلت فيما بعد الدول اليمانية ومنها دولة معين مثالنا عائلة سعد في منطقة الجوف من جنوب جزيرة العرب ، كانت عائلة غنية مشهورة تقوم على تجهيز القوافل للمشاركة في تجارة البخور ، فانضمت مع الاخرين في المنطقة الى سلالة ابعمر ، كانت روابط القرابة هذه الاخيرة بالعشيرة الفرعية (الفخذ) آمان (Aman)، فان تنتمي الى جبان القوية وكانت مسؤولة عن بناء الابراج والاسوار في

ياثيل (التي وصل ارتفاع اسوارها الى ٤ م) ،ومن هذه القبائل وغيرها التي قد تصل الى العشرين او اكثر من هذه القبائل كونت قبيلة معين المتمركزة في مدينة قرناو<sup>(٢٦)</sup>.

ويرى بيوتروفسكي بأن القبيلة انما هي مجموعة كبيرة من الناس تنحدر من صلب واحد وتتغير (اسرة واحدة كبيرة) وكان على رأس كل قبيلة " رب الاسرة " (اي شيخها) اما الاتحاد القبائل فكان يضم ابناء الاسر المختلفة، وفيما بعد ظهرت الوحدة العليا في الصورة " حكومة للطغاة سيطرت على الجماعات الصغيرة " ويقصد بها تحول المجتمع اليمني مننمطالمشاعية الاشتراكية الى نمط الرأسمالية<sup>(٢٧)</sup>

لا تفرق المصادر القديمة في مسالة لفظة عشيرة وقبيلة وتتنظر اليها وكأنهما شي واحد<sup>(٢٨)</sup>، ويعرف الملاح ان "العشيرة وحدة سياسية اجتماعية اكبر حجما من الاسرة لأنها تتألف من بيوت واسرة<sup>(٢٩)</sup> هي اصغر من القبيلة التي تتألف من عدة عشائر، ولم يكن هنالك تحديد لعدد افراد العشيرة او القبيلة لان عدد كل منها مرهون بالأوضاع الاقتصادية<sup>(٣٠)</sup>.

وتتكون العشيرة من افراد ينحدرون الى الى جدا على واحد تربطهم رابطة الدم، لذلك فقد اوضح الزبيدي بقوله " عربي صليب :خالص النسب ، وامرة صلبية ، كريمة النسب عريقة "<sup>(٣١)</sup>

ان السلطة السياسية في العشيرة هي تطور للسلطة الابوية التي يتمتع بها رب الاسرة على افراد اسرته ، لان العشيره هي مجموعة من الاسر التي تتحمل بعضها ببعض بصله النسب ،ويكون الرئيس العشيرة او شيخها هو احد ابرز رؤساء الاسر في العشيرة التي تحمل مسؤولية ادارة شؤون العامة لافراد عشيرته بالتعاون مع بقية رؤساء البيوت الاسر .<sup>(٣٢)</sup>

ومن هنا فان تشكيل القبيلة يفرض عليهم نسبهم وروابطهم ان يتضامنون في كل ما يتعرض سبيل حياتهم سلما او حربا ،لذلك وجب عليهم الطاعة الى قائد واحد هو الشيخ القبيلة الذي يجب ان يتحلى بصفات تؤهله الى قيادة القبيلة حيث كانت العرب لاتسود

عليها الا من توفرت فيه ست خصال :السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان وكانت له عدت امتيازات فله ربع الغنائم (المرباع ) علامة على ما يصطفيه او يختاره من الغنيمة لنفسه قبل ان يقسم الغنيمة وتسمى ( الصفايا ) وله كذلك ان يزيد من الرقعة الجغرافية التي يسيطر عليها وكذلك ان تعترف بزعامته مجموعة من قبائل وقد يصل الشيخ ان يكون حاكما متوجا كما في جنوب الجزيرة العربية حيث تطور الاذواء والاقبال الى ملوك (٣٣).

وقد يفسر بيوتروفسكي معنى (ش ع ب ) تاتي بمعنى اخر فيعتقد هارتمان ش ع ب بمعنى البداية تنظيميا دينيا اي جماعة ارتبط نشاطها بعبادة الاله ما وبمعبد هذا الاله" (٣٤)

ولوتمعنا في نص بيوتروفسكي لوجدنا ان مصطلح شعب اتخذ اكثر معنى وهنا يشير الى ان لفظة شعب تعني بالاله ويقصد به ان لكل قبيلة (ش ع ب ) الهتها الخاصة بها وكان الافراد يعدون انفسهم ابناء الاله وعبيدها ، لذا كانت الكهانة لها المكانة الاولى في المجتمع ولذلك لقب الملوك بلقب (مكرب) اي ( رجال الدين ) لتسير شؤونهم في القبيلة من الناحية الدينية والسياسية، ومن خلال النقوش (٣٥) ، اوضحت دور المعبد الاجتماعي وذلك لتقديم صاحب النقش للاله المقه تمثال من الذهب لسلامة ابنه وامواله فضلا عن النذور والاموال والقرايين المقدمة لها، كما كانت الاله المقه تسمى الاطفال (٣٦) ،لذا فكان الملوك في فترة المكاربة لهم اموال واملاك كما لهم على الناس حقوق يأخذونها منهم ، كما تأخذ الحكومة حقها من الشعب (٣٧) ، حتى تمكن من ضم القبائل المجاورة لحكمه الى ان توسعت سلطاته وتبدل اللقب من مكرب الى ملك (٣٨).

وبذلك انقطع صلة الحاكم بالمعبد وان ضل حامياً للدين والمعبد، لما للمعبد من صلة وثيقة بالدولة ، ولكلاهما مصالح مشتركة (٣٩)

وقد وردت في الكتابات المعينية ان ال ( شرع ) او ( رشو ) الفلاني قدم قربانا الى الهة معين او بنى معبد او اقام بناءاً قدماً الى الهة معين (ر ش م/ارش و / ارش و ت ) معناها منصب ديني اي خادم الاله ، كاهن ، كما جاء في نقش ( Ja703|2 ) ( ا ب أ

م ر / ذ ر ن ي ن / و ر ش و ن ( ر ش و / ا ل م ق ة / ب ع ل ا د م ) (٤٠) لفظة (شرع ) او (رشو) تعني ان الكاهن او السادن ، اي منزلة دينية ذات مركز مهم ، وهي اعلى درجات الكهنوت في العربية الجنوبية (٤١)

كما في شعب سمعي الذي عرف نسبة الى الاله (سميع اوسامع ) اذ كان له دلالة خاصة لدى شعوب سمعي كون سمعي اطلق على من عبد هذه الالهة وقد ترد لفظة (عم سمع ) ويقصد بها المعبود (عم ) وكذلك (ال سمع ) والذي يقصد به من يسمع الالهة او يشهد الالهة وورد ذكره في نقش (CIH37) عبادة (س م ع ) في القرن السابع ق.م. (٤٢)

ويذكر بي ان لفظة (ش ع ب ) لها معنى اخر فتأتي بمعنى جماعة التي تنتمي الى قبائل مختلفة اي ذلك النظام الذي روعي فيه فيه البناء الطبقي التملكي حيث وجدت الاعيان القبلية كما وجدت المهن المختلفة للمجموعات المتعددة في المجتمع كما وجد تقسيم العمل بينها (٤٣).

### ثانياً: البدو والحضر في المجتمع اليمني:

ويقصد بالبدو من بدأ الشيء يَبْدُو بُدُوًا: إِذَا ظَهَرَ، وَالبِدَاوَةُ: هُمْ أَهْلُ البَدْوِ. وَبَدَا الرَّجُلُ يَبْدُو: نَزَلَ البَادِيَةَ؛ وَالبِدَاوَةُ: هُمْ أَهْلُ البَدْوِ (٤٤).

يرى بيوتروفسكي "ان السمات المميزة في القرون الوسطى المبكرة لليمن اشتداد التأثير المتبادل للنمطين الاقتصادي والثقافي الخاصين بالرحل مربي الماشية (البدو) المنحدرين من الجزيرة العربية الداخلية ، والمزارعين الحضر وهم السكان الاصليون لجزيرة العرب" (٤٥)

اوضح بيوتروفسكي ان المجتمع العربي على الرغم من كونه يتالف من نمطين للحياة مختلفين الا ان هنالك تأثير متبادل فيما بينهم من الناحية الاقتصادية والثقافية ، ويرى الحمد ان المجتمع اليمني هو مجتمع قبلي تحضرت القبائل فيه واستقرت وكونت وحدات لها على العربيين عرب سكنية في اطار العلاقات الاسرية والقليل منها غير مستقرة ( بدوية ) تعتمد على الرعي، (٤٦) وهذا واضح في نقش (RY508) حيث ان قبيلة

(شعب ) همدان كان قسم منهم شعباً مستقراً ،والقسم الاخر بدو (اعراباً) مع قبيلة كنده ومراد ومذحج<sup>(٤٧)</sup>.

ويطلق لفظه الاعراب على اهل البادية ،<sup>(٤٨)</sup> ان المجتمع اليمني استغل فكره ويده استغلالاً حسناً في التكيف حياته ،لجعلها اكثر سعادة ورفاهية فاستغل الارض وانتج المعادن وربى الحيوان واقام القصور والحصون واقاموا الابنية واداء الاعمال حتى انتج حضارة لم يكن لها مثيل في انحاء الجزيرة العربية .<sup>(٤٩)</sup>

ويرى بيوتروفسكي "ان الاراضي الصالحة للترحال قليلة في اليمن وكانت ثقافة السكان في البلاد كبيرة مما دعا البدو الرحل الفقيرة الى استقرارهم رغم ان بعض الاراضي الواقعة في المناطق النائية من اليمن الزراعية...لكن البدو كفو في بداية الامر عن الترحل متحولين الى وجهاء وولاة مؤقتين واداريين ومعاونيين لملاكي الاراضي المحليين (الاقبال) وجنود الملك والاقطاعيين ،والقليلون منهم فقط انتقلوا الى ممارسة فلاحة الارض"<sup>(٥٠)</sup>

ومن خلال النص يتضح لنا ان المجتمع اليمني متطور لم تستمر قبائله بالترحال وانما انخرطت في الحياة المستقرة فبنوا وعمررو الارض وانشأوا دول وممالك كان لها صدى في التاريخ القديم .

### المبحث الثالث : البنيان الاجتماعي في اليمن قبل الاسلام :

ذكر بيوتروفسكي البنيان الاجتماعي في اليمن في القرون الوسطى المبكره بانه ينبغي التفريق بين المصطلحات الاجتماعية الخاصة بمجالات المجتمع اليمني ،لذا قسمها الى الاربعة :مؤسسة الدولة والمشاعيات والشعوب والقبائل (المترحلة وفيما بعد المتحضرة ) وسكان المدن<sup>(٥١)</sup>، ولهذا كان تقسيمها كما يلي :

أولاً: مؤسسة الدولة والمشاعيات :

تمثلت الفئة العليا بحسب ما ورد في بيوتروفسكي انها تتألف من (الاعيان عموماً وقمة الشعوب والاقبال .. الخ)<sup>(٥٢)</sup>، وكان للملك المرتبة الاولى في الدولة الحميرية ، وتتمثل هذه الفئة في وجهاء القوم وذوي المنزلة العليا ، اذ تكون الامور بايديهم ويكون الحكم فيهم وراثياً ينتقل من الاب الى الابن او الاخوة<sup>(٥٣)</sup>.

لقد ميزت المكتشفات الاثرية مرحلتين في المجتمع اليمني الاولى عصر المكربين والتي تبدأ في ( القرن الثامن قبل الميلاد حتى نهاية القرن الاول قبل الميلاد )، واختلف الباحثين في تحديد فترة استخدام لقب الملك فمن الملوك لقبوا باللقبين معا ، اما الفترة الثانية فتبدأ (من القرن الاول الميلادي حتى القرن السادس للميلاد )<sup>(٥٤)</sup>

كانت بلاد اليمن مقسمة الى مخاليف كل مخاليف يحكمة "قيل" ويقسم الى محافد وكل محفد يحكمه "ذو" وكان مخاليف صنعاء اعظم مخاليفها وكان رؤسائه يدعون بالملوك<sup>(٥٥)</sup>.

ويذكر بيوتروفسكي "كانت المراتبية في الدولة الحميرية تتكلم بالملك وكان يتبعه الاعيان (MRS) مراس ، راس ، المتألفون من ارقى النواب - الاقبال والموظفون العسكريين (mgtw) مقوي وذوي المناصب الادارية والعسكرية مهرج (mhrj)<sup>(٥٦)</sup>، اما لفظة مقتوي (mgtw) فكانت معروفه في النقوش بالموظف الاداري والعسكري الكبير<sup>(٥٧)</sup>.

كما عرف الموظفين في النقوش اليمنية باسم (ب ع ل ) ( ل ع ل ت ) او ( ا ب ع ل ) اي سيد وتاتي بمعنى بعلت ، ربة (معبد او بيت ) وهذا ما يوكدده نقش (CIH|2\3) ، (ش ي م ه موات ال ب ا ر ي م م ا ب ع ل ا ت ر ع ا بمعنى (حاميهم الههم الحامي ) تالب ريام رب (سيد ) المعبد (جبل فيه معبد للمعبود تالب)<sup>(٥٨)</sup>

وهم سادات و اشراف يقوم الملك بتعيينهم للاشراف على اعمال المملكة ووظائفها فهم نواب الملك ويتكونون من العسكريين والمدنيين ، ويقال للسادة كذلك (اسود ) اي السادة والاشراف<sup>(٥٩)</sup>.

ثانياً: الشعوب والقبائل (المرحلة وفيما بعد المتحضرة ) :

وهناك مجموعات التحقت بالدولة من وجهة نظر بيوتروفسكي وكان لها اثر كبير في بنيان المجتمع اليمني وهم من رعايا الدولة التابعين الذين ينضمون الى قوام الجيش اثناء الحروب باسماء thy,syd,gbd الصيادين والاقباض حيث كان يضم الجيش فصائل الشعوب والقبائل الرحل، حيث ضم جميع الخاضعين للملك هما "ادم dm ، واما اخضاع الرحل فكان يعد تحالفا وديا ودل عليه مصطلح " محبوب ،صديق " mhBBT<sup>(٦٠)</sup>.

في حين يرى شبيمان بناءا على رؤية بيستون ان هنالك فرق واضح بين مجتمعات مناطق المرتفعات العالية والمناطق السهلية من الاتحاد السبئي من حيث المؤسسات الاجتماعية فكانت اهم المدن في السهول مثل مأرب ونشق حيث ملكها الاحرار وعقدوا اتفاقيات مع الملك وهناك مجلس محلي يحكم ويتولى ادارة شؤونه ،اما المرتفعات فقد كان الوضع مختلفا يسود فيه تصنيف اجتماعي حاد يسيطر على كل التجمع البشري اسرة استقرائية تسمى نفسها "قيل"<sup>(٦١)</sup>، وبذلك لايمكن اعتماد تصنيف بيوتروفسكي للمجتمعات اليمن القديمة .

ثالثاً: سكان المدن (الحضر) :

الحضر هي قبائل المستقرة التي لها الفضل في وجود الحضارة اليمنية القديمة ويطلق عليها بالمسند (الشعب)<sup>(٦٢)</sup>

يرى بيوتروفسكي "ان تطور المجتمع اليمني يستحق اهتماما خاصا حيث دخلت اليمن في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في القرن الخامس والسادس الميلادي ما يسمى بنظام المدن الدول City-States الا ان العلاقات والروابط القبلية بقيت وانعكست اثارها في تنظيم المدينة ،وتعد مدينة نجران في القرن السادس... التي تعد ملتقى الطرق التجارية البرية حيث اكتسبت تجارة المرور (الترانزيت ) ..."<sup>(٦٣)</sup>

وعلى الرغم مما تقدم من تقسيمات التي اشار اليها بيوتروفسكي للمجتمع اليمني لا ان هنالك تقسيمات لاتقل اهمية وهي تقسيم قبائل (بدو، ورعاة ) مقابل قبائل مزارعة (مزارعون ) وسكان مدن مقابل سكان الريف وكذلك احرار مقابل عبيد (٦٤)

وهنالك من قسم الى فئات الاول ضم الملوك ورجال البلاط ورجال الدين وقادة الجيش والثانية السواد وهم غالبية الناس والثالثة والفلاحين والحرفيين والصناع والعبيد(٦٥).

وبذلك لايمكن ان يكون هنالك تحديد ثابت للمجتمع اليمني لانه يتغير بتطور المجتمع وما عثر عليه من نقوش حديثة ربما اعطت تصور اخر عن حياة المجتمع اليمني قديما .

### الخاتمة :

توصلت الباحثة الى عدمن النتائج ابرزها :

١- ان دراسة الاستشراق بشكل عام والاستشراق الروسي بشكل خاص اعطى للباحث صورة مختلفة عن الكتابات الاستشراقية اذ اعتمد على الادلة القطعيهمن خلال اعتماده على الاثار والنقوش المدونه .

٢- يعد المستشرق بيوتروفسكي من المولعين بالدراسات اليمنية القديمة فكانت اطروحته في اسعد ال كرب اليمني الحميري فضلا عن المؤلفات والندوات والمؤتمرات الاخرى

٣- ان الحياة المجتمع اليمني تختلف عن مناطق الجزيرة العربية باعتبار شعبها من الشعوب المتحضرة اما البداوة فكانت لفترة بسيطة ثم تحولت الى التحضر .

٤- اختلفت اغلب الباحثين في التاريخ اليمني في التقسيمات المجتمع اليمني قديما وكان عرضت للتغير وفق ما وجدمن اثار وغيرها

٥- اوجد بيوتروفسكي تقسمات اختلفت بشي بسيط عما سبقه من الباحثين من حيث فئات المجتمع حيث قسمت الى مؤسسة الدولة والمشاعيات والشعوب والقبائل وسكان المدن.

الهوامش :

- (١) الجواهري ، اسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور العطار ، ط٤، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧، ج٤، ص١٥٠١؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١، ص١٧٣.
- (٢) البعلبكي ، منير ، المورد الحديث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص٨٠٢.
- (٣) جليد ، محمد السيد ، الاستشراق والتشهير قراءة تاريخية موجزه، دار القباء ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٠ .
- (٤) الوائلي ، عامر عبد زيد ، تأصيل مفهوم الاستشراق ، بحث منشور ، ط١، ابن النديم، الجزائر ٢٠١٥، ص١٣.
- (٥) احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، قام برحلة الى الشرق في عهد الخليفة المقتدر الذي تولى الخلافة سنة 295هـ/٩٢١م، وكان في الثالثة عشر من عمره ، اي انه ولد عام ٢١٢هـ. الساموك ، الستشراق الروس، ص١٢٥ .
- (٦) العطوي، عبد الرحم، نفض غبار النسان عن بعض أمجاد تارستان، مجلة التارخ العرب، عدد٢، ١٩٩٧، ص٦٤؛ عبد الفتاح ،
- (٧) فاطمة ، اضاءات على الاستشراق الروسي ، اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٠، ص٣١.
- (٨) الجار الله، سلمان ، جهود الستشراق الروس في مجال السنة والسيرة دراسة ببلوغرافية، ١٩٩٦، ص٤
- (٩) القزاز ، محمد ، حركة الستشراق الروس وترجمة معان القرآن، مجلة دراسات استشراقية، العدد١، ٢٠١٤، ص٢٣٤.
- (١٠) الخولي ، أمين، الاسلام والمسلمين ، مجلة الشبان المسلمین، القاهرة، عدد دسمبر ١٩٦٢ م، ص٢٣.
- (١١) الزبيدي ، عباس خميس والجبوري ، حميدة صالح ، الاستشراق الروسي دراسة في نشأته وتكوينه ، مجلة كلية التربية جامعة واسط ، العدد ٤٢ ، ٢٠٢٢ م ، ص١٠٧ .
- (١٢) الزبيدي ، عباس خميس والجبوري ، حميدة صالح ، الاستشراق الروسي دراسة في نشأته وتكوينه ، مجلة كلية التربية جامعة واسط ، العدد ٤٢ ، ٢٠٢٢ م ، ص١١٨ .
- (١٣) [https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84\\_%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%81%D8%B3%D9%83%D9%8A](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84_%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%81%D8%B3%D9%83%D9%8A)

- (١٤) الشعبي، محمد، مقدموكتاب اليمن قبل الاسلام، ص٧
- (١٥) ([https://www.wikiwand.com/ar/%D9%85%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84\\_%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%81%D8%B3%D9%83%D9%8A](https://www.wikiwand.com/ar/%D9%85%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84_%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%81%D8%B3%D9%83%D9%8A))
- (١٦) الشعبي، محمد، مقدمة كتاب تاريخ اليمن قبل الاسلام، ص٨.
- (١٧) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص٣٤٩؛ جمعة النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب، ص٩١-٩٣.
- (١٨) التميمي، ماجد طلال، الفكر السياسي للمالك اليمنية القديمة، ص٢١
- (١٩) Ryckmans, GNZAGUE Dixieme serie(lemuseon)v166.(p.p.267-317)lauan.p.297..
- (٢٠) اليمن قبل الاسلام، ص١٦١.
- (٢١) شيبمان، كلاوس، تاريخ الممالك اليمنية، ص١٠٩.
- (٢٢) شيبمان، كلاوس، تاريخ الممالك اليمنية، ص١٠٩.
- (٢٣) بتروفسكي، اليمن قبل الاسلام، ص١٦٢.
- (٢٤) الشيبه، عبد الله حسن، الهجر-المدينة في اليمن القديم، مجلة الدراسات اليمنية، العدد ٤٠، صنعاء، ١٩٩٠، ص٢٤؛ بحري، محمد عبد الله، تطور نظام الحكم في الجزيرة العربية، ص٧٧.
- (٢٥) ابو غانم، فضل علي احمد، البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير، دار الحكمة اليمنية، ط٢، ١٩٩١م، ص٣٩.
- (٢٦) هلندا، روبرت، تاريخ العرب في الجزيرة العربية، ص١٤٦.
- (٢٧) اليمن قبل الاسلام، ص١٦٤-١٦٥.
- (٢٨) الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص٢٠٩.
- (٢٩) الملاح، الوسيط، ص٣٦٢.
- (٣٠) الملاح، الوسيط، ص٣٦٤.
- (٣١) تاج العروس، ج٣، ص٢٠٩.
- (٣٢) الملاح، الوسيط، ص٣٦٨.
- (٣٣) نعمان، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص٢٥٥-٢٥٦.
- (٣٤) تاريخ اليمن قبل الاسلام، ص١٦٤.
- (٣٥) ملحق رقم ١

- (٣٦) المفرجي ، الكهان واثريهم في الحياة العامة في بلاد العرب قبل الاسلام ،ص٧٤.
- (٣٧) التميمي ، ماجدطلال حسن هاشم ، الفكر السياسي للمالك اليمنية القديمة ، ص٢٦.
- (٣٨) الحمد، جوادمطر ، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ص٦٠.
- (٣٩) مهران،امل محمد بيومي ، الحقوق والعقوبات في المجتمع اليمني القديم ، ص٥٢.
- (٤٠) مكباش ،عبدالله محمد، الالقاب والمصطلحات الاجتماعية والدينية في النقوش السبئية ، المجلة التونسية لعلم الآثار ، تونس ، ٢٠١٧، ص٢١.
- (٤١) علي، المفصل تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج٤، ص٥٤٧، التميمي، ماجد طلال، الفكر السياسي، ص٢٧.
- (٤٢) باكرموم ،رياض احمد سعيد، نقوش عربية جنوبية ،ص٢٠٠.
- (٤٣) بيوتروفسكي، تاريخ اليمن القديم ،ص١٦٥.
- (٤٤) عباد ، بن صاحب ، المحيط في اللغة ، ج٢، ص٣٦٣.
- (٤٥) اليمن قبل الاسلام ، ص١١٧.
- (٤٦) الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن قبل الاسلام، ص١١٢.
- (٤٧) Ryekmans, Gonzague: Dixieme serie Lemusseen) VI66(PP267 317  
Lauvan.p297P
- (٤٨) حسن، حسين الحاج ، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، ص٢٦.
- (٤٩) حسن، حسين الحاج ، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، ص٢٩.
- (٥٠) اليمن قبل الاسلام ، ص١٢٠.
- (٥١) اليمن قبل الاسلام، ص١٨٥.
- (٥٢) اليمن قبل الاسلام ، ص١٨٥.
- (٥٣) التميمي ، ماجد طلال ، ص٢٦.
- (٥٤) شبيمان ، كلاوس ، تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية ، ص١٠٨؛ الفراجي ، عدنان علي ، و صكر ، احمد علي ، المقتضب من تاريخ العرب قبل الاسلام ، المؤسسة اللبنانية للكتاب العربي ، ط١، بيروت ، ٢٠١٤، ص٧٦.
- (٥٥) بحري ، تطور نظم الحكم في الجزيرة العربية ، ص٧٩.
- (٥٦) اليمن قبل الاسلام ، ص١٨٥.
- (٥٧) اليمن قبل الاسلام، ص١٨٦.

- (٥٨) مكباش ، الالقاب والمصطلحات الاجتماعية والدينية في النقوش السبئية ، ص ١٤-١٥؛ التميمي ، ماجد طلال ، الفكر السياسي للمالك اليمنية القديمة ، ص ٢٨ .
- (٥٩) التميمي ، ماجد طلال ، الفكر السياسي للمالك اليمنية القديمة ، ص ٢٨ .
- (٦٠) اليمن قبل الاسلام ، ص ١٨٦ .
- (٦١) تاريخ الممالك القديمة ، ص ١١٤ .
- (٦٢) الحمد ، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، ص ١١٧ .
- (٦٣) اليمن قبل الاسلام ، ص ١٧٢ .
- (٦٤) الشرجبي ، قائد ، القرية والدولة في المجتمع اليمني ، دار الضمان ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ١٢٣ .
- (٦٥) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب ، ج ٣ ، ص ١٥٥-١٥٩؛ المفرجي ، وعد الله زيدان ، مجلة الدراسات التاريخية والآثار ، المجلد ١٢ العدد ٤٨ ، جامعة الموصل ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

#### المصادر والمراجع :

- ١- بيوتروفسكي ، تاريخ اليمن القديم والقرون الاولى للهجرة ، تعريب محمد الشعبي ، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧ .
- ٢- التميمي ، ماجد طلال ، الفكر السياسي للمالك اليمنية القديمة حتى نهاية مملكة الحميرية ، ط ١ ، دار الثقافة ، بغداد ، ٢٠١٩ .
- ٣- جبران ، نعمان والشافعي ، روضه ، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الدوحة ، ٢٠٠٢ .
- ٤- حسن ، حسين الحاج ، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، ط ٤ ، مؤسسة المجد ، بيروت ، ٢٠٠٦ .
- ٥- الحمد ، جواد مطر ، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، ط ١ ، دار الثقافة ، عدن ، ٢٠٠٣ .
- ٦- عباد ، بن صاحب ، المحيط في اللغة ، دار الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، د.ت .
- ٧- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار احياء التراث ، بيروت .

- ٨- ابوغانم، فضل علي احمد، البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغيير ، دار الحكمة اليمنية ، ط٢، ١٩٩١م
- ٩- الشرجبي، قائد، القرية والدولة في المجتمع اليمني ، دار الضمان ، ط١، بيروت ١٩٩٠،
- ١٠- شيبمان ،كلوس ، تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية في جنوبي الجزيرة العربية ، ترجمة د.فاروق اسماعيل ،مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء ، ٢٠٠٢.
- ١١- الفراجي ، عدنان علي ، و صكر ، احمد علي ، المقتضب من تاريخ العرب قبل الاسلام ، المؤسسة اللبنانية للكتاب العربي ، ط١،بيروت ، ٢٠١٤،
- ١٢- المفرجي ، وعد الله زيدان ،الكهان واثرتهم في الحياة العامة في بلاد العرب قبل الاسلام ،النور للنشر والتوزيع ، المانيا ، ٢٠١٧
- ١٣- الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧١م.
- ١٤- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري ،لسان العرب ،دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٧م
- ١٥- هلندا ،روبرت ،تاريخ العرب في الجزيرة العربية،ترجمة عدنان حسن ، ط١،شركةقدمس ، بيروت ، ٢٠١٠
- ١٦- الوائلي ، عامر عبد زيد ، تأصيل مفهوم الاستشراق ، بحث منشور ، ط١، ابن النديم، الجزائر ، ٢٠١٥

### المجلات والدوريات والرسائل :

- ١٧-باكرموم ،رياض احمد سعيد، نقوش عربية جنوبية قديمة من اليمن ، رسالة ماجستير ،جامعة اليرموك، كلية الآثار الانثروبولوجيا ، ٢٠١٤.
- ١٨- الشيبه ، عبد الله حسن ، الهجر -المدينة في اليمن القديم ، مجلة الدراسات اليمنية ، العدد ٤٠ ، صنعاء ، ١٩٩٠

١٩-المفرجي، وعد الله زيدان ، مجلة الدراسات التاريخية والآثار ، المجلد ١٢ العدد ٤٨ ،  
جامعة الموصل ،

٢٠-مكباش ،عبدالله محمد، الالاقاب والمصطلحات الاجتماعية والدينية في النقوش السبئية  
، المجلة التونسية لعلم الآثار ، تونس ، ٢٠١٧ ،

٢١- مهران،امل محمد بيومي ، الحقوق والعقوبات في المجتمع اليمني القديم،مجلة  
دراسات في اثار الوطن العربي العدد ١٣ ، ١٩٩٨ .

٢٢- Ryekmans,Gonzague:Dixieme serie Lemusseen) VI66(PP267  
317) Lauvan.p297P -

#### مواقع الانترنت

23-[https://ar.wikipedia.org/wiki/ %D9%85%D9%8A% D8%AE%  
D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84\\_%D8%A8%D9%8A%D9%88%D  
8%AA%D8%B1%D9%88%D9%81%D8%B3%D9%83%D9%8A](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84_%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%81%D8%B3%D9%83%D9%8A)  
24-([https://www.wikiwand.com /ar/%D9%85 %D9%8A%D8%  
AE%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84\\_%D8%A8%D9%8A%D9%8  
8%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%81%D8%B3%D9%83%D9%8A](https://www.wikiwand.com/ar/%D9%85%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84_%D8%A8%D9%8A%D9%88%D8%AA%D8%B1%D9%88%D9%81%D8%B3%D9%83%D9%8A)

- ١- الوهب( . . . م ) / واوسعت / بن
- ٢- و | عبلم | هقنيو | المقه | بع
- ٣- ل | اوم | صلمن نذهبن | لوف
- ٤- ي / بنهمو | ضبعن | ذسمي | المق
- ٥- ه | اوس ال | بن | عبلم | اول | وسف
- ٦- همو | المقه | وبنهمو | او
- ٧- سال | اولدهم | وقنيم | بعثتر
- ٨- وبالمقه (٣٤).

وترجمة النقش :

- ١- آل وهب و أوس عنت بنو
- ٢- عبال أهدوا الإله المقه بعل أوام
- ٣- تمثالاً من الذهب لنجاة ابنهم
- ٤- ضبعان الذي سماه المقه
- ٥- أوس أيل من بني عبال وليزيدهم
- ٦- المقه وابنهم أوس ايل في أولادهم
- ٧- وأملكهم بحق عثتر
- ٨- وبحق المقه (٣٥).

ملحق رقم (١)

عبادة الآلهة الأم من العصر الحجري الحديث في إيران موقع  
تبا سراب ٧٠٠٠-٦١٠٠ قبل التاريخ

**Worship of the mother gods from the Neolithic  
period in Iran, Tiba Sarab, 7000-6100, before  
history**

م.د مرتضى جاسب مثنى

Mortada.CH.MO. AL Awadi

مديرية تربية ميسان

[mortadaalawadi@gmail.com](mailto:mortadaalawadi@gmail.com)

07709082258



عبادة الآلهة الأم من العصر الحجري الحديث في إيران موقع تبة سراب ٧٠٠٠-٦١٠٠ قبل التاريخ

م.د مرتضى جاسب مثني

الملخص

تركز الدراسة على أحد أهم الموضوعات الدينية، والتي شكلت محوراً مهماً في تطور المعتقدات الدينية لدى إنسان العصر الحجري الحديث، إذ كانت الآلهة الأم احد الموضوعات الدينية التي شغلت فكر إنسان العصر الحجري الحديث ابان اكتشاف الزراعة، ومن أجل البحث عن وسيلة اعتقد إنها يمكن أن تلبى احتياجاته اليومية من المحاصيل الزراعية، أعد مجموعة من التماثيل التي تصور امرأة بدينة ترمز للخصوبة، (الآلهة الأم)، من موقع تبة سراب الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث في إيران منذ ٧٠٠٠-٦١٠٠ قبل التاريخ قد حمل الكثير من المفاهيم عن عبادة الآلهة الأم، إذ عُثر فيه على مجموعة من التماثيل البشرية التي مثلت تلك الآلهة.

الكلمات المفتاحية

الآلهة الأم - التماثيل - الخصوبة - الزراعة.

key words

Motherboard - Statues - Fertility - Agriculture

Abstract

The study focuses on one of the most important religious issues, which formed an important axis in the development of religious beliefs among the human Stone Age, as the mother gods were one of the religious subjects that occupied the thought of the Neolithic person during the discovery of agriculture, and in order to search for a way I think they can meet His daily needs of agricultural crops prepared a group of statues that depict a fat woman symbolizing fertility, (mother gods), and that the study of the Tiba Sarab site, which dates back to the Neolithic period in Iran since 7000-6100 before history, is surrounded by the worship of the mother

gods, as it was found In it on a group of human statues that represented those deities.

## المقدمة

يعدّ الحب المتبادل بين الأم والطفل غريزة موجودة في جميع الكائنات الحية تقريباً، حتى الأنواع البدائية جداً، وهي أكثر بروزاً في أكثر الكائنات تعقيداً مثل البشر، ومن هذا المنظور يمكن اعتبار الأم، رمزاً للمودة والخصوبة والخلق، في عصر كانت الزراعة فيه العامل الرئيس في حدوث الانتقالات والتغيرات المفاجئة في حياة الإنسان القديم، إذ كان لتلك التغيرات تأثيرات واضحة على المعتقدات الدينية السائدة آنذاك، فبعد اعتقاده وخوفه من الظواهر الطبيعية كالنجوم والكواكب والقمر والشمس والرياح والبرق والرعد ابان العصر الحجري الحديث اخذ ينتهج نهجاً جديداً متمثلاً بعبادة الآلهة الأم.

تتمثل مشكلة البحث في معالجة اهم القضايا التي تطرق لها الإنسان القديم واستعملها في حياته اليومية واهمها القضايا الاقتصادية والاجتماعية، وكانت مشكلة الإنسان القديم البحث عن اشياء مقدسة تقربه من الآلهة لكي يتجنب شرورها في تصوره، فضلاً عن كسب رضا الآلهة في الوقت نفسه، وكذلك البحث عن اشياء تبعث له الخصوبة والنماء فيما يلبي حاجته بالزراعة آنذاك.

يفترض البحث وجود مجموعة من التماثيل الأنثوية التي قام بصناعتها الإنسان القديم من أجل غاية اقتصادية أو مصلحة شخصية مثل وفرة المحاصيل الزراعية التي كان بحاجة ماسة لها.

وترجع اهمية الموضوع إلى انه ناقش قضية الآلهة التي كانت ذا مغزى ديني واجتماعي واقتصادي، وكانت قد شغلت فكر الإنسان القديم في بلاد إيران أثناء العصر الحجري الحديث، إذ كان اعتقاد الإنسان بكل شيء مقدس يمكن أن يكون عوناً له في حياته اليومية، وهو الشيء الذي يدر عليه الخير والوفرة.

حسب اطلعنا على الدراسات العربية لم تتوفر هناك دراسات سابقة تخص موضوع الالهة الام في بلاد إيران اثناء العصور الحجرية القديمة، إذ لم يدرس في الوسط الأكاديمي

العربي، لذلك كانت الدراسة قد ركزت على المصادر الأجنبية، وذلك بسبب انعدام المصادر العربية أو عدم وجودها.

قسمت الدراسة إلى عدة محاور تناول المحور الأول موقع تبة سراب، وجاء المحور الثاني والأخير ليتضمن الآلهة الأم في تبة سراب.

### المحور الأول: موقع تبة سراب

يقع موقع تبة سراب شرقي مدينة كرمنشاه Kermanshah في الجزء الشمالي الغربي من إيران والأجزاء الوسطى من جبال زاكروس (انظر شكل رقم ١)، وكان أهالي القرى المحليين أول من أكتشف المكان عن طريق الصدفة، وبعد البحث والتنقيبات في عام ١٩٦٠ أصبح جزء من مشروع معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو Chicago، في عصور ما قبل التاريخ، إذ أختبر روبرت برايدوود Robert Braidwood ومجموعة من المنقبين بعض الأجزاء السهلة التنقيب من التل (انظر Braidwood, R, 1961, p. 2008-2010 كما حقق في وقت لاحق من قبل جامعة تورونتو University of Toronto، واستنتجت تنقيبات الجامعة بأن ذلك الموقع يعود إلى ٦٠٠٠ سنة قبل التاريخ.

كشفت تنقيبات جامعة تورونتو ما يقارب ٢٤٠٠ قطعة أثرية طينية (انظر Levine, D., 1977, pp. 39-50) وعلى الرغم من ذلك فإن تبة سراب ليس المكان الوحيد في إيران الذي عثر فيه على الأشكال البشرية، حيث عثر في مواقع أخرى مثل: غانج دارا Ganj Dareh، علي كوش Ali Kosh، (انظر مرتضى جاسب مثنى، ٢٠٢٠، ص ص ١٢٠-٢٢١) تبة غوران Tepe Guran، يانك تبة Yanik Tepe، حجي فيروز Haji Firuz، زاغ Zaghe)، على اشكال بشرية، إلا أنّ موقع تبة سراب يعد الأكثر كمية من حيث الأشكال البشرية بين جميع ما أكتشف من الأشكال التي تعود إلى العصر الحجري الحديث في المواقع الإيرانية، ويقترح ماك دونالد Mc Doland بأن تبة سراب من المحتمل لم تسكنه مجاميع بشرية (انظر McDonald, M.A., 1979, p. 232)، إلا أنّ برومان مورالس يقول بسبب الأعداد الكبيرة والمتنوعة من الأشكال الجسدية الطينية فإن تبة سراب قد سكنت فيها مجاميع بشرية على مدار السنة بشكل مستمر (انظر Broman Morales, V., 1990, p.1). لذا يجد الباحث أنّ المجاميع السكانية التي كانت تعيش في تلك المرحلة قد مارست الزراعة، وقد سلكت طرق عدة

اعتقدت عن طريقها أنها تدر عليها الكثير من الخير والوفرة والنماء، لذلك قاموا بتقديس المرأة، وعبروا عن تلك الصورة المرسومة في مخيلتهم بصناعة الكثير من الدمى التي تمثلت بصناعة الآلهة الأم، والتي كانت تمثل المرأة بما تحمله من خصوبة وعكسوها على حياتهم اليومية وبالخصوص النتائج الزراعي.

### المحور الثاني: الآلهة الأم في تبة سراب

أدت التحولات التي شهدتها العصر الحجري الحديث، والتي تمثلت بالزراعة، إلى تغيير مفاجئ ومثير في اتجاه سلوك الانسان ومعتقداته، إذ دفعته إلى ابتكار معتقد يتناسب مع احتياجات مجتمع العصر الحجري الحديث، وقد تمثل ذلك المعتقد بصناعة دمي من الطين تمثل امرأة بدينة ذو تفاصيل أنثوية مبالغ بها (انظر شكل رقم (٢)) ، إذ اعتقد أن المرأة بذلك الشكل تمثل التكاثر والنمو والوفرة والخصوبة في وقت شهدت تلك الحقبة مجموعة متنوعة ضخمة من التفاعلات بين البشر والنباتات والحيوانات التي أدت في نهاية المطاف إلى ظهور العديد من المعتقدات الدينية (انظر Roger Matthews And Hassan Fazeli Nashli, 2013, p. 104). إذ تعد التماثيل البشرية الموجودة في المواقع التي تعود إلى العصور القديمة وما قبل الحديثة من أهم الأشياء التي تعطينا تفاصيل مهمة عن المعتقدات الدينية ( Beck, M., 2000, pp. 202-214). ورغم عددها القليل إلا أنها كانت تعطي تصوراً واضحاً حول رمزية المعتقدات الدينية التي كان يمارسها مجتمع العصر الحجري الحديث.

تم تفسير العديد من تلك التماثيل في جميع أنحاء العالم المختلفة، على أنها آلهة أم، وتعد شخصية سحرية نظراً لقدرتها على خلق الحياة، وتضعهم أساطير الآلهة الأم كجزء من زوج إلهي مع قرين ذكر، وفي بعض الأحيان يمكن أن يكون بشراً (انظر Mother Goddess, 2020, p. 2).

ويشار إلى التماثيل الصغيرة الأنثوية عادة بالآلهة الأم أو تماثيل فيونس، ولكل واحدة منها وظيفة محددة (انظر Mother Goddess, 2020, p. 2).

يمكننا تأكيد ما كانت تمثله تلك التماثيل فعلياً للإنسان في ذلك الوقت، إذ تأتي رمزية تلك التماثيل من تفسيرات علماء الأنثروبولوجيا، والتي تشير إلى أن الإلهة الأم كانت أول إله يُعبد. وأقدم الآثار التي تظهر علامات المعتقدات الدينية بين القبائل البدائية هي تماثيل للأم الذي

يصور أردافها وتديبها الكبيرين في إشارة إلى إيجاز الخصائص الأنثوية، وإشارة إلى وصول الفتيات سن البلوغ ونسوجهن للزواج (انظر Mohammad Sadeq Nazmi Afshar, 2001, pp. 20-26) وما نعرفه أنّ مثل تلك التماثيل أستمرت في الظهور عبر التاريخ. فتحولت إلى عبادات متعددة ومتنوعة كلاً حسب زمانه ومكانه (انظر Mother Goddess, 2020, p. 2).

وقد عُثر في موقع تبة سراب على مجموعة من الأشكال البشرية على أشكال أنثوية في وضعيه جالسة، صنعت على شكل قطعة منفصلة بدون رأس أو قد فقدت أثناء التنقيب، وكانت لها ساقين سمان، فضلاً عن الجزء السفلي الذي شكل أغلبه منطقة البطن، والتدين وليس هناك دليل على إنّها حامل، لذا فإنّ شكل أنثى تبة سراب له تفاصيل مبالغة مقارنة مع التماثيل الأخرى التي عثر عليها في مناطق مجاوره من العالم العراق وبلاد الشام والاناضول (انظر Broman Morales, V, 1990, p. 1).

ومن مميزات تلك التماثيل التي عثر عليها في موقع تبة سراب إنّها عريضة الوركين، وكبيرة الصدر، وفي بعض الأحيان تحمل رضيعاً أو طفلاً، وذات أثناء متدلّية كبيرة (انظر الشكل رقم (٢)) ، وعادةً ما تفتقر إلى الذراعين ولا يرتبط بها أبداً شكل الطفل، وتبدو تلك الأشكال الثلاثة البسيطة مصممة بشكل فوضوي مقارنة مع الأجزاء المصممة التي تبدو عليها التماثيل الأنثوية الواقعية، التي مثلت الآلهة الأم (انظر Broman Morales, V, 1990, p. 1).

ومع نهاية العصر الجليدي وتحول الموطن من الكهوف إلى التلال واكتشاف الزراعة، استمر تقليد عبادة الإلهة الأم في إيران ومناطق العالم الأخرى على أنّها أصل الخصوبة، إلهة الأسرة، إلهة الإنجاب ولاحقاً إلهة الزراعة والإنتاجية (انظر Mohammad Sadeq Nazmi Afshar, 2001, pp. 20-26).

ويرى بعض الباحثين أنّ المرأة كانت على رأس المجتمعات البدائية، وربما منذ زمن بعيد حتى العصر الحجري الحديث المتأخر، وشكلت الخصوبة جانباً مهماً من جوانب المجتمع الناجح، لذا نجد منذ بداية العصر الحجري الحديث حوالي ١٢٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ عام قبل التاريخ وظهور الزراعة قبل ذلك كان البشر لا يزالون صيادين، وكانت النساء هن جامعات البذور التي كانت بواردها باكتشاف الزراعة، وكانت النساء وراء ذلك التطور المبكر للزراعة

عندما بدأ في اختيار أفضل البذور من المحاصيل وتخزينها للعام المقبل، وليس من الصعب أن نتخيل تلك الخبرة إلى جانب قدرتهم على الولادة وصعوبتها غير أن يموتوا بسبب الأمراض (انظر 2, Mother Goddess, 2020, p. 2).

وفي بعض الأحيان كانت الإلهة الأم تصور على شكل ثعباناً، وذلك لان الثعابين تقوم بتبديل جلدها وتجديده، وأحياناً كانت القمر، وذلك لان القمر يتجدد كل شهر، وكلن منها يدل على دورة الولادة والموت والتجديد، ومنذ حوالي ١٢٠٠٠ عام قبل التاريخ، وصلت بعض المجتمعات إلى أعتاب الانتقال من أسلوب حياة بدوي إلى مدن بدائية شبه مستقرة على الرغم من أنهم ما زالوا يحصلون على بعض طعامهم عن طريق الصيد، إذ توجد العديد من تلك المواقع الأثرية في بلاد الشام وتركيا، إحداها جاتال هيوك، (انظر Thomas Birch, Thilo Rehren & Ernst Pernicka, 2008, pp. 307-316) مدينة من العصر الحجري الحديث في تركيا التي أستقرت منذ أكثر من ٩٠٠٠ عام قبل التاريخ، إذ تمّ الكشف عن أثنين من التماثيل النسائية يبلغ عمرها ٨٠٠٠ عام قبل التاريخ، وكلاهما ممتلئ الجسم ويعتقد أن كلاهما إما رموز قوية للخصوبة أو يمثلون النساء الأكبر سناً اللاتي حصلن على مكانة من الآلهة، (انظر 2, Mother Goddess, 2020, p. 2). وحسب رأي الباحث أن تلك الدمى التي عثر عليها في موقع تبة سراب تمثل الآلهة الأم، وذلك لأنّ المجتمع الرعوي الزراعي بعد الثورة الزراعية أخذ ينتهج أساليب وطرق يتوسل بها إلى الآلهة من أجل أن تدر عليه الخير والوفرة والخصوبة والنماء والتكاثر، لذلك مثلها بالمرأة وأعطاهها رمزية خاصة وربطها بالزراعة والأرض والخصوبة.

ليس من الواضح ما إذا كانت جميع تلك التماثيل التي تمّ اكتشافها في جميع أنحاء العالم كانت لهذا الغرض، فقد يكون البعض منها مجرد عروض نذرية، أو تمثيلات للأسلاف، أو ربما حتى أنطباع فني، على الرغم من ذلك يبدو أن كل ثقافة تقريباً قد أستعملت بعض الرموز الأمومية في تصوير الآلهة، وتسليط الضوء على الإبداع، والولادة، والخصوبة، والإتحاد الجنسي، والرعاية ودورة النمو، وكانت حضارات العصر الحجري الحديث اللاحقة من ٥٠٠٠ إلى ١٥٠٠ قبل الميلاد في بلاد الرافدين والهند ومصر وكريت تمثيلاتهم الخاصة للخصوبة والآلهة الأم في فنهم، (انظر 2, Mother Goddess, 2020, p. 2).

إنَّ استعمال الأسماء الوصفية الشاملة تلك تقترح بأن التماثيل الصغيرة جزء من عادات أوسع نطاقاً، وأنَّ نظرة كهذه تعد مغلقة، يقول ليروي-غورهان Leroi-Gourhan بأن: "لا يهم أنَّ عثر عليها... هي قابلة للتبديل عملياً، بعيداً عن نسبها، أنَّ أكثر التماثيل الصغيرة كمالاً لها طريقة الرأس ذاتها، والذراعين الصغيرة ذاتهما المطويين تحت الصدر أو المشيران نحو البطن، والصدر المتهدل نحو الأسفل ككيس يصل أسفل الخصر، و ذات الساقين الضئيلين أو بدون قدمين، (انظر Leroi-Gourhan, A., 1968, p. 96).

إنَّ التحليلات الخاصة بجسم التماثيل توحى بأدلة لدى بعض الباحثين عن الأجزاء الخاصة بالتكاثر والخصب لدى المرأة كالصدر ومنطقة الحوض والأرداف وهناك صورة مبالغ في نحتها وتجسيمها أراد صانعيها إيصال فكرة مدى أهمية تلك الأجزاء المرتبطة بخصوبة المرأة ومدى تأثيرها على الحياة الزراعية، ومن الممكن أنَّ يكون التشابه الملحوظ نظرياً بين التماثيل الصغيرة التي تعود إلى ما قبل التاريخ عائداً إلى وظيفتها الخاصة بالإنجاب والتكاثر، (انظر Whittle, A., 1996, p. 65).

وعادةً ما تمَّ التأكيد على أنَّ التماثيل الصغيرة الأنثوية ربما صنعت لتستخدم كرمز للخصوبة، (Voigt and Meadow, R., 1983, p. 188)، وأقترح ماركال Marckale بأنَّ الاعتقاد بـ "الارض الام" قد زرع في لاوعي الإنسان منذ عصر ما قبل التاريخ القديم، وأنَّ الاعتقاد قاد إلى هيمنة الأنثى أثناء العصر الحجري الحديث، لذا اقترح كل من كوجت Kujit و جيسون Chesson بأن الشكل الجسدي للذكر والأنثى وحتى الأشكال الحيوانية تجسد الدور الاجتماعي للذكور والإناث والحيوانات في مجتمعات العصر الحجري الحديث، (انظر Kuijt, I. and Chesson, M., 2005, p. 155).

ومن المتحمل بأن مصطلح المرأة كرمز للخصوبة والنمو تطور إلى ذكر المرأة بأنها آلهة الزراعة والتدجين، وأنَّ أي نشاط له علاقة بنمو وتكاثر الطعام على الأرض أثناء العصر الحجري الحديث، ربما أعدته الامهات كرمز للحياة، (انظر Mellaart, J., 1962, pp. 41-65) بينما أكد كلاً من فويجت Voigt وديماس Daems بأنه ليس من الممكن أنَّ تحمل جميع الأشكال البشرية عبر العالم القديم الوظيفة الوحيدة ذاتها، (انظر Daems, A., 2004, pp. 1-31؛ Voigt, M.M. 2001, pp. 253-294) وناقش ليسور (ليشور) Lesure ذلك

بأنه من المهم اعتبار كشف التشابه بين النصوص قبل افتراض التشابه بين الاستخدام والوظيفة، (انظر Lesure, R.G., 2011, p.33).

وبعيداً عن الوظيفة الكامنة أو الوظائف التي تحملها الأشكال الأنثوية في مجتمعات ما قبل التاريخ، هنالك الكثير من التفسيرات المختلفة التي وضعت لاحقاً لتفسير التشابه الجلي الواسع الانتشار، إذ يقول ماك ديرموت (McDermott, L.D. 1996, p. 227) (انظر) بأن ذلك الشكل المحدد من الأشكال الأنثوية يُمثل مظهر امرأة حامل حينما تنظر إلى جسدها من الأعلى، كما أُقترح بأن نسب الجسد وعلى وجه الخصوص الأثناء لبعض الأشكال (مثل: ويلندورف Willendorf و لاسبوغ Laspuque) (أحد أنواع المنحوتات التي تمثل الآلهة الأم) تشير إلى تضخم كبير في الأثناء، (انظر Harding, J.R., 1976, pp. 271-272). يتضح من ذلك أن الضخامة نابغة من الخصوبة لدى المرأة.

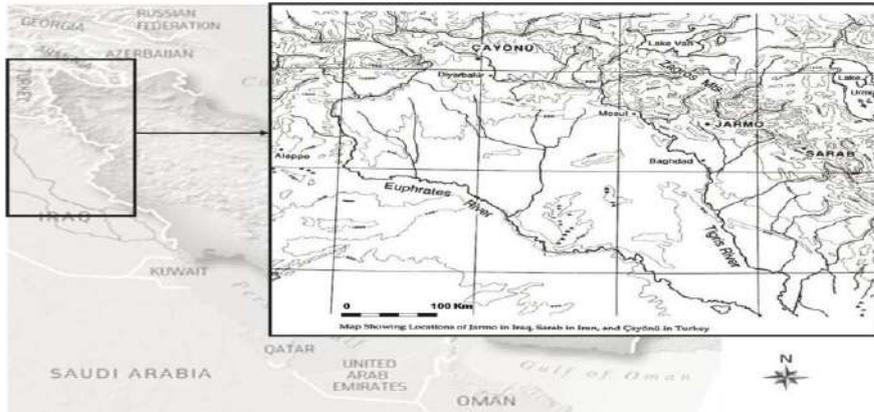
إن تصور المرأة على هيئة حامل في بطن كبيرة يدل على حملها حتى وأن لم تكن حامل، لكن الصورة الرمزية تدل على أن المرأة هي التي تحمل الحياة لمولودها الجديد، لذلك مثلت بالأرض التي تعطي الإنتاج الزراعي وتخضر الأرض بمحصولها الجديد الذي يدل على حياة جديدة، لذلك ربط الإنسان في العصر الحجري الحديث الخصوبة في المرأة.

### الاستنتاجات

تحصلت بعد البحث في موضوع الآلهة الأم مجموعة من الاستنتاجات أهمها:

- ١- إن ممارسة مجتمع العصر الحجري الحديث في تبة سراب عبادة الآلهة الأم كان لأغراض نفعية اقتصادية تمثلت بالجانب الزراعي.
- ٢- كان نحت الأشكال الطينية على هيئة امرأة ذو تفاصيل جسد مبالغ بها كالصدر الكبير والبطن والارداق، يدل على التصور الرمزي الذي مثله النحات وتلك التفاصيل توحى بأن المرأة البدينة تحمل من الخصوبة والتكاثر الشيء الكثير لذلك ربطت الأرض بالمرأة.
- ٣- كان لإنتشار عبادة الآلهة الأم أثناء العصر الحجري الحديث، الدور الكبير في تطور العبادات في العصور اللاحقة، وانتشرت بصورة كبيرة في مجتمعات العصر الحجري الحديث أبان اكتشاف الزراعة.

٤- شكلت الصورة الرمزية في اللاوعي للإنسان على شكل صورة حقيقية عكسها على الواقع، فقام بصناعة تلك التماثيل وتجسيدها بالخصوبة الآلهة الأم.



ملحق رقم (١) يوضح الموقع الجغرافي لموقع تبة سراب

انظر (Hamed Vahdati Nasab, Mandan Kazzazi, 2011, p. 3)



ملحق رقم (٢) يوضح شكل الآلهة الأم

انظر (Hamed Vahdati Nasab, Mandan Kazzazi, 2011, p. 4)



ملحق رقم ( ٣ ) يوضح الالهة الام.

انظر (Hamed Vahdati Nasab, Mandan Kazzazi, 2011, p. 5)

#### التعريفات

(\* ) تشتهر جائل هيوك بأنها إحدى أقدم المستوطنات في العصر الحجري الحديث، حيث إنها تسلط الضوء على فجر الاستيطان البشري بأمتثلة فريدة من العمارة المحلية المبكرة، ورسومات المناظر الطبيعية، إضافة إلى الأشياء المقدسة لعبادة الآلهة الأم.

#### المصادر والمراجع العربية والأجنبية

١- مرتضى جاسب مثنى، إنسان العصر الحجري ونتاجاته منذ العصر الحجري القديم حتى نهاية العصر الحجري الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الإنسانية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، ٢٠٢٠.

- 1- Beck, M., "Female Figurines in the European Upper Paleolithic", in A.E. Rautman (ed.), Reading the Body: Representations and Remains in the Archaeological Record, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, PA: 2000.
- 2- Braidwood, R. "The Iranian Prehistoric Project", 1961, Science 133: vol 06.

- 3- Broman Morales, V, "**Figurines and Other Clay Objects from Sarab and Çayönu**",.
- 4- Broman Morales, V. "**Figurines and Other Clay Objects from Sarab and Çayönu**", Oriental Institute Communications, 25, University of Chicago, 1990,.
- 5- Daems, A., "**On Prehistoric Human Figurines in Iran: Current Knowledge and Some Reflections**", *IA* 39, 2004.
- 6- Hamed Vahdati Nasab, Mandan Kazzazi, "**Metric Analysis Of A Female Figurine From Tepe Sarab**", Tarbiat Modares University, Tehran, 2011,
- 7- Harding, J.R., "**Certain Upper Paleolithic 'Venus' Statuettes Considered in Relation to the Pathological Condition Known as Massive Hypertrophy of the Breasts**", *Man*, New Series, Vol. 11, No. 2: 1976.
- 8- Kuijt, I. and Chesson, M., "**Lumps of Clay Pieces of Stone**", in S. Pollack and R. Burnbeck (eds.), *Archaeology of the Middle East: Critical Perspectives*, Blackwell Publication, Malden MA, 2005>
- 9- Leroi-Gourhan, A., "**The Art of Prehistoric Man in Western Europe**", Thames & Hudson, London, 1968,.
- 10- Lesure, R.G., "**Interpreting Ancient Figurines: Context, Comparison and Prehistoric Art**", Cambridge University Press, Cambridge, 2011.
- 11- Levine, D., "**Archaeological Investigations in the Mahidasht**", *Paleorient* 2(2).
- 12- McDermott, L.D. "**Self-Representation in Upper Paleolithic Female Figurines**", *Current Anthropology*, Vol. 37, N. 2:, 1996,.
- 13- McDonald, M.A. "**The Neolithic and Chalcolithic Periods in the Mahidasht**", *Iran* 15:, 1977,.
- 14- McDonald, M.A. "**An Examination of Mid-Holocene Settlements Patterns in the Central Zagros Region of Western Iran**", unpublished PhD dissertation, University of Toronto, 1979,.
- 15- Mellaart, J. "**Excavation at Çatal Hüyük, First Preliminary Report, 1961**", *Anatolian Studies* 12:, 1962.
- 16- Mohammad Sadeq Nazmi Afshar, "**Anâhitâ, the mother of Gods Iran, the Cradle of the Early Gods**", 2001, Vol. 3, No. 10.
- 17- "**Mother Goddess— When Women were Worshiped**", Sept 8, 2020.
- 18- Roger Matthews And Hassan Fazeli Nashli, "**The neolithisation of iran The formation of newsocieties**", Oxford and Oakville

- 
- British Association for Near Eastern Archaeology (BANE), 2013,.
- 19- Thomas Birch, Thilo Rehren & Ernst Pernicka, "**The Metallic Finds from Çatalhöyük: A Review and Preliminary New Work**", Volume 9: Substantive Technologies at Çatalhöyük: Reports from the 2000–2008 Seasons.
- 20- Voigt and Meadow, R., "**Haji Firuz Tepe, Iran: the Neolithic Settlement**", University Museum, University of Pennsylvania, Philadelphia, 1983,.
- 21- Voigt, M.M. "**Çatal Hoyük in Context: Ritual and Early Neolithic Sites in Central and Eastern Turkey**", in Ian Kuijt (ed.), Life in Neolithic Farming Communities Social Organization, Identity, and Differentiation, Kluwer Academic Publications, New York, 2001,.
- 22- Whittle, A., "**Europe in Neolithic: the Creation of New World**", Cambridge University Press, Cambridge and New York, 1996,.

الشاهد ودوره عند القضاة في تاريخ  
الحضارة الإسلامية

أ. م مالك مهدي حاييف

جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ

**Asst. Prof. Malik Mahdi Hayef**

**University of Diyala/ College of Education for  
Human Sciences**

**Spatial Studies UnitL**

[aysermalek@gmail.com](mailto:aysermalek@gmail.com)

البريد الإلكتروني

٠٧٧٠٨١٦٠١٧٢

رقم الهاتف



الشاهد ودوره عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية

أ. م مالك مهدي حاييف

الكلمة المفتاح: (الشاهد, القضاء, الإسلام)

ملخص البحث

تم تناول في هذا البحث الموسوم (الشاهد ودوره في القضاء في تاريخ الحضارة الإسلامية) معنى كلمة الشاهد لغةً واصطلاحياً، وإبراز دور الشاهد كعنصر حيوي في تاريخ القضاء، وهو جزء من معالم الحضارة الإسلامية، وتم تسليط الضوء على دوره في أثبات الحقائق عند صدور الحكم من قِبل القاضي، بعد التأكد من نزاهة الشاهد والتقصي عن مصداقيته في الشهادة، وتم الخوض فيه بمبحثين، تناول الأول: الملامح العامة عن الشاهد في المعاجم اللغوية وكتب الحديث والمصادر التاريخية، وبيان معنى الشاهد لغةً واصطلاحاً، وتم التطرق في المبحث الثاني: عن دور الشاهد عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية وتطوره.

Witness and its role among judges in the history of Islamic civilization  
Diyala University /College of Education for Humanities

Asst. Prof. Malik Mahdi Hayef

Key word: (witness, judiciary, Islam)

aysermalekA@gmail.com

Abstract

In this research tagged (the witness and his role in the judiciary in the history of Islamic civilization), the meaning of the word witness was linguistically and idiomatically, and the role of the witness was highlighted as a vital element in the history of the judiciary, which is part of the features of Islamic civilization. The judge was told, after ascertaining the integrity of the witness and

investigating his credibility in the testimony, and it was delved into in two chapters. Judges in the history and development of Islamic civilization.

### المقدمة:

خير ما نفتتح مقدمة هذا البحث هو بالصلاة والسلام على سيد المرسلين وأشرف الخلق أجمعين محمد بن عبد الله (ﷺ) الرسول العربي الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم، لقد شكلت الدراسات التي تخص تاريخ الحضارة الإسلامية توجهها جديدا وخاصة دراسة الجوانب والمعالم الحضارية في عمل القضاة ودور الشاهد في المعاجم والمصادر التاريخية، وإبراز دوره عند القضاة، ولهذا الدراسة أهمية كبيرة كونها بينت دور الشاهد وظهوره كأساس في عمل القاضي وإظهار الحقائق المخفية والتي يجهلها القاضي وعدم علمه بها. كل هذه الأمور والجوانب والمتعلقة بكل حقبة زمنية معينة تم التطرق لها لكي تكون هذه الدراسة ملمة وشاملة بعمل القاضي، نتمنى من الله أن يوفقني في هذا العمل خدمة للأمة الإسلامية، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

### المبحث الأول: الملامح العامة عن الشاهد في المعاجم اللغوية وكتب الحديث والمصادر

#### التاريخية :-

#### ١- معنى الشاهد لغة:-

الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، وجمعها أشهاد وشهود، والمعنى الذي نقصده كأن نقول شهد فلان على فلان بحق، على شخص معين أو على حدث معين، والشاهد تعني انه كان حاضر، واستشهد فلان عند القاضي أي أصبح شاهدا لمشاهدته وهي المعاينة، وشهده شهودا أي احضره، وقوم شهود أي حضور، وشهد الشاهد عند الحاكم أي بين ما يعلمه وأظهره، وقد وردت كلمة الشاهد في القرآن الكريم التي لها معاني كثيرة كما في قوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ )<sup>(١)</sup>، أي قد تكون الشهادة بينكم شهادة اثنين إذا كانت وصية للميت ليشهد منهم اثنان من ذوا عدل أو آخران من غير المسلمين من اليهود أو النصارى وهذا للسفر والضرورة، ولا تجوز شهادة الكافر على مسلم إلا في الوصية، وكذلك شهادة الأنثى لأنها وجبت على الذكر، وأشهدتهم عليه، أي استشهد، بمعنى سأله الشهادة، كما ورد في قوله تعالى: ( وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا

تَسَامُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ<sup>(٢)</sup>، لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن تَرَضُونَ من الشهداء، والشهادة خبر قاطع في قول الحق، ونقول شهد الرجل بكذا أي حلف أي ردد القسم، وكذلك ورد التشهد عند الصلاة في قراءة التحيات لله، وتم اشتقاقه من (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) وهو تفعل من الشهادة، وفي الحديث عن ابن عباس، قال: كان رسول الله (ﷺ) يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن، فكان يقول: " التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"<sup>(٣)</sup>، وحقيقته علم الله، لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، فالله قد دل على توحيده بجميع ما خلق، فبين أنه لا يقدر أحد أن ينشئ شيئاً واحداً مما أنشأ، وشهدت الملائكة لما عاينت من عظيم قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره، وشهد له بفعل معين إي شهد وأدى ما عنده من الشهادة<sup>(٤)</sup>، وأشهدته على حدث فشهد عليه أي صار شاهداً عليه، وأشهدت الرجل على إقرار الغريم، واستشهدت فلانا على فلان إذا سألته إقامة شهادة احتملها، وفي الحديث: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي محمد (ﷺ) قال: « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب حتى يشهد الرجل ولا يستشهد، ويحلف الرجل ولا يستحلف» ومعنى حديث النبي (ﷺ): خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها، هو عند بعض أهل العلم " إذا أشهد الرجل على الشيء أن يؤدي شهادته ولا يمتنع من الشهادة"<sup>(٥)</sup>، قال ابن الأثير: هو الذي لا يعلم صاحب الحق أن له معه شهادة، وقيل: هي الأمانة والوديعة وما لا يعلمه غيره، وقيل: هو مثلٌ في سرعة إجابة الشاهد إذا استشهد أن لا يؤخرها ويمنعها، وأصل الشهادة هي الإخبار بما شاهده، ومنه يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون، هذا عام في الذي يؤدي الشهادة قبل أن يطلبها صاحب الحق منه، ولا تقبل شهادته ولا يعمل بها، وقيل ما معناه: هم الذين يشهدون بالباطل الذي لم يحملوا الشهادة عليه ولا كانت عندهم، وفي الحديث عن زيد بن أسلم، أن عبد الملك بن مروان، بعث إلى أم الدرداء بإنجاد من عنده، فلما أن كان ذات ليلة، قام عبد الملك من الليل، فدعا خادمه، فكأنه أبطأ عليه، فلعنه، فلما أصبح قالت له أم الدرداء: سمعتك الليلة، لعنت خادمك حين دعوته، فقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله (ﷺ) « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء، يوم القيامة»<sup>(٦)</sup>، أي لا تسمع شهادتهم، وقيل لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم الخالية، وفي حديث اللقطة عن أبي العلاء بن الشخير، عن أخيه مطرف، عن عياض بن حمار، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: « من التقط لقطه،

فليشهد ذا عدل أو ذوي عدل، ثم لا يكتف، ولا يغيب، فإن جاء ربها، فهو أحق بها، وإلا فإنما هو مال الله يؤتية من يشاء»<sup>(٧)</sup>، أما الأمر بالشهادة أمر تأديب وإرشاد لما يخاف من تسويل النفس وانبعاث الرغبة فيها، فيدعوه إلى الخيانة بعد الأمانة، وربما نزل به حادث الموت فادعاها وورثته وجعلوها في جملة تركته، وفي الحديث: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن جرير، عن منصور، عن أبي وائل، قال: قال عبد الله ﷺ من حلف على يمين يستحق بها مالا وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان، فأنزل الله تصديق ذلك قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا)<sup>(٨)</sup>، ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا، فقال: صدق، لفي والله أنزلت، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «شاهدك أو يمينه»، قلت: إنه إذا يحلف ولا يبالي، فقال رسول الله ﷺ «من حلف على يمين يستحق بها مالا، وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان» فأنزلها الله تصديق ذلك<sup>(٩)</sup>، وشهدت على شهادة سوء عندما يريد شهداء سوء، وكلا تكون الشهادة كلاما يؤدي وقوما يشهدون، وهذا تأكيد على أن الشاهد والشهيد هو الحاضر، فأشدد ثعلب يقول:

كأني، وإن كانت شهودا عشيرتي، ... إذا غبت عني يا عثيم، غريب

وقد ترد بمعنى قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ)<sup>(١٠)</sup>، أي محضور يحضره أهل السماء والأرض، وعلى مثله قوله تعالى: (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)<sup>(١١)</sup>، يعني صلاة الفجر يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار، وقوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)<sup>(١٢)</sup>، أي أحضر سمعه وقلبه ليكون شاهد لذلك غير غائب عنه، وفي حديث الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "وشهيدك على أمتك يوم القيامة" أي شاهدك، وفي الحديث: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الأيام يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»<sup>(١٣)</sup>، قال وهو شاهد، أي يشهد لمن حضر صلاته، كما في قوله: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)<sup>(١٤)</sup>، والشهادة معناها اليمين هاهنا، وقوله عز وجل: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)<sup>(١٥)</sup>، أي على أمتك بالإبلاغ والرسالة، وقيل مبينا، وقوله تعالى: (وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا)<sup>(١٦)</sup> أي وأحضرنا من كل جماعة شاهدا وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة، وقوله، عز وجل: (تَبْعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ)<sup>(١٧)</sup>، أي أنتم تشهدون وتعلمون أن نبوة محمد ﷺ حق لأن الله، عز

وجل، قد بينه في كتابكم<sup>(١٨)</sup>، وقوله عز وجل: ( إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ )<sup>(١٩)</sup>، يعني الملائكة، والأشهاد: جمع شاهد وقيل: إن الأشهاد هم الأنبياء والمؤمنون يشهدون على المكذبين بالرسول محمد (ﷺ)، وقال مجاهد في قوله تعالى: ( أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ )<sup>(٢٠)</sup>، أي حافظ ملك، وروى الطبراني في حديث أبو أيوب الأنصاري قال النبي محمد (ﷺ): « إن هذه الصلاة يعني العصر فرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ منكم اليوم عليها أعطي أجرها مرتين ولا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد»<sup>(٢١)</sup> فقلنا لأبي أيوب: ما الشاهد، قال: النجم كأنه يشهد في الليل أي يحضر ويظهر، وصلاة الشاهد: صلاة المغرب، وهو اسمها، وهو راجع إلى ما فسره أبو أيوب أنه النجم، وقال غيره تسمى هذه الصلاة صلاة البصر لأنه تبصر في وقته نجوم السماء فالبصر يدرك رؤية النجم، ولذلك قيل لها صلاة البصر، وقيل في صلاة الشاهد إنها صلاة الفجر لأن المسافر يصلها كالشاهد لا يقصر منها، قال الشاعر:

فصبحت قبل أذان الأول ... تيماء، والصبح كسيف الصيقل،

قبل صلاة الشاهد المستعجل

وروي عن أبي سعيد الضريير أنه قال صلاة المغرب تسمى شاهداً، لاستواء المقيم والمسافر فيها وأنها لا تقصر، ويستوي فيها الحاضر والمسافر ولم تسم شاهداً، وقوله عز وجل: ( شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ )<sup>(٢٢)</sup>، ومعناه من شهد منكم المصر في الشهر لا يكون إلا ذلك لأن الشهر يشهده كل حي فيه، بمعنى فمن شهد منكم الشهر أي كان حاضراً غير غائب في سفر، وشاهد الأمر، والمصر كشهده، وامرأة مشهد، أي حاضرة البعل، وامرأة مغيبة، أي غاب عنها زوجها، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت لامرأة عثمان بن مظعون وقد تركت الخضاب والطيب: أمشهد أم مغيب، قالت: مشهد كمغيب، قلت لها: ما لك، قالت: عثمان لا يريد الدنيا، ولا يريد النساء، قالت عائشة رضي الله عنها: فدخل علي رسول الله (ﷺ) فأخبرته بذلك، فلقي عثمان، فقال له: « يا عثمان، أتؤمن بما تؤمن به » قال، نعم، يا رسول الله، قال: « فأسوة ما لك بنا »<sup>(٢٣)</sup> فيقال امرأة مشهد إذا كان زوجها حاضراً عندها، ومغيب إذا كان زوجها غائبا عنها، أرادت أن زوجها حاضر لكنه لا يقربها فهو كالغائب عنها، والشهادة: المجمع من الناس، والمشهد: محضر الناس، ومشاهد مكة: المواطن التي يجتمعون بها، ومن هنا قوله تعالى: ( وَشَاهِدِ وَمَشْهُودٍ )<sup>(٢٤)</sup>، قال: الشاهد النبي محمد (ﷺ) والمشهود يوم القيامة، وقال الفراء: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم

عرفة لأن الناس يشهدونه ويحضرونه ويجتمعون فيه<sup>(٢٥)</sup>، وفي حديث الصلاة: عن عمرو بن عبسة السلمي، أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الليل أسمع، قال: «جوف الليل الآخر، فصل ما شئت، فإن الصلاة مشهودة مكتوبة...»<sup>(٢٦)</sup>، أي تشهدا الملائكة وتكتب أجرها للمصلي، وفي حديث صلاة الفجر: عن شداد بن عبد الله وكان قد أدرك نفرا من أصحاب النبي (ﷺ)، عن أبي أمامة، عن عمرو بن عبسة السلمي، قال: قلت: يا رسول الله، علمني مما علمك الله عز وجل، قال: «إذا صليت الصبح، فأقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت، فلا تصل حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، فإذا ارتفعت قيد رمح أو رمحين، فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة...»<sup>(٢٧)</sup> أي يحضرها ملائكة الليل والنهار، هذه صاعدة وهذه نازلة، والشاهد: اللسان على حد قولهم، لفلان شاهد حسن أي عبارة جميلة، والشاهد: الملك، قال الأعشى:

فلا تحسبني كافرا لك نعمة ... على شاهدي، يا شاهد الله فاشهد

ويقال في قولهم ما لفلان رواء ولا شاهد، أي بما معناه ما له منظر ولا لسان، ويقول ابن الأعرابي: أنشدني أعرابي في صفة فرس له غائب لم يبتذله، قال: الشاهد من جريه ما يشهد له على سبقة وجودته<sup>(٢٨)</sup>، وقوله تعالى: ( وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا )<sup>(٢٩)</sup>، وقيل في تفسير قوله تعالى أن يوسف لما قذفته امرأة العزيز بما قذفته من إرادته الفاحشة منها، مكذبا لها فيما قذفته به ودفعاً لما نسب إليه، وقد اختلفوا أهل العلم في صفة الشاهد بعضهم قال كان صبياً في المهدي، وقال البعض الآخر ما كان بصبي، ولكن كان رجلاً حكيماً من خاصة الملك<sup>(٣٠)</sup>، والشاهد هو الأمين في شهادته، والذي لا يغيب عن علمه شيء، والشاهد ملزم بالحلف أو ترديد القسم، والمشاهدة تعني المعاينة، والشاهد من أسماء النبي محمد (ﷺ)<sup>(٣١)</sup>، والشهيد، من أسماء الله تعالى والأمين في شهادة، والذي لا يغيب عن علمه شيء، والشهيد الحاضر، وإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة، والشهيد، في الشرع القتل في سبيل الله، واختلف في سبب تسميته فقل لأن ملائكة الرحمة تشهد، أي تحضر غسله أو نقل روحه إلى الجنة<sup>(٣٢)</sup>، وقال المصنف في بصائر ذوي التمييز في الشاهد هناك ضربين: أحدهما جار مجرى العلم، وبلطفه تقام الشهادة، فيقال: أشهد بكذا، ولا يرضى من الشاهد أن يقول أعلم، بل يحتاج أن يقول أشهد، والثاني يجري مجرى القسم، فيقول: أشهد بالله إن زيدا منطلق، ومنهم من يقول: إن قال أشهد، ولم يقل بالله، يكون قسماً ويجري مجراه في القسم فيجاب بجواب القسم، وللشاهد

منزلة عالية من منازل السالكين وأهل الاستقامة، وهي مشاهدة معاينة تلبس نعوت القدس، وتخرس ألسنة الإشارات<sup>(٣٣)</sup>.

### ٢- معنى الشاهد اصطلاحاً:-

الشاهد هو إخبار عن ما سمعته أذنه أو رأته عيناه عند استدعائه للشهادة عند القاضي، لشهادته لغيره وأسماعه إياه<sup>(٣٤)</sup>، والشاهد هو لغة الحاضر، وعند أهل الأصول هو المعلوم المستدل به قبل العلم بالمستدل عليه، وضده الغائب وهو ما يتوصل إلى معرفته بتأمل في حال ما علم قبله، والشاهد، المخبر بما رآه، والشهادة، قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة، أما شاهد الزور فهو الشاهد بما لا يعلم عمداً<sup>(٣٥)</sup>، وجاء في الشهادة أنها لغة الإعلام والحضور، وهي تطبيق لما جاء في الحديث عن شعبة، عن قيس بن مسلم ذكر انه سمع طارق بن شهاب قال: أن أهل البصرة غزوا نهاوند سنة ٢٠هـ وأمدهم أهل الكوفة فظفروا فأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة، وكان عمار بن ياسر على أهل الكوفة، فقال رجل من بني تميم أو عطار، أيها الأجدع، تريد أن تشاركنا في غنائمنا، وكانت أذنه جذعت مع رسول الله ﷺ، فقال: خير أذني سببت، فكتب في ذلك إلى عمر بن الخطاب ﷺ فكتب لهم: «إن الغنيمة لمن شهد الواقعة»<sup>(٣٦)</sup> قالوا: اعتمد عمر بن الخطاب ﷺ على ما حدث من توزيع الغنائم يوم خيبر، ففي رواية عمار بن أبو عمار، عن أبو هريرة ﷺ قال: «ما شهدت لرسول الله ﷺ مغنماً إلا قسم لي إلا خيبر فإنها كانت لأهل الحديبية خاصة»<sup>(٣٧)</sup>، والمقصود هنا من كان حاضراً، والشهادة هي الخبر القاطع، فعند الحنفية، وقعت في الاختيار، ومعناه الإخبار عن أمر حضره الشهود وشاهدوه إما معاينة، كالأفعال، مثل: القتل، والزنا، أو سماعاً، كالعقود، والإقرارات، أما في التعريفات ومعناه إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر، أما عند المالكية، فتعني إخبار عدل حاكماً بما علم ولو بأمر عام ليحكم بمقتضاه، أما عند الشافعية، فتعني إخبار عن شيء بلفظ خاص، وفي رأي المنيوي هي إخبار عن عيان بلفظ أشهد في مجلس القاضي بحق لغيره على غيره، وعند الحنابلة في الروض وتعني هي الإخبار بما علمه بلفظ أشهد أو شهدت<sup>(٣٨)</sup>، وان الفرق بين الشاهد والحاضر هو أن الشاهد للشئ يقتضي أنه عالم به ولهذا قيل الشهادة على الحقوق لأنها لا تصح إلا مع العلم بها وذلك أن أصل الشهادة الرؤية<sup>(٣٩)</sup>، والشهادة أنواع منها:

١- شهادة البت: هي جزم الشاهد بشهادته، بأن شهد بما علم مما تدركه حواسه وهي شهادة القطع والوصل، والبت في الطلاق تعني قطعه عن الرجعة، وأبت طلاقها، ويذكرها المالكية

- في مقابل شهادة السماع فيقولون إن بيئة السماع جازت للضرورة لأنها على خلاف الأصل، ويقولون تقدم بيئة البت على بيئة السماع.
- ٢- شهادة السماع: وهي ما يصرح الشاهد فيه باستناد شهادته لسماع من غير معين، وفي قول الشيخ بن عرفة: هي لقب لما يصرح الشاهد فيه باستناد شهادته لسماع من غير معين.
- ٣- الشهادة العدلية: وهي شهادة يؤديها أمام القاضي عدول رسميون تتضمن التنبيه على إجراء العمل بأشياء دفعا للفجور واحتياطا للحقوق.
- ٤- الشهادة على خط المقر: هي قول الشاهد: أشهد أن هذا خط فلان سواء كانت الوثيقة كلها بخطه أو الذي بخطه ما يفيد الإقرار المنسوب إلى ما فيه صحيح<sup>(٤٠)</sup>.
- ٥- الشهادة على الشهادة: وهي قيام شاهدين بنقل شهادة مقبول الشهادة عند عجزه عن أدائها بنفسه أمام القاضي.
- ٦- شهادة النقل: وهي نقل الشهادة عن الشاهد الأصلي، وقد عرفها الشيخ ابن عرفة: بأنها إخبار الشاهد عن سماعه شهادة غيره أو سماعه إياه لقاض.
- ٧- شهادة الشهيد: وفيها صيغة مبالغة في الشاهد، فيقال للمشاهد للشيء، والشهيد: اسم من أسماء الله الحسنى، والشهيد، من قتل في سبيل الله، وقال الفيومي، من قتله الكفار في المعركة، وليس بجيد، إذ لو قتله المسلمون خطأ في المعركة، فهو شهيد، كاليمان أبي حذيفة، حيث قتله المسلمون خطأ في غزوة أحد سنة ٣هـ<sup>(٤١)</sup>.

### المبحث الثاني: دور الشاهد عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية وتطوره :-

#### أولاً: الشاهد وصفاته:-

ذكر القرآن الكريم فضل الشهادة ورفعها ونسبها الله تعالى إلى نفسه، وشرف بها ملائكته ورسله وأفاضل خلقه فقال تعالى: ( لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا )<sup>(٤٢)</sup>، وقال تعالى: ( فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا )<sup>(٤٣)</sup> فجعل كل نبي شهيدا على أمته لكونه أفضل خلقه في عصره، ويكفي بالشهادة شرفا، أن الله تعالى خفض الفاسق عن قبول شهادته، ورفع العدل بقبولها، فقال تعالى: ( إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا )<sup>(٤٤)</sup>، وقال تعالى: ( وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ )<sup>(٤٥)</sup>، وخبر الله سبحانه وتعالى أن العدل هو المرضي بقوله تعالى: ( مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ )<sup>(٤٦)</sup>، وعرفنا سبحانه أن بهم قوام العالم في الدنيا، فقال تعالى: ( وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ )<sup>(٤٧)</sup>، فقال بعض أهل العلم أن الإشارة إلى ما يدفع الله عن الناس بالشهود في حفظ الأموال والنفوس والدماء

والأعراض، فهم حجة الإمام وبقولهم تنفيذ الأحكام، وفي حديث الرسول محمد (ﷺ): « خير الشهود من أدى شهادته قبل أن يسأل عنها»<sup>(٤٨)</sup>، واشتق الله تعالى لهم اسما من أسمائه الحسنی، وهو الشهيد تفضلا وكرم<sup>(٤٩)</sup>، ويذكر ابن رشد<sup>(٥٠)</sup> أن للشاهد في شهادته حالان، الأول: حال تحمل الشهادة، والثاني: حال أدائها، فأما حال تحملها فليس من شرط الشاهد فيها، إلا كونه على صفة واحدة وهي الضبط والتمييز صغيرا كان أو كبيرا، حرا كان أو عبدا مسلما كان أو كافرا عدلا كان أو فاسقا، وأما حال أدائها، فمن شرط جواز شهادته أن يجتمع فيه خمسة أوصاف، متى عري عن واحد منها لم تجز شهادته، وهي: (البلوغ والعقل والحرية والإسلام والعدالة، والمروءة، واختلف في الرشد، وزاد أن يكون من أهل التيقظ والسلامة من التغفل)، وعن عمر الشاهد كانت هناك عدة آراء، فيقول ابن وهب: تجوز شهادة الشاهد إذا بلغ من العمر خمس عشرة سنة أن كان عادلا حتى وان لم يحتلم، وفي رواية أبو زيد عن ابن القاسم قال: لا تقبل شهادة ابن خمس عشرة سنة إلا أن يحتلم، أو يبلغ ثماني عشرة سنة من مفيد الحكام، وفي كتاب آداب الشهادة لأبي الفضل العباس بن إسماعيل ابن معمر بن حبيب الجوهري قال: وإذا أسلم الذمي فشهد شهادة وقد كان عدلا في أهل الذمة قبل أن يسلم، قبلت شهادته ولم يحتج إلى تجديد تعديل بخلاف الصبي إذا بلغ فلا تقبل شهادته حتى يعدل بعد بلوغه، ويذكر المازري عن أبو حنيفة محتجا لمذهبه في كونه يكتفي بظاهر الإسلام في العدالة إذا أسلم الكافر، وشهد بפור إسلامه قبلت شهادته تعويلا على مجرد الإسلام<sup>(٥١)</sup>، مع العلم انه لم يعص ولم يفسق بل جب إسلامه عنه الآثام، فصار عند الإسلام كمن قطع بطهارته ولم ير ابن القصار قبول شهادته، بل ذهب إلى التوقف عن قبولها، حتى يعلم ما يبدو منه، بعد إسلامه لجواز أن يكون مصرا بقلبه على معصية، أو اعتقاد فاسد، فلهذا قيد في كتاب آداب الشهادة بكونه كان عدلا قبل إسلامه، فأما البلوغ، فلأن التكليف شرط في الأمر والنهي، فلذلك اشترط البلوغ واستثنى من ذلك شهادة الصبيان على شروط يأتي ذكرها، وكذلك العقل شرط في التكليف، واشترطت الحرية لظواهر آيات من القرآن العظيم، وأما اشتراط الإسلام فلقوله تعالى: (مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)<sup>(٥٢)</sup>، والكافر غير مرضي، وأما توفر شرط العدالة فيذكر ابن راشد: اختلف في حد العدالة والرضا، والذي تجوز به شهادة الشاهد اختلافا كثيرا، وأحسن ما قيل في ذلك أن الشاهد الذي يجتنب الكبائر ويتوقى الصغائر، على أن لا صغيرة على الإطلاق، لأن كل ما عصي الله تعالى به فهو كبيرة، وإنما يقال لها صغائر بإضافتها إلى الكبائر، قال ابن راشد: والعدالة هيئة راسخة في النفس، تحث على ملازمة التقوى باجتناب الكبائر وتوقى الصغائر، والتحاشي عن الرذائل

المباحة، وأما توفر شرط المروءة، فيذكر ابن راشد: لا تقبل شهادة من لم يحافظ على مروءته، والمراد بالمروءة ليس نظافة الثوب ولا فراهة المركوب وجودة الآلة وحسن الشارة، وإنما المراد بها هنا هو الصون والصيت الحسن، وحفظ اللسان، وتجنب مخالطة الأراذل<sup>(٥٣)</sup>، وأما توفر شرط الرشد فاختلف أهل العلم هل من شرط الشاهد أن يكون رشيدا مالكا لأمر نفسه، وشهادة المولى جائزة إن كان عادلا، وقال آخر لا تجوز شهادة البكر في المال حتى تعنس وإن كانت من أهل العدل، وأما توفر شرط اليقظة فيذكر ابن رشد انه من شرط جواز الشهادة أن يكون الشاهد من أهل اليقظة والتحرز، لأنه إن كان من أهل الغفلة لم يؤمن عليه التخيل والتحيل فيشهد بالباطل<sup>(٥٤)</sup>، والعدالة مطلوبة في صفة الشاهد كونها عدالة راجعة إلى استقامة دينه، وسلامة مذهبه، وسلامته من الفسق وما يجرى مجراه، مما اتفق على أنه مبطل للعدالة من أفعال الجوارح والقلوب المنهي عنها<sup>(٥٥)</sup>، فروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي محمد ﷺ فقال: إني رأيت الهلال، يعني هلال رمضان – فقال له ﷺ: «أتشهد أن لا إله إلا الله» قال: نعم، قال: «أتشهد أن محمدا رسول الله» قال: نعم، قال: «يا بلال، أذن في الناس فليصوموا غدا» قالوا: فقبل النبي محمد ﷺ خبره أي شهادته بأنه رأى الهلال من غير أن يختبر عدالته بشيء سوى ظاهر إسلامه، فيقال لهم كونه أعرابيا لا يمنع من كونه عادلا، ولا من تقدم معرفة النبي محمد ﷺ بعدالته، أو إخبار قوم له بذلك من حاله، ولعله أن يكون نزل الوحي في ذلك الوقت بتصديقه<sup>(٥٦)</sup>، ولا نعلم أحد من الصحابة قبلوا خبر عنهم إلا بعد اختبار حاله والعلم بسداده واستقامة مذهبهم وصلاح طرائقه حتى في رواية الحديث، وهذه صفة شملت حتى جميع أزواج النبي محمد ﷺ وغيرهن من النسوة اللاتي روين عنه وكل متحمل للحديث عنه، صبيا ثم رواه كبيرا، وكل عبد قبل خبره في أحكام الدين، ومما يدل على صحة ما ذكرناه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رد خبر فاطمة بنت قيس بن عمر بن الخطاب في إسقاط نفقتها وسكناها، لما طلقها زوجها ثلاثا، مع ظهور إسلامها واستقامة طريقتها<sup>(٥٧)</sup>، وأيضا هكذا اشتهر الحديث عن الأمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ما: حدثني أحد عن رسول ﷺ إلا استحلفته، ومعلوم أنه كان يحدثه المسلمون ويستحلفهم، مع ظهور إسلامهم، وأنه لم يكن يستحلف فاسقا ويقبل خبره، بل لعله ما كان يقبل خبر كثير ممن يستحلفهم، مع ظهور إسلامهم وبذلهم له اليمين، وكذلك غيره من الصحابة روي عنهم أنهم ردوا أخبارا رويت لهم ورواتها ظاهرهم الإسلام، فلم يطعن عليهم في ذلك الفعل، ولا خولفوا فيه، فدل على أنه مذهب لجميعهم، ويدل ذلك على إجماع الأمة أنه لا يكفي في عدالة الشهود على ما يقتضي الحدود إظهار الإسلام،

دون تأمل أحوال الشهود واختبارها، وهذا يوجب اختبار حال المخبر عن رسول الله (ﷺ) وحال الشهود بجميع الحقوق، بل قد قال كثير من الناس: إنه يجب الاستظهار في البحث عن عدالة المخبر بأكثر مما يجب في عدالة الشاهد، فثبت بما ذكرناه أن العدالة شيء زائد على ظهور الإسلام<sup>(٥٨)</sup>، قيل شهد رجل عند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بشهادة، فقال له: "لست أعرفك، ولا يضرك ألا أعرفك، أنت بمن يعرفك، فقال له رجل من القوم: أنا أعرفه، قال: فبأي شيء تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل، قال: فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه، قال: لا، قال: فمعاملك بالدينار والدرهم اللذين بهما يستدل على الورع، قال: لا، قال: فرفيقك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق، قال: لا، قال: لست تعرفه، ثم قال للرجل: أنت بمن يعرفك"<sup>(٥٩)</sup>، مؤكداً ما روي عن الرسول محمد (ﷺ) بقوله: «نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه إلى من هو أحفظ منه، ويبلغه من هو أحفظ منه إلى من هو أفقه منه، فرب حامل فقه ليس بفقيه» وقد قبل علماء السلف ما رواه النساء والعبيد ومن ليس بفقيه، وإن لم يرو أحدهم غير حديث أو حديثين، فإن قيل: كيف يقبل خبر العبد وليس هو من أهل الشهادة قلنا: لإجماع الناس على ذلك، مع أن جماعة من السلف أجازوا شهادة العبد العدل، ولأن الشاهد يوافق المخبر في بعض صفاته، ويفارقه في بعضها<sup>(٦٠)</sup>، ومما يستوي المحدث والشاهد فيه من الصفات، وما يفترقان فيه فذكر القاضي أبي بكر محمد بن الطيب قال: لا خلاف في وجوب قبول خبر من اجتمع فيه جميع صفات الشاهد في الحقوق، من الإسلام، والبلوغ، والعقل، والضبط، والصدق، والأمانة، والعدالة إلى ما شاكل ذلك، ولا خلاف أيضاً في وجوب اتفاق المخبر والشاهد في العقل والتيقظ والذكر، فأما ما يفترقان فيه فوجوب كون الشاهد حراً، وغير والد ولا مولود ولا قريب قرابة تؤدي إلى ظنة، وغير صديق ملاطف، وكونه رجلاً إذا كان في بعض الشهادات، وأن يكون اثنين في بعض الشهادات، وأربعة في بعضها، وكل ذلك غير معتبر في المخبر، لأننا نقبل خبر العبد والمرأة والصديق وغيره قلت فأما الحديث الذي ذكره القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، عن صالح بن حسان، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس، عن النبي محمد (ﷺ) قال: «لا تكتبوا العلم إلا ممن تجوز شهادته» فإن صالح بن حسان تفرد بروايته، وهو ممن اجتمع نقاد الحديث على ترك الاحتجاج به، لسوء حفظه وقلة ضبطه، وكان يروي هذا الحديث عن محمد بن كعب، تارة متصلاً وأخرى مرسلاً، ويرفعه تارة ويوقفه أخرى<sup>(٦١)</sup>، في رواية محمد بن موسى في الشاهد يأبى أن يشهد أياً، قال: "إذا كان يضر بأهل القرية ومثله يحتاج إليه فلا يفعل"، وظاهر كلامه أنه جعل القضاء والشهادة من فروض

الكفريات، مع ما قد جاء عن النبي محمد (ﷺ) في ذم القضاء، فأولى أن تكون الإمامة الكبرى كذلك، إذ ليس طلبها ولا الدخول فيها مكروهاً<sup>(٦٢)</sup>.

### ثانياً: بيان حقيقة القضاء ومعناه وحكمه وحكمته:-

القضاء هو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام، فيقال: قضى القاضي أي أزم الحق أهله، والدليل على ذلك قوله تعالى: (فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ المَوْتُ)<sup>(٦٣)</sup>، أي أزمناه وحتمنا به عليه، وقوله تعالى: (فَأَقْضِ مآ أَنْتَ قَاضٍ)<sup>(٦٤)</sup>، أي أزم بما شئت واصنع ما بدا لك، وقيل في ما معناه الدخول بين الخالق والخلق ليؤدي فيهم أوامره وأحكامه بواسطة الكتاب والسنة، وحقيقته هو الحكم بوجوب الإلزام<sup>(٦٥)</sup>، ومنه سمي الحاكم حاكماً لمنعه الظالم من ظلمه، ومعنى قولهم حكم الحاكم، أي وضع الحق في أهله، وبذلك سميت الحكمة التي في لجام الفرس، لأنها ترد الفرس عن المعاطب<sup>(٦٦)</sup>، والحكم في اللغة القضاء، وأما حكمه فهو فرض كفاية، ولا خلاف بين الأئمة أن القيام بالقضاء واجب، ولا يتعين على أحد إلا أن لا يوجد منه عوض، وقد اجتمعت فيه شرائط القضاء فيجبر عليه، وأما حكمته فهو رفع التهاجر، ورد النوائب، وقمع الظالم، ونصرة المظلوم، وقطع الخصومات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٦٧)</sup>.

### ثالثاً: فضل القضاء والترغيب في القيام فيه بالعدل:-

أكثر المؤلفين السابقين حذروا من الدخول في ولاية القضاء، والحكم الساعي فيه، فكانت فيها شيء من المبالغة والترهيب والتحذير، ورجبوا في الإعراض والنفور والهرب منه، حتى تقرر في أذهان كثير من الفقهاء والعلماء أن من ولي القضاء فقد سهل عليه دينه وألقى بيده إلى التهلكة، وساء فيه اعتقادهم، وهذا خطأ فاحش يجب الرجوع عنه، والواجب هو تعظيم هذا المنصب الشريف ومعرفة مكانته من الدين، فبه بعثت الرسل وقامت السموات والأرض، وجعله النبي محمد (ﷺ) من النعم التي يباح الحسد عليها، فقد جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال (ﷺ): «لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعمل بها»<sup>(٦٨)</sup>، وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي محمد (ﷺ) قال: «هل تدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة، قالوا الله ورسوله أعلم، قال الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سألوهم بذلوه وإذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم»<sup>(٦٩)</sup>، وفي حديث النبي محمد (ﷺ): «سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه»<sup>(٧٠)</sup>، بدأ بالإمام العادل، وكذلك قول النبي محمد (ﷺ): «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم وما ولوا»<sup>(٧١)</sup>، فجعل عبد الله بن

مسعود رضي الله عنه يقول: "لأن أقضي يوما بالحق أحب إلي من عبادة سبعين عاما"، فلذلك كان العدل بين الناس من أفضل أعمال البر وأعلى درجات الأجر، وهذا مستند على قوله تعالى: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) <sup>(٧٢)</sup> فأبي شرف أشرف من محبة الله تعالى، واعلموا أن كل ما جاء من الأحاديث التي فيها تخويف ووعيد فإنما هي في قضاء الجور للعلماء، أو ممن كان جاهلاً في أمور الدين فيدخلون أنفسهم في هذا المنصب بغير علم، ففي هذين الصنفين جاء الوعيد، وأما قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: «من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين» <sup>(٧٣)</sup> فقد أورده أكثر الناس في معرض التحذير من القضاء، وهذا الحديث دليل على شرف القضاء وعظيم منزلته، وأن المتولي له مجاهد لنفسه وهواه وهو دليل على فضيلة من قضى بالحق إذ جعله ذبيح الحق، وامتحاناً لتعظم له المثوبة امتناناً، فالقاضي لما استسلم لحكم الله وصبر على مخالفة الأقارب والأباعد في خصوماتها فلم تأخذه في الله تعالى لومة لائم حتى قادهم إلى مر الحق وكلمة العدل وكفهم عن دواعي الهوى والعناد، جعل ذبيح الحق لله، وبلغ به حال الشهداء الذين لهم الجنة، وقد ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام والصحابيان معاذ بن جبل ومقل بن يسار رضي الله عنهم القضاء، فنعم الذابح ونعم المذبوح فالتحذير الوارد من الشرع إنما هو عن الظلم لا عن القضاء، فإن الجور في الأحكام وإتباع الهوى فيه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر <sup>(٧٤)</sup>، وإن القضاة على ثلاثة أصناف كما أخبرنا عن قتادة، قال: سمعت ربيعاً أبا العالية، قال: قال الإمام علي عليه السلام: «القضاة ثلاثة: اثنان في النار، وواحد في الجنة، فذكر اللذين في النار، قال: «رجل جار متعمدا فهو في النار، ورجل أراد الحق فأخطأ فهو في النار، وآخر أراد الحق فأصاب فهو في الجنة» قال: فقلت لرفيع: رأيت هذا الذي أراد الحق فأخطأ، قال: «كان حقه إذا لم يعلم القضاء لا يكون قاضياً» <sup>(٧٥)</sup> فصحيح أن ذلك في الجائر العالم، والجاهل الذي لم يؤذن له في الدخول في القضاء، وأما من اجتهد في الحق على علم فأخطأ فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» <sup>(٧٦)</sup>، وبمثل ذلك نطق الكتاب العزيز في قوله تعالى: (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) <sup>(٧٧)</sup>، (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) <sup>(٧٨)</sup>، فأثنى على داود باجتهاده وأثنى على سليمان بإصابته وجه الحكم، وقد قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) <sup>(٧٩)</sup>، فيجب على من دخل في خطة القضاء بذل الجهد في القيام بالحق والعدل، فقد قال بعض أئمة المذهب: القضاء محنة، ومن دخل فيه فقد ابتلي بعظيم، لأنه عرض نفسه

للهلاك، إذ التخلص منه على من ابتلي به عسير، ولذلك قال أبو قلابة<sup>(٨٠)</sup> مثل القاضي العالم كالسابع في البحر فكم عسى أن يسبح حتى يغرق، ولذلك هرب أبو قلابة إلى مصر لما طلب للقضاء فلقية أيوب فأشار عليه بالترغيب فيه، بقوله له: لو ثبت لنلت أجرا عظيما، فقال له أبو قلابة: الغريق في البحر إلى متى يسبح، ولما ولي سحنون القضاء حتى تخوف على نفسه، ورأى أنه تعين عليه، فكلام أبو قلابة هذا ومن تقدمه وما أشبه ذلك من التهديد والتخويف، إنما هو في حق من علم من نفسه الضعف وعدم الاستقلال بما يجب عليه، وكذلك من رأى نفسه أهلا لذلك المنصب والناس لا يرونه أهلا لذلك، وقد قال مالك: لا خير فيمن يرى نفسه أهلا لشيء لا يراه الناس له أهلا<sup>(٨١)</sup>، وقال قتادة، أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: «لا ينبغي لقاض أن يقضي حتى يتبين له الحق كما يتبين الليل من النهار»، قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فقال: صدق أبو موسى<sup>(٨٢)</sup>.

### رابعاً: أحقية انعقاد جلسة القضاء، ومدى قبول الأشخاص المولين للقضاة:

تتعدّد جلسة القاضي بأحد الوجهين، الأول: يعقدها أمير المؤمنين أي الخليفة بنفسه، أو من ينوب عنه من قبل أحد أمرائه الذين جعل لهم أمكانية الحل والعقد في القضاء، أما الثاني: فتتعدّد من قبل ذوي الرأي وأهل العلم والمعرفة والعدالة لرجل كملت فيه شروط القضاء، وفي حالة تولية الإمام لرجل ما للقضاء فهذا يتوقف على صحة الولاية، ونفوذ أحكامه إلى ثبوتها، وهذا يقع بوجهين، الأول: الشهادة على الإمام بالتولية مشافهة بأنه ولاه القضاء، أما الثاني: فيتوقف على الاستفاضة وانتشار الخبر بأن الإمام قد ولاه، وقد تكون الولاية بكتاب يقرأ عن الإمام أمام شهود ينظرون ويسمعون، ويتوقف قبول ولاية القضاء من الأمير على شرطين أساسيين، الأول: إذا كان الأمير غير عادل فلا ينبغي للقاضي أن يلي القضاء حسب رأي أبو محمد عبد الله بن فروخ، على عكس ابن غانم الذي يرى بجواز تولية القضاء، وهم من قضاة إفريقية ومن رواة الإمام مالك الذي قال فيهم عندما كتب له بذلك: أصاب الفارسي، يعني ابن فروخ، وأخطأ الذي يزعم أنه عربي يعني ابن غانم، وفي حالة أن القاضي المولى كان غائباً وقت الولاية، فإنه يجوز أن يكون قبوله على التراخي عند بلوغ التقليد، والقبول هو شروعه في العمل وبهذا جرى عمل الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من التابعيين، والولاية تتم بثلاثة شروط، الأول: حسب رأي ابن الأمين معرفة المولى للمولى فإن جهل معرفته فلا يصح تقليده<sup>(٨٣)</sup>، أما الثاني: يتم ذكر ما تضمنه التقليد من رواية القضاء والإمارة والجباية ليعلم على أي نظر عقدت له، فإن كان جاهلاً بذلك فسدت ولايته، أما الثالث: يذكر البلد الذي عقدت عليه الولاية ليميز عن غيره،

من البلدان حسب المذاهب الأربعة، فعند الشيخ أبو بكر الطرطوشي يشترط عليه أن لا يحكم إلا بمذهب إمام معين مثل أن يكون مالكيًا أو شافعيًا أو حنفيًا أو حنبليًا فيقول له الإمام: قد ولينك القضاء على أن لا تحكم إلا بمذهب مالك مثلاً، وسواء وافق مذهب السلطان الذي ولاه أو لا<sup>(٨٤)</sup>.

**خامساً: فيما ينبغي للقاضي أن يتنبه له في أداء الشهود عنده وفي الإشهاد عليه في التسجيلات:**

ينبغي على القاضي أن يقوم بتدوين معلومات عن الشاهد إذا شهد الشاهد عنده فيكتب شهادته واسمه ونعته وقبيلته ومسكنه ومسجده الذي يصلي فيه والسنة والشهر الذي شهد فيه، ثم يرفع ذلك عنده، ويرفعه في ديوانه، فقد يحتاج المشهود له إلى شهادته، فربما زاد الشاهد فيها أو نقص، وفائدة تسميته ونعته أنه لا يتسمى له أحد بغير اسمه ممن هو في الناس عدل إذا سأل عنه وبعث بالسؤال إلى مسجده ومسكنه بالاسم والنعت والنسب، وأيضا منها أنه لا يحلف الشاهد إلا إن كان عادلاً فإنها تجوز شهادته بعدالته وإن كان غير عدل فيمينه لا تجيز شهادته، ولا ينبغي للقاضي أن يجيز بين الناس شهادات وجدها في ديوانه لا يعرفها إلا بطوابعها، ولكن إن كان خطها هو بنفسه أو خطها كاتبه وكان عنده عدلاً مأموناً ولم يستكر شيئاً فلينفذها<sup>(٨٥)</sup>، ويجب على القاضي أن يكتب شهادة القوم في الكتاب يريد من أمر الخصمين ثم يختم عليه ويدفعه إلى صاحبه ثم يؤتى به فيعرفه بخاتمه، وإن يسمع القاضي من بينة الخصم ويوقع شهادتهم حضر الخصم أو لم يحضر، فإذا حضر الخصم قرأ عليه الشهادة وفيها أسماء الشهود وأنسابهم ومسكنهم فإن كان عنده في شهادتهم مدفع أو في عدالتهم مجرح أطرده ذلك وإلا ألزمه القضاء، وإن سأله أن يعيد عليه البينة حتى يشهدوا بمحضره فليس له ذلك، ولا ينبغي للقاضي أن يجيبه إلى ذلك<sup>(٨٦)</sup>.

**سادساً: حكم القاضي بشهادة الشاهد مع اليمين أو القسم:**

كان رسول الله (ﷺ) يحكم في الحقوق بالظاهر وباليمين على المدعى عليه عند عدم البينة وفي المتداعيين يقيم على كل واحد منهما البينة ويتكافيان في كيفية حلفان المسلم والكافر، فروي عن عروة بن الزبير، أن زينب بنت أم سلمة، أخبرته أن أمها أم سلمة رضي الله عنها، زوج النبي (ﷺ) أخبرتها، عن رسول الله (ﷺ) أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: « إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق، فأفضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو

فليركها»<sup>(٨٧)</sup>، وذكر في مصنف أبي داود عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: بعثني النبي محمد (ﷺ) إلى اليمن فقلت: يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن لا علم لي بالقضاء، فقال: «إن الله عز وجل سيهدي قلبك، ويثبت لسانك. فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء»<sup>(٨٨)</sup>. قال: فما زلت قاضيا وما شككت في قضاء بعد<sup>(٨٩)</sup>، روى الأشعث بن قيس أن رجلا من حضرموت ورجلا من كندة اختصما إلى النبي محمد (ﷺ) في أرض باليمن فقال الحضرمي: أرضي اغتصبها أبو هذا، فقال الكندي: يا رسول الله، أرضي ورثتها من أبي. فقال النبي (ﷺ) للحضرمي: «هل لك بينة» فقال: لا ولكن يحلف بالله ما يعلم أنها أرضي غصبها لي أبوه، فتهياً الكندي لليمين فقال رسول الله (ﷺ): «لا يفتطع رجل مالا بيمين إلا لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان»<sup>(٩٠)</sup>، فتركها الكندي، وروي أن رجلين تخاصما إلى النبي (ﷺ) في أرض فأقاما بينتين فتكافيا فقسما نبي الله بينهما، ولم يثبت بعد إيمانهم، ويذكر أن رجلين اختصما إلى النبي (ﷺ) في أمر فجاء كل واحد منهما بشهود عدول على عدة واحدة، فأسهم رسول الله (ﷺ) بينهما وقال: «اللهم أنت تقضي بينهما»<sup>(٩١)</sup> وروي البخاري عن أبو هريرة، قال: عرض النبي (ﷺ) على قوم اليمين فأسرعوا فأمرهم أن يسهم بينهم أيهم يحلف<sup>(٩٢)</sup>، وفي الحديث الثابت عن النبي محمد (ﷺ) كان يقضي بشاهد ويمين، وعن ابن عباس قال: بعثني النبي (ﷺ) لرجل أحلفه: أحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما له عندك شيء، يعني للمدعي، وبهذا أخذ مالك بن أنس، وقال أبو حنيفة وأصحابه مثله<sup>(٩٣)</sup>، وقد يكون المعدل امرأة أو عبدا أو صبيا الأصل ولنا في رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة ففي سؤال النبي (ﷺ) بريرة<sup>(٩٤)</sup> في قصة الإفك عن حال عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وجوابها له، وقال فيها: دعا رسول الله (ﷺ) بريرة فقال: «هل علمت على عائشة شيئا يريبك، أو رأيت شيئا تكرهينه» قالت: أحمي سمعي وبصري، عائشة أطيب من طيب الذهب<sup>(٩٥)</sup>، والحادثة معروفة عندما أستعذر رسول الله (ﷺ) من عبد الله بن أبي بن سلول من فعل أبيه وقوله (ﷺ): «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»<sup>(٩٦)</sup>.

#### سابعاً: موانع قبول شهادة الشاهد:

وهي على قسمين: مانع مطلقاً، ومانع على جهة يعني أنه يمنع من قبول الشهادة مع بقاء العدالة، فالقسم الأول: يكثر تعداده ويتعذر حصره، فمنه كل فعل مضاد للعدالة أو المروءة، كفعل الفاحشة، وما شابهها من الكبائر، والصغائر إذا أصر عليها أصبحت من الكبائر، كأن يفتطع شيئا

من حجة المسلمين، عن معرفة وقصد، وإن كان لا يضيق ولا يضر بالمارين، وظاهر القول أنه لا يقدح إلا أن يضر ويفعله عن معرفة، ومنهم من يدعي أن علم القضاء له علاقة بالنجوم، وقول العلماء فيه: إن ادعائه واشتهر به وأكل المال به سقطت شهادته، لأن ذلك بدعة يجرح بها، فتسقط إمامته وشهادته، ولا يحل لمسلم أن يصدقه في شيء مما يقول، ولا يصح أن يجتمع في قلب مؤمن تصديقه مع قول الله تعالى: (قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (٩٧) وغير ذلك من الآيات والأحاديث (٩٨)، فعن ابن جريج، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عن النبي محمد (ﷺ) قال: «إذا ادعت المرأة طلاق زوجها، فجاءت على ذلك بشاهد واحد عدل استحلف زوجها، فإن حلف بطلت عنه شهادة الشاهد، وإن نكل فنكوله بمنزلة شاهد آخر وجاز طلاقه» (٩٩)، قال ابن أبي مريم: كنت أقول بقول ابن القاسم حتى وجدت الأثر عن رسول الله (ﷺ) فأخذت به (١٠٠).

### ثامناً: فيما ينبغي للشهود أن يتنبهوا له في تحمل الشهادة وأدائها:

ينبغي على القاضي أن يتنبه من الغفلة أو المسامحة في الشهادة دائماً، فقد يجري في أحوال بعض الشهود من قلة الضبط وغبط الحق، في تقييد الشهادة على معرفة المشهود عليه، فلا بد من معرفة العين للشاهد واسمه ونسبه، ومعرفة المشهود عليه بعينه، وفي خلافه يخل بوجه من إقامة العدل، فمن الجائز أن يتسمى الشاهد باسم غيره، وقد تطول المدة فينسى عين المشهود عليه، أو يحكم عليه بتلك الشهادة في غيبته، ويكون قد تسمى المشهود عليه باسم ذلك الغائب، فتقوم البينة على الغائب ويحكم، وهو لا يشعر فلا بد معرفة الاسم الذي يتميز به ذلك الشخص واسم أبيه (١٠١)، واسم جده، لأنه أضبط لما يتوقى من اشتراك الأسماء في المسمى، ويعرف الاسم دون العين كسماعهم برجل مشهور لم يقف على عينه فيقال عنه هذا فلان، فلم يتقرر العلم بصحته فلا يقدم على تقييد الشهادة في المعرفة بمجرد شهرة الاسم، فكل، وأضاف الأندلسيين بوجوب كتابة اسمه واسم قريته ومسكنه، ونعته وصفته ويشهد الشهود على الصفة حياً أو ميتاً أو غائباً، والمقصود هو التحقيق، فينبغي أن لا يتعجل بالشهادة بالمعرفة (١٠٢)، ولا ينبغي للشاهد التوهم، فيأتي الرجل قوماً بوثيقة كتبها على نفسه لرجل غائب، فيشهدهم فيها بالكتابة على نفسه على الغائب، وقد يشهده على من لا يعرف فيكتفي بتعريف غيره من الناس، وقد يكون المعروف عنده غير معروف، وهذا من أعظم الجرأة في الإقدام على المسلمين، فينبغي لمن صح دينه أن يصرف كل من لا يعرفه في الشهادة إلى غيره ممن يعرفه مهما أمكن ذلك، فإن اضطره إلى الشهادة عليه أمير أو والي، فليكن المعروف رجلين فصاعداً ممن يرضى دينهما

ويستجيز شهادتهما ويسمييهما، فيكون كالشهادة على الشهادة، ومثال ذلك إذا ادعى رجل على آخر بدعوى فلم ينكر الخصم دعواه ولا أقر بها، بل قال: وأنا لي أيضا عليك مال أو شيء سماه، فقال المدعي لمن سمع كلامه اشهدوا لي عليه بإقراره فلا يشهدوا عليه بشيء، وهذا ليس بصريح في التزام ما ادعى به عليه، وقد يكون مقصده مقابلة الفاسد بالفساد، وذلك من وجوه الجدل<sup>(١٠٣)</sup>، وعلى سبيل المثال ما أهملوه من سؤال المعتدة إذا أرادت النكاح ومباحثتها عن انقضاء العدة بما تفهم به أحكامها من التفصيل من شرط الحيضة، فينبغي الاجتهاد في ذلك، وقد تمت معاينة بعض الموثقين يستغني عن سؤال المرأة جملة، إذا هو وجد لتاريخ الطلاق شهرين فصاعداً، واتخذ اليوم هذا المقدار من المدة كثير من النساء والرجال أصلاً في إكمال عدة الطلاق، إضافة إلى ما يخفي الدلالون في المبيع من الدواب والرقيق والرباع ونحو ذلك مما يسترسلون في تصديقه، لخداع البائع والمشتري، لأجل إمضاء صفقة البيع، وقد يدسون في أثناء هذه العيوب الكاذبة له عيباً أو عيبين هي ثابتة في المبيع عظيمة الضرر يجهلها المشتري، وهذا مما غفل عنه الحكماء، وهذا من باب التدليس على المشتري بالعيب الثابت<sup>(١٠٤)</sup>، بالإضافة إلى إيقاع الشاهد بما علم غيره من باطن الأمر في الشهادة، فينبغي أن يتحقق المشتري من زيادة النخاسين وكذبهم، باعتناء القاضي ورد المسائل الشرعية إلى أصولها<sup>(١٠٥)</sup>.

### الخلاصة

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث الموسوم تم تسجيل عدة نتائج تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة، ونذكرها معتمدين على ما تم التوصل إليه:

١- قد تأتي كلمة الشاهد بمعاني كثيرة لكن الذي نقصده في هذا البحث هو العالم الحاضر الذي يبين ما علمه بحادثة معلومة لديه وقد رآها بعينه وسمع ما دار في هذه الواقعة والذي يتم استدعائه ليشهد في دعوة أمام القاضي بين المدعي والمدعي عليه، ليشهد عند الحاكم بما شاهده أو يعلمه وإظهاره لتبان الحقيقة على الملأ .

٢- والمشاهدة تعني البصر أو البصيرة والحضور والاستعلام، فيشترط بالشاهد حضوره بالمعاينة، وإلا كان شاهد زور فهو شهد بما لا يعلم عمداً، ولهذا قيل عن الشهادة أنها لغة الإعلام والحضور، وهي تطبيق لما جاء في الحديث عن رسول الله (ﷺ) في استيفاء

الحقوق عند المسلمين بقوله (ﷺ): « إن الغنيمة لمن شهد الواقعة » أي فقط من كان حاضرا الجهاد في هذه المعركة فله نصيب من الغنائم .

٣- هناك عدة شرط في جواز شهادة الشاهد أو أن يسمح له بالإدلاء بشهادته أمام القاضي أو الحاكم، فلا بد أن تجتمع فيه خمسة أوصاف، متى عري عن واحد منها فلم تجز شهادته، وهي: البلوغ والعقل والحرية والإسلام والعدالة، والمروءة، ومنهم من اختلف في الرشد، وزاد بعضهم على أن يكون من أهل التيقظ والسلامة من التغفل، وعن عمر الشاهد منهم من يقول تجوز شهادة الشاهد إذا بلغ من العمر خمس عشرة سنة أن كان عادلاً حتى وإن لم يحتلم، ومنهم من قال لا تقبل شهادة ابن خمس عشرة سنة إلا أن يحتلم، أو يبلغ ثماني عشرة سنة، ومنهم من قال إذا أسلم الذمي فشهد شهادة وقد كان عادلاً في أهل الذمة قبل أن يسلم، قبلت شهادته، ومنهم من اشترط أسلامه حتى تقبل شهادته.

٤- أن مهنة القضاء هي أخبار عن حكم شرعي وملزم في إعادة الحقوق إلى أهلها، ومنهم من يقول أن وظيفتهم بما معناه التدخل بين الخالق والخلق ليؤدي فيهم أوامره وأحكامه بواسطة الكتاب والسنة، ومنهم من سمى الحاكم حاكماً لمنعه الظالم من ظلمه، وحكمه فرض كفاية، ولا خلاف بين الأئمة أن القيام بالقضاء واجب، وقد اجتمعت في شخصه شروط القضاء فيجبر عليها، وكانت الحكمة في وجوده لرفع التهريج، ورد النوائب، وقمع الظالم، ونصرة المظلوم، وقطع الخصومات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- من حق أمير المؤمنين أن يعقد جلسة القضاء، أو من ينوب عنه من قبل أحد أمرائه الذين جعل لهم أماكنية الحل والعقد في القضاء، وفي زمن الرسول محمد (ﷺ) كان يحكم في الحقوق بالظاهر وباليمين على المدعى عليه عند عدم البينة وفي المتداعيين يقيم على كل واحد منهما البينة، وعلى القاضي أن ينتبه من الغفلة في الشهادة، فلا بد من معرفة العين للشاهد واسمه ونسبه، ومعرفة المشهود عليه بعينه، وفي خلافه يخل بوجه من إقامة العدل.

الهوامش :

- ١- سورة المائدة، الآية: ١٠٦.
- ٢- سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
- ٣- احمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٤/٤٠٧، رقم الحديث: (٢٦٦٥).
- ٤- ابن منظور، لسان العرب، ٣/٢٣٩.
- ٥- الترمذي، سنن الترمذي(الجامع الكبير)، ٤/١٢٥، رقم الحديث: (٢٣٠٣).
- ٦- الإمام مسلم، صحيح مسلم، ٤/٢٠٠٦، رقم الحديث: (٢٥٩٨).
- ٧- احمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٣٠/٢٨١، رقم الحديث: (١٨٣٣٦).
- ٨- سورة آل عمران، الآية: ٧٧.
- ٩- البخاري، صحيح البخاري، ٣/١٤٣، رقم الحديث: (٢٥١٥).
- ١٠- سورة هود، الآية: ١٠٣.
- ١١- سورة الإسراء، الآية: ٧٨.
- ١٢- سورة البقرة، الآية: ٣٧.
- ١٣- الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ١/٤١٢، رقم الحديث: (١٠٢٦)؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١/١١٤.
- ١٤- سورة النور، الآية: ٦.
- ١٥- سورة الفتح، الآية: ٨.
- ١٦- سورة القصص، الآية: ٧٥.
- ١٧- سورة آل عمران، الآية: ٩٩.
- ١٨- ابن منظور، لسان العرب، ٣/٢٤٠.
- ١٩- سورة غافر، الآية: ٥١.
- ٢٠- سورة هود، الآية: ١٧.
- ٢١- الطبراني، المعجم الكبير، ٤/١٨٣، رقم الحديث: (٤٠٨٤)؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٥/٢٢٢.
- ٢٢- سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

## الشاهد ودوره عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية

- ٢٣- احمد بن حنبل, مسند الإمام أحمد بن حنبل, ٢٧٣/٤١, رقم الحديث: (٢٤٧٥٣).
- ٢٤- سورة البروج, الآية : ٣.
- ٢٥- ابن منظور, لسان العرب, ٢٤١/٣.
- ٢٦- أبو داود, سنن أبي داود, ٢٥/٢, رقم الحديث: (١٢٧٧).
- ٢٧- احمد بن حنبل, مسند الإمام أحمد بن حنبل, ٢٢٨/٢٨, رقم الحديث: (١٧٠١٤).
- ٢٨- ابن منظور, لسان العرب, ٢٤٣/٣.
- ٢٩- سورة يوسف, الآية : ٢٦.
- ٣٠- الطبري, جامع البيان في تأويل القرآن, ٥٣/١٦.
- ٣١- الفيروز آبادي, القاموس المحيط, ٢٩٢/١.
- ٣٢- الزبيدي, تاج العروس من جواهر القاموس, ٢٥٤/٨.
- ٣٣- الزبيدي, تاج العروس من جواهر القاموس, ٢٥٦/٨.
- ٣٤- محمود عبد الرحمن عبد المنعم وآخرون, معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية, ٢٥/١.
- ٣٥- محمود عبد الرحمن عبد المنعم وآخرون, معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية, ٣١٥/٢.
- ٣٦- الطبراني, المعجم الكبير, ٣٢١/٨, رقم الحديث: (٨٢٠٣).
- ٣٧- الطحاوي, شرح مشكل الآثار, ٣٧٣/٧, رقم الحديث: (٢٩١١).
- ٣٨- محمود عبد الرحمن عبد المنعم وآخرون, معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية, ٣٤٤/٢.
- ٣٩- العسكري, معجم الفروق اللغوية, ٢٩١/١.
- ٤٠- محمود عبد الرحمن عبد المنعم وآخرون, معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية, ٣٤٥/٢.
- ٤١- محمود عبد الرحمن عبد المنعم وآخرون, معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية, ٣٤٦/٢.
- ٤٢- سورة النساء, الآية: ١٦٦ .
- ٤٣- سورة النساء, الآية: ٤٤ .
- ٤٤- سورة الحجرات, الآية: ٦.
- ٤٥- سورة الطلاق, الآية: ٢.
- ٤٦- سورة البقرة, الآية: ٢٨٢.
- ٤٧- سورة البقرة, الآية: ٢٥١ .

## الشاهد ودوره عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية

- ٤٨- الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢٣/٥، رقم الحديث: (٥١٨٣).
- ٤٩- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ٢٥٨/١.
- ٥٠- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، الإمام العلامة، شيخ المالكية، قاضي الجماعة بقرطبة، المالكي، تفقه على يد جعفر أحمد بن رزق، كان فقيها عالما، نافذا في علم الفرائض والأصول، من أهل الرياسة في العلم، والبراعة والفهم، له مؤلفات عديدة، سار في القضاء بأحسن سيرة، وأقوم طريقة، نشر كتبه، يعول عليه الناس، كان حسن الخلق، سهل اللقاء، كثير النفع لخاصته، عاش سبعين سنة توفي في ذي القعدة، سنة ٥٢٠هـ، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٥٨/١٤.
- ٥١- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ٢٥٨/١.
- ٥٢- سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
- ٥٣- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ٢٥٩/١.
- ٥٤- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ٢٦٠/١.
- ٥٥- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ٨٠/١.
- ٥٦- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ٨٢/١.
- ٥٧- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ٨٢/١.
- ٥٨- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ٨٣/١.
- ٥٩- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ٨٣/١.
- ٦٠- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ٩٣/١.
- ٦١- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ٩٤/١.
- ٦٢- الفراء، الأحكام السلطانية، ٢٤/١.
- ٦٣- سورة سبأ، الآية: ١٤.
- ٦٤- سورة طه، الآية: ٧٢.
- ٦٥- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ١١/١.
- ٦٦- المعاطب، المهالك واحدا معطب كمذهب، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ٢١١/١.
- ٦٧- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ١٢/١.

## الشاهد ودوره عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية

- ٦٨- احمد بن حنبل, مسند الأمام احمد بن حنبل, ١٦٢/٦, رقم الحديث: (٣٦٥١) .
- ٦٩- احمد بن حنبل, مسند الأمام احمد بن حنبل, ٤٤٠/٤٠, رقم الحديث: (٢٤٣٧٩) .
- ٧٠- البخاري, صحيح البخاري, ١٣٣/١, رقم الحديث: (٦٦٠) ؛ ابن الأثير, جامع الأصول في أحاديث الرسول, ٥٦٤/٩, رقم الحديث: (٧٣١٧)
- ٧١- احمد بن حنبل, مسند الأمام احمد بن حنبل, ٣٢/١١, رقم الحديث: (٦٤٩٢) .
- ٧٢- سورة المائدة, الآية: ٤٢ .
- ٧٣- ابن أبي شيبة, الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار, ٥٤٢/٤, رقم الحديث: (٢٢٩٨٠) .
- ٧٤- ابن فرحون, تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام, ١٢/١ .
- ٧٥- ابن أبي شيبة, الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار, ٥٤٠/٤, رقم الحديث: (٢٢٩٦٣) .
- ٧٦- البخاري, صحيح البخاري, ١٠٨/٩, رقم الحديث: (٧٣٥٢) .
- ٧٧- سورة الأنبياء, الآية: ٧٨ .
- ٧٨- سورة الأنبياء, الآية: ٧٩ .
- ٧٩- سورة العنكبوت, الآية: ٦٩ .
- ٨٠- أبو قلابة, عبد الله بن زيد بن عمرو, ويقال عامر بن نابل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن سعد أبو قلابة الجرمي البصري أحد الأعلام, روى عن ثابت الضحاك الأنصاري وسمرة بن جندب, وعن غيرهم, ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل البصرة وقال كان ثقة كثير الحديث وكان ديوانه بالشام, وقال عنه مسلم لو كان من العجم لكان مؤيد ومويزان يعني قاضي القضاة, وقال العجلي بصري تابعي ثقة, مات بالشام سنة ١٠٤هـ, ينظر: ابن حجر العسقلاني, تهذيب التهذيب, ٢٢٤/٥ .
- ٨١- ابن فرحون, تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام, ١٤/١ .
- ٨٢- ابن أبي شيبة, الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار, ٥٤٠/٤, رقم الحديث: (٢٢٩٦٤) .
- ٨٣- ابن فرحون, تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام, ٢٣/١ .
- ٨٤- ابن فرحون, تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام, ٢٤/١ .
- ٨٥- ابن فرحون, تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام, ٥٦/١ .
- ٨٦- ابن فرحون, تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام, ٥٧/١ .

- ٨٧- البخاري، صحيح البخاري، ١٣١/٣، رقم الحديث: (٢٤٥٨).
- ٨٨- أبو داود، السنن، ٣٠١/٣، رقم الحديث: (٣٥٨٢).
- ٨٩- ابن الطلاع، أفضية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ٩١/١.
- ٩٠- أبو داود، سنن أبو داود، ٢٢١/٣، رقم الحديث: (٣٢٤٤).
- ٩١- ابن الطلاع، أفضية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ٩٢/١.
- ٩٢- البخاري، صحيح البخاري، ١٧٩/٣، رقم الحديث: (٢٦٧٤).
- ٩٣- ابن الطلاع، أفضية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ٩٣/١.
- ٩٤- بريرة، مولاة أم المؤمنين عائشة بنت أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كانت مولاة لبعض بني هلال فكانتوها، ثم باعوها من عائشة، وجاء الحديث في شأنها بأن الولاء لمن أعتق، وعتقت من تحت زوجها، فخيرها رسول الله ﷺ فكانت سنة، واختلف في زوجها هل كان عبداً أو حراً، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٧٩٥/٤.
- ٩٥- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ٩٧/١؛ ابن حبان، الثقات، ٢٩٣/١.
- ٩٦- البخاري، صحيح البخاري، ١٧٣/٣، رقم الحديث: (٢٦٦١).
- ٩٧- سورة النمل، الآية: ٦٥ .
- ٩٨- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ٢٦١/١.
- ٩٩- ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ٦٥٧/١، رقم الحديث: ٢٠٣٨.
- ١٠٠- ابن الطلاع، أفضية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ٧٤/١.
- ١٠١- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ٢٧٢/١.
- ١٠٢- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ٢٧٣/١.
- ١٠٣- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ٢٧٤/١.
- ١٠٤- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ٢٧٥/١.
- ١٠٥- ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ٢٧٦/١.

قائمة المصادر:

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الجزري (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م-).
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط ١، (بيروت: مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م) .
- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)
- الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١، (السعودية : دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) .
- الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن الضحاك، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٣ م)،
- الجامع الكبير، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م).
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م)،
- المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)،
- ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).
- تهذيب التهذيب، ط ١ (الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)
- ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد الشيباني (٢٤١هـ/٧٥٥م)
- مسند الإمام احمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الارناؤوط وعادل مرشد وآخرون ، ط ١ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م) .
- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)

## الشاهد ودوره عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية

- الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبد الله السورقي ، وإبراهيم حمدي المدني، (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، د.ت).
- أبو داود ، سليمان بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ/١٨٨م)،
- سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين ، (بيروت : المكتبة العصرية ، د.ت) .
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الارناؤوط ، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي (ت ٢٦٦هـ/١٢٦٧م)،
- مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)
- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، ( القاهرة: دار الهداية، د.ت).
- ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي (ت ٢٣٥هـ/٨٤٩م).
- المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ط ١ ، (الرياض : مكتبة الرشد ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) .
- الطبراني ، سليمان بن احمد بن أيوب الشامي (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م)،
- المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد ، ط ٢، (القاهرة : مكتبة ابن تيمية ، د.ت) .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)،
- تاريخ الرسل والملوك ، ط ١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ/١٩٦٨م) .
- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك (ت ٣٢١هـ/٩٤٣م)

## الشاهد ودوره عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية

- شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- ابن الطلاع، أبو عبد الله، محمد بن الفرغ القرطبي المالكي، (ت ٤٩٧هـ/١١٩٣م).
- أفضية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م).
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النميري القرطبي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجاوي، ط ١، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م).
- معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).
- الفراء، أبو يعلى القاضي، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م).
- الأحكام السلطانية، ط ٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، برهان الدين اليعمري (ت ٥٧٩٩هـ/١٣٩٦م).
- تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام، ط ١، (الأزهر، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م).
- القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط ٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م).
- السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر، دار احياء التراث العربي، د.ت).
- مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م).

## الشاهد ودوره عند القضاة في تاريخ الحضارة الإسلامية

- الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت) .
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
- لسان العرب ، ط ٣ (بيروت : دار صادر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .

### قائمة المراجع:

- محمود عبد الرحمن عبد المنعم،
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، (جامعة الأزهر، دار الفضيلة، د.ت).

دمى اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة )

م. خناو محمد محمود

[khunaw.mahmod@su.edu.krd](mailto:khunaw.mahmod@su.edu.krd)

قسم الاثار - كلية الاداب- جامعة صلاح الدين- اربيل



م. خناو محمد محمود

### الملخص

يعد الفن مرآة حقيقية تعكس جوانب متنوعة من حياة الإنسان التي اتخذها للتعبير عن احداث وحالات معينة فهو يمثل صورة الواقع يعبر عن الذات والنفس البشرية والتي عرفت دائما بحب الجمال وتذوقه.

لقد مارس الإنسان اشكالا من الفنون في بلاد الرافدين بدوافع متعددة منها ترتبط بالمعتقدات الدينية والمفاهيم الإجتماعية الذين كانا يمثلان حجرا الزاوية في فنون الإنسان القديم سواء كان ذلك في العصور قبل التاريخ أو في العصور التاريخية. كان ممارسة الفن من قبل الانسان القديم أمر ضروري إذ كانت النتاجات الدمى الطينية أو الفخارية من النتاجات الفنية التي عرفها انسان بلاد الرافدين لاسيما في العصر الحجري الحديث في القرى الزراعية فقد ارتبطت بالجوانب الفكرية والاجتماعية.

تضمنت هذه الدراسة مجموعة من الدمى الأدمية والتي تمت مصادرتها من قبل أحد المواطنين وهي حالياً معروضة في متحف أربيل الحضاري (القاعة الآشورية) عددها أربعة وهي بحالة جيدة إضافة إلى معرفة معانها، والتي تعود بتاريخها إلى العصر الآشوري، وتم وصفها بشكل دقيق مع أشكالها وتصويرها ومقارنتها بقطع أخرى. وقد تناولنا تمهيداً عن تعريف الدمى وظهورها وانتشارها. فضلاً عن إلى مقدمة عن التنقيبات الألمانية في مدينة آشور. مع تسليط الضوء على الغرض من صناعة الدمى الآشورية والمواد التي استخدمت في صناعته.

كلمات المفتاحية: المتحف، الدمى الفخارية، مدينة آشور، ودائع المباني، العصر الآشوري.

## The displayed Assyrian figurines in Erbil Museum (confiscated).

### Abstract:

Art is considered one of symbol and language method, as it represents the image of reality to express oneself and the human soul, which has always been known for its love and taste for beauty.

The plastic arts in Mesopotamia are characterized by religious beliefs and social concepts, which were the cornerstones of the arts of ancient human, whether in prehistoric or historical times. The practice of art by ancient human was necessary, as these arts contained small clay works (clay dolls or figurines) discovered in the city of Assur, which provide us with some spiritual and mythological dimensions and could give a logical explanation for the relationship between ancient human and the nature of the universe and the gods.

This study included a group of human figurines that were confiscated by a citizen and are currently on display in the Erbil Civilization Museum (the Assyrian Hall). They are four in number and are in good condition, in addition to knowing their finds, which date back to the Assyrian period, and were accurately described with their forms. photographed and compared to other examples. We have dealt with an introduction to the definition of figurines, their appearance and spread. In addition to an introduction to the German excavations in the city of Assur. And shedding light on the purpose of making Assyrian figurines and the materials that were used in its manufacture .

**Keywords:** museum, figurines, the city of Assur, building deposits, the Assyrian period.

### اهمية البحث:

يهتم هذا البحث بدراسة عدد من الدمى الفخارية المعروضة في متحف أربيل لتسليط الضوء على الخصائص التقنية والفنية والأفكار التي خدمتها مع تنوع تمثيلاتها سواء أكانت رجال أو نساء.

### منهجية البحث:

( ان المنهج التي استخدمت لكتابة هذا البحث هي منهجية التحليل و المقارنة بنماذج الاخرى )

تمهيد :

تعد دراسة الدمى الفخارية احد النتاجات الفنية في حضارة و بلاد الرافدين ودراستها تلقي الضوء على جوانب متعددة من حياة الانسان وصناعة الدمى لها جذور عميقة وفن راق له اصوله ومميزاته التي كانت تتباين بين الضعف والقوة تبعا لوضع البلاد السياسي ونضج الافكار والمعتقدات لدى الفرد والمجتمع .(١)وردت الدمى في النصوص المسمارية بصيغة (Salmu)(٢).أما الدمى التي تمثل لعب أطفال تقرأ باللغة السومرية (ZA.NA) وفي الاكدية (pussu)(٣) لقدعمل الفنان الرافديني ومنذ العصر الحجري الحديث اشكالا مجسمة باليد لدمى من الطين ذات صفات انثوية مميزة ليعبدها فكانت الالهة الام وكانت البداية في موقع جرمو(٤) وقد سبقت الدمى الطينية مثيلاتها من الدمى الحجرية ،وتطورت صناعة الدمى في العصور حسونه ،سامراء، حلف ،العبيد ،الوركاء ،جمدةقصر ،عصر فجر السلالات ،العصر الاكدي ،العصر البابلي واستمرت إلى العصور اشورية اللاحقة .(٥)وجاءت من مواقع عدة كما في تل اسمر ،تل محمد ،تل الضباعي ،بابل ،تلو ،اشور ،موقع بسماية ،خرسباد،النمرود وغيرها من المواقع في بلاد الرافدين (٦). في هذا البحث سوف نتناول مجموعة من الدمى البشرية والتي تمت مصادرتها من احد المواطنين، وهي حاليا معروضة في متحف اربيل (القاعة الاشورية) .

مقدمة عن الدمى الاشورية :

بدأت البعثة الالمانية بالتنقيبات في مدينة اشور سنة ( ١٩٠٣)واستمرت لغاية ( ١٩١٤ ) حيث بدأت أعمال التنقيب من قبل روبرت كولدفای برئاسة فالتر اندريه المهندس المتخصص في تاريخ العمارة(٧) .

وكان من نتائج هذه التنقيبات العثور على الكثير من الاثار المنقولة والاثار غير المنقولة التي قام اندريه ومساعدوه بنشرها في سلسلة علمية خاصة طغى عليها بحث المواضيع العمارية .وكان من بين المكتشفات مجموعة كبيرة من الدمى والبالغ عددها (١٥٠٠) دمية(٨) .

ان الدمى التي جاءت من اشور تعود المراحل زمنية طويلة تقدر بما يقارب (٣٠٠٠ ق.م) وذلك من منتصف (الالف الثالث قبل الميلاد) لغاية منتصف ( القرن الثالث الميلادي اي من عصر فجر السلالات الى العصر الساساني ) .وما يهمنا هو الطبقة ( D ) تعود الى ( الالف الثاني ق م ) استنادا الى الكتابة التي تعود للملك الاشوري ايلوشوما اما الطبقات (C) و(B) استنادا بعض الدلائل وهي الى- تعود الى الفترة الزمنية المحصورة بين عهد الملك ايلوشوما وعهد توكولتي نينورتا الاول (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) وهي طبقات معبد عشتار القديم

## دمى اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة )

وجدت اعداد كبيرة من الدمى وهى مهمة ساعدت في تحديد تاريخ تلك الدمى و الطبقات وجدت فيها تلك الدمى ( ٩ ) .

لقد طغت الدمى الانثوية على بقية انواع الدمى الاخرى في جميع مدن الشرق الادنى القديم .وتنطبق هذه الظاهرة على مدينة اشور .ايضا كانت الدمى الانثوية بصورة عامة تمثل اشكالاً للمرأة وهى واقفة وتمسك بنهوها او يدها موضوعة على جسمها مع تاكيد ومبالغة على العضو التناسلي للمرأة .وهناك دمى لنساء في حالة الجلوس ولكن هذا النوع من الدمى قد اختفى في العصر الاشوري الوسيط والحديث وشاع مرة اخرى في عصر الاحتلال الفرثي .هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان الدمى التي تمثل المرأة وهى تحمل طفلها تكاد تكون غير موجودة بين دمى اشور بعكس دمى المدن الاخرى ( ١٠ ) .

أما الدمى الادمية بشكل الرجال فقد ظهرت لأول مرة في اشور في نهاية (الالف الثالث ق.م) ويمكن تقسيمها الى عدة مجاميع . منها تمثال الرجل وهو يحمل سلاحا معقوفا و اخرى تمثل الرجل وهو يرفع يده الى الاعلى وهناك أيضا دمى الرجل وهو يعكف يده فوق صدره والقسم الاسفل منه قد عمل بشكل تتورة جرسية .هذا مع العلم انه ظهرت دميّتان فقط لرجل عاري الجسم .وفي العصر الاشوري الحديث جاءت كمية كبيرة من دمى الرجال ومنها المحاربون التي امكن تحديد صفتها هذه بواسطة الخوذة والدرع .وهناك اعدادا كبيرة من الدمى بشكل الفرسان , يمكن تحليل ذلك وربما علاقة بالجانب العسكري و بزيادة اهمية الجيش وفي العصر الفرثي اصبحت دمى الفرسان السائدة على بقية انواع الدمى الاخرى( ١١ ) .

اما بالنسبة للدمى الحيوانية لا يمكن تتبعها بحسب المراحل الزمنية بعكس الدمى الادمية لعدم وجود وثائق تاريخية ثابتة كى تساعد على تاريخ تلك الدمى واستنادا الى اماكن العثور والمعلومات المدونة في سجل التنقيب فان العديد من هذه الدمى في الطبقة (G) من معبد عشتار القديم .وفي (النصف الاول من الالف الاول قبل الميلاد) ظهرت في اشور لأول مرة الدمى التي تمثل القرد(١٢) ويبدو ان القرد كان معروفا في بلاد الرافدين في العصر البابلي القديم كما دلت على ذلك الدمى المكتشفة في مدينه نفر و أور ( ١٣ ) .

وذكرت القروود في النصوص المدونة من العصور الاشوريه من بين الحيوانات التي تقدم لدفع الجزية من قبل من ملوك مصر إلى ملوك الاشوريين(١٤) .

هناك مجموعة كبيرة من دمى (اشور) وهى تمثل الموائد والاسرة والمركبات ومعظمها تعود الى (النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد) .وكانت المركبات من اللقى الكثيرة التي عثر

عليها في معبد عشتار القديم في اشور وقد استخدمت قسم منها في الطقوس الدينية هذه الدمى شعائر وممارسات دينية خاصة وفي المواكب .وكانت هذه المركبات ذات أربع عجلات والبعض الاخر ذات عجلتين . (١٥).

ان بعض انواع من دمى النساء والرجال ذات الشكل الجرسى ودمى الفرسان لها ما يماثلها في سوريا وفلسطين .ويغزى ذلك الى اتساع رقعة الامبراطورية الاشورية وقوة الاحتكاك في عهد شلمنصر الاول وتوكولتي نينورتا الاول المتزامنة مع وبداية عمليات نقل وترحيل السكان من مدنهم الاصلية في الغرب الى بلاد اشور .هذا ومعلوماتنا محدودة عن الدمى في الفترة التي اعقبت سقوط الامبراطورية الاشورية ومدينة اشور(١٦) .

وبانتعاش مدينة اشور في عصر الاحتلال الفرثي كثرة انتاج الدمى .حيث ان اغلب انواع الدمى التي سادت في هذا العصر هي دمى المرأة ودمى الفرسان المتميزة باللباس وتسريحة الشعر .كما استمر في هذا العصر عبادة الالهة القديمة مثل اشور ,نابو ,وعشتار باسماء قريبة من الاسماء القديمة .وبعد مقارنة الدمى مع الاصناف الفنية الاخرى لخضوعها الى مبادئ وطرق فنية في التكوين والتشكيل والابداع كما ان صانع الفخار لايهتم بابراز جزئيات الملابس وتسريحة الشعر اضافة الى انه من الصعب ابراز الزخرفة(١٧) .

كانت تنقيبات البعثة الفرنسية في موقع تلو (القرن الماضي) .هي اقدم التنقيبات الاثرية في العراق التي كشفت عن مجموعة من الاثار ذات استعمالات معينة .اطلقوا عليها تسميات عامة مختلفة مستمدة من شكل الاثر وبعتبر باور - ريتشاد باركر في كتابة بعنوان ((Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Archaologie)) الصادر سنة ١٩٧١ اول من اطلق عليها (ودائع المباني) (١٨) .

الواقع ان (ودائع المباني) أو صناديق المباني قد تنوعت اشكالها ومادتها عبر تاريخها القديم وكان من انواعها الذي كشفت عنه تنقيبات البعثة الالمانية في بابل وقد اطلق عليه اسم (بابسوكال) وهو الاسم الذي استعمل لأول مرة من قبل كولدفاي عام (١٩١١) ومنذ هذا التاريخ لغاية (١٩٧٣) ظل (اسم بابسوكال) مستعمل وتم ابدالها بتسمية (نن شوبور) بالاستناد الى نص مسماري ,ومن (ودائع المباني) بعض الدمى الطينية التي تمثل الاله (نن شوبور) والعثور على هذه الدمى لم يقتصر على بابل .بل عثر على امثال لها في اشور وبورسبا وكيش علما بان القطعة التي عثر عليها في معبد عشتار في اشور هي الاقدم وهي تعود الى الملك (اشور - ريش - ايشي الاول) (١١٣٣ - ١١١٦ ق.م) (١٩).

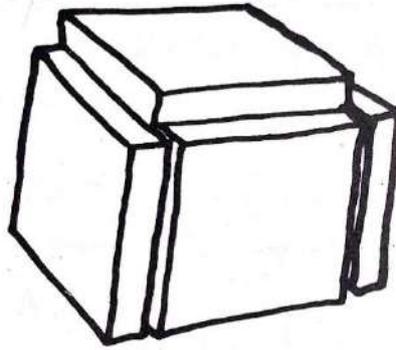
ان نتائج التنقيبات في بلاد الرافدين قد اثبتت استعمال هذه الصناديق والتي كانت معموله من الاجر والتي شاع استعمالها من عصر سلالة اور الاولى اي عصر فجرسلالات واستمرت في العصور اللاحقة مع اختلاف نوعية ومادة ومغزى الودائع التي اودعت فيها(٢٠). لقد كان هدف ملوك بلاد الرافدين من تشييد المعابد هو ابعاد أسمائهم وأعمالهم خالدة إلى الابد لذلك قام الملوك ببناء المعابد على الأرض مع وضع الدمى و تماثيل تحت الأسس، لان باعتقادهم ان تشييد المعبد بحاجة الى حماية(٢١). ومن الجدير بالذكر ان حماية البيوت كانت تتم بوضع تماثيل واقفة في المداخل أو تدفن تحت عتبه الأبواب. ففي مدينة أور عثر على تماثيل طينية في صناديق من الاجر المفخور وضعت على الارضية اسفل الجدران، وكانت هذه الصناديق مزودة بغطاء مفتوح من احد جهات باتجاه وسط الغرفة حيث كان التمثال يراقب و يحرس من خلالها. وفي مدينة اشور عثر على دمى مدفونه تحت أرضيات البيوت لحماية ساكنيها من الجن والمخلوقات الشريرة وهي تعود للعصر الاشوري الحديث. ولدينا عدد من التراتيل المقدسة التي اعدت لمثل هذه التماثيل(النص ١١) فيصف عده تماثيل للحمايه ومكان الدفن،التعاويذ الخاصة بها((اله البيت احفظ بيتك)) أو ((انت تمثال تعالج الأشرار والابخار)) (٢٢). هذا النوع من التماثيل التي وردت في الادب القديم(تماثيل Papsukkal) وأناس Ninsuber، كانت توضع في صناديق من الاجر تحت المعبد(٢٣).

لقد كشفت التنقيبات التي جرت في مدن ومواقع مختلفة من انحاء بلاد الرافدين عن مثل هذه الصناديق بعضها كان سالما مع ودائعها والبعض الاخر مهتما ومسروقا . والنوع الثالث سالما ولكنها فارغة لم يعثر على شئ من الودائع في داخلها . رغم ان التنقيب اثبت عدم وجود تخريب او كسر في الصندوق . وامثلة على ذلك نجدها في خورسباد ونمرود بالنسبة لخورسباد إن العمال الذين ساهموا في البناء قد سرقوا في حينها الودائع المقررة ايداعها في الصندوق(٢٤) .

#### الغرض من صناعة الدمى الاشورية :

١- لقد ساعدت مجاميع الدمى المكتشفة في مواقع بلاد الرافدين على فهم طبيعة الحياة الدينية والاجتماعية السائدة خلال العصر الاشوري اذ امتازت بطابع خاص واعتبرت وسيلة للتعبير عن الافكار والتصورات (٢٥) .

٢- عثر عليها في مواقع اشور وخورسباد ونمرود ،اوروكانت توضع في صندوق من الاجر واعتبرت من ودايع المباني (شكل رقم أ)



شكل رقم(أ)(صندوق ودائع المباني من الاجر عثر عليه في أور)(رشيد،صبحى أنور،حول ودائع صناديق،ص ٧٠.

- ٣- و قسم منها اعتبرت مصادرة من المواطنين .
- ٤- البعض يرى انها تمثل كاهنات او متعبدات ويبدو ان الناحية الجنسية هي الطاغية على عبادة عشتار في اشور وان العثور على لقى كثيرة في معبد عشتار الحديث ومن عهد توکولتي نينورتا الاول تؤكد هذا القول (٢٦).
- ٥- خلال اعمال التنقيبات عثر في اشور على كمية كبيرة من دمی المرأة في المعبد والمناطق القريبة منه الامر الذي يقود الى الاعتقاد بالمغزى الديني لهذه الدمى وقد اعتقد (اندریه) بوجود العلاقة بين هذه الدمى وبين الالهة عشتار (٢٧).
- ٦- ان وجود الدمى في البيوت السكنية ربما له أهمية دينية لجلب الخير ودفع الشر،أو لغرض تزيين أماكن العبادة كما تعتقد الباحثة (فان بؤرن)(٢٨)
- ٧- اما دمی الرجال فان فهما ليس اقل تعقيدا من دمی المرأة،حيث ان كثيراً من دمی الرجال يحمل في يده سلاحا قسمه العلوي مقوس قد عثر عليها في اشور ومن جانب اخر فان هذا السلاح هو رمز القوة (٢٩) .
- ٨- اعتبر (اندریه) هذا النوع من الدمى تمثل الاله اشور او ربما تمثل بعض الالهة، في حين تعتبر بعض دمی الرجال ذات الشكل الجرسى في الاسفل واحد اليدين موضوعة امام الصدر والآخر مثناة تمثل متعبدا وان هذه الوضعية كانت سائدة في مشاهد الاختتام

- والتماثيل حيث تعبر عن العبادة عبادة الانسان للالهة هذا وان الانسان القديم قد اعطى اهمية خاصة للاختلاف في اشكال الدمى لذا فان مغزها هو الاخر متباين (٣٠) .
- ٩- يبدو ان انتاج الدمى كان من قبل محترفي صناعة الفخار يتطلب مستلزمات فنية للفرن الذي كان في منطقة المعبد او خارجه .
- ١٠- ان استعمال الدمى كان منتشراً بين عدد كبير من السكان وخاصة بين الطبقات الفقيرة .
- ١١- بصورة عامة يمكن اعتبار الدمى وسيلة من وسائل تأدية الطقوس الدينية داخل البيوت وهدايا نذرية للمعبد أو للتعبد (٣١).
- ١٢- تعتبر الدمى بالنسبة لمالكها لها قيمة رمزية اذ انها تعالج وترمم في حالة اصابتها بالكسر دون ان ترمي ويستمر استعمالها ولا يعرف ما اذا كانت الدمى تباع في المعبد او تعطى كمقابل للقرابين والنذور التي تقدم للمعبد .
- ١٣- يبدو ان الدمى لها علاقة بعبادة الموتى باعتبارها ملكا تعود للمتوفي .اي ان لها قوة سحرية لحمايته وتوضع في القبر (٣٢) .
- ١٤- بعض هذه الدمى كان يستعمل كلعب اطفال (٣٣).
- ١٥- اعتبرت الدمى الحيوانية والتي عثر عليها في منطقة المعبد وهي من الممكن ان تكون تعويضاً عن الحيوانات والتي تقدم كندور او ضحايا بحيث يمكن للشخص ان ياخذ دمية الحيوان معه الى البيت او وضعها في المعبد باعتبارها اشارة واضحة للتضحية او القربان الذي قدمه صاحب الدمية .
- ١٦- يظهر ان المركبات و الاسرة والموائد لها ربما لها مغزى دينيا .
- ١٧- يبدو ان بعض الدمى تحمل كتابات مسمارية مثل عجل بونا- ادد والتي عثر عليها في منطقة معبد انو - ادد (٣٤) .

#### المواد الاولية المستخدمة في صناعة الدمى وطرق صناعتها

كانت الدمى عموماً توضع من مادة الطين لكون هذه المادة سهلة التشكيل . وكان الطين يقرأ باللغة السومرية IM (٣٥) في حين عبر عنه باللغة الاكدية tidu (٣٦) ارتبطت كلمة الطين بالفكر العراقي القديم منذ ظهور الحضارة ويظهر اهمية الطين في الملاحم والقصص والاساطير , ومنها خلق الانسان (٣٧) واقدم الاساطير المدونة التي وصلتنا لا يتعدى تاريخها الالف الثاني قبل الميلاد ومنها نصوص سومرية واكدية واشورية في حين تعد (قصة الخليقة البابلية) اشهرها (٣٨) ولا يختلف عمل الدمى عن عمل الاواني الفخارية

ف يتم تحضير الطين وتنقيتها من الشوائب كما يمزج احيانا مع نوع معين من الشحوم وعادة يجلب الطين من الارض البكر او من مستويات مختلفة ,وتعجن الطينة باضافة بعض المواد كالتبن المطحون ويتطلب الامر المعرفة بطريقة العجن لتخليص الطينة من فقاعات الهواء ,اما الطلاء فيحضر من طين مصفى ( ٣٩ )

صنعت دمي اشور باليد عدا بعض القطع القليلة التي تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد .وهذه ظاهرة تلفت النظر لان دمي الطين في الشرق الادنى ولاسيما في بلاد الرافدين كانت تصنع بواسطة القالب اعتبارا من العصر البابلي القديم .في حين اول استعمال للقالب كان معروفاً في عصر سلالة اور الثالثة في حين يرى الدكتور طارق مظلوم ان العمل في القوالب كان مالوفاً في صنع دمي الطين منذ العصر الاكدي .وهذا الرأي لم يؤيده الباحثون المختصون في حين ان طريقة القالب هي ليست مالوفه في اشور رغم استعمالها في بعض الحالات في العصر البابلي القديم والعصر الفرثي .ان طريقة الصنع باليد تؤدي الى الاختلاف في تفاصيل كل قطعة بعكس القالب اذ تكون القطع المنتجة بواسطته هي واحدة .(٤٠)ويلاحظ حصول تردى في صنع الدمي بالقالب بمرور الزمن وتصاعده منذ عصر فجر السلالات الثالث لغاية عصر الاحتلال الفرثي .ان التردى لم يشمل الطراز والتفاصيل للدمية بل شمل نوعية الطين الذي تصنع منه الدمي .فالطين الذي صنعت منه دمي الالف الثالث هو انقى واحسن من طين دمي الالف الاول ق م . ويعود السبب في ذلك الى الانتاج الواسع .ان معظم دمي العصر الاشوري الحديث هي مصنوعة باليد وليس بالقالب ولم تراعى فيها نسب اعضاء الجسم ومعظمها بدون زخرفة .وهناك مجموعة من دمي هذين العصرين مصنوعة بالقالب وكانت ذات اغراض سحرية وتطلى بالجبس او الالوان اثناء استعمالها في الطقوس او الشعائر الدينية الامر الذي يؤدي الى ضياع التفاصيل .وفي عصر الاحتلال الفرثي استعملت الطريقتان في صنع دمي الطين اي طريقة اليد وطريقة القالب والقسم الاعظم من دمي عصر الاحتلال الفرثي هي رديئة النوعية .(٤١) كما وظهرت في العصر الاشوري الحديث الدمي المعدنية المصنوعة بطريقة صب المعدن (٤٢)

#### معاثر الدمى التي اخذت للدراسة :

تعاقبت حضارات كبرى و على مدى الالف السنين على ارض بلاد الرافدين كالحضارة السومرية والبابلية والاشورية وتعرضت مواقع تلك الحضارات الى عمليات النهب من قبل

## دمى اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة )

سراق الاثار فقد تعرضت عشرات المواقع لعمليات قرصنه وسرقة موجوداتها من تحف ومقتنيات لا تقدر بثمن وكانت من ضمنها النماذج من الدمى التي اخذت لغرض الدراسة والتي تحت مصادرتها من المواطنين .

### وصف القطع :



شكل ١

صورة ١

شكل ب مقارنة عثرعليها في نمرود في صندوق من الاجر في القصر المحروق من حوالي ٨٠٠ ق.م(اخذت، رشيد،صبحى أنور،حول ودائع صناديق،ص٧٤)

الرقم المتحفي: ٠٠١٢٣٨ - HM م ه ك ٣٥

مكان القطعة: متحف اربيل

المعثر: مصادرة من قبل شخص

نوع الاثر: دمىة لشخص

الفترة الزمنية: العصر الاشوري الحديث

المادة: فخار احمر اللون

القياسات :

الطول: ١٠/٥ سم

العرض: ٢/٥ سم

السماك: ٢/٤ سم

## دمى اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة )

الوصف :دمية تمثل شخص في وضعية الوقوف ,الراس غير واضح المعالم، مكسور ومفقود اجزاء منه ,الوجه دائري الشكل العيون لوزية يغطي الوجه لحيه تتدلى الى منطقة الصدر، عملت على شكل سبعة صفوف ,الكثف عريض من الاعلى يضع يديه الواحدة فوق الاخر يمسك بها صولجان طويل ,يرتدي الملابس الطويلة التي تغطي الجسم ,القفا مستقيم والجزء الاسفل من الاطراف عمل بشكل دائري ,القطعة جيدة الصناعة عملت باليد ,وجد ما يماثلها في النمروود في صندوق من الاجر في القصر المحروق من حوالي (٨٠٠ ق م.)



شكل ج مقارنة الناحية الامامية لدمية طينية من آشور عثر عليها في صندوق من الاجر في أحد البيوت من بداية القرن السابع ق.م (اخذت، رشيد، صبحي أنور، حول ودائع صناديق، ص٧٣)

شكل ٢

صورة رقم ٢

الرقم المتحفي: ٠٠١٢٣٩ - HM م ه ك ٣٤

مكان الاثر :متحف اربيل

المعثر :مصادرة من شخص

نوع الاثر :دمية لشخص

الفترة الزمنية :العصر الاشوري

المادة :فخار احمر اللون

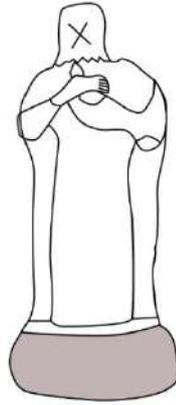
القياسات :

الطول : ١٠ سم

العرض : ٣ سم

السمك : ٢ / ٢ سم

الوصف : دمية تمثل شخص في وضعية الوقوف مكسورة عند منطقة الوسط ومرممة  
الراس عمل بشكل دائري من الاعلى , والشعر يتدلى على الكتفين , ملامح الوجه غير واضح  
باقي منه فقط لحية تغطي الوجه وتتدلى على الصدر , الكتف عريض , يضع كلتا يديه بشكل  
الواحد فوق الاخرى ويمسك بها عصى طويلة , يرتدي الملابس الطويلة والتي عملت بشكل  
جرسي , الجزء الاسفل مكسور ومفقود , الدمية عملت باليد وذات صناعة جيدة , وجد ما يماثلها  
في مدينة اشور في احد البيوت .



شكل ج مقارنة دمية عثر عليها في صندوق من  
الاجر في غرفة العرش في نمرود من القرن  
السابع ق.م (اخذت، رشيد، صبحى أنور، حول  
ودائع صناديق، ص ٧٤)

شكل رقم ٣

صورة رقم ٣

الرقم المتحفي : ٠٠١٢٣٦ - HM م ه ك ٣٢

مكان القطعة : متحف اربيل

المعثر : مصادرة من شخص

نوع الاثر : دمية لشخص

الفترة الزمنية : العصر الاشوري الحديث

المادة : فخار رمادي اللون

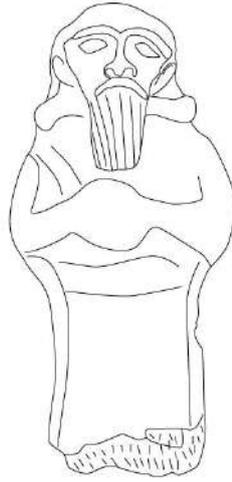
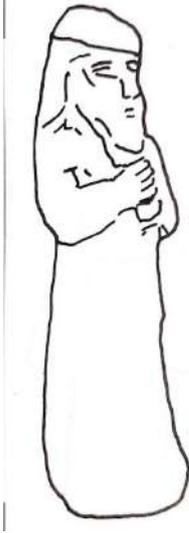
القياسات :

الطول : ٨ / ٢ سم

العرض : ٤ / ٢ سم

السمك : ١ / ٥ سم

الوصف : دمية من الفخار مفقودة الراس ,باقي من الوجه فقط اثار لحية تصل الى منطقة الصدر ,الكثف عريض يرتدي الملابس العريضة الجرسية الشكل يضع على منطقة الخصر حزام عريض ,ينتهي الجسم من الاسفل بقطعة مستطيلة الشكل وجد ما يماثلها في نمرود .



شكل ٤

صورة رقم ٤

شكل ٤ مقارنة دمية طينية عثر عليها في صندوق من الاجر في بناية سن -بالاسو- أقبي(اخذت، رشيد، صبحى أنور، حول ودائع صناديق، ص ٧٤)

الرقم المتحفي : ٠٠١٢٤١ - HM م ه ك ٣٧

مكان القطعة : متحف اربيل

المعثر : مصادرة من شخص

نوع الاثر : دمية لشخص

الفترة الزمنية : العصر الاشوري الحديث

المادة : فخار رمادي اللون

القياسات :

الطول : ١٢ / ٦ سم

العرض : ٤ / ٥ سم

السمك : ٢ / ٦ سم

الوصف : دمية تمثل شخص في وضعية الوقوف ,الرأس واضح المعالم دائري من الاعلى ,والشعر يتدلى على الكثف ,العيون لوزية الشكل والحاجب عمل بشكل قوس ,الانف يضيق من

الاعلى ويتسع من الاسفل،يحيط بالفم لحية بشكل خطوط عموديةبشكل خطوط عمودية تتدلى وتصل الى منطقة الصدر عملت بشكل خطوط افقية ،الكثف عريض واليدين عملت بشكل الواحد فوق الاخرى تمسك بعصى صغيرة تستند على الكثف الايمن الجسم يضيق عند منطقة الخصر ،يضع حزام عريض ،القطعة مكسورة من الخلف ومفقودة ،والجزء الاسفل منها مكسور ومفقود عملت بطريقة القالب وهي جيدة الصنع وجد ما يماثلها في بناية سن -بالاسو-اقبي في اور (صورة رقم ٤ شكل ٥ ، ٦).

#### الاستنتاج:

من خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا للإستنتاجات التالية:

- إن نماذج الدمى الفخارية التي تمت دراستها تعود الى العصر الاشوري الحديث الذي شهد تطوراً كبيراً في مجال الفنون.
- امتاز هذا العصر بتقدم الصناعة و بكافة أشكالها منها صناعة المواد الفخارية من ضمنها صناعة الدمى.
- إن أول ظهور للمجسمات الطينية في بلاد وادي الرافدين ترجع الى عصر جرموا(العصر الحجري الحديث) وقد كان ذات صفات أنثوية مميزة ليتم عبادتها فكانت الإلهة الأم،وأنتشرت هذه الصناعة في كل من عصر حسونه،سامراء،حلف،العبيد و الوركاء وجمدة نصر.وتطورت في العصر الاشوري والبابلي الحديث إلى العصر الفرثي مما يشير إلى وجود تواصل حضاري على مر العصور التاريخية.
- إن مدينه آشور كانت من المراكز المهمة لصناعة الدمى حيث ظهر لنا من خلال التنقيبات البعثة الألمانية فيها أنه قد تم العثور على الآثار المنقولة والغير المنقول من ضمنها مجموعة كبيرة من الدمى البالغة عددها(١٥٠٠)دمية،تعود لفترة زمنية مبكرة كثيراً أي حوالي ثلاثة آلاف سنة وذلك منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد لغاية منتصف القرن الثالث الميلادي أي من عصر فجرالسلالات الثالثة الى العصر الساساني.
- فيما يتعلق بتقنية صناعة الدمى في آشور فانها صنعت من مادة الطين وصنعت باليد عدا بعض القطع التي تعود الى الألف الثالث ق.م،وكانت تنتج من قبل محترفي في صناعة الفخار.
- إن دراسة نماذج الدمى الأربعة المعروضة في متحف أربيل قد شخصت جميعها كدمى أدمية رجالية وثلاثة منها كانت بوضعية اممية واقفة وتظهر بوضعية أيدي متشابهة فاليد اليمنى

## دمى اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة )

المتنية والمضمومة للصدر أعلى من اليد اليسرى وتظهر وهي تمسك على الأرجح شكل صولجان طويل الذي يعتبر رمز السلطة في حين نلاحظ الدمية الرابعة جاءت بوضعية وقوف أمامية والايدي متشابكة أمام الصدر وهي عادة تؤشر وضعية الاخترام والتعبد .

- إن العثور على الدمى الأدمية والحيوانية يساعدنا على فهم جوانب الحياة الدينية والاجتماعية التي كانت سائدة خلال العصر الآشوري. وفي بعض الأحيان توضع دمي في صناديق من الآجر المفخور وتدفن تحت الأرضية المعبد أو القصر أو زاوية البيت لغرض لحمايه ساكنيها لمنع قوى الشر من الجن والأرواح الشريرة، أو جلب الخير. وفي مدينة آشور عثر على هذا النوع من الدمى مدفونة تحت أرضيات والتي تعود إلى العصر الآشوري الحديث وكان تسمى تماثيل بابسوكال Papsukkal وننسوبر Ninsuber.

الهوامش :

١. رشيد,قيس حسين ,دمى الطين المفخورة في تنقيبات اشور ٢٠٠٢ "سومر ,مج ٥٤ , ٢٠٠٩, ص٣١١.
٢. CAD,p.p,64:a.
٣. Ibid , p.p, 224:b.
٤. إبراهيم, نعمان جمعة, حضارة العصر الحجري الحديث في كردستان العراق, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة صلاح الدين, أربيل, ٢٠٠٣, ص ٥١.
٥. محمود ,خناو محمد, دمي والواح فخارية من العصر البابلي القديم نماذج مختارة غير منشورة في المتحف العراقي دراسة فنية وحضارية, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة صلاح الدين (اربيل), ٢٠١٣, ص ٢٦ .
- ٦ الجادر, وليد" النحت في عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث",حضارة العراق , ج٤, بغداد, ١٩٨٥, ص٨-١١. كذلك ينظر: بارو, اندريه, بلاد اشور, بغداد, ١٩٨٠, ص٢٦٢ - ٢٦٧ .
٧. غسان صالح الحميضة, تاريخ التنقيب في مدينة اشور (قلعة الشرقات) و ابرز نتائجه, كلية الاثار, جامعه سامراء, ٢٠٢٠, مج١٦, عدد٦٢, ص٧٩٣.
٨. رشيد, صبحي انور,دمى من اشور في متحف الشرق الادنى في برلين, " سومر , مج ٣٤ , ج١-٢, بغداد, ١٩٨١, ص٢٥٣ .
٩. المصدر نفسه, ص ٢٥٤ .
- ١٠.المصدر نفسه, ص٢٥٤.
- ١١.المصدر نفسه, ص ٢٥٤.
- ١٢.المصدر نفسه, ص٢٥٥.
- ١٣.رشيد, قيس حسين, دمي الطين المفخور في تنقيبات اشور٢٠٠٢, سومر ,مج ٥٤, ج١-٢, بغداد, ٢٠٠٩, ص٣١٤.
- ١٤.عبد اللطيف, سجي مؤيد, الحيوان في ادب العراق القديم, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد, ١٩٩٧, ص١٠٣.
١٥. العزاوي, هدى مجيد احمد, الالواح والدمى الفخارية الحيوانية في الالف الثالث والثاني ق.م (دراسة تحليلية), رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة بغداد, ٢٠١٢, ص١٠٦.

## دمى اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة )

١٦. رشيد,صبحي انور, دمی من اشور في متحف الشرق الادنى في برلين ,", ص ٢٥٥.
١٧. المصدر نفسه, ص ٢٥٥.
١٨. رشيد, صبحي انور,"حول ودائع صنایق المبانى فى بابل", سومر , مج ٤١, بغداد, ١٩٨١, ص ٧٠.
١٩. المصدر نفسه, ص ٧٠.
٢٠. المصدر نفسه, ص ٧٥.
٢١. الدورى,رياض, السحر فى العراق القديم فى ضوء المصادر المسمارية, بغداد, ٢٠٠٩, ص ١٢٦. كذلك ينظر :
- a. "Clay figurines in The Iraq museum", Baghdad, 1966, p.23 .
٢٢. ساكز, هارى, عظمة بابل-موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة, ترجمة : عامر سليمان, الموصل, ١٩٧٩, ص ٣٥٣, ٣٥٢.
٢٣. الدورى, رياض, المصدر السابق, ص ١٢٧.
٢٤. رشيد, صبحى انور, "حول ودائع صنایق المبانى فى بابل", ص ٧٥.
٢٥. Legrian,L., Terra-Cottas from in Nippur, Vol XVI, Philadelphia, 193٥, Nos,11,12
٢٦. رشيد, صبحي انور, دمی من اشور فى متحف الشرق الادنى فى برلين," ص ٢٥٥.
٢٧. الدورى, رياض, المصدر السابق, ص ٣٩٧.
٢٨. ياسين, غسان طه, دمی ادمية والواح فخارية من تل حلاوة, سومر, مج ٥١, ج ١-٢, بغداد, ٢٠٠١-٢٠٠٢, ص ١٢٤.
٢٩. رشيد, صبحى, دمی من اشور فى متحف الشرق الادنى فى برلين ,", ص ٢٥٤
٣٠. Andrae, W., Der Anu – Adad Tempel in Assur, Leipzig, 1909 , p.30
٣١. الخياط, اديبة علم الدين, دراسة لمجموعة دمی مكتشفة من تل محمد(بغداد) لسنة ١٩٨١, سومر, مج ٤٣, ج ١-٢, بغداد, ١٩٨٤.
٣٢. "Clay Mould in the Iraq museum", Mahamoud, y., 23, Vol, Sumer, Baghdad, 1967, P.40. Part1-2 ,

## دمى اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة )

٣٣. موسى، مريم عمران، أمثلة من الدمى المكتشفة في النل الشرقى بابل، "سومر، مج ٤١، بغداد، ١٩٨١، ص ١٤٤.
٣٤. رشيد، صبحي انور، دمى من اشور في متحف الشرق الأدنى في برلين، ص ٢٥٦.
٣٥. AHW, p.139 b.
٣٦. CAD, I, P135.
- a. كذلك ينظر: محمود خناو محمد، نماذج مختارة من الدمى والالواح الفخارية من العصر البابلي القديم في متحف اربيل، "مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦٣، بغداد، ٢٠١٨، ص ٥٦٢.
٣٧. كريمر، صموئيل نوح، اساطير العالم القديمة، ترجمة احمد عبد الحميد يوسف، مصر، ١٩٧٤، ص ١١٤.
٣٨. بصمه جي، فرج، "بحث في الفخار صناعته وانواعه في العراق القديم"، سومر، مج ٤، ج ١-٢، بغداد، ١٩٤٨، ص ١٥.
٣٩. عباس، هالة محمد، دمى ادمية من مدينة بابل غير منشورة في المتحف العراقي تنقيبات (٢٠٠١ - ٢٠٠٢)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي، ٢٠١١، ص ١١٨.
٤٠. رشيد، صبحي انور، دمى من اشور في متحف الشرق الأدنى في برلين، ص ٢٥٤.
٤١. المصدر نفسه، ص ٢٥٤.
٤٢. شترو منكر، ايفا، "الدمى المعدنية من اشور وتقنية صب المعادن"، سومر، مج ٤٢، ج ١-٢، بغداد، ١٩٨٦، ص ٥١.

### المصادر العربية والأجنبية:

١. الجادر، وليد، "النحت في عصر فجر السلالات"، حضارة العراق، ج ٤، بغداد، ١٩٨٥.
٢. الدوري، رياض، السحر في العراق القديم في ضوء المصادر المسمارية، بغداد، ٢٠٠٩.
٣. بارو، اندريه، بلاد اشور، بغداد، ١٩٨٠.
٤. بصمه جي، فرج، "بحث في الفخار صناعته وانواعه في العراق القديم"، سومر، مج ٤، ج ١-٢، بغداد، ١٩٤٨.

## دمى اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة )

٥. رشيد، صبحي انور، "دمى من اشور في متحف الشرق الادنى في برلين"، سومر، مج ٣٤، ج١-٢، بغداد، ١٩٨١.
٦. -----، "حول ودائع صناديق المباني في بابل"، سومر، مج ٤١، بغداد، ١٩٨١.
٧. رشيد، قيس حسين، "دمى الطين المفخورة في تنقيبات اشور ٢٠٠٢"، سومر، مج ٥٤، بغداد، ٢٠٠٩.
٨. شترومنكر، ايفا، "الدمى المعدنية من اشور وتقنية صب المعادن"، سومر، مج ٤٢، ج١-٢، بغداد، ١٩٨٦.
٩. عباس، هالة محمد، دمى ادمية من مدينة بابل غير منشورة في المتحف العراقي تنقيبات (٢٠٠١ - ٢٠٠٢) رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي، ٢٠١١.
١٠. كريم، صموئيل نوح، اساطير العالم القديمة، ترجمة احمد عبد الحميد يوسف، مصر، ١٩٧٤.
١١. مظلوم، طارق عبد الوهاب، النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث، حضارة العراق، ج٤، بغداد، ١٩٨٥.
١٢. محمود، خناو محمد، دمى والواح فخارية من العصر البابلي القديم نماذج مختارة غير منشورة في المتحف العراقي دراسة فنية وحضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين، اربيل، ٢٠١٣.
١٣. -----، "نماذج مختارة من الدمى والالواح الفخارية من العصر البابلي القديم في متحف اربيل"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٦٣، بغداد، ٢٠١٨.
١٤. موسى، مريم عمران، أمثلة من الدمى المكتشفة في التل الشرقى بابل، سومر، مج ٤١، بغداد، ١٩٨١.
١٥. الخياط، اديبة علم الدين، دراسة لمجموعة دمى مكتشفة من تل محمد (بغداد) لسنة ١٩٨١، سومر، مج ٤٣، ج١-٢، بغداد، ١٩٨٤.
١٦. ياسين، غسان طه، دمى ادمية والواح فخارية من تل حلاوة، سومر، مج ٥١، ج١-٢، بغداد، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢.
١٧. ساكز، هارى، عظمة بابل-موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩.

## دمى اشورية معروضة في متحف اربيل (مصادرة )

١٨. عبد اللطيف، سجي مؤيد، الحيوان في ادب العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٧.
١٩. العزاوي، هدى مجيد احمد، اللوح والدمى الفخارية الحيوانية في الالف الثالث والثاني ق.م (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص١٠٦.
٢٠. إبراهيم، نعمان جمعة، حضارة العصر الحجري الحديث في كردستان العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صلاح الدين، أربيل، ٢٠٠٣.
٢١. غسان صالح الحميضة، تاريخ التنقيب في مدينه اشور (قلعة الشرفات) وابرز نتائجه، كلية الآثار، جامعه سامراء، ٢٠٢٠، مج١٦، عدد٦٢.

### المصادر الأجنبية:

1. Andrae , W. , Der Anu – Adad Temple in Assur, Leipzig, 1909.
2. Mahamad, "Clay figurines in the Iraq Museum, "Baghdad, 1966.
3. Mahamoud , y., "Clay Mould in Iraq Museum" Sumer, Vol.23, part ٤. Baghdad, 1967, 1-2.
5. Legrain, L., Terra- Cottas from in Nippur, Vol XVI, Philadelphia, 1930..٢٤
6. AHW, Von Soden, W., Akkadisches Handwörterbuch, Wiesbaden 1959- 1981. CAD, The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago, 1956 ff.

نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره  
في قيام الإمارات المستقلة

The Influence of Turk on Abbasid Caliphs and Its  
Impact in the establishment of the Independent  
Emirates

م. عمر فلاح عبد الجبار

Lect.: Omar Falah Abdul Jabbar

الجامعة العراقية / كلية الآداب

قسم التاريخ



نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

م. عمر فلاح عبد الجبار

ملخص البحث:

مرت الخلافة العباسية للفترة (٢٣٢-٣٣٤هـ) في العصر العباسي الثاني بحالة ضعف وانقسام نتيجة تولي الخلافة خلفاء ضعاف مسلوبو الإرادة عملوا على إبعاد العرب والعناصر الأخرى وتقديم العنصر التركي في الجيش ومراكز السلطة وهذا ما أدى الى إضعاف الخلافة العباسية وجعل خلفائها في مهب الريح دون ناصر من أبناء جلدتهم ضد أي تمرد أو اضطهاد من تلك العناصر. فقد تسلط الترك على رقاب الخلفاء في هذه الفترة ولعبوا دوراً سلبياً في رسم الاتجاهات السياسية للدولة مما حط من هيبة الخلفاء وتضائل نفوذهم وبالتالي أدى ذلك الى عدم قدرة الخلافة في ترسيخ دعائم الحكم خاصة في ولايات الأطراف مما شجع ذلك على انفصال البعض منها، فقد ظهرت إمارات مشرقية وإمارات في المغرب. انفصلت عن المركز وحكمت ولاياتها حكماً ذاتياً ولائها للخلافة أسمى لا فعلي، فكانت هناك إمارات أو دول خدمت الدولة العباسية وأخرى كانت حركات انفصالية أضرت بالدولة العباسية وساهمت في إسقاطها.

الكلمات المفتاحية: الخليفة المتوكل، الترك، العصر العباسي الثاني.

**Abstract:**

The phase of fragility that the Abbasid Caliphate faced (232-334 A.H.) was described by historians as the era of Turkish domination. It was caused by the weakness as well as the inexperience of Caliphs of the above mentioned period because the leadership was shouldered to Non-Arabs of followers and Turks and keeping Arab qualified leaders away from authority. This is why, there was an imbalance of power of the Abbasid State and put it in a critical situation without any supporter from its own state. Therefore, some anti-caliphate movements floated on the surface among such movements were anti-

social and political ones not to mention to counter revolutions. For this reason, the authority of the caliph was weakened and his authority had become within the religious jurisdiction. Moreover, separatist calls of some states of the surrounding Abbasid State appeared.

The pledge of allegiance made by Turkish leaders to the caliph Al-Mutawakkil. Then, organizing a coup against him and killing him was starting point of the Turkish domination against Caliphs of the period mentioned above. Following the event in question, weak and ill-willed Caliphs ran the state. In other words, the caliphate was not formed unless getting permission from them. And they were appointing the ones they wish not to mention expelling or killing the ones they hate.

**Keywords:** caliph Al-Mutawakkil, The Turkish, The Second Abbasid Era.

#### المقدمة:

مرت الخلافة العباسية بفترة ضعف واضطراب للفترة ما بين (٢٣٢-٣٣٤هـ) من العصر العباسي الثاني والتي أطلق عليها المؤرخون بفترة نفوذ الترك الذي تميز بتدخل القادة الترك بكل شؤون الخلافة فسيطروا على خلفاء هذه الفترة فلم يعد لهم من الأمر إلا اليسير مما حط من هيبة الخلافة. ومن أجل الوقوف على أسباب هذا الوضع الذي أفضت إليه الخلافة ارتأيت أن أسلط الضوء على أهم الأسباب التي مكنت القادة الترك من السيطرة على مقاليد الأمور. فجعلتُ بحثي هذا من مقدمة ومبحثين وخاتمة، ففي المبحث الأول سلطت الضوء على أحوال خلفاء بني العباس في ظل النفوذ التركي. أما المبحث الثاني فسلطت الضوء على العوامل التي شجعت الولاة في بعض ولايات الأطراف على الانفصال عن المركز. أما الخاتمة فقد اشتملت على النتائج التي توصلتُ إليها في بحثي هذا.

#### المبحث الأول

##### احوال خلفاء بني العباس في ظل النفوذ التركي

أطلق المؤرخون على الفترة الممتدة ما بين (٢٣٢-٣٣٤هـ) من العصر العباسي الثاني بعصر النفوذ التركي<sup>(١)</sup>، الذي امتاز بازدياد تدخل الأتراك وقوادهم ورؤساء جندهم

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

بشؤون الخلافة فأصبحوا أصحاب الحول والطول في الدولة العباسية<sup>(٢)</sup>، التي تولى العرش فيها اثنا عشر خليفة أولهم جعفر بن المعتصم - المتوكل - والذي تولى الخلافة من (٢٣٢-٢٤٧هـ) وآخرهم المستكفي بن المكتفي للفترة من (٣٣٣-٣٣٤هـ) والذي خلعه البويهيون.

ترجع جذور الترك الى بلاد ما وراء النهر - نهر سيحون - والتي تعرف الآن باسم آسيا الوسطى الإسلامية<sup>(٣)</sup>. إن أول خليفة عباسي اتجه الى ممالك الترك لاستجلاب الغلمان والجند هو الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ)، فكانت البداية لظهور العنصر التركي في الجيش العباسي<sup>(٤)</sup>. فقد أكثر الخليفة المعتصم من شراء هؤلاء من أيدي مواليتهم في سمرقند وفرغانة ونواحيها بعد أن يتم إعدادهم وتربيتهم تربية إسلامية<sup>(٥)</sup> فاجتمع له منهم أربعة آلاف، وخصهم باللباس فألبسهم الديباج والمناطق المذهبة وأبانهم بالزي عن سائر جنوده<sup>(٦)</sup> وسماهم بالفراغنة نسبة الى إقليم فرغانة وأغدق عليهم بالعطايا والهبات والمكافآت السخية<sup>(٧)</sup>، وذلك لأن الخليفة المعتصم أراد أن يستظهر بهم على الفرس بعد أن ظهر موقفهم المعادي له في تأييد البيعة لابن أخيه العباس بن المأمون ضده<sup>(٨)</sup>. وربما تأثر بأمه كونها تركية - ماردة - فأراد أن يستعين بالعنصر التركي في رفق دولته بمقاتلين يدينون بالولاء والطاعة له قبل كل شيء، بعد أن ضعفت ثقته بفرق الجيش من الأبناء<sup>(٩)</sup> والخراسانية<sup>(١٠)</sup>، وخروج البعض عن الطاعة وقيامهم على الخلفاء<sup>(١١)</sup>. فكانت ثورات الفرس لا تنقطع وأمانيتهم في إحياء مجدهم القومي لا تخمد، واستظهارهم للشعبوية والزندقة<sup>(١٢)</sup> لا يهدأ فاستغنى عنهم وعن المقاتلين العرب أيضاً وذلك لتفادي الصراع القبلي بين المقاتلين إذ كان اليمانيون في جانب والمضريون في جانب وهكذا بقية القبائل الأخرى فأسقطهم من الدواوين ومنعهم العطاء<sup>(١٣)</sup>، وجعل الأتراك أنصار دولته واعلام دعوته<sup>(١٤)</sup>. وبهذا يكون أول من أدخل الأتراك ديوان الخلافة هو الخليفة المعتصم، فكان هناك من عظمت منزلته عنده فقلده الأعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف هذا على ذلك العمل الذي تقلده من يقوم بأمره، ويحمل إليه ماله، ويدعو له وللخليفة على منابر<sup>(١٥)</sup>، إلا ان خلفاء هذه الفترة لم يهتموا شأن قبائل

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

العرب بصورة كلية بل استعانوا بهم ليكونوا لهم ملجأ إذا رأوا من الموالي نكوباً عن جادة نصرتهم وميلاً الى الاستنثار بالسلطان دونهم<sup>(١٦)</sup>.

إن سبب جلب خلفاء هذه الفترة الممتدة (٢٣٢-٣٣٤هـ) للعناصر التركية وجعلهم القوة الضاربة لها يرجع الى أن المقاتل التركي امتاز بالصبر تحت ظلال الرماح مع حذقه بالرمي مقبلاً مدبراً مع براعته في أساليب القتال والغزو، ويرجع ذلك لحياة الرعي والصيد بين الهضاب والجبال العالية التي ترعرع عليها هؤلاء، إذ انهم لم يكونوا أصحاب ثقافة وحضارة، بل كانوا بدواً لا يعرفون الصناعة ولا الفنون والآداب<sup>(١٧)</sup>. وقد صورهم الجاحظ الذي كان شاهد عيان لعصرهم تصويراً دقيقاً في رسائله فقال: (الترك أصحاب عمدٍ وخيام، وسكان فياف - صحار - وأرياب مواش، هم أعراب العجم، بدواً، جفاة لم تشغلهم الصناعات والتجارات والبنيان، لم يكن همهم غير الغزو، والغارة، والصيد، وركوب الخيل، ومقارعة الأبطال، وطلب الغنائم، وتدويخ البلدان، همهم الى ذلك مصروفة ومقصودة عليها وموصوفة بها، أحكموا هذا الأمر وأتوا الى آخره)<sup>(١٨)</sup>.

إن هذه الصفات التي اتصف بها الترك جعلت الخليفة المعتصم يستكثر من شرائهم ليكونوا نواة لجيشه فقد بلغت اعدادهم ثمانية آلاف مملوك، وقيل ثمانية عشر ألفاً وهو الأشهر<sup>(١٩)</sup>. حتى ضاقت بهم مدينة بغداد، وضاق أهلها بهم ذراعاً لجريهم بخيولهم في الأسواق والطرقات وإيذاء الناس<sup>(٢٠)</sup> مما حدى بأهل بغداد بأن يطلبوا من الخليفة المعتصم إخراجهم من بغداد، فاضطر الخليفة الى بناء مدينة سامراء لتكون مقراً له ولجيشه ولخاصته سنة (٢٢١هـ). ويبدو من سرعة استجابة المعتصم لطلب أهل بغداد أنه أراد أن يبعد جيشه من الأتراك عن جنود الأبناء والخراسانية المعارضين لوجودهم منعاً لحدوث أي تصادم بينهم. وبذلك أنهى الخليفة المعتصم النفوذ السياسي الفارسي الذي عرفته بغداد وحل محله نفوذ الترك<sup>(٢١)</sup>.

لقد ولي الخليفة المعتصم قادة الترك المقربين إليه قيادة الجيوش، فقد ولي القائد أشناس مقدمة الجيش الذي فتح عمورية من بلاد الروم وجعل القائد التركي إيتاخ على ميمنته<sup>(٢٢)</sup> وأغدق عليهم الخليفة المعتصم بالأموال والهبات حينما عاد الجيش منتصراً وأسند ولاية مصر للقائد أشناس وجعل له الحق في أن يولي عليها من قبله من أراد، فكان

يدعى له على المنابر الى جانب الخليفة<sup>(٢٣)</sup>. كما قرب الخليفة المعتصم القائد التركي الأفشين فجعله من خاصته، وأمر أصحاب المراتب العالية تترجل من خيولها له حينما عاد منتصراً على حركة بابك الخرمي<sup>(٢٤)</sup> فكان يرسل إليه كل يوم خلعة وفرساً مكافأة له، وجعله على البريد<sup>(٢٥)</sup>.

مما تقدم يمكن القول بأن النفوذ التركي في العصر العباسي الثاني للفترة (٢٣٢-٣٣٤هـ) كانت له بدايات ومقدمات منذ العصر العباسي الأول، إلا أن قوة وشجاعة خلفائها وقفت حاجزاً أمام طموحات القادة الترك في السيطرة على دار الخلافة سياسياً وعسكرياً، فقد أمر الخليفة المعتصم بقتل القائد التركي الأفشين سنة (٢٢٦هـ) لأنه حرض صاحب طبرستان الأمير مازيار لنبذ طاعته<sup>(٢٦)</sup> رغم ما كان عليه من منزلة عظيمة في دار الخلافة قتله دون خوف من العواقب وذلك لقوة سلطانه فلم يكن أحداً يستطيع أن يملّي عليه.

ولما تولى الخلافة الواثق بن المعتصم (٢٢٧-٢٣٢هـ) سار على نهج أبيه في تقديم القادة الترك فكانت لهم إسهامات كثيرة في القضاء على الثورات والفتن، فقربهم وزاد في أعطيائهم فقد ألبس الخليفة الواثق القائد التركي أشناس وشاحين بجوهر، وقلده<sup>(٢٧)</sup> الأعمال الجليلة وولاه على أعمال المغرب وولاه مصر يولي عليها من شاء<sup>(٢٨)</sup>، فيما ولى القائد التركي إيتاخ خراسان، والسند بعد أن قضى على تمرد لها ضد عامل الخلافة، فكانت له الأعمال الكبار حتى قيل: (من أراد الواثق قتله أو حبسه، فعند إيتاخ)<sup>(٢٩)</sup> إلا إنه لم يجرؤ أحد على مخالفته في أمر من أمور الخلافة، ولكن بانصرافه عن تسمية ولياً للعهد استطاع قادة الترك إيتاخ ووصيف وبغا الكبير وسيما الطويل أن يحملوا رجال الدولة على بيعة المتوكل بن المعتصم للخلافة (٢٣٢-٢٤٧هـ)<sup>(٣٠)</sup> الذي في عهده ازداد نفوذ الترك<sup>(٣١)</sup>، لأنه ترك أمور الدولة لقواده وكتابه وانغمس باللهو والملذات<sup>(٣٢)</sup>، فكان ذلك بداية لعصر نفوذ الترك والاضمحلال للخلافة العباسية. إذ تولى القادة الترك مناصب عالية في الدولة فقد تولى القائد التركي إيتاخ إمرة الجيش، والأتراك، والموالي، وديوان البريد، والحجابة والقيام على دار الخلافة<sup>(٣٣)</sup>، إن هذه السلطة المطلقة لإيتاخ جعلت الخليفة المتوكل لا سلطان له، بل كان الخليفة المتوكل لضعف شخصيته

يخشاه ويخاف بطشه وينكر تسلطه. إلا أنه جد في التخلص منه فتمكن من عزله وحبسه حتى توفي في سجنه<sup>(٣٤)</sup>.

لأبد من الإشارة الى أن القادة الترك رغم ما كان لهم من تسلط على الخليفة المتوكل نجد أنه كانت لهم انتصارات خدمت الخلافة في القضاء على الفتن والاضطرابات والحركات المناوئة للخلافة. فالقائد بغا الكبير استطاع اخماد فتنة بني سليم الذين عاثوا في الأرض فساداً حول المدينة المنورة وبنو نمير في اليمامة<sup>(٣٥)</sup>. وتولى موسى بن بغا قتال متمردي أرمينيا الذين خرجوا عن طاعة الخلافة وأخرجوا عاملها<sup>(٣٦)</sup>، فضلاً عن تولي قادة الترك حماية الثغور الشامية من هجمات الروم ووآد الفتن<sup>(٣٧)</sup> فقد ألف قادة الترك المهمات القتالية وذلك لأنهم اتخذوا من القتال صناعتهم وتجارتهم، ولذتهم وفخرهم، وحديثهم وسمرهم<sup>(٣٨)</sup>. فسيطروا على أمور الخلافة وأفسدوا الموالي على الخليفة المتوكل<sup>(٣٩)</sup> فحاول التخلص من القائدين وصيف وبغا لكنه فشل في ذلك لكثرة عيونهم في دار الخلافة. لذا عزم الخليفة المتوكل على ترك سامراء والانتقال الى دمشق سنة (٢٤٣هـ) مع خاصته للاستعانة بسلطان العرب هناك ونقل معه دواوين الخلافة إلا إن إقامته هناك لم تطل إذ اضطر للعودة الى سامراء مرغماً تحت ضغط الترك وخوفاً من دسائسهم<sup>(٤٠)</sup> فرجع إلا أنه لم يسكن في سامراء بل ابنتى مدينة الجعفرية بضواحي سامراء واتخذها سكناً له ولقواده وخاصته وأنفق عليها أكثر من ألفي ألف دينار وأسرف في البناء فابنتى قصرأ له سماه اللؤلؤة كان أعجوبة زمانه<sup>(٤١)</sup>.

حاول الخليفة المتوكل الخروج من عباءة القادة الترك من خلال الفتك بقادتهم ففشل، إلا انه صادر أموال وصيف وبغا الشرابي وأقطعها لوزيره الفتح بن خاقان<sup>(٤٢)</sup> وهذا ما جعل القادة ان يعملوا على حماية أنفسهم ويتحينوا الفرص للفتك بالخليفة خاصة وإنه انشغل باللهو وأهمل الرعية وولى العهد لأولاده الثلاثة المنتصر، والمعتز، والمؤيد وقسم البلاد وأقاليمها بينهم<sup>(٤٣)</sup>، وهذا ما استغله القادة الترك لإثارة الفتن والدسائس بين أولياء العهد لصالحهم، فاستغلوا سوء العلاقة بين الخليفة المتوكل وابنه الأكبر سنأ المنتصر الذي قدم الخليفة المعتز عليه فأثاروا الفتن بين الخليفة وأبناءه. فالمنتصر كان لين الجانب للقادة الترك منقاداً للقائدين وصيف وبغا الشرابي اللذين انتهزا فرصة غضب

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

المنتصر على أبيه فأغروه بالخلافة، وانفقوا معه وهو في حالة سكر على قتل أبيه المتوكل فسايرهم على ذلك. وكانوا قد اصطنعوا باغر التركي غلام الخليفة المتوكل وحارسه وموضع ثقته، وكان مقدماً أهوج، فانفقوا معه على قتل الخليفة ومالوا عينيه بالصلاة<sup>(٤٤)</sup>. فدخل باغر مع نفرٍ فقتلوا الخليفة المتوكل ونديمه الفتح بن خاقان سنة (٢٤٧هـ)<sup>(٤٥)</sup> فكان أول خليفة تحكم الترك بقتله<sup>(٤٦)</sup>. وأثار غضب العامة.

بعد أن نصب الترك المنتصر بن المتوكل الخلافة (٢٤٧-٢٤٨هـ) أصبح لهم ولكبار قوادهم اليد الطولى في دار الخلافة، إذ أخذوا يملون على الخلفاء إرادتهم فقد أجبروا الخليفة المنتصر على خلع أخويه المعتز والمؤيد عن ولاية العهد خوفاً من انتقامهم لأبيهم فجد المنتصر في ذلك وعمل على إقناعهم بخلع نفسيهما<sup>(٤٧)</sup>. لقد سيطر القادة الترك على الخليفة المنتصر في كل أمور الخلافة إذ لم يبق له إلا الخطبة والسكة. ولم تدم مدة خلافته لأكثر من ستة أشهر فقد توفي سنة (٢٤٨هـ) تاركاً للقادة الترك تنصيب خليفة بإرادتهم، وهذا ما كان في تنصيب الخليفة المستعين (٢٤٨-٢٥٢هـ)، فقد اجتمع قادة الترك وعلى رأسهم بغا الكبير وبغا الشرابي ووصيف التركي وأتامش على تولية المستعين الخلافة وقالوا مالها إلا هو ابن مولانا المعتصم لأنهم كانوا من غلمان<sup>(٤٨)</sup>، واستحلفوا الجند من المغاربة<sup>(٤٩)</sup> والأشروسنية<sup>(٥٠)</sup> بأن يرضوا بما أقروه. وهذا يعكس مدى سيطرة القادة الترك على دار الخلافة في صنع القرار السياسي للدولة، فقد سيطر القائد التركي أتامش على الخليفة وصار وزيره، حتى أن الخليفة ترك له تربية ابنه في حجره، وعقد له على مصر والمغرب<sup>(٥١)</sup>، كما قرب الخليفة المستعين شاهك الخادم فجعله على داره، وكراعه، وخزائنه، وخاص أموره، وضم لهذين القائدين في النفوذ أمه وأطلق يد الثلاثة في الأموال التي كانت ترد من الآفاق<sup>(٥٢)</sup>.

لقد وقف القادة الترك ضد أي محاولة للإصلاح المالي يتبناها الخليفة فقد أجبر القادة الترك الخليفة على عزل وزيره عبد الله بن محمد لأنه أراد أن يضبط حسابات الدولة المالية فعزله امتثالاً لأمرهم<sup>(٥٣)</sup>. ولم يكن للمستعين أمر مع القائدان بغا الشرابي ووصيف فقد سيطرا على الخليفة في كل قراراته حتى أصبح وضعه محلاً للتندر فقليل فيه:

خليفة فـي قـصـص بين وصيف وبغا  
يقول ما قاله لـه كما يقول البيهقي<sup>(٥٤)</sup>

لقد استبد الأتراك في الاموال فأصبحت لهم الإقطاعات والأموال وذلك أنهم كانوا اليد الضاربة للخلافة ضد كل تمرد وفتنة وحركة انفصالية وهذا ما كان له مردود مادي لهم اما من خلال تكريم الخليفة أو من خلال استغلال المنصب.

إن تسلط وسيطرة القادة الترك على الأمور المالية أوجد حالة من التباعد والتحاسد بين القادة الترك فقتل الجند القائد التركي أتماش الذي استبد بأموال الدولة ومصالحها فالخليفة لا سلطان له عليه، وتمكن القائدان وصيف وبغا من قتل باغر التركي لأنه طغى وبغى وجمع الأموال وناصبهما العداة فكثرت الفتن بدار الخلافة مما حدى بالخليفة من ترك سامراء الى بغداد مع بعض القادة الترك وعلى رأسهم وصيف وبغا سنة (٢٥١ هـ) فنزل دار أميرها محمد بن عبد الله بن طاهر يبتغي نصرة أهل بغداد<sup>(٥٥)</sup> من العرب ولم تغلح محاولات القادة الترك في إقناع الخليفة بالعودة الى سامراء لخوفه من غدر الترك فاتفقوا على خلعه وتولية أخيه المعترف بالخلافة<sup>(٥٦)</sup> رغم أن الخليفة المستعين لم يخلع نفسه. فأصبح هناك خليفتان في آن واحد خليفة في سامراء يعاضده الترك وخليفة في بغداد يعاضده العرب فأصبحت بغداد مسرحاً للحرب لأكثر من عام انتصرت إرادة القادة الترك فيها إذ اضطر الخليفة المستعين إلى خلع نفسه<sup>(٥٧)</sup> حقناً للدماء. وبذلك رجحت كفة الترك في رسم سياسة الخلافة بسبب اختلال التوازن بين عناصر الدولة وذلك أن الترك وجدوا أنفسهم منفردين بالملك ومستأثرين به وليس أمام الخلفاء إلا هم فاستحكم نفوذهم وصاروا هم الأمرين والناهين<sup>(٥٨)</sup>. فقد اتفق القادة الترك مع الخليفة المعترف (٢٥٢-٢٥٥ هـ) على قتل المستعين فاحدروه واسط وقتلوه هناك<sup>(٥٩)</sup>، وأحوال الخلافة مضطربة وأحوال الجند الأتراك على شر ما يكون بينهم من التناحر والتنافر ولا حيلة للخليفة المعترف إلا مراعاتهم حيناً، وإعمال الحيلة والدسائس بينهم حيناً آخر، وهذه أفعال كل سلب سلطانه ولا قدرة له على استرداده<sup>(٦٠)</sup>. إذ أصبح القادة الترك يولون من شأؤوا ويعزلون، لضعف الخليفة وانقياده لهم حتى أصبح الغالب على الدولة بايكباك وصالح بن وصيف التي كانت كتب الخلافة تخرج موسومة باسمه، فاستحوذ على أموال الخلافة واصطفاها لنفسه<sup>(٦١)</sup>.

إن الأوضاع السيئة بدار الخلافة شجعت ولايات الأطراف في التمرد على المركز أما بإعلان انفصالها أو عدم إرسال الأموال لبيت المال، لذا لم يعد بالخزينة ما يسد أرزاق الجند، فقد كانت ثوراتهم لا تنقطع على الخلفاء مطالبين برواتبهم وأرزاقهم، ففي سنة (٢٥٣هـ) خرج جند الفراغنة والأشروسنية مطالبين بأرزاقهم من الخليفة وقادة الترك الذين استولوا على أموال الخلافة، فتمكنوا من قتل القائد وصيف التركي. كما تمكنوا من قتل بغا الشرابي بتدبير من الخليفة ونهب ماله وداره<sup>(٦٢)</sup> إذ كان الخليفة المعترز يخاف منه ويهابه. ويقول فيه بأنه لا يتلذذ بنوم ولا يخلع سلاح في ليل ولا نهار مادام بغا الشرابي في هذه الدنيا. يقول المسعودي: (لما رأى الاتراك إقدام الخليفة المعترز على قتل رؤسائهم وإعماله للحيلة في إفنائهم وأنه اصطنع المغاربة والفراغنة وصاروا إليه جعلوا يقرعونه بذنوبه ويوبخونه على أفعاله<sup>(٦٣)</sup>). لقد استغل القادة الترك وعلى رأسهم صالح بن وصيف وبايكباك الذي أقطعه الخليفة المعترز ولاية مصر<sup>(٦٤)</sup> ثورة الجند على الخليفة مطالبين بأرزاقهم ورواتبهم فاتفقوا مع أنصارهم في إجبار الخليفة على خلع نفسه ففعل، إلا أنهم فيما بعد قتلوه شر قتلة سنة (٢٥٥هـ)<sup>(٦٥)</sup> بل وطارد القائد صالح بن وصيف حاشية الخليفة وصادر أموالهم حتى بلغت به الجرأة على مصادرة أموال أم الخليفة السلطانة - قبيحة<sup>(٦٦)</sup> - رغم كونها تركية الأصل ونفيها الى مكة. كل هذه الأحداث لا بد أن يكون لها أثر سيئ على أحوال الرعية فقد ازداد الفقر وكثرت الفتن وعمت الكوارث واستقلت الولايات بالأطراف وكثر الطامعين بملك الخلافة<sup>(٦٧)</sup>.

ولما بويع الخليفة محمد بن الواثق - المهتدي - بالخلافة (٢٥٥-٢٥٦هـ)، كانت الفتن بين الترك على أشدها حتى ان الجند طلبوا من الخليفة أن يولي عليهم احد اخوته، وقالوا لا نريد أحد منا أن يكون علينا رأساً<sup>(٦٨)</sup>. كان المهتدي شجاعاً وورعاً متعبداً قوياً في أمر الله<sup>(٦٩)</sup>، حاول إعادة هيبة الخلافة ورفع المظالم والحد من سلطة الترك إلا أنه واجه مواجهة شديدة منهم، لذا سعى الى ضرب القادة الترك بعضهم ببعض لإضعاف شوكتهم إلا ان القادة أدركوا ان الخليفة المهتدي يتلاعب بهم فعملوا على إفنائه بعد أن استولوا على الأموال والإقطاعات واستولوا على الخراج لدرجة أن الخليفة المهتدي لم يجد من الأموال ما يسد به حاجة الجند وأرزاقه<sup>(٧٠)</sup>، فالغالب على الدولة كان موسى بن

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

بغا وصالح بن وصيف وبايكباك الذي توجسوا من بطش الخليفة بعد أن ألتف حوله المغاربة والفراغنة والأشروسنية فتقاتلوا فقتل الكثير إلا أن الغلبة كانت للترك فهزم جيش الخليفة وقبض عليه وطلبوا منه أن يخلع نفسه فأبى فقتلوه<sup>(٧١)</sup>. لخص العلامة ابن خلدون أحوال الخلافة العباسية بقوله: (إن العباسيين أضاعوا الدولة والخلافة بتحكيم الغرباء وتسليم الأمور للدخلاء من الفرس والترك فخرجوا من مُلْك بُنيّ علي أجسادهم، وبذلك تكون الدولة لغير من مهدها والعز لغير من أجتلبه سنة الله في عباده)<sup>(٧٢)</sup>، فقد استولى الترك منذ قتل الخليفة المتوكل على المملكة، واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة كالأسير في يدهم إن شاؤوا أبقوه، وإن شاؤوا قتلوه<sup>(٧٣)</sup>. فقد بايع القادة الترك الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ) في دار الأمير التركي يارجوخ وبايعه باقي القادة الترك وعلى رأسهم موسى بن بغا<sup>(٧٤)</sup> الذي قربه منه وجعله وصياً على ابنه، وبقي حال الخلافة على ما هو عليه، إلا أن ظهور أبو أحمد الموفق طلحة أخو الخليفة كان نقطة البداية لبدء عصر جديد استردت الخلافة جزءاً من هيبتها<sup>(٧٥)</sup>، فهو أحزم بني العباس، نهض بأعباء الخلافة إلى أبعد الحدود فأعاد إليها هيبتها بحزمه وعزمه وجده وشجاعته<sup>(٧٦)</sup>. فقد انتهاز فرصة ضعف الخليفة المعتمد وميله إلى اللهو واللذات، فاستأثر بإدارة شؤون الخلافة وأصبح صاحب السلطان الفعلي للبلاد بعد الفوضى التي سادت على يد القادة الترك للفترة ما بين (٢٤٧-٢٥٦هـ)، فلم يعد للقادة الترك بعد هذه الفترة استطالة على الخلافة<sup>(٧٧)</sup>، هابه القادة الترك خاصة بعد ما فشل قوادهم في تحقيق أي نصر ضد تمرد الزنج<sup>(٧٨)</sup> على الخلافة العباسية سنة (٢٥٥هـ) فقد فشل قادة الترك في إخمادها رغم تولي القائد موسى بن بغا واسحاق بن كنداج، وأبا الساج، وإبراهيم بن سيما، ويارجوخ وغيرهم كثير قيادة الجيوش<sup>(٧٩)</sup>. وهذا ما أضعف شأنهم فلم يعد لهم تدخل بأمر الخلافة، إلا اليسير خاصة بعد أن تولى قيادة جيش الخلافة الموفق طلحة الذي استطاع مع ابنه العباس من تحقيق النصر والقضاء على تمرد الزنج سنة (٢٧٠هـ)<sup>(٨٠)</sup>.

وبتولي الخلافة أحمد بن الموفق طلحة - المعتضد - (٢٧٩-٢٨٩هـ) بقيت الخلافة محتفظة بهيبتها فهو آخر خليفة عقد ناموس الخلافة إذ أخذ أمر الخلافة بعده في إديبار<sup>(٨١)</sup>. لقد اتبع سياسة الحزم مع القادة الترك المتنفذين، فقبض على كبير القواد -

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

طاشتتم - وصادر أمواله وضياعه<sup>(٨٢)</sup>، والترك لا يحركون ساكناً رهبة منه وهيبة له. ولما كانت الكثير من ولايات الأطراف استقل بها ولاتها نتيجة تسلط الترك الذي أضعف الخلفاء اتبع الخليفة المعتضد سياسة جديدة مع تلك الولايات إذا أقطع ولاية الأطراف على ما غلبوا عليه، فقد أقر بني طولون على مصر واشترط عليهم أن يحمل إليه كل سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وأرزاق أجنادها مائتي ألف دينار<sup>(٨٣)</sup>.

لما تولى الخليفة علي بن المعتضد - المكتفي - (٢٨٩-٢٩٥هـ) لم يدم انفصال بني طولون بمصر طويلاً فقد تمكن الخليفة المكتفي من القضاء على الإمارة الطولونية وإرجاع مصر لحاضرة الخلافة سنة (٢٩٢هـ)<sup>(٨٤)</sup> بعد ان حكمها الطولونيون حكماً ذاتياً. إلا إنه ارتكب خطأ فاحشاً إذ جعل أخاه المقتدر ولياً للعهد وهو صبي لم يبلغ الحلم<sup>(٨٥)</sup>، فأصبحت الخلافة بانتكاسة جديدة إذ عاد نفوذ الترك مجدداً على ما كان عليه قبل تولي الخلافة المعتمد وأخيه الموفق طلحة<sup>(٨٦)</sup> بل وأشد من ذلك، فقط سيطر على الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ) القائدان التركيان مؤنس الخادم ومؤنس الخازن الذي تولى أمر الشرطة فأهملت الدولة وانتشرت الرشوة وانغمس الخليفة المقتدر في اللذات تاركاً الأمور لوزيره التركي محمد بن عبد الله بن خاقان فكثرت العزل والتولية واضطرب أمر الولاية ونقصت الإيرادات وسقطت هيبة الدولة ولم يبق للخليفة أدنى سلطان<sup>(٨٧)</sup>. فكانت الوزارة تنال بالرشوة وزاد في الأمر سوءاً تدخل النساء والخدم والحاشية في أمور الخلافة فخبثت النيات وكثر الفساد فخرجت الممالك وطمع العمال في الأطراف. حتى خلع الخليفة. وهكذا ظل خلفاء بني العباس ما بين مخلوع ومقتول حتى تمكن بني بويه من دخول بغداد والسيطرة على الخلافة سنة (٣٣٤هـ) وزوال تسلط الترك وقوادهم على مقاليد الحكم دون مآب<sup>(٨٨)</sup>.

### المبحث الثاني

#### العوامل التي شجعت ولايات الأطراف على الانفصال

ورث خلفاء بني العباس دولة شاسعة المساحة من بني أمية امتدت من أقاصي الصين شرقاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً، تمكن خلفاء بني العباس في العصر العباسي الأول أن يحكموا سيطرتهم على البلاد لما كانوا عليه من قيادة حكيمة، حازمة، قوية

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

وشجاعة. ولكن بتولي الخلافة خلفاء ضعفاء في العصر العباسي الثاني انشغلوا باللهو والذات وسلموا مقاليد أمور الدولة للعناصر الغير عربية إذ سيطر القادة الترك على خلفاء الفترة الممتدة ما بين (٢٣٢-٣٣٤هـ) فسيطروا على أمور الخلافة وقراراتها، فقد اضطر خلفاء هذه الفترة على تولية بعض ولايات الدولة للقادة الترك، وتركوا محاسبتهم ومراقبتهم، وهذا ما شجع بعض الولاة في التجاوز على سلطان الخلافة والاستقلال بإدارة ولايتهم لا مركزياً مستغلين بعد المسافة وصعوبة المواصلات التي كانت تقف عائقاً أمام وصول جيش الخلافة في الوقت المناسب في التصدي لأي تمرد على الخلافة، لذا لم يكن باستطاعة الخلفاء من إعادة الحكم الفعلي لتلك الولايات خاصة وإن قادة الجيش من الترك كانوا لا يهتمهم ذلك ما داموا آخذين بحلاقيم الخلفاء<sup>(٨٩)</sup>، وهذا ما أدى الى تقلص ظل الخلافة عن البلاد المشرقية والمغربية. فكثرت الفتن والاضطرابات والحركات الانفصالية وما الى ذلك<sup>(٩٠)</sup>، حاولت الخلافة القضاء عليها بالاستعانة بالقادة الترك فنجحوا حيناً وأخفقوا حيناً آخر. إلا أن الترك تمكنوا من بسط نفوذهم في أرجاء الدولة فتمكن الأمراء من الترك من الاستيلاء على أموال الخلافة خاصة بولايات الأطراف من خلال جبي الخراج أو مصادرة أموال الناس<sup>(٩١)</sup>.

لقد نشأت إمارات مشرقية على يد الفرس كانت تعترف بسلطان الخليفة العباسي وتعلن ولائها الظاهر له، من الخطبة والسكة ونحو ذلك من ألقاب وشعارات خاوية<sup>(٩٢)</sup>. فالإمارة الطاهرية<sup>(٩٣)</sup> استولى عليها الصفاريون وأعلنوا الانفصال كما ظهرت الإمارة السامانية<sup>(٩٤)</sup>. كذلك واستقلت أذربيجان<sup>(٩٥)</sup>، وبنو الأغلب بأفريقية<sup>(٩٦)</sup>، وأستقل أحمد بن طولون بولاية مصر مستغلاً ضعف الخلافة وانشغالها بحرب صاحب الزنج (٢٥٥-٢٧٠هـ). فأسس الإمارة الطولونية في مصر<sup>(٩٧)</sup>، وبعد سقوطها قامت الدولة الأخشيدية<sup>(٩٨)</sup>. فافترق أمر العرب وغلب الأعاجم وتضايق نطاق الدولة العباسية الى نواحي السواد والجزيرة فقط<sup>(٩٩)</sup>.

إن ضعف خلفاء هذه الفترة أجبرهم على اتباع سياسة الإقطاع مع تلك الولايات، فقد أقطعوا ولاية تلك الولايات على ما غلبوا عليه مقابل ما كانوا يتعهدونه للخلفاء من أموال وهبات. فضلاً عما كانوا يرسلونه من هدايا وأموال للمقربين من الخليفة من أجل

يقائهم في مناصبهم حتى بلغت الرشى أحياناً مائتي ألف دينار عدا التحف والهدايا<sup>(١٠٠)</sup>. ومن أجل أن يكون لهؤلاء الولاة ولاية شرعية فقد حرصوا على ذكر أسماء الخلفاء في الخطب الى جانب أسمائهم، كما ضربوا بأسماء الخلفاء على دنائيرهم<sup>(١٠١)</sup>. وإزاء هذا الواقع لم يجد الخلفاء العباسيون مفرّاً من الاعتراف بهذا الأمر فأتيح لكل شعب في ظل هذا الواقع الجديد الذي ارتضاه أن يبني مستقبله في إطار الحضارة الإسلامية وأن يشارك بطريقة أو بأخرى في بناء الدولة بقدر كفاءته، فقد تولت بعض الولايات الإنفصالية مسؤولية الدفاع عن الدولة العباسية كل في ناحيتها ورفعت عن كاهل الخلافة هذا العبء، كما أنها مدت نفوذ الإسلام على أطراف جديدة ربما لم تكن الخلافة المركزية بقادرة على تحقيق ذلك، كما تصدت أيضاً البعض من هذه الولايات المنفصلة للهجمات التي أرادت سوءاً لأطراف الدولة العباسية وثورها.

### خلاصة البحث:

من خلال دراستي لهذا الموضوع استنتجت مايلي:

١. إن مبايعة القادة الترك للخليفة المتوكل ومن ثم الانقلاب عليه وقتله كان نقطة البداية للتسلط التركي على رقاب خلفاء هذه الفترة فقد تولى الخلافة بعده خلفاء ضعفاء مسلوبو الإرادة فكانت الخلافة لا تتم إلا بموافقتهم ورضاهم إذ كان القادة الترك يولون من شأؤوا ويعزلون ويقتلون من شأؤوا حتى أصبحت سلطة الخليفة شكلية لا فعلية خاصة وأن خلفاء هذه الفترة ركنوا الى اللهو واللذات وأهملوا الرعية.
٢. إن مرحلة الضعف التي مرت بها الخلافة العباسية للفترة (٢٣٢-٣٣٤هـ) والتي أطلق عليها المؤرخون عصر النفوذ التركي كانت نتيجة ضعف وقلة حكمة خلفاء هذه الفترة بإبعادهم العرب الأكفاء من مراكز السلطة والجيش واعتمادهم على الموالي والترك بدلاً عنهم وهذا ما أدى الى الإخلال بالتوازن الضروري لوجود الدولة العباسية وجعلها في مهب الريح دون مناصر من أبناء جلدتها فأدى ذلك الى ظهور حركات اجتماعية وسياسية معادية للخلافة فضلاً عن الثورات المناهضة، فتقلصت سلطة الخليفة فأصبحت دينية لا دنيوية. وهذا ما شجع على ظهور دعوات

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

انفصالية في الولايات التي في أطراف الدولة العباسية فظهرت إمارات كثيرة انفصلت عن مركز الخلافة إلا أنها كانت تعترف بالسلطة الروحية للخليفة لإضفاء الشرعية لوجودها وقسم من هذه الولايات أو الإمارات كان لها دور إيجابي في خدمة الدولة العباسية، والقسم الآخر لعب دوراً سلبياً في إضعاف الدولة.

### الهوامش:

- (١) حسن خليفة، الدولة العباسية قيامها وسقوطها (القاهرة، المكتبة المصرية)، ص ١٥٣.
- (٢) حسن خليفة، الدولة العباسية، ص ١٥٣.
- (٣) وتشمل الآن أوزبكستان، وطاجيكستان، وكازاخستان، وقيرقيزيا. وصل الإسلام الى هذه البلاد على يد القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي والذي أمتدت فتوحاته الى حدود الصين للفترة (٨٤-٩٦هـ) قسمت تلك البلاد عند الفتح الإسلامي الى أقاليم الصغد، خوارزم، طخارستان، الشاش، وفرغانة، (ينظر: طه عبد المقصود، موجز الفتوحات الإسلامية، (القاهرة، دار النشر للجامعات، ١٩٨٣م)، ص ٧٢.
- (٤) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت، دار التراث، ١٩٦٦م)، ١٩٢/٧.
- (٥) عاشور، سعيد عبد الفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٦م)، ص ١٣٧.
- (٦) الطبري، تاريخ الرسل، ٣٩٢/٧، المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٣م)، ٤٦٥/٣.
- (٧) الطبري، تاريخ الرسل، ٤٠/٩. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء (مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٢م)، ص ٢٤٠.
- (٨) الطبري، تاريخ الرسل، ٣٩٢/٧.
- (٩) الأبناء يرجع أصلهم الى خراسان إنهم أبناء وأحفاد أهل خراسان جند الدعوة العباسية المولودون عرباً وعجماً وقفوا ضد إجراءات المعتصم بإدخال الترك في الجيش العباسي. (ينظر: فاروق عمر: فوزي، العباسيون الأوائل. (بيروت، دار الإرشاد، ١٩٧٠م)، ص ٢٦٨).
- (١٠) الخراسانية هم جند الدعوة العباسية وهم مزيج من العرب والعجم من أهل الأحواز (فارس وكرمان وخراسان. كان يطلق عليهم اسم المسودة لأنهم اتخذوا السواد شعاراً لهم وأظهروا الدعوة العباسية في خراسان. (ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ٣٥٣/٧).

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

- (<sup>١</sup>) الخضري، محمد بك، الدولة العباسية (القاهرة، مؤسسة المختار، ٢٠٠٣م)، ص ٤٦٠.
- (<sup>٢</sup>) شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني (مصر، دار المعارف، ١٩٧٣م)، ص ١٠.
- (<sup>٣</sup>) الخضري، الدولة العباسية، ص ٢٢٠.
- (<sup>٤</sup>) كرد علي: محمد، خطط الشام (دمشق، مكتبة النوري، ١٩٨٣م)، ١/١٧٢.
- (<sup>٥</sup>) كرد علي، خطط الشام، ١/١٧٢.
- (<sup>٦</sup>) الخضري، الدولة العباسية، ص ٤٥٨.
- (<sup>٧</sup>) شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص ١٠.
- (<sup>٨</sup>) الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناي (ت ٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ السياسية مناقب الترك (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م)، ١/٧١.
- (<sup>٩</sup>) ابن تغرى بردي: يوسف بن عبد الله (ت ٥٨٧هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر، دار الكتب، ١٩٦٣م)، ٢/٢٣٣.
- (<sup>١٠</sup>) المسعودي، مروج الذهب، ٣/٤٦٦.
- (<sup>١١</sup>) عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة، ص ٥٠٨.
- (<sup>١٢</sup>) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٢/٢٣٢. ابن خلدون: عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م) ٣/٣٢٨.
- (<sup>١٣</sup>) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٢/٢٢٩.
- (<sup>١٤</sup>) عقد المعتصم للأفشين حرب بابك الخرمي سنة (٢٢٠هـ) الذي أراد أن يقيم ملة المجوس على طبرستان فهزم الجيوش وخرّب البلاد مدة عشرين سنة، إذ استطاع الأفشين من هزّمه وقتل الكثير من أتباعه وطارده حتى ظفر به وأرسله الى الخليفة فقتله. (ينظر: الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر (مصر، المكتبة التوفيقية، ١٩٨٤م)، ١/٣٨٤.
- (<sup>١٥</sup>) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٢/٢٣٧.
- (<sup>١٦</sup>) ابن الأثير، محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٦٥م)، ٦/٥٠.
- (<sup>١٧</sup>) م. ن، ٦/٨٥.
- (<sup>١٨</sup>) اليعقوبي: أحمد بن اسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م) ١/٣٠٧.

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

- (٢٩) مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ-)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم (طهران، مطبعة سروش، ٢٠٠٠م)، ٢٩٤/٤.
- (٣٠) ابن الأثير، الكامل، ١٠٩/٦.
- (٣١) حسن خليفة، الدولة العباسية، ص ١٤٥.
- (٣٢) م. ن، ص ١٤٧.
- (٣٣) ابن خلدون، تاريخ، ٣٤٢/٣.
- (٣٤) الطبري، تاريخ، ١٦٧/٩-١٦٨.
- (٣٥) ابن كثير: اسماعيل بن عمر دمشقي (ت ٧٧٤هـ-)، البداية والنهاية (بيروت، مطبعة المعارف)، ٣٣٨-٣٣٢/١٠.
- (٣٦) الطبري، تاريخ، ١٨٧/٧-١٨٨.
- (٣٧) مسكويه: تجارب الأمم، ٣١٣/٤.
- (٣٨) الجاحظ، مناقب الترك، ٧١/١.
- (٣٩) ابن خلدون، تاريخ، ٣٥٠/٣.
- (٤٠) المسعودي، مروج الذهب، ٣٣/٤-٣٤.
- (٤١) ابن الأثير، الكامل، ١٣٠/٦.
- (٤٢) م. ن. ١٧١/٦.
- (٤٣) ابن خلدون، تاريخ، ٣٤٣/٣.
- (٤٤) المسعودي، مروج الذهب، ٣٣/٤.
- (٤٥) الطبري، تاريخ، ٢٢٩/٩.
- (٤٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٤.
- (٤٧) مسكويه، تجارب الأمم، ٣١٥/٤.
- (٤٨) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٣٣٣/٢.
- (٤٩) المغاربة فرقة في الجيش العباسي اصطنعهم الخليفة المعتصم من أهل مصر، واليمن، وقيس. (ينظر: الخصري، الدولة العباسية، ص ٤٢١).
- (٥٠) الأشروسنية فرقة من الجيش العباسي من أهل أشروسنة وهي كورة في بلاد ماوراء النهر اصطنعها الخليفة المعتصم. (ينظر: الخصري، الدولة العباسية، ص ٢٢١).
- (٥١) ابن كثير، البداية، ٣/١١.
- (٥٢) ابن خلدون، تاريخ، ٣٥٣/٣.

- (<sup>٥٣</sup>) الخضري، الدولة العباسية، ص ٢٥٨.
- (<sup>٥٤</sup>) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣١١.
- (<sup>٥٥</sup>) المسعودي، مروج الذهب، ٦٠/٤.
- (<sup>٥٦</sup>) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٣٣٢/٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٦١.
- (<sup>٥٧</sup>) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢٦١.
- (<sup>٥٨</sup>) الخضري، الدولة العباسية، ص ٤٦١.
- (<sup>٥٩</sup>) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٣.
- (<sup>٦٠</sup>) الخضري، الدولة العباسية، ص ٢٦٦.
- (<sup>٦١</sup>) ابن خلدون، تاريخ، ٣٦٣/٣.
- (<sup>٦٢</sup>) م.ن، ٣٦٦/٣.
- (<sup>٦٣</sup>) المسعودي، مروج الذهب، ٩٢/٤.
- (<sup>٦٤</sup>) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٦/٣.
- (<sup>٦٥</sup>) ابن خلدون، تاريخ، ٣٧١/٣.
- (<sup>٦٦</sup>) السلطانة قبيحة زوجة المتوكل سماها قبيحة لحسنها وجمالها وهي تسمية مجازية من أسماء الأضداد للدلالة على المحبة الزائدة. (ينظر: ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ١٤٧/٣).
- (<sup>٦٧</sup>) ينظر: ابن خلدون، تاريخ، ٣٧٦/٣.
- (<sup>٦٨</sup>) الخضري، الدولة العباسية، ص ٢٧٦.
- (<sup>٦٩</sup>) الذهبي، العبر، ٣٦٧/١.
- (<sup>٧٠</sup>) حسن خليفة، الدولة العباسية، ص ١٦٨.
- (<sup>٧١</sup>) ابن خلدون، تاريخ، ٣٧٩/٣.
- (<sup>٧٢</sup>) م.ن، ٢٣٠/١.
- (<sup>٧٣</sup>) ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (بيروت، دار القلم، ١٩٩٧م)، ص ١٨.
- (<sup>٧٤</sup>) ابن كثير، البداية، ٢٤/١١.
- (<sup>٧٥</sup>) حسن خليفة، الدولة العباسية، ص ١٧٠.
- (<sup>٧٦</sup>) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ١٧.
- (<sup>٧٧</sup>) م.ن، ص ٢٧.

(<sup>٧٨</sup>) حركة الزنج هي تمرد ضد الخلافة العباسية (٢٥٥-٢٧٠ هـ) قادها علي بن محمد الذي ادعى النسب العلوي مستغلاً الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي عانى منها العبيد السود في جنوب العراق فدعى لنفسه واستباح البصرة والأهواز والأبلة وواسط وكور دجلة وأضرم الفتنة بالنواحي حتى كاد أن يسقط الخلافة. كلفت حركته الدولة الرجال والأموال، تمكن الموفق طلحة من القضاء عليها وقتل صاحبها بعد أن استمرت خمسة عشر عاماً. (ينظر: الطبري، تاريخ، ٤/٤١ وما بعدها. عمر فلاح، حركة الزنج وأثرها على جنوب العراق (مجلة الجامعة العراقية، العدد ٢/٥٤، ٢٠٢٢م).

(<sup>٧٩</sup>) مسكويه، تجارب الأمم، ٤/٤٣٠-٤٣٥.

(<sup>٨٠</sup>) الطبري، تاريخ، ٤/٩١ وما بعدها.

(<sup>٨١</sup>) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٣/١٢٧.

(<sup>٨٢</sup>) الطبري، تاريخ، ٤٠/١٠.

(<sup>٨٣</sup>) ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

(بيروت، دار صادر، ١٩٧١م)، ٢/٢٥٠.

(<sup>٨٤</sup>) ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، ٣/١٤٤.

(<sup>٨٥</sup>) الطبري، تاريخ، ١٠/١٤٠.

(<sup>٨٦</sup>) شوقي ضيف، العصر العباسي/ ص ١٦.

(<sup>٨٧</sup>) حسن خليفة، الدولة العباسية، ص ١٩٠.

(<sup>٨٨</sup>) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ١٦.

(<sup>٨٩</sup>) الخضري، الدولة العباسية، ص ٤٦٢.

(<sup>٩٠</sup>) خرجت دعوات كثيرة تدعو لنبذ طاعة الخلافة العباسية منها حركات علوية خرجت بالكوفة

وطبرستان واليمن وأفريقية والمغرب الأقصى. كما ظهر القرامطة في البحرين وعمان والشام

والكوفة، وظهر الخوارج في الموصل. (ينظر: ابن خلدون، تاريخ، ٣/٣٥١ وما بعدها).

(<sup>٩١</sup>) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ٢٥٩.

(<sup>٩٢</sup>) الذهبي: شمس الدين بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، الأمصار ذوات الآثار، تحقيق قاسم علي

سعد (الرياض، دار البشائر، ١٩٨٦)، ص ١٢.

(<sup>٩٣</sup>) الإمارة الطاهرية: قامت على يد طاهر بن الحسين سنة (٢٠٥هـ) في بلاد خراسان وحاضرتها

نيسابور ثم زالت هذه الإمارة سنة (٢٥٤هـ) على يد يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الإمارة

الصفارية التي اتسعت رقعتها فشملت بلاد خراسان وفارس وأصبهان وسجستان وكرمان والسند

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

وهمت بدخول بغداد سنة (٢٦٢هـ) إلا أنها فشلت بفضل جهود الموفق طلحة. ثم زالت تلك الإمارة سنة (٢٩٨هـ). (ينظر: الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص ١١-١٢).

(٩٤) الإمارة السامانية أسسها نصر بن أحمد الساماني الفارسي سنة (٢٦٣هـ) في بلاد ما وراء النهر وحاضرتها بخارى واستولى على بلاد جرجان وطبرستان وسجستان. (ينظر: الذهبي، الأمصار ذوات الآثار، ص ١٢).

(٩٥) ابن خلدون، تاريخ، ٤٤٣/٣.

(٩٦) دولة الأغالبة أسسها إبراهيم بن الأغلب (١٧٩هـ) إذ ولاه هارون الرشيد على أفريقية فأظهر حسن التدبير فأقرها له ولولده من بعده مقابل مبلغ من المال يدفع سنوياً للخلافة فاتخذ القيروان عاصمة له بقي ولاتها يظهرون ولائهم للخلافة ليستمدوا شرعية حكمهم من بيعتهم. (ينظر: ابن الأثير، الكامل، ٤٣٦/٥).

(٩٧) الإمارة الطولونية أسسها أحمد بن طولون في مصر (٢٥٤-٢٩٢هـ) فحكم هو وبنيه مصر حكماً ذاتياً إلا أنهم ظلوا يعترفون بسلطة الخليفة. امتدت سلطة الطولونيين إلى بلاد الشام فاستطاعوا أن يوقفوا هجمات الروم على الحدود الشمالية الغربية للدولة العباسية ويوقعوا بالروم وقعات كثيرة. (ينظر: ابن تغربردي، النجوم الزاهرة، ٤/٣ وما بعدها).

(٩٨) الدولة الأخشيدية في مصر أسسها محمد بن طغج بن جف، والأخشيد معناها ملك الملوك، قامت في مصر بعد سقوط الإمارة الطولونية بمباركة الخليفة العباسي الراضي (٣٢٣هـ) وضم إليها البلاد الشامية. زاد نفوذ محمد بن طغج فخلع طاعة الخليفة العباسي واستمرت الدولة حتى سنة (٣٥٨هـ). (ينظر: كرد علي، خطط الشام، ١٨٤/١ وما بعدها).

(٩٩) ابن خلدون، تاريخ، ٣٥٣/٣.

(١٠٠) ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٧٨.

(١٠١) شوقي ضيف، العصر العباسي، ص ٢٥-٢٦.

### قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير: محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٦٥م).

٢. ابن تغرى بردي: يوسف بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر، دار الكتب، ١٩٦٣م).

٣. الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت ٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ السياسية، مناقب الترك (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م).

## نفوذ الترك على خلفاء بني العباس وأثره في قيام الإمارات المستقلة

٤. حسن خليفة، الدولة العباسية قيامها وسقوطها، (القاهرة، المكتبة العربية).
٥. الخصري: محمد بك، الدولة العباسية (القاهرة، مؤسسة المختار، ٢٠٠٣م).
٦. ابن خلدون: عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م).
٧. ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (بيروت، دار صادر، ١٩٧١م).
٨. الذهبي: شمس الدين بن عثمان بن قايمار (ت ٧٤٨هـ)، الأمصار ذوات الآثار، تحقيق علي سعد، (الرياض، دار البشائر، ١٩٨٦م).
٩. العبر في خبر من غير، (مصر، المكتبة التوفيقية، ١٩٨٤م).
١٠. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء (مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٢م).
١١. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، (مصر، دار المعارف، ١٩٧٣م).
١٢. الطبري: محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، (بيروت، دار التراث، ١٩٦٦م).
١٣. ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ)، الفخري في الأداب السلطانية والدول الإسلامية، (بيروت، دار القلم، ١٩٩٧م).
١٤. طه عبد المقصود، موجز الفتوحات الإسلامية، (القاهرة، دار النشر للجامعات، ١٩٨٣م).
١٥. عاشور: سعيد عبد الفتاح، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٦م).
١٦. عمر فلاح، حركة الزنج وأثرها على جنوب العراق، (مجلة الجامعة العراقية، العدد ٢/٥٤، ٢٠٢٢م).
١٧. فاروق عمر، فوزي، العباسيون الأوائل، (بيروت، دار الإرشاد، ١٩٧٠م).
١٨. ابن كثير: إسماعيل بن عمر دمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، (بيروت، مطبعة المعارف).
١٩. كرد علي: محمد، خطط الشام، (دمشق، مكتبة النوري، ١٩٨٣م).
٢٠. المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٣م).
٢١. مسكويه: أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (طهران، مطبعة سروش، ٢٠٠٠م).
٢٢. اليعقوبي: أحمد بن اسحاق بن جعفر (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م).

# إدارة الاوقاف في الدولة العثمانية

م. م. وميض سرحان نياي

معهد الادارة الرصافة / هيئة التعليم التقني

م. م. عصام صلاح الدين علي

المعهد التقني كركوك / هيئة التعليم التقني



إدارة الاوقاف في الدولة العثمانية

م. م. وميض سرحان نيا ب

م. م. عصام صلاح الدين علي

( ادارة ، القاضي ، المفتي ، قلم الحرمين ، المتولي )

ملخص البحث باللغة العربية

ادارة الأوقاف في العهد العثماني

تعد ادارة الاوقاف من اهم التشكيلات في الدولة العثمانية ، حيث اولى السلاطين العثمانيين الرعاية الخاصة للوقف ، وانطلقت جموع المؤمنين تتقرب الى الله سبحانه وتعالى عن طريق وقف اموالها في اعمال البر والتقوى فأوقفوا الاراضي لخدمة الجوامع والمدارس وطلاب العلم من الواردات المستحصلة من الموقوفات . مما تطلب ترتيب هذه الواردات وعملية الانفاق بشكل منظم فتأسست الادارة الخاصة بالاقواق من خلال الاشراف المباشر للقاضي الذي نظم عملية الانفاق ، كما برز دور المفتي الذي ينظر في المشاكل الشرعية للوقف ، وكذلك دور العاملين في هذه الادارة كل حسب تخصصه في جرد الواردات والمصروفات . واستمر التطور في هذه الادارة فتأسست وزارة ( نظارت ) الاوقاف في الدولة العثمانية عام ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م

Waqf administration in the Ottoman

The Waqf administration is the most important formations in the Ottoman, where the Ottoman sultans have intersted of the Endowments. A group of believers halt their money in acts of righteousness and to serve mosques, schools and researchers. That may require to arrange the process of imports and how spending orderly. This led to the establishment of the especial administration for waqfs which was directed by the supervision of a judge, who organized how spending system. The role of the Mufti has

emerged in that period, who is seen in the legitimacy of the Waqf's problems. As well as the role of the workers in this administration, each according to his specialty stripped imports and expenses.

The development continued in the this administration which led to the establishment the Ministry of Endowments (Nzart) in the Ottoman in 1242 AH / 1826.

### المقدمة

يتناول هذا البحث ادره الاوقاف في العهد العثماني منذ تأسيس الدولة العثمانية ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م ، عندما كثرة الاوقاف باتساع الرقعة الجغرافية للدولة العثمانية ، وقد ركز البحث على دراسة الجوانب الادارية والمالية في ادارة اوقاف العثمانيين ، التي شهدت اهتمام السلاطين والاسرة الحاكمة ورجال الدولة والاثرياء ، مما تطلب اشراف القضاة والمفتي واشراك عمال وموظفين لأدارة الاموال الموقوفة ، الامر الذي تطلب وضع هيكلية ادارية للنظام المالي الذي اصبح هو الآخر على مستوى عال من التنظيم .

كما كرس البحث دراسة اصول المكاتبات والتوثيق عند العثمانيين التي تعتمد وبشكل اساس على امسك دفاتر الوقف التي كانت تسجل فيها اهم الاراضي والعقارات الموقوفة من قبل الاشخاص والتي تخرج من الملكية الشخصية وتحبس الى الابد في سبيل الله ، وفي الوقت نفسه يسجل فيها الابواب التي يتم من خلالها ابواب الانفاق بما ينفع الناس .

والوقف كمصطلح هو تخصيص مال او عقار واخرجه من الملكية الشخصية ، ويعني المال المنقول وغير المنقول الذي يمثل موضوع عقد الوقف ، ويعرف الشخص الذي يقيم الوقف بالواقف ، بينما يعرف الشيء موضوع الوقف بالموقوف<sup>(١)</sup> ، وكانت مؤسسة الوقف واحدة من اهم المؤسسات الانسانية والاجتماعية الخيرية في الدولة العثمانية ، ويسعى الناس فيها لفعل الخير واقامة المبرات وعلى راسهم السلطان وافراد الاسرة الحاكمة وكبار رجال الدولة والجيش والعلماء والاثرياء من الاهالي وحبسوها لخدمة الناس مدى الحياة .

وقبل تشكيل نظارة الاوقاف الهمايونية كانت ادارة الاوقاف منوطة حسب شروط التأسيس

في وقفياتها

بإشراف الصدر الاعظم وشيخ الاسلام واغا باب السعادة ، وبعد توسع الدولة تركت دارة الاوقاف الى ادارة مخصصة تعمل بشكل دقيق ومنتظم<sup>(٢)</sup> .

احتوى البحث على هذه المقدمة ومبحثين وخاتمة ، فقد درس المبحث الاول الذي حمل عنوان ادارة الاوقاف العثمانية ، تم التركيز من خلاله على دور القاضي والمفتي والعلماء والمفتشين والكتاب والجبا وجميع العاملين في ادارة الوقف ، اما المبحث الثاني الادارة المالية للوقف العثماني الذي سلط الضوء على اقسام النظام المالي وما تشمله من تخصص في ادارة الاموال الموقوفة في الدولة العثمانية مع التركيز على اوقاف الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ، في حين جاءت الخاتمة باستنتاج ما توصل اليه الباحثان .

وقد اعتمدت الدراسة عدداً من المصادر تأتي في مقدمتها دفاتر المالية المختصة بمفهوم الاوقاف والتي حصل عليها الباحثان من الارشيف العثماني التابع لرئاسة مجاس الوزراء التركية في اسطنبول اضافة الى بعض المصادر العربية والتركية .

### المبحث الاول

#### ادارة الاوقاف العثمانية

تعتبر ادارة الاوقاف في الاصل على انها اهلية ومستقلة ، تدار من قبل الواقف الذي هو في الاساس صاحب الحق في تعيين وتحديد ادارة الوقف ومهامها وصلاحياتها ، ووضع شروط اشغال الوظائف ، وصرف وتقسيم ريع الموقوف الى الجهات التي ينص عليها في وثيقة وقفه ( الوقفية )<sup>(٣)</sup> واستمر العمل بهذه الوثيقة حتى بعد ظهور ديوان البر او ديوان الاوقاف<sup>(٤)</sup> ، فقد اتخذ السلاطين العثمانيين خطوات عدة لتنظيم الاوقاف بصورة عامة ، حيث قدمت كل فئة من فئات الدولة دوراً مهماً في تنظيم الاوقاف ، حتى اصبحت على مستوى عالٍ من التنظيم وقد انيط بكل فئة مهامها التي اضطلعت بها وكما يلي :

#### اولاً : دور القضاة في ادارة الاوقاف :

انيطت مهمة ادارة الاموال الموقوفة الى القاضي ، فقد تولى القضاة النظر في الاوقاف بحفظ اصولها وقبض مبالغ ريعها ، ومن ثم صرف تلك المبالغ على الاوجه التي حددها الواقف في شروط وقفه<sup>(٥)</sup> ، واصبح القضاة يشرفون على الاوقاف ويحلون النزاعات والاختلافات التي تحدث على ريعها<sup>(٦)</sup> ، كما كان للقاضي حق بمنع الاستغلال الوظيفي من قبل المتولي<sup>(٧)</sup> والناظر<sup>(٨)</sup> ، بالإضافة الى انه كان له الحق في تعيين الموظفين للمناصب الشاغرة للأوقاف بضمنها المتولي والناظر ، ولكن بدون تجاوز الشروط التي وضعها الواقف ، وله الحق ايضاً في الموافقة على تعيين الموظفين في المؤسسات الوقفية<sup>(٩)</sup> هذا كله يتم بعد ان يكون الوقف مصدقاً بشكل شرعي من قبل القاضي الذي يعلنه امام الشهود ، الذين يختلف عددهم حتى يصل

## إدارة الاوقاف في الدولة العثمانية

الى العشرين شخصاً<sup>(١٠)</sup> ، فضلاً عن تأكد القاضي من ان الوقف مصان وبحالة جيدة من خلال ارسال شخص موثوق به من قبل القاضي للتأكد من حالة الاوقاف فيما يتعلق بالإصلاح والصيانة<sup>(١١)</sup> .

كما يقوم القاضي بتفتيش الحسابات السنوية التي تستوجب ضبط عائدات الاوقاف ، والتوزيع الصحيح لها ، وكذا الاشراف على الاوقاف المؤجرة والمستأجرة ، لكي يطلع على ما تم تنفيذه من شروط الواقف ، علاوةً على ذلك فان من صلاحيات القاضي منح الموافقة على إعارة المال ( دفع المبالغ ) لصيانة هذا الوقف او ذلك لإدامة استمرار عمله<sup>(١٢)</sup> ، اما بالنسبة لأوقاف القديمة فقد كان من واجب القاضي بين الحين والآخر تجديد وفحص مؤسساتها ، وقد انطبق هذا المفهوم على الاوقاف الموجودة قبل العهد العثماني التي كانت توثق من قبل القاضي وتتم صيانتها بين الحين والآخر ، وفي الوقت نفسه كان على القاضي ان يتحقق من الاحفاد الاصليين للواقف ، فكان يسألهم عن سلسلة نسبهم اما الذين يدعون انهم احفاد الواقف عليهم ان يثبتوا ذلك امام القاضي<sup>(١٣)</sup> .

### ثانياً : دور المفتي في ادارة الاوقاف :

للمفتي دور كبير في الاشراف على الاوقاف وادارتها ، وكانت تبرز الحاجة عندما يكون هنالك مشاكل شرعية تواجه القاضي<sup>(١٤)</sup> ، ويطلق على المفتي في هذا الموقف مفتي الاوقاف الذي ينظر في دعاوى الاوقاف<sup>(١٥)</sup> ، فعلى سبيل المثال هنالك من يعلن ان ملكيته وفقاً كي يتهرب من الدين فان المفتي سيعطي فتوى تتعلق بصحة النصاب ، وكذا الحال بالنسبة لاستبدال وبيع الوقف وما شابه<sup>(١٦)</sup> .

### ثالثاً : دور العاملين في إدارة الاوقاف العثمانية :

كان لكل مؤسسة وقفية في الدولة العثمانية شخصين كحد ادنى يعملان في ادارتها ، وهما المتولي والناظر ، حتى في المؤسسات الوقفية المحدودة ، اما الاوقاف المهمة والكبيرة والمعقدة فيكون فيها قرابة الخمسين خادماً لضمان ديمومة الوقف ، ومثالنا على ذلك اوقاف السلطانين سليم الاول ( ١٥١٢ - ١٥٢٠ م )<sup>(١٧)</sup> وسليمان القانوني ( ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ / ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م )<sup>(١٨)</sup> وغيرهم من السلاطين والصدور العظام والولاة ورجالات الدولة ، وكان لكل خادم في هذا الوقف الدور الخاص به وكما يلي :

## إدارة الاوقاف في الدولة العثمانية

- ١ - **المفتش** : تناط به عملية تفتيش الاوقاف المهجورة والمهدمة والمهملة ، ويقوم بتقديم اهم المقترحات للتعمير (الصيانة ) ، والتصليح قبل ان ترفع الى القاضي ، ويكون تعيينهم من قبل القضاة او من قبل صاحب الوقف .
- ٢ - **المشرف** : الخادم الذي تناط به مهمة شراء ومراقبة الطعام في المؤسسات الوقفية .
- ٣ - **الجابي ( جامع الواردات )** : كان يشغل هذه المهمة في بعض المؤسسات الوقفية شخصان او اكثر من ألجبات ، كما في اوقاف الوالي سنان باشا في دمشق<sup>(١٩)</sup> ، واوقاف السلطان سليمان القانوني<sup>(٢٠)</sup> والسلطان سليم الاول<sup>(٢١)</sup> ، لاسيما وان اغلب ألجبات كانوا من السكان المحليين في المناطق التي يتواجد فيها الوقف<sup>(٢٢)</sup> .
- ٤ - **الكاتب** : وهي احدى الوظائف التي اشترط السلطان سليمان القانوني لمن يعين كاتباً لأوقافه ان يتعامل مع الوقف برحمة ونزاهة واحترام ايراداتها ومصروفاتها ، بدون ظلم الناس الذين يعملون فيها او الذين لهم علاقة بالوقف ، وقد توارث البعض هذه الوظيفة عن اباؤهم .
- ٥ - **وظائف اخرى** : تم تعيين العمال فيها لصيانة الاوقاف مثل المنظفين ( الكناسين ) والفراشين والبوابين والشعّال ( مشغل المصابيح ) والنجارين وحافظي المقابر (تربه دار)<sup>(٢٣)</sup> ، وقد خصصت حصة للنساء في هذه الوظائف<sup>(٢٤)</sup> .
- ٦ - **مطبخ الخيرات** : فقد كان هنالك كثير من العمال الذين استخدموا في تنفيذ او تحقيق اهداف الوقف في الخدمات الاجتماعية وخاصة في مطبخ الخيرات ، فكانت اهم الوظائف في هذا المجال هي ناظر الطعام والطباخ وتلميذ الطباخ وخازن الطعام<sup>(٢٥)</sup> . ومن المهم ان نشير الى ان العاملين في مؤسسة الاوقاف كانوا من المسلمين فقط لأنها شأن ديني خالص<sup>(٢٦)</sup> ، حيث يتم تعيين شيخ لكل مؤسسة وقفية ، وتعيين امام للمسجد ومؤذن وضابط السبيل وبواب وسقاء وقسام للخبز وطحان فضلاً عن العاملين الذين ذكرناهم سلفاً ، وقد وضعت شروط لكل واحد من ارباب هذه الوظائف تتناسب مع المهمة المنوطة به ، فكل من يشتغل بعمل يتصل بالطعام والصحة العامة يجب ان يتصف بالدقة والامانة والنزاهة ، وقد اشترطت الدولة العثمانية ان يكون العاملون او المشرفون على الاوقاف من اتباع المذهب الرسمي للدولة<sup>(٢٧)</sup> .

فضلاً عن كل ما ذكر فقد كان للعلماء في الدولة العثمانية الدور الكبير في الادارة والاشراف على الاوقاف ، وفي الوقت نفسه كانت لهم امتيازات خاصة منها انهم في حصانة

## إدارة الأوقاف في الدولة العثمانية

من مصادر الأموال ، وبذلك أصبحوا من الطبقات العالية ، ففي عام ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م كان قاضي قونية<sup>(٢٨)</sup> المدعو قرا باجك زادة محمد جلبي ، يملك وقفية تقدر ١٠٠٠٠ عشرة آلاف ذهب أي ما يعادل ٦٠٠٠ ستة آلاف أجرة<sup>(٢٩)</sup> ، وتعتبر هذه الوقفية من أكبر الوقفيات في قونية وما جاورها في ذلك الحين ، كما كان العلماء يتولون الإشراف على الأوقاف ويعفون من الضرائب ، وبمرور الزمن أصبح هؤلاء من الطبقة الغنية في البلاد كالطبقة المتمثلة بشيخ الإسلام وقاضي العسكر<sup>(٣٠)</sup> .

وقد قسمت الإدارة العامة للأوقاف في الدولة العثمانية بما فيها المناطق العربية إلى ثلاثة أصناف واضحة هي :

أولاً : الأوقاف المضبوطة<sup>(٣١)</sup> : وهي التسمية التي نطلق على الأوقاف التي تتولى الدولة إدارتها وتدار بشكل مباشر من قبل ناظر الأوقاف<sup>(٣٢)</sup> ، وكانت الأوقاف المضبوطة على ثلاثة أنواع :

أ – النوع الأول هي أوقاف السلاطين العثمانيين ، وتدار بشكل مباشر من قبل السلطان أو من يوكله السلطان من وزراء الأوقاف لإدارة أمورها .

ب – النوع الثاني هي الأوقاف التي مات من اشترط الواقف توليته للوقف وانقرض نسله .

ج – أما النوع الثالث هي الأوقاف التي يتدخل موظفي الأوقاف في إدارتها ويمنح المتولين الذين اشترط الواقف إدارتهم للوقف مقابل منحهم مبلغاً معيناً ، رغم أنهم على قيد الحياة ولم ينقرض نسلهم ، وهذا النوع كان يميز عن الأنواع الأخرى باسم ( الأوقاف المضبوطة الإدارة )<sup>(٣٣)</sup> .

ثانياً : الأوقاف الملحقة وهي الأوقاف التي تدار من قبل مدراء خاصين وإشراف مباشر من ناظر الأوقاف .

ثالثاً : وهنالك أخيراً الوقف المستثنى ، وهو الوقف الذي يدار من قبل مدراء خاصين دون تدخل ناظر الأوقاف ، مع وجود التخصيص من قبل الأشخاص والعوائل لمن يدير هذا الوقف<sup>(٣٤)</sup> ، ويلاحظ هذا النوع من إدارة الوقف في المناطق العربية الوقف الكيلاني في العراق ، حيث يدار من قبل العائلة الكيلانية دون الحاجة إلى تدخل إدارة الأوقاف .

### المبحث الثاني

#### الإدارة المالية للوقف في الدولة العثمانية

نظراً لتزايد الواردات والمصروفات الوقفية فقد تم وضع الاسس الاولى للإدارة المالية للدولة العثمانية ، واصبحت تلك الواردات جزاً من عائدات الدولة العامة ففي عام ١٥٢٨ م شكلت عائدات الملكية الخاصة والاقواف اثنا عشر بالمئة من مجمل العائدات العامة للدولة ، والتي بلغت ٦٠ ستون مليون اقجة من اصل العائدات الرئيسية البالغة ٥٣٨ مليون اقجة (٣٥) ، وعلى هذا الاساس تم تقسيم الادارة المالية الى اربعة اقسام هي :

اولاً : قسم الروزنامه او الرزنامجة ( الدفتر اليومي ) (٣٦) :

هو الاسم الذي يطلق على دفاتر الواردات والمصروفات اليومية او الدفاتر الخاصة بتسجيل الوقائع اليومية ، وقد عرف من يمك هذه الدفتر باسم ( روزنامه جي ) وهي الكلمة المستخدمة بدل المحاسب ، وكان كاتب الروزنامجة يقدم حساباته الخاصة بموازنة الاوقاف مرة او مرتين في السنة وبخلاصة اجمالية الى السلطان او الصدر الاعظم (٣٧) ، وقد قسمت الدفاتر الخاصة بالروزنامجة الى نوعين اطلق على الاول قلم الروزنامجة الصغير ( küçük ) ، وكان بمثابة المساعد لقلم الروزنامجة الكبير ، ويتم في هذا الدفتر تثبيت قيد كافة الحسابات اليومية الداخلة والخارجة من الخزانة من نقود وذهب وفضة واقمشة ثمينة الى غير ذلك ، اما القسم الثاني والذي عرف بالروزنامجة الكبير ( büyük ) فهو القلم الذي استمر بالعمل حتى ظهور وزارة المالية ( مالية نظارتي ) عام ( ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٩ م ) ، وكانت معنية بكافة معاملات القيود لجميع الموارد والمصروفات في الخزانة ، ويعتبر القلم الاول في دائرة الخزانة الذي يتولى القيد اليومي للموارد المستحصلة من المقاطعات والموقوفات والجزية ، وتصرف من هذا القلم معاشات السلطان المتفرقة ، وكافة العاملين في حسابات وقيود ما يدخل ويخرج من الخزانة يوميا (٣٨) .

ثانياً : المقابلة ( التدقيق ) :

وهي عملية تدقيق المصروفات الخارجة من خزينة الدولة ، وقد تم تقسيم هذا القلم الى قسمين الاول هو قسم مقابلة الخيالة ( آتلي مقابله سي Atlı mükabelesi ) وكان معنياً بالسجلات الخاصة رواتب الجيش فضلاً عن انه يقوم بإدارة القيد الخاص بالتعيين والعزل وغي ذلك من امور الادارة ، اما القلم الثاني فقد سمي بقلم مقابلة المشاة وهو جهاز يقوم بتثبيت

## إدارة الاوقاف في الدولة العثمانية

المعاملات والاجراءات المتعلقة برواتب العاملين في الاصطبلات السلطانية والعاملين داخل السراي ومطابخ المشاة ( الجنود ) ( ٣٩ ) .

ثالثا : الموقوفات ( الاملاك ) ( ٤٠ ) :

هي الاملاك الموقوفة لغرض ديني او خيرى ، وكان لها مكتب خاص يدعى مكتب حسابات الوقف ( اوقاف محاسبه سي Evkaf Muhasebesi ) ، وقد انيط بهذا المكتب الاحتفاظ بسجلات اوقاف الدولة العثمانية والرواتب التي تمنحها لأهل العلم والعاملين والمتولين في المؤسسات الوقفية ( ٤١ ) .

رابعا : المحاسبة ( قلم المحاسبة الاولى ) :

تتكون دائرة المحاسبة ( قلم المحاسبة الاولى **Birinci Muhasebe Kalemi** ) والذي يعتبر اكبر واهم الاقلام في النظام المالي العثماني ، والامر على اقلام الباب الدفترى ( المالية ) ، ويقسم الى عدة اقلام هي :

١ - قلم محاسبة الاناضول : وهو احد الاقلام التابعة الى الباب الدفترى وكان يدير امور الاوقاف الخاصة في الاناضول من شؤون التولية والجباية والكتابة والامامة والخطابة وما شابه ذلك فضلا عن اوقاف السلاطين والوزراء .

٢ - قلم الحرمين : وكانت مهمة هذا القلم بإحصاء وتسجيل الاموال والهدايا المرسلة الى الحرمين الشريفين في مكة والمدينة كل عام .

٣ - قلم الجزية : وهو القلم الذي كانت مهمته النظر في كافة الشؤون الادارية المالية واعداد الاوراق الخاصة بالجزية وتوزيعها على اهل الذمة ( غير المسلمين ) ( ٤٢ ) ، وقد اعتبر العثمانيون الجزية جزء من التكليف الشرعي الذي يجب المحافظة عليه .

٤ - قلم الاوقاف الصغرى : وهو القلم المكلف بحسابات الاوقاف الصغيرة المعروفة باسم ( تولية الصدقة ) والتي اشتهرت في العهد العثماني باسم ( صدقة توليلري ) وهي بعض الاوقاف الموجودة في استانبول والروم ايلي والاناضول و كانت تحت اشراف مباشر من قبل الصدر الاعظم ( ٤٣ ) .

كما قسمت حسابات الواردات والمصروفات في المؤسسات الوقفية في الدولة العثمانية هي الاخرى الى اقسام عدة بحسب ابواب ورقة الموازنة العامة وكما يلي :

أولاً : الواردات :

- ١ - جرد الموجودات ( راس المال ) .
- ٢ - الضرائب .
- ٣ - المبيعات .
- ٤ - التبرعات الخيرية .

ثانياً : النفقات ( المصروفات ) :

- ١ - الرواتب .
- ٢ - نفقات مطعم الفقراء .
- ٣ - نفقات الصيانة ( الترميمات ) .
- ٤ - نفقات متنوعة .

ثالثاً : الفائض من العائد السنوي :

- ١ - ايجارات غير مدفوعة او مازالت مستحقة .
  - ٢ - الموجودات الثابتة كنسبة مخصصة من الحاصل ( المنتوج ) للقوى الوقفية (٤٤) .
- وفي عهد السلطان سليمان القانوني ( ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ / ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م ) توسعت الادارة المالية لخزينة الدولة العثمانية حتى اصبحت ( ٢٥ ) خمسة وعشرون قلماً ، خصص منها اربعة اقلام للأوقاف هي :

١ - قلم محاسبة الحرمين ( حرمين محاسبه قلمي ) :

وعرف باسم محاسبة الاوقاف والذي كان يتولى ايضا القيود الخاصة بأوقاف الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ويراجع الحسابات الخاصة بهما ، وفي الوقت نفسه يتولى النظر في حسابات الجوامع الكبرى المعروفة باسم جوامع السلاطين ويدير المعاملات المتعلقة برواتب الموظفين العاملين في تلك الجوامع ، وكان يمسك هذا القلم القيود والسجلات الخاصة بأراضي اوقاف مكة والمدينة الموجودة في استانبول ، ويقوم ايضا بإعداد شهادات الوظائف والتعيينات الخاصة بموظفي الشؤون الدينية في استانبول (٤٥) ، وترتبط تشكيلات بعض الاوقاف الاخرى بمحاسبة الحرمين الشريفين وتحت العناوين التالية :

- جميع اوقاف السلاطين .
- الاوقاف التي يشرف عليها آغا باب السعادة .
- اوقاف الاولياء .

– اوقاف المدينة المنورة .

– الاوقاف التي اقامها الاشخاص للمدينة المنورة بما في ذلك الوظائف المترتبة عليها .

– الاوقاف التي يشرف عليها الصدر الاعظم وشيخ الاسلام (٤٦) .

### ٢ – قلم الاوقاف الصغيرة :

عرف هذا القلم باسم ( قلم المحاسب الصغرى ) وكان من ضمن مهام هذا القلم ادارة قسم من الاوقاف الموزعة قبل عهد التنظيمات على ثلاث دوائر مختلفة ، الدائرتان الاخيرتان هما ( قلم محاسبة الحرمين ) و ( قلم محاسبة الاناضول ) ، والاقواف المنوطة بهذا القلم هي عدد من الاوقاف الموجودة في استانبول والاناضول وتكون تحت اشراف اغا باب السعادة (٤٧) في البلاط العثماني بتسيير بعض امور تلك الاوقاف كالمشؤون الادارية والحسابات والتعيين في الوظائف ، كما يتولى مهمة متابعة دفاتر حسابات الاوقاف الصغيرة المعروفة بأوقاف الصدقة ( صدقه توليلري ) (٤٨) .

### ٣ – قلم الحرمين ( قسم المدن المقدسة ) :

وهو القلم الخاص بحفظ حسابات الاوقاف التي لها علاقة بالمدن المقدسة والتي اطلق عليها تسمية محاسبة الحرمين .

### ٤ – مفتشية اوقاف الحرمين :

اسست هذه المفتشية في شهر محرم الحرام ٩٩٥ هـ / كانون الثاني ١٥٨٦ م لتعمل بشكل مستقل ، انيطت بها مهمة الاشراف على مؤسسات الاوقاف الملكية وتفنيش اوقاف الحرمين ويشرف عليها اغا دار السعادة ، الذي اصبحت احدى مهامه ادارة اوقاف الحرمين واوقاف السلاطين التي يطلق عليها ( اوقاف همايوني ) ، وبعد توسع هذه الادارة شهد عام ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦ م تأسيس وزارة ( نظارت ) الاوقاف في الدولة العثمانية (٤٩) .

### الخاتمة:

بعد هذا العرض ، كان من الطبيعي ان تتطور ادارة الوقف في الدولة العثمانية وتكون له الادارة الخاصة التي تنهض بمؤسساته ، وان يشرف القاضي على شؤونها ، والتي وان لم تتبع اسلوباً ثابتاً في اختيار المشرفين غير انها من الناحية النظرية جعلت من القاضي مشرفاً لها باعتباره مسؤولاً عن الامور العدلية .

فضلاً عن ذلك فان ادارة الاوقاف كانت من اولويات السلطان والاسرة الحاكمة ، ولهذا نجد ان المؤسسات الخيرية واداراتها قد توسعت مع سيطرة العثمانيين على مناطق مختلفة من العالم ، ولا بد من الاشارة في هذا المقام الى براعة العثمانيين في ادارة امور دولتهم ، فهم الذين اسسوا الكثير من الدوائر الادارية والمالية في عدد غير قليل من البلدان التي كانت تجهل ادارة شؤونها .

اضف الى ذلك كله ان العمل في الاشراف على الاوقاف كان يضي انطباعاً لدى عامة الناس انها من الاعمال التي تحقق لهم الطاعة والتقرب الى الله سبحانه وتعالى ، فكان الحرص والامانة والدقة في ادارة هذا القطاع ضاهر للعيان في المجتمع العثماني سلطناً وشعباً ، وطلبت الدولة من القضاة والعاملين في ارجاء الدولة العثمانية تبني مفهوم التوثيق وحفظ الوثائق التي تلعب دوراً عملياً في ادارة مفاصل الدولة ، وبرزت اهمية الاوقاف في نظر السلاطين بشكل كبير ، من خلال اشرافهم المباشر على الاوقاف او تخويل ادارتها لخدمهم المقربين ، ومن ثم تأسيس دوائر عده لتنظيم الاشراف على عمل ادارة الوقف ، لما تقدمه تلك المؤسسة من خدمات جليلة للمجتمع .

1. **AKGunduz,Ahmed,Vakif Muessesesi,Istanbul,1996,S.139.**
  2. **A.E.**
  - ٣ — الوقفية : هي الوثيقة التي يتم بموجبها حبس العين : للمزيد ينظر : سامي ، شمس الدين ، قاموس تركي ، اقدم مطبعة سي ، استانبول ، ١٣١٧ ، ص ١٤٩٦ .
  - ٤ — الدوري ، عبد العزيز ، اوراق في التاريخ والحضارة ، الجزء الثاني ، الطبعة الاولى ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٩٨ ؛ اينالجك ، خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار ، ترجمة محمد الارناؤوط ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٢٠ .
  - ٥ — الكبيسي ، محمد عبيد عبدالله ، احكام الوقف في الشريعة الاسلامية ، الجزء الاول ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٣٩ ، EL – Zawahreh, Teisir Khalil, Religious Endowments and Life The Ottoman Province of Damascus is The Sixteenth and Serenteenth Centuries ,Jordan , 1992 , p . 87 .
  - ٦ — البرهاوي ، رعد محمود ، خدمات الاوقاف في الحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٠ ؛ عبدالله ، طارق ، الدولة والوقف في القرن الحادي والعشرين من الوصاية الى الشراكة ، المستقبل العربي ( مجلة ) ، لبنان ، السنة الحادية والثلاثون ، العدد ٣٦١ ، ٢٠٠٩ ، ص ٩٦ .
  - ٧ — المتولي : هو وكيل الاوقاف المسؤول عن متابعة الوقف : للمزيد ينظر : الاعظمي ، حسين علي ، احكام الاوقاف ، الطبعة الاولى ، مطبعة الاعتماد ، بغداد ، ص ١٥١ ؛ الدوري المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .
  - ٨ — الناظر : من الوظائف العالية الشأن في الدولة العربية الاسلامية ، للمزيد ينظر : الخالدي ، رغيد كمر مجيد ، الوقف والخدمات العامة في العراق في العصر العباسي ( ١٣٢ — ٦٥٦ هـ / ٧٤٩ — ١٢٥٨ م ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب — جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص.ص ٦١-٦٢ .
- EL Zawahreh , op . cit , p . 90 .
- 9 – Boa Vakalet Avsiri : S . No : 17 , D : 923 , 1100 /1689 , s.5 .
- 10 – Boa : S . No : 1 , D : 30 , 991 /1584 , S . 18 .
- 11 – Boa : S . No : 18 , D : 352 , 1101 /1690 , S . 223 .
- 12 – Boa : S . No : 18 , D , : 300 , 110 / 1690 , S . 193 .
- 13 – A . E , s . 103 .

14 – EL – Zawahreh , op . cit , p . 144 .

15 – Pakalin , Mehemt Zeki , Osmanli Tarin Deyimleri Ve Terimleri Sozlugu , Istandul , 1946 , s. 571 .

16 – Boa : S.No : 20 , D : 368 , 1103 , S.112 .

١٧ – السلطان سليم الاول ( ١٥١٢ – ١٥٢٠ م ) الملقب ( ياوز سلطان ) اي السلطان المهول لميوله العسكرية ، فهو اول السلطان توجه نحو المناطق العربية ، ومن اهم اثاره بناء جامع ومدرسة وزاوية ( تكية ) في استانبول ، فضلاً عن اوقاف قونية ، للمزيد ينظر : البديسي ، شرف خان ، شرفنامه ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد علي عوني ، دار الزمان ، دمشق ، ٢٠٠٦ ، ص ١٢٣ .

١٨ – السلطان سليمان القانوني ( ١٥٢٠ – ١٥٦٦ م ) لقب بالقانوني لتطبيقه القوانين التي شرعها ، وتعتبر مدة حكمه عهد ازدهار للدولة العثمانية ، فقد انشاء ٨١ جامعاً ، و٥٢ مسجداً ، و٥٥ مدرسة ، و١٧ مطعماً ، و١٨ خاناً ، و٣٣ حماماً ، و٧ جسور ، و٧ معاهد لدراسة القران الكريم ، للمزيد ينظر : بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس ومخير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ٤٥٦ ؛ لامب ، هارولد ، سليمان القانوني ، ترجمة شكري محمود نديم ، النبراس للنشر ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٢٧١ ؛

El-zawahreh , op , p. 144 .

19 – El-zawahreh , ibid .

20 – ibid .

21 – ibid .

22 – ibid , p . 145 .

23 – Boa : S.No : 18 , D : 61 , 1100/1689 , s . 40 .

24 – A . E .

25 – El-zawahreh , op . cit , p . 146 .

٢٦ – البرهاوي ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

٢٧ – للمزيد عن العاملين انظر نص الوثيقة المنشورة من قبل : مخلوف ، ماجدة ، اوقاف نساء السلاطين العثمانيين ، الطبعة الاولى ، دار الافاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ١٧ .

٢٨ – قونية : مدينة في تركيا الاسيوية ، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه ، فيه مقر اسقفية بطريركية القسطنطينية ، موستراس ، س ، المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية ،

ترجمة : عصام محمد الشحادات ، الطبعة الاولى ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٢ ،  
ص ٤١٢ ؛

Kazici ,Ziya , Osmanli Vakif Medeniyeti , Istanbul ,2003 ,s.220 .

٢٩ – الاقبة : عملة عثمانية ضربها السلطان اورخان ( ١٣٢٦ م ) وكانت تعرف بالابيض :  
للمزيد ينظر : فاروقي ، ثريا واخرون ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية  
، الجزء الثاني ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧ ،  
ص ٧٤٣ ؛ احسان اوغلي ، اكمل الدين ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد  
الثاني ، ترجمة صالح سعداوي ، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية ،  
استانبول ، ١٩٩٩ ، ٤٥٩ ؛

Kazici , A.G . E ,S .226 .

٣٠ – الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الاسلامي – العصر العثماني ، دار اسامة للنشر ،  
عمان ، ٢٠٠٣ ، ص ١٠٩ ؛

Kazici , A.E,S . 226 .

31 – El – zawahreh , op . cit , p . 94 .

32 – Pakalin , A.G. E , s . 570 .

33 – A.E .

34 – El – zawahreh , op . cit , p.95 .

٣٥ – اينالجبك ، خليل ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، المجلد الاول ،  
ترجمة عبداللطيف حارس ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٠٩ .

٣٦ – الروزنامه : كلمة فارسية تتكون من مقطعين ( روز ) وتعني اليوم ، و ( نامجه ) وتعني  
الكتاب او الدفتر او الوثيقة ، وعند جمع الكلمتين تصبح بمعنى السجل اليومي ، وقد  
اطلق العثمانيون تسمية على الروزنامه السجل اليومي للصادر والوارد : للمزيد ينظر  
: عطية الله ، احمد ، القاموس الاسلامي ، المجلد الثاني ، مكتبة النهضة المصرية ،  
القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٥٩٤ .

٣٧ – الصدر الاعظم : هو الرجل الثاني في هرم السلطة في الدولة العثمانية ، ويسمى ايضا  
الوزير الاول ، مهمته اطاعة وتنفيذ ومتابعة اوامر وقرارات السلطان .

El – zawahreh , op . cit , p.95 .

38 – Kazici ,A.G.E.s.296.

39 – A.E,s.296

٤٠ - جب - بوون ، هاملتون - هارولد ، المجتمع الاسلامي والغرب ، الجزء الاول ، ترجمة احمد عزت عبدالكريم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١ ، ص ١٨٥ ؛ مراد ، خليل علي ، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ن كلية الاداب - جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٢٠ .

٤١ - كنج ، يوسف احسان واخرون ، دليل الارشيف العثماني ، ترجمة صالح سعداوي ، تقديم خالد آر ن ، مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، استانبول ، ٢٠٠٨ ، ص . ص ٣٤٤ - ٣٤٥ ؛

Kazici , A.G.E,s.296.

42 - A.E .

٤٣ - جب - بوون ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ ؛ مراد ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

44 - Kazici ,A.E.s.296

45 - A.E ;

كنج ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

46- A.E ,s. 299 ;

المصدر نفسه .

٤٧ - ويعرف باغا البنات ( حريم اغاسي ) وهو اكبر الاغوات في القصر العثماني واكبر اغوات الحريم والعاملين في القصر السلطاني : للمزيد ينظر :

Uzuncarsili , Ismail Hakki , Osmanli Dereltinin Sarary Taskilati , Ankre , 1984 , s. 172.

48 - Kazici , A.G.E,s.289.

49 - A.E.

المصادر والمراجع :

الوثائق العثمانية غير المنشورة :

BOA Vakalet Avsiri : S . No : 17 , D : 923 , 1100 /1689 ,  
s.5.

BOA : S . No : 1 , D : 30 , 991 /1584 , S .  
18

BOA : S . No : 18 , D : 352 , 1101 /1690 , S . 223 .

BOA : S . No : 18 , D , : 300 , 110 / 1690 , S . 193 .

BOA : S .No : 20 , D : 368 , 1103 , S.112 .

BOA : S.No : 18 , D : 61 , 1100/1689 , s . 40 .

الرسائل والاطاريح العلمية غير المنشورة :

— خليل علي مراد ، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني ١٦٣٨ — ١٧٥٠ م  
، رسالة ماجستير غير منشورة ن كلية الآداب — جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٥ .

الكتب العربية والمعرية :

— اكمل الدين احسان اوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد الثاني ، ترجمة صالح  
سعداوي ، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية ، استانبول ، ١٩٩٩ .

— سامي ، شمس الدين ، قاموس تركي ، اقدم مطبعة سي ، استانبول ، ١٣١٧ .

— الدوري ، عبد العزيز ، اوراق في التاريخ والحضارة ، الجزء الثاني ، الطبعة الاولى ، دار  
الغرب الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

— اينالجك ، خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار ، ترجمة محمد الارناؤوط ،  
دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

— الكبسي ، محمد عبيد عبدالله ، احكام الوقف في الشريعة الاسلامية ، الجزء الاول ، مطبعة  
الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٧ .

— البرهاوي ، رعد محمود ، خدمات الاوقاف في الحضارة العربية الاسلامية ، مطبعة المجمع  
العلمي ، بغداد ، ٢٠٠٢ .

— عبدالله ، طارق ، الدولة والوقف في القرن الحادي والعشرين من الوصاية الى الشراكة ،  
المستقبل العربي ( مجلة ) ، لبنان ، السنة الحادية والثلاثون ، العدد ٣٦١ ، ٢٠٠٩ .

— الاعظمي ، حسين علي ، احكام الاوقاف ، الطبعة الاولى ، مطبعة الاعتماد ، بغداد .

## إدارة الاوقاف في الدولة العثمانية

- الخالدي ، رغيد كمر مجيد ، الوقف والخدمات العامة في العراق في العصر العباسي ( ١٣٢ هـ — ٦٥٦ هـ / ٧٤٩ — ١٢٥٨ م ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب — جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ .
- البديسي ، شرف خان ، شرفنامه ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد علي عوني ، دار الزمان ، دمشق ، ٢٠٠٦ .
- لامب ، هارولد ، سليمان القانوني ، ترجمة شكري محمود نديم ، النبراس للنشر ، بغداد ، ١٩٦١ .
- مخلوف ، ماجدة ، اوقاف نساء السلاطين العثمانيين ، الطبعة الاولى ، دار الافاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .
- موستراس ، س ، المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية ، ترجمة : عصام محمد الشحادات ، الطبعة الاولى ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٢ .
- فاروقي ، ثريا واخرون ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، الجزء الثاني ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٧ .
- احسان اوغلي ، اكمل الدين ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد الثاني ، ترجمة صالح سعداوي ، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية ، استانبول ، ١٩٩٩ .
- الزيدي ، مفيد ، موسوعة التاريخ الاسلامي — العصر العثماني ، دار اسامة للنشر ، عمان ، ٢٠٠٣ .
- اينالچك ، خليل ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، المجلد الاول ، ترجمة عبداللطيف حارس ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
- عطية الله ، احمد ، القاموس الاسلامي ، المجلد الثاني ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- جب — بوون ، هاملتون — هارولد ، المجتمع الاسلامي والغرب ، الجزء الاول ، ترجمة احمد عزت عبدالكريم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١ .
- كنج ، يوسف احسان واخرون ، دليل الارشيف العثماني ، ترجمة صالح سعداوي ، تقديم خالد آرن ، مركز البحوث والدراسات الاسلامية ، استانبول ، ٢٠٠٨ .

- AKGündüz,Ahmet,Vakif Muessesesi,OSAV Yayınları ,Istanbul,1996. -
- EL – Zawahreh, Teisir Khalil, Religious Endowments and Life The Ottoman Province of Damascus is The Sixteenth and Serenteenth Centuries ,Jordan , 1992.
- Pakalin , Mehemt Zeki , Osmanli Tarin Deyimleri Ve Terimleri Sozlugu , Istandul , 1946.
- Kazici ,Ziya , Osmanli Vakif Medeniyeti ,kayhan Yayınları ,Istanbul ,2003.
- Uzuncarsılı , Ismail Hakkı , Osmanli Dereltinin Sarary Taskilati , Ankre , 1984.

البنك المركزي العراقي وتطوره حتى عام

١٩٦١

**The Central Bank of Iraq and its  
development until 1961**

مازن محي علي المجمالي

**Mazen Mohie Ali Majmai**

ا.د علاء طه ياسين

**Dr. Alaa Taha Yassin**



البنك المركزي العراقي وتطوره حتى عام ١٩٦١

مازن محي علي المجمالي

اد. علاء طه ياسين

**Abstract**

Central banks have received increasing attention from policy makers and decision makers in various countries of the world because of their distinguished role in achieving economic balance, which is considered the main goal pursued by all economic policies of different countries. The central bank performs this task through its application of an appropriate monetary policy to address crises and imbalances for any A country, as the effects of this policy are reflected on the entire economic activity in order to achieve monetary stability on the one hand, and to contribute to establishing the foundations for economic growth on the other hand.

The function of cash issuance is one of the most important justifications for the emergence of central banks, especially the Central Bank of Iraq, and with the development and complexity of the economic reality, the functions of the Central Bank of Iraq have multiplied and it has an important role in directing the process of economic development in Iraq.

The role of the Central Bank of Iraq in achieving monetary balance is evident through its basic function (money issuance), as well as through its role in credit control, especially on commercial banks that participate in the central bank in influencing the money supply by creating deposit money, which is the most important type of money. In the modern banking system and depends on the credit policy of the country, and the central bank can make a clear impact directly or indirectly on the volume of bank credit.

المقدمة:

حظيت البنوك المركزية باهتمام متزايد من قبل صانعي السياسة ومتخذي القرار في مختلف بلدان العالم بسبب دورها المتميز في تحقيق التوازن الاقتصادي والذي يعتبر الهدف الأساس الذي تسعى له جميع السياسات الاقتصادية للبلدان المختلفة، ويؤدي البنك المركزي هذه المهمة من خلال تطبيقه لسياسة نقدية ملائمة لمعالجة الأزمات والاختلالات لأي دولة، إذ تنعكس آثار هذه السياسة على النشاط الاقتصادي بأكمله وصولاً إلى تحقيق الاستقرار النقدي من جهة والمساهمة في إرساء مقومات النمو الاقتصادي من جهة أخرى .

وتعتبر وظيفة الإصدار النقدي من أهم مبررات نشوء البنوك المركزية ولاسيما البنك المركزي العراقي، وبتطور وتعقد الواقع الاقتصادي تعددت وظائف البنك المركزي العراقي وأصبح له دور مهم في توجيه عملية التنمية الاقتصادية في العراق. ويتجلى دور البنك المركزي العراقي في تحقيق التوازن النقدي من خلال قيامه بوظيفته الأساسية ( إصدار النقود ) وكذلك من خلال دوره في الرقابة على الائتمان ولاسيما على المصارف التجارية التي تشارك البنك المركزي في التأثير في المعروض النقدي عن طريق قيامها بخلق نقود الودائع والتي تعد أهم أنواع النقود في النظام المصرفي الحديث وتتوقف على السياسة الائتمانية للبلد، ويمكن للبنك المركزي أن يحدث تأثيراً واضحاً بصورة مباشرة أو غير مباشرة على حجم الائتمان المصرفي .

اولاً: نشأة البنك المركزي العراقي وتطوره:

نشأة البنك المركزي العراقي نتيجة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية وتطور التجارة الداخلية والخارجية، فضلاً عن ضرورات السياسة المالية والنقدية التي أوجبت قيام ذلك البنوك<sup>(١)</sup>، إذ ان هناك عدة خصائص تميز البنك المركزي كمؤسسة نقدية عن غيره من المصارف، إذ ان البنك المركزي هو مؤسسة نقدية ذات ملكية عامة، فالدولة هي التي تتولى ادارته والاشراف عليه عن طريق القوانين التي تسنها والتي تحدد بموجبه جميع اغراضه وواجباته، ويشترك مع الحكومة في رسم السياسة النقدية<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن انه ليس مؤسسة من اجل الربح، لان الغرض الاساسي من اعماله هو تحقيق المصلحة

العامة، وليس الحصول على الدخل<sup>(٣)</sup>، واذا تعارضت المنفعة العامة مع بعض الفرص للحصول على الربح، فان الواجب على البنك المركزي ان يتخلى عن تلك الفرصة، لذلك عليه ان يحتفظ دائماً بمقادير جسيمة من الاحتياطي ليكون مستعداً لمساعدة البنوك التجارية في الاوقات العصبية<sup>(٤)</sup>.

يحتل البنك المركزي العراقي الصدارة ويقع على قمة الجهاز المصرفي، لكونه يتمتع بسلطة رقابية على البنوك وله القدرة على خلق النقود القانونية دون سواه، وله القدرة على جعل جميع البنوك تستجيب للسياسة النقدية التي يرغب بتنفيذها<sup>(٥)</sup>، والمحافظة على الاحتياطي من العملات الاجنبية واستثمارها<sup>(٦)</sup>، فضلا عن المساهمة في اعمال التخطيط الاقتصادي وتمثيل النظام المصرفي في اعمال التخطيط<sup>(٧)</sup>، اذ ان البنك المركزي هو المقرض الاخير للنظام الائتماني، والمتحكم بالسياسة النقدية<sup>(٨)</sup>.

يعد اصدار العملة من اقدم الوظائف التي مارسها البنك المركزي منذ نشأته<sup>(٩)</sup>، إذ ينفرد البنك المركزي بتلك الوظيفة، والسبب في ذلك هي من اجل تنشيط السلطات النقدية في التحكم بوسائل الدفع المتاحة للوحدات الاقتصادية، والسيطرة على حركة التوسع والتقلص بالائتمان المصرفي<sup>(١٠)</sup>.

يحتل البنك المركزي مكانة كبيرة في النظام المصرفي الوطني، فهو الذي يقدم المساعدة الى البنوك التجارية في حالات الضيق الموسمي، أو الازمات، أو عند الضرورة ليس بوصفه المقرض الاخير للنظام الائتماني فحسب، وانما تحتفظ لديه البنوك باحتياطياتها النقدية ويتولى الاشراف على عمليات المقاصة فيما بينها وتسوية الحسابات المختلفة<sup>(١١)</sup>.

من المهام التي نهض بها البنك المركزي وهي ابداء الرأي الفني وتقديم المشورة في نوع السياسات الواجب اتباعها لمواجهة الظروف المختلفة، وتنفيذ السياسة الاقتصادية العامة للدولة، لذلك لا يمكن ان تدار تلك البنوك ادارة مستقلة عن السياسة التي ترسمها الدولة لتحقيق الصالح الاقتصادي العام، وهذا ما يفسر شروط ملكية الدولة للبنك المركزي، لتضمن بذلك تعاوناً وثيقاً بينه السلطة السياسية في الدولة، ويعد ذلك بمثابة المستشار المالي للدولة<sup>(١٢)</sup>، فضلاً عن ان البنك المركزي يمكن له ان يضطلع بمسؤولية ادارة الدين العام الداخلي والخارجي نيابة عن الخزينة العامة<sup>(١٣)</sup>.

يعد التحكم بالائتمان من اهم الوظائف التي يقوم بها البنك المركزي وأخطرها، والرقابة على الائتمان يقوم بها البنك المركزي، وذلك عن طريق ادوات مختلفة، وتشكل عناصر جوهرية من عناصر السياسة النقدية، الا انها تمثل ادوات كمية ونوعية يلجأ اليها البنك لغرض تحديد حجم الائتمان وتوجيهه وتحديد الغرض منه<sup>(١٤)</sup>.

نشأ البنك المركزي العراقي بنشأة بسيطة ثم مع تطور النظام والتنظيم المصرفي وتطورات الأوراق النقدية بأشكالها المختلفة تطور ذلك البنك لتساير تزايد الحاجة الى وظائفه ذات العلاقة بالسياسة النقدية والمالية للدولة، اذ شهد البنك تطورات مهمة تمثلت من ثلاثة اتجاهات، الأول: تعلق بالتطورات المهمة التي شهدتها وظائف البنوك المركزية، فالبنوك المركزية العريقة نشأت في بادئ الأمر كبنوك تجارية ثم أضيفت وظيفة إصدار العملة وتقديم المشورة والخدمات المصرفية للحكومة، ومن هاتين الوظيفتين تفرعت الوظائف الأخرى، أما الاتجاه الثاني من تطور البنوك المركزية فتتعلق بالجوانب القانونية التي تحكم العلاقة بين الدولة والبنك المركزي، في حين وتقع الاتجاه الثالث ضمن التطورات المهمة التي شهدتها تلك البنوك لا سيما بعد تفاقم المشاكل النقدية لكل بلد، فضلاً عن المشاكل النقدية الدولية، إذ ظهرت بوادر تطور جديدة تمثلت في الدعوة الى الحد من تبعية البنوك المركزية للدولة وتمتعها بقدر من الاستقلالية لعطيها الحرية في اتخاذ القرارات الخاصة بالسياسة النقدية على المستوى الوطني وفق متغيرات ومؤشرات اقتصادية بعيدة عن تدخل الدولة، من غير ان يعني ذلك إهدار المصلحة العامة، وعلى ان تبقى تلك البنوك ضمن ملكية الدولة<sup>(١٥)</sup>.

يتضح مما سبق ان البنك المركزي هو المؤسسة النقدية الحكومية، التي تسيطر بصورة رئيسية على النظام النقدي والمصرفي، وتقع على عاتقه مسؤولية اصدار العملة، والعمل بمثابة وكيل مالي للحكومة، ومراقبة الاجهزة المصرفية الاخرى، والقيام بمراقبة عملية الائتمان لتدعيم النمو الاقتصادي، وهي المسؤولة على الاستقرار النقدي للبلد وذلك لقدرتها على التحكم بتوفير او سحب الكميات النقدية القادرة على خلق حالة من الاستقرار والتوازن بين حاجات النشاط الاقتصادي والسياسة النقدية للبلد .

في العشرين من تموز ١٩٤٧ صدر قانون المصرف الوطني رقم ٤٣ لسنة ١٩٤٧، على تأسيس المصرف المركزي، ونظرا لصدور الارادة الملكية نفذ في السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٤٧، اذ عد التاريخ الاخير هو يوم تأسيس المصرف الوطني العراقي<sup>(١٦)</sup>، اذ ذكرت الفقرة (أ) من المادة الرابعة من القانون المذكور واجبات المصرف بـ (ادارة العملة وتأمين استقرارها وخدمة مالية الدولة وتسهيل التحديات الداخلية والخارجية وترويج وتسهيل الاعتماد لصالح التجارة والصناعة والزراعة بصورة عامة ) ، فضلا عن اصدار العملة وادارتها والقيام بالاعمال الناشئة عن ذلك، والقيام بالاعمال المتعلقة بمراقبة المصارف وتنسيق اعمالها، والاعمال المتعلقة بالاتفاقيات الدولية، فضلا عن القيام بالاعمال الناجمة عن مراقبة التحويل الخارجي، وحفظ حسابات الحكومة بما فيها الدوائر شبه الحكومية في جميع فروعها، ومعاملات القروض الحكومية وشبه الحكومية على اختلاف انواعها<sup>(١٧)</sup>.

صدر القانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٤٧ نص على تحويل صلاحيات لجنة العملة العراقية الى المصرف الوطني العراقي عند تشكيله قانونا وتعيين قيمة ذهبية للدينار وتعديل بعض الشروط الخاصة بالاحتياط وعناصره وتقرير الاسس العامة للاصدار والاطفاء<sup>(١٨)</sup>.

اصدر المصرف الوطني العراقي اول وجبة من الاوراق النقدية العراقية التي حملت اسمه في السابع عشر من ايلول ١٩٥٠، اما بالنسبة لطبيعة وتنوع العملات الورقية والمعدنية، فقد استمر التعامل بما تم اصداره خلال مدة لجنة العملة بدون أي تغير، هذا وقد نقلت موجودات لجنة العملة الى بنك بريطانيا الذي اصبح وكيل المصرف الوطني العراقي في لندن<sup>(١٩)</sup>.

جرت محاولات عديدة لتعديل قانون المصرف الوطني العراقي عام ١٩٤٧، منذ عام ١٩٤٨ و عام ١٩٤٩، لكن جميع تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح، إذ إنها لم تتعد ان تكون لوائح غير مشرعة، وفي بداية شهر آذار ١٩٥٣ بدأ العمل من اجل تعديل قانون المصرف الوطني العراقي، نظراً لوجود بعض النواقص في القانون المذكور، واستناداً الى التوجيهات والتوصيات التي قدمها الخبير المالي الدنماركي كارل افرسن، قدمت

الحكومة العراقية لائحة لقانون تأسيس بنك العراق المركزي وذلك في شهر نيسان ١٩٥٣، الى مجلس النواب، وقد جاء في الاسباب إن تطبيق قانون المصرف الوطني العراقي رقم (٤٣) لسنة ١٩٤٧، قد أظهر نواقص ملحوظة ينبغي تلافيتها بإصدار قانون جديد يتضمن التعليمات الرئيسية الآتية (٢٠):

١. تعزيز مركز البنك المالي بزيادة مجموع رأسماله المدفوع والاحتياطي من خمسة ملايين دينار الى عشرة ملايين دينار وذلك دون تكليف خزينة الدولة بأي التزام جديد.

٢. تلافي الصعوبات السابقة، (فيما يتعلق بتعيين اعضاء مجلس الإدارة وتوزيع اختصاصاتهم وصلاحيات المحافظ ومدة بقائه ومن ينوب عنه اثناء غيابه وطريقة تدقيق حسابات البنك) .

تعديلات أخرى شكلية، لاسيما تعديل تسمية المؤسسة (البنك المركزي العراقي)، وعنوان المحافظ (٢١) العام ومعاون المحافظ (٢٢).

صدر قانون البنك المركزي العراقي رقم ٧٢ لسنة ١٩٥٦ بعد توقيع الملك فيصل الثاني عليه في الثامن عشر من حزيران ١٩٥٦، ونشر في الجريدة الرسمية (الوقائع العراقية) في الاول من تموز ١٩٥٦، اذ لم يأت صدور هذا القانون لمجرد تغيير الاسم من المصرف الوطني العراقي الى البنك المركزي العراقي، بل جاء لزيادة رأسماله، فضلاً عن ذلك لمعالجة بعض النواقص والمتغيرات التي احتواها القانون السابق لعام ١٩٤٧ (٢٣).

نشر في الجريدة الرسمية قانون البنك المركزي العراقي رقم ٧٢ لسنة ١٩٥٦ في الاول من تموز ١٩٥٦ ومن اهم التغييرات التي تضمنها القانون الجديد تفصيل النص على الاعمال التي يجوز للبنك ممارستها تنفيذاً لواجباته كبنك مركزي للدولة وزيادة رأسماله من خمسة ملايين دينار الى خمسة عشر مليون دينار، وقد حددت المادة الرابعة من قانون البنك المركزي العراقي رقم ٧٢ لسنة ١٩٥٦ اغراضه وواجباته في ادارة العملة وتأمين استقرارها والتأثير في وضع الائتمان لمصلحة البلاد والقيام باعمال

الصيرفة للحكومة وتسهيل التاديات الداخلية والخارجية، وتحقيقاً لتلك الاغراض منح البنك المركزي العراقي صلاحيات اصدار العملة وادارتها والقيام بالاعمال المتعلقة بذلك<sup>(٢٤)</sup>.

تلخصت التعديلات الجديدة التي جاءت بها لائحة القانون الجديد مقارنة مع القانون السابق رقم (٤٣) لسنة ١٩٤٧ في مواضيع رئيسية عدة، فقد تناول الموضوع الاول اسم المصرف وأهدافه وواجباته، إذ أبدل اسم المصرف الوطني العراقي بأسم (البنك المركزي العراقي)، لان كلمة البنك اكثر استخداماً وشيوعاً في البلدان العربية، وان كلمة مركزي اكثر دلالة على مهام البنك واعماله فضلاً عن أهدافه، كذلك تمشياً مع التسمية السائدة في مجال الصيرفة المركزية، وبذلك يعد العراق أول بلد عربي أنشئ فيه بنك مركزي، وفرقت تلك اللائحة بين اهداف البنك وما يسعى اليه من خدمة اقتصاديات البلد من جهة، وبين الواجبات التي تعهد اليه بموجب القوانين والانظمة المختصة لغرض تنفيذ هذه الاهداف من جهة اخرى<sup>(٢٥)</sup>.

تناولت اللائحة موضوع أرباح البنك المركزي العراقي والاحتياطي الذي يملكه، وعرفت الارباح الصافية للبنك في تلك اللائحة، كما وحدد المبلغ الاحتياطي الواجب الاحتفاظ به وترك لمجلس الادارة تحديد النسبة التي تدفع للحكومة من الارباح، كما وأعفيت أرباح البنك من ضريبة الدخل، والضريبة الاضافية، الى جانب إعفاء جميع معاملاته من كافة الضرائب والرسوم باعتبار ان البنك سيدفع للحكومة جزءاً من ارباحه، واحتوى ايضاً تفاصيل عن الاعمال التي يجوز للبنك ممارستها تنفيذاً لواجباته كبنك مركزي للدولة<sup>(٢٦)</sup>.

نصت المادة السابعة من القانون على تأليف مجلس استشاري يضم ممثلي البنوك التجارية العاملة في العراق لبحث الامور الصيرفية ذات الصيغة العامة، وتقديم التوصيات بشأنها الى مجلس إدارة البنك وذلك بدلاً من تمثيل البنوك المذكورة في مجلس الادارة للبنك، ويكون عملها استشاري فقط<sup>(٢٧)</sup>.

تناولت المواد (الخامسة والسادسة والثامنة) من قانون المذكور في تحديد النظام الاداري والداخلي للبنك، وما هي الواجبات الملقاة على المجلس وطريقة اختياره، وكيفية

اختيار المحافظ ونائبه، والصلاحيات الملقاة على عاتقه، وفيه تم أبدال اسم المحافظ العام بأسم (المحافظ)، وكذلك تم تغيير اسم معاون المحافظ الى (نائب المحافظ) (٢٨).

لم يحدث قانون البنك المركزي العراقي تغييرات جذرية في طبيعة واعمال مجلس إدارة البنك المركزي العراقي، بل جاءت لمعالجة النواقص في القانون السابق وتتلخص في اضافة نائب المحافظ الى عضوية المجلس، ولتأمين نصاب الجلسات أجاز القانون بتحديد عدد الاعضاء الاضافيين لمجلس الادارة بخمسة أعضاء، كما حدد القانون بأن يكون الاعضاء الاصليين والاضافيين من ذوي الخبرة والاختصاص في الشؤون الاقتصادية والمالية (( كما حددت المادة السادسة ( أ)، من القانون المذكور انه لا يجوز ان يكون عضواً في مجلس الادارة من هو مدير او موظف في أحد المصارف، وذلك للمحافظة على استقلالية البنك المركزي العراقي في سياسته وادارته تجاه المصارف الاخرى وعدم افشاء القرارات التي تدعوا الحاجة الى كتمانها(٢٩).

حددت المادة التاسعة من القانون الطريقة المناسبة لفض الاختلاف التي قد تنشأ بين المحافظ ومجلس الادارة ومنها الاتي(٣٠):

١- اذا اختلف المحافظ ومجلس الادارة فللمحافظ أن يحكم وزير المالية في موضوع الخلاف وأن يعرض ذلك الموضوع على مجلس الوزراء للبت فيه نهائياً اذا لم يؤيد وزير المالية وجهة نظر المحافظ .

٢- اذا اختلف مجلس الادارة ووزير المالية في أي امر من الامور يعرض وزير المالية الخلاف على مجلس الوزراء ويكون قراره نهائياً .

عدت المادة العاشرة من القانون ان البنك شخصية حكومية له حق تملك العقار، ويعد مؤسسة حكومية لفرض قانون الطابع وقانون ضريبة الدخل والقوانين الاخرى، وفيما يخص حسابات البنك وقروضه وودائعه فقد رأى المشرعون ان تدقق حسابات البنك من قبل محاسبين ومدققين ماليين، وأعطى لوزير المالية حق الموافقة على استخدام هؤلاء المحاسبين القانونيين لتنفيذ هذا الغرض، كما وأعطيت لمراقب الحسابات العام صلاحية الاطلاع والتدقيق على حسابات البنك ومعاملاته(٣١).

كانت اهم وظائف العامة للبنك المركزي هي اصدار العملة، وهي المهمة الاساسية التي أنشأ من أجلها البنك المركزي العراقي، اذ ان الاصدار لم يكن استجابة حقيقية لحاجة النشاط الاقتصادي، وانما كان يواكب السير بمتطلبات الانفاق الحكومي، فقد كان اعتماد الحكومة على إيرادات النفط العالية كونت للحكومة ودائع كبيرة من الموجودات الاجنبية لدى المصارف، فكلما زادت الحكومة من انفاقها للقضايا الادارية، او لأغراض التنمية، تقوم بأبدال إيراداتها من العملة الاجنبية بإصدارات جديدة من العملة الوطنية، وهذا أدى الى كثرة التضخم في العملة، ويبدل ذلك على خضوع البنك العراقي للسياسة النقدية الحكومية، وليس لسياسة نقدية حكومية<sup>(٣٢)</sup>، فضلا عن التحويل الخارجي، اذ أن البنك المركزي العراقي كان خاضعاً تماماً في هذه المهمة الى تعليمات المنطقة الاسترلينية في ادخال وإخراج السلع التجارية، كميتها ونوعيتها، فضلاً عن المنطقة التي تذهب او تأتي منها تلك السلع، مع تحديد كمية العملات الاجنبية التي يحصل عليها العراق من المنطقة الاسترلينية لمشترياته الضرورية<sup>(٣٣)</sup>، بالإضافة الى مراقبة المصارف التي كانت تلك والوظيفة روتينية أيضاً، لأن الهدف منها هو تحقيق الرقابة على البنوك والمصارف والتأكد من قيامها في تنفيذ نصوص قانون مراقبة المصارف رقم ٣٤ لسنة ١٩٥٠، لكن البنك المركزي لم يكن قادراً على الوقوف بوجه المصارف التجارية الاجنبية، إذ انها كانت تتلقى التعليمات من مراكزها الرئيسية في الخارج، فضلاً عن ذلك فإن القانون المذكور كان يهدف الى المحافظة على انسيابية تلك المصارف والتأكد من قدرتها على مواجهة طلبات الاشخاص المودعين وحماية ودائعهم، دون التركيز والاعتماد على عملية توجيه الائتمان المصرفي والتأثير في كلفته وحجمه في سبيل تحقيق التنمية الاقتصادية للبلاد<sup>(٣٤)</sup>.

اقتضى قرار نقل حسابات الدوائر الحكومية وشبه الحكومية من مصرف الرافدين الى البنك المركزي ضرورة فتح فروع للبنك المركزي في المحافظات الرئيسية لمزاولة حفظ حسابات الدولة الى جانب القيام بالاعمال الخاصة بالتحويل الخارجي وتوزيع وتسليم العملة والاوراق النقدية، اذ وافق مجلس البنك المركزي في الرابع من حزيران ١٩٥٦ على فتح فروع للبنك المركزي العراقي في كل من البصرة والموصل وكركوك على ان

يباشر بفتح فرع البصرة فوراً، وان تتخذ الترتيبات اللازمة لفتح فرعي الموصل وكركوك في المستقبل، فوافق المجلس في الثامن من كانون الاول ١٩٥٦ على ملاكات فروع البصرة وكركوك والموصل الى جانب ملاك لفرع الديوانية، الا ان لم تؤسس من تلك الفروع سوى فرع البصرة في كانون الثاني عام ١٩٥٧ وفرع الموصل في أيار عام ١٩٦٥<sup>(٣٥)</sup>.

تم فتح فرع من البنك المركزي في محافظة البصرة، اذ تنقسم مهام ذلك الفرع الى اربعة اعمال رئيسية، تشمل القسم الاول منها اعمالاً صيرفية تتضمن حفظ حسابات الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في محافظة البصرة والتوسط لدى دائرة الصيرفة في بغداد لفتح الاعتمادات لصالح بعض تلك الدوائر واعادة قطع الاوراق التجارية والقيام بعمليات المقاصة للمصارف التجارية في المحافظة، اما القسم الثاني فيشمل اعمالاً تخص الاصدار منها ادارة الخزنة الفرعية للعملة واصدار العملة للتداول عن طريق طلبات السحب من المصارف والدوائر على حساباتها الجارية الى جانب عزل الاوراق النقدية الواردة من التداول عن طريق ايداعات الدوائر والمصارف وتصنيفها الى جيدة يعاد اصدارها للتداول ثانية وبالية لتحرق في بغداد ويصدر بدلها اوراقاً نقدية جديدة، ويتضمن القسم الثالث اعمالاً تخص التحويل الخارجي بموجب صلاحيات محدودة منحت للفرع، ويشمل القسم الرابع اعمالاً تخص ادارة الفرع ذاته بما في ذلك شؤون موظفيه وحساباته الادارية<sup>(٣٦)</sup>.

وزعت الاعمال فرع البنك في البصرة على ست شعب رئيسية هي: شعبة الصيرفة وتتكون من قسم الحسابات الجارية واخر للمعاملات الصيرفية الاخرى، وشعبة الصندوق التي تتكون من قسمين هما قسم اماناء الصندوق وقسم العدادات، والخزانة الفرعية، وشعبة الادارة التي تتكون من قسم الادارة والاوراق وقسم الحسابات الادارية، وشعبة التحويل الخارجي، وشعبة التدقيق، وشارك الفرع عن طريق موظفيه في لجان مختلفة دائمية ووقتيية، ومن اللجان الدائمة لجنة دراسة وتحديد اسعار التمور المعدة للتصدير بالبصرة يشترك فيها مدير الفرع عضواً وأحد موظفي الفرع سكرتيراً، ومجلس ادارة غرفة تجارة التمور بالبصرة يشارك فيها مدير الفرع عضواً<sup>(٣٧)</sup>.

ومن جانب اخر تم فتح فرع من البنك المركزي في الموصل يقوم الفرع بحفظ حسابات الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في محافظة نينوى الى جانب بعض الاعمال الخاصة بالاصدار والتحويل الخارجي وادارة الفرع ذاته، ونظراً لحدائثة تكوين ذلك الفرع بالنسبة الى فرع البصرة فقد وزعت مهامه على ثلاث شعب رئيسية هي: شعبة الادارة التي تقوم الى جانب واجباتها الادارية الاعتيادية بادارة معاملات التحويل الخارجي بموجب الصلاحيات المحدودة الممنوحة للفرع والتي تشمل معاملات المسافرين العراقيين والأجانب والشركات والمصارف فضلا عن معاملات الاستيراد والتصدير، وكذلك تقوم الشعبة بادارة الخزانة الفرعية للعملة وتنظيم مستندات السحب والايذاع منها واليهما للاوراق النقدية والمسكوكات وتنظيم وحفظ السجلات الخاصة بموجودات الخزانة الفرعية للاوراق النقدية والمسكوكات بكافة فئاتها<sup>(٣٨)</sup>.

اما شعبة الخزانة فتنحصر مهمتها الأساسية في تسلم المبالغ النقدية التي تودعها الدوائر الرسمية وشبه الرسمية والمصارف المحلية في حساباتها الجارية لدى الفرع، وكذلك دفع مبالغ الصكوك النقدية التي تسحبها هذه المصارف والدوائر على حساباتها الجارية، وتقوم الشعبة بتسلم المبالغ النقدية من خزانة رصيد التدوير وهي تمثل المبالغ النقدية التي يتم تسلمها يومياً على شكل ايداعات الدوائر الرسمية وشبه الرسمية والمصارف المحلية حيث تقوم العدادات بعد وفرز وتدقيق الاوراق النقدية وتصنيفها الى جيدة لاعادتها الى التداول واخرى بالية تودع الخزانة الفرعية لتجميعها وارسالها الى المركز الرئيسي بين حين وآخر لغرض اتلافها<sup>(٣٩)</sup>.

وتقوم شعبة الصيرفة بتنظيم وحفظ سجلات الحسابات الجارية للدوائر الحكومية وشبه الحكومية والمصارف التجارية في محافظة نينوى، وكذلك تنظيم كشوفات هذه الحسابات وارسالها الى الجهات المختصة في منتصف، ونهاية كل شهر، والقيام بتنظيم قيود المستندات لمعاملات السحب والايذاع لحساب الدوائر الحكومية وشبه الحكومية والمصارف التجارية في المحافظة، فضلا عن تتولى الشعبة المعاملات الصيرفية للدوائر الحكومية وشبه الحكومية الداخلية والخارجية وتتم المعاملات الأخيرة بواسطة المركز الرئيسي كفتح الاعتمادات والحوالات المستندية البريدية والبرقية، الى جانب أعمال إعادة

قطع الاوراق التجارية والقيام بعملية المقاصة وتصفية كافة أنواع الصكوك المسحوبة على البنوك التجارية وبنوك الاختصاص في المحافظة<sup>(٤٠)</sup>.

تقوم فروع مصرف الرافدين، في المحافظات التي لا توجد فيها فروع للبنك المركزي العراقي، ببعض أعمال الصيرفة المركزية حسب الصلاحيات الممنوحة لها كحفظ حسابات الدوائر الحكومية وشبه الحكومية وتوزيع الاوراق النقدية والمسكوكات الجديدة واستلام المستعملة لغرض شحنها الى مركز البنك المركزي في بغداد، وتقوم بمهمة مدراء المال في الأماكن التي لا يوجد فيها فرع لمصرف الرافدين<sup>(٤١)</sup>.

استمر البنك المركزي العراقي خلال المدة (١٩٥٦ - ١٩٥٨) من القيام بمهامه الرئيسية والتي وقعت على عاتقه، إذ أكمل العمل الذي أوكل اليه خلال المدة السابقة، وابرز تلك المهام هي الاتي<sup>(٤٢)</sup>:

- ١- اصدار العملة.
- ٢- القيام بالأعمال الناجمة عن الاتفاقيات الدولية.
- ٣- التحويل الخارجي.
- ٤- مراقبة المصارف.
- ٥- تقديم المشورة للحكومة في الامور التي تؤثر على وضع العملة العراقية.
- ٦- القيام بمعاملات القروض الحكومية وشبه الحكومية، حفظ حسابات الحكومة.

أصدر البنك المركزي العراقي وجبة كاملة من فئات الاوراق النقدية التي تحمل اسم (البنك المركزي العراقي)، وبناءً على حاجة التداول اعاد البنك المركزي طبع الاوراق النقدية من فئات الدينار الواحد والعشرة دنانير والخمسة دنانير والنصف دينار، فأصدر الاولى في السادس والعشرين من اب ١٩٥٦، واصدر الثانية في الثامن والعشرين من تشرين الثاني ١٩٥٦، والثالثة في الثالث والعشرين من تموز ١٩٥٧، وحملت تلك الفئات المواصفات نفسها التي كانت تحملها الفئات السابقة، باستثناء صورة الملك فيصل الثاني بعمر أكبر، وتحمل علامة مائة جديدة للصورة الثالثة للملك فيصل الثاني، كما إن الوان الاوراق النقدية كانت افتح قليلاً من المجموعة السابقة، واحتوت كذلك على توقيع محافظ البنك (عبد الاله حافظ)، وطبعت في لندن بدار الطباعة نفسها، وكانت تلك الاوراق النقدية

تحمل العبارة الآتية ( ورقة نقدية صادرة بموجب القانون رقم ٤٢ لسنة ١٩٤٧، عن البنك المركزي العراقي )<sup>(٤٣)</sup>.

يتضح مما سبق ان البنك المركزي العراقي خلال المدة (١٩٥٠ - ١٩٥٨) كان يمارس اعمال روتينية دون ان يكون له اثراً كبيراً في التأثير على النشاط الاقتصادي بالمعنى الذي يتوقعه كل اقتصادي من مؤسسة مهمة اسمها (البنك المركزي) ، وذلك لأنه كان مقيداً بالسير وفق ما تمليه عليه السياسة الحكومية والارتباط بالمنطقة الاسترلينية التي كان العراق خاضعاً تحت سيطرتها.

ثانياً: العملات النقدية التي اصدرها البنك المركزي العراقي:

أصدر المصرف الوطني العراقي للمدة ١٩٥٠ - ١٩٥٦ عدد من المسكوكات المعدنية وتكونت من المسكوكات الآتية وهي: المائة فلس، والخمسين فلس، والعشرين فلس، وعشرة فلوس، أربعة فلوس، فلسين، فلس واحد، والتي حدد أشكالها واحجامها وفقاً لما جاء بالإرادة الملكية المرقمة (٣٤١) التي صدرت في الثاني والعشرين من نيسان ١٩٥٣.<sup>(٤٤)</sup>

وفي الثاني والعشرين من نيسان ١٩٥٣ صدر تشريع تم فيه تعيين التفاوت في مسكوكات العملة العراقية المصنوعة من الفضة والنيكل والنحاس ويكون التفاوت بينهما وفقاً لما تم تحديده في التشريع رقم (١٠) لسنة ١٩٥٣، أما ما يخص المواصفات التي تخص تلك المسكوكات من حيث الوزن والمساحة والتركيب المعدني، فيظهر أنها قد بقيت كما كانت سابقاً، عدا المسكوكتين من فنتي عشرة فلوس، والاربعة فلوس والتي كانت قد صنعتا من مزيج النيكل والنحاس بعد ان كانت سابقاً تتكون من مزيج النحاس والنيكل والصفيح<sup>(٤٥)</sup>.

ضربت ضمن تلك المجموعة ولأول مرة مسكوكة فضية من فئة المائة فلس، وكانت ذات قطر (٢٩) ملم وبوزن (١٠) غرام، وكانت تركيبها المعدنية تتألف من ٩٠٠ / ١٠٠٠ من الفضة الخالصة، وكانت قد صدرت مسكوكات المجموعة الرابعة الى التداول بتاريخ الثامن عشر من تشرين الثاني ١٩٥٣، ما عدا المسكوكة من فئة المائة فلس والتي كانت قد صدرت في وقت سابق في التاسع والعشرين من نيسان ١٩٥٣<sup>(٤٦)</sup>،

وبعد صدور قانون تعديل العملة العراقية رقم (٤٥) لسنة ١٩٥٥، إذ تم فيه تحديد اوزان واحجام المسكوكات من فئات المائة فلس، والخمسين فلساً، والعشرين فلساً، بالموصفات السابقة نفسها، مع تخفيض نسبة الفضة في تركيب المسكوكة من فئة المائة فلس الى (١٠٠٠/٥٠٠) جزء من الالف من الفضة الخالصة، بعد ان كان (١٠٠٠/٩٠٠)، وكان هذا التخفيض بعد الاخذ برأي دار الضرب الملكية في لندن، وبذلك جعلت قيمة الفضة مساوية بأقل من قيمتها الاسمية خوفاً عليها من التذويب بصورة غير شرعية، اذ تم تصغير حجم الخمسين فلس والعشرين فلس الى ٢٦ ملم و ١٩ ملم على التوالي، وبذلك أصبح وزن المسكوكة فئة المائة فلس ١٠ غرامات وفئة الخمسين فلس يساوي ٧ غرامات، اما فئة العشرين فلساً فقد أصبح وزنها ٢،٨ غرام<sup>(٤٧)</sup>. ويلاحظ ان المسكوكات التي تم إصدارها من قبل المصرف الوطني العراقي وتحديدًا فئة المائة فلس أنها كانت تحتوي في ظهرها على التاريخ الهجري والميلادي بالخط العربي الاعتيادي لتمييزها عن المسكوكات التي أصدرت سابقاً والتي كان التاريخ الهجري والميلادي يكتبان عليها بالخط الكوفي<sup>(٤٨)</sup>.

صدر قانون عملة الجمهورية العراقية المرقم ٩٢ في الاول من كانون الثاني ١٩٥٩<sup>(٤٩)</sup>، الذي حددت المادة الثانية منه، الدينار الوحدة القياسية لعملة الجمهورية العراقية ويساوي من حيث القيمة ٢،٤٨٨٢٨ غرام ذهب خالص ويتألف من الف فلس، كما لغت المادة الثالثة عشر قانون العملة العراقية رقم ٤٤ لسنة ١٩٣١ وتعديلاته، وتنفيذاً للقانون الجديد اصدر مجلس السيادة<sup>(٥٠)</sup>، المرسوم الجمهوري رقم ٤٥٩ في الرابع من تموز ١٩٥٩ والرسوم رقم ٤٦٠ في الخامس من تموز ١٩٥٩<sup>(٥١)</sup>، لتحديد الفئات النقدية الورقية والمعدنية الجديدة واشكالها للشروع بوضعها للتداول، اذ حدد المرسوم رقم ٤٥٩ الفئات النقدية بعشرة دنانير، خمسة دنانير، دينار، نصف دينار، ربع دينار، كما حدد المرسوم شكل الورقة وقياسها وتفاصيل الكتابة عليها باللغة العربية والانكليزية، اما المرسوم رقم ٤٦٠ حدد المسكوكات التي سوف يصدرها البنك المركزي العراقي وهي فئة مئة فلس والخمسين فلساً، كما حدد مقدار الفضة فيهما وهو ١٠٠٠/٥٠٠ ووزن قطعة

المائة فلس عشر غرامات وقطعة الخمسين فلسا خمسة غرامات، كما حدد الكتابات على وجه المسكوكة وظهرها<sup>(٥٢)</sup>.

وفي الخامس من تموز ١٩٥٩ واثناء اجتماع مجلس الوزراء تلي كتاب وزارة المالية رقم ١١٢١ في الخامس من تموز ١٩٥٩ ومرفقة المرسوم الجمهوري الخاص بتعيين أوصاف وأحجام واشكال وتركيب وأوزان المسكوكات من فئتي المائة فلس والخمسين فلسا للمصادقة عليه قبل التاسع من تموز ١٩٥٩ المدقق من لدن ديوان التدوين القانوني كما جاء بكتابة المرقم ٢١٣٣ في الخامس من تموز ١٩٥٩ وبعد المداولة وافق المجلس على القرار المذكور<sup>(٥٣)</sup>.

كما صدر المرسوم الجمهوري رقم ٤١٥ لسنة ١٩٦٠ الذي الغى جميع الاوراق النقدية والمسكوكات التي صدرت في العهد الملكي وأعدت غير قانونية ولا تصح التأديبات بها اعتبارا من السادس من كانون الثاني ١٩٦١<sup>(٥٤)</sup>، اذ أصدر رئيس الوزراء العراقي عبد الكريم قاسم<sup>(٥٥)</sup>، بيان بهذا الصدد: ((أن العملة العراقية القديمة التي لا تحمل شعار الجمهورية العراقية سوف تصبح باطلة اعتبارا من السادس من كانون الثاني ١٩٦١ ولا يصح تداولها او التأديبات بها بعد التاريخ المذكور... رغبة منا في إعطاء الفرصة الكافية لا بناء شعبنا الكريم من اللذين لم تسمح لهم اوقاتهم لتبديل مالديهم من العملة القديمة فقد صدرت التعليمات اللازمة الى البنك المركزي بقبول استلام العملة القديمة وتعويضها بالعملة الجديدة حتى نهاية الشهر في يوم الثلاثاء الموافق الحادي والثلاثون من كانون الثاني ١٩٦١))<sup>(٥٦)</sup>.

كما أصدر مجلس الوزراء في الرابع من كانون الثاني ١٩٦١ القانون رقم (١) لسنة ١٩٦١ والخاص بتعويض الاوراق النقدية والمسكوكات التي لا تحمل شعار الجمهورية العراقية جاء في مادته الاولى: للبنك المركزي العراقي او من يخوله أن يعوض بالقيمة الاسمية الاوراق النقدية والمسكوكات التي لا تحمل شعار الجمهورية العراقية والتي تصبح عملة غير قانونية لا تصح التأديبات بها اعتبارا من التاريخ المعين في المرسوم ٤١٥ لسنة ١٩٦٠، أما المادة الثانية، فقد أشارت الى أن هذا القانون ينفذ في

السادس من كانون الثاني ١٩٦١ وينتهي حكمه بأنتهاء الدوام الرسمي في الحادي والثلاثون من كانون الثاني ١٩٦١ (٥٧).

وجاء في الاسباب الموجبة لهذا القانون بالنظر لبقاء كمية من الاوراق النقدية والمسكوكات المتنوعة لدى العراقيين، وحيث ان غالبية أصحاب هذه العملة من ذوي الدخل المحدود ومن سكان المناطق النائية الذين لم يتيسر لهم التبديل خلال المدة المحددة، فلا يصح حرمانهم من ملكيتهم قبل اعطائهم فرصة اخيره (٥٨).

كانت اهم الخصائص المميزة لاصدارات هذه المجموعة هي حملها لشعار الجمهورية العراقية الجديد واسم البنك المركزي العراقي وعبارة (ورقة نقدية صادرة بموجب القانون عن البنك المركزي العراقي) وصدرت قبل عيد الثورة الاول في عام ١٩٥٩، وقد حملت توقيع محافظ البنك المركزي العراقي السيد ناظم الزهاوي (٥٩)، وطبعت في نفس دار الطبع (برادبري ولكنسن) في لندن، واعتباراً من هذه الطبعة أعتد البنك المركزي العراقي على هذا النظام للترميز حيث ان حرف (ب) يرمز الى فئة ربع دينار وحرف (ج) يرمز الى فئة نصف دينار (٦٠).

الخاتمة:

من خلال ما تم ذكره في متن البحث تم التوصل الى مجموعة من النتائج ومنها ما

يلي:

١. نشأ البنك المركزي العراقي بنشأة بسيطة ثم مع تطور النظام والتنظيم المصرفي وتطورات الأوراق النقدية بأشكالها المختلفة تطور ذلك البنك لتساير تزايد الحاجة الى وظائفه ذات العلاقة بالسياسة النقدية والمالية للدولة .

٢. تعد نشأة البنك المركزي العراقي نتيجة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية وتطور التجارة الداخلية والخارجية، فضلاً عن ضرورات السياسة المالية والنقدية التي أوجبت قيام ذلك البنوك، اذ ان هناك عدة خصائص تميز البنك المركزي كمؤسسة نقدية عن غيره من المصارف، اذ ان البنك المركزي هو مؤسسة نقدية ذات ملكية عامة.

٣. يحتل البنك المركزي العراقي الصدارة ويقع على قمة الجهاز المصرفي، لكونه يتمتع بسلطة رقابية على البنوك وله القدرة على خلق النقود القانونية دون سواه، وله القدرة على جعل جميع البنوك تستجيب للسياسة النقدية التي يرغب بتنفيذها، والمحافظة على الاحتياطي من العملات الاجنبية واستثمارها ، فضلاً عن المساهمة في اعمال التخطيط الاقتصادي وتمثيل النظام المصرفي في اعمال التخطيط.

٤. يحتل البنك المركزي مكانة كبيرة في النظام المصرفي الوطني، فهو الذي يقدم المساعدة الى البنوك التجارية في حالات الضيق الموسمي، أو الازمات، أو عند الضرورة ليس بوصفه المقرض الاخير للنظام الائتماني فحسب، وانما تحتفظ لديه البنوك باحتياطاتها النقدية ويتولى الاشراف على عمليات المقاصة فيما بينها وتسوية الحسابات المختلفة.

(١) سامي فاضل عطو، تطوير هيكل القطاع المالي وأدوات السياسة النقدية والمصرفية لتفعيل الاقتصاد العراقي، بحوث المؤتمر العلمي الثالث للدراسات الاقتصادية، بيت الحكمة، ٢٠٠٢ف، ص٦٧؛ واد مرسي، النقود والبنوك، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٨، ص ٥٨ .

(٢) احمد عبدة، الموجز في النقود والبنوك، ط٣، جامعة الازهر، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٥٤ - ١٥٥؛ بسام الحجار، الاقتصاد النقدي والمصرفي ، بغداد، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) س. ل. داين، اقتصاديات النقود، موسكو، (د.ت)، ص٥٩؛ احمد عطية، القاموس السياسي، ط٣، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٤) احمد بريهي العلي، الاستثمار الاجنبي والنمو وسياسات الاستقرار الاقتصادي، بغداد، ٢٠١٤، ص ٣٤؛ س. ل. داين، المصدر السابق، ص ٦٠ .

(٥) أحمد بريهي العلي، الاقتصاد المالي الدولي والسياسة النقدية، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد ٢٠١٢، ص ١٢٣ .

(٦) احمد الحوراني، محاضرات في النظم النقدية والمصرفية، دار محدلاوي للنشر، الاردن ، ١٩٨٣، ص ٧٢ .

(٧) احمد الحوراني ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٨) محمد خليل برعي واحمد الصفتي، النقود والبنوك ، دار المعارف، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١١٧ .

(٩) محمد عبد العزيز عجمية ومصطفى رشدي شيحة، النقود والبنوك والعلاقات الاقتصادية والدولية، الدار الجامعية للطباعة ، بيروت، ١٩٨٢، ص ١١٠ - ١١٥ .

(١٠) اديب قاسم شندي، الاقتصاد العراقي إلى اين، دار المواهب للطباعة ، النجف الاشرف، ٢٠١١، ص ١٠١ .

(١١) محمد زكي شافعي، مقدمة في النقود والبنوك ، ط٧ ، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص ٢٩٣ ؛ باري سيجل ، النقود والبنوك والاقتصاد ، ترجمة: طه عبد الله

منصور وعبد الفتاح عبد الرحمن عبد المجيد، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٧، ص ٢٣٠ .

(<sup>١٢</sup>) محمد احمد بن فهد، اقتصاديات النقود والبنوك، مطبعة الفجيرة ، دبي، ٢٠٠٣، ص ١٠١ .

(<sup>١٣</sup>) عوض فاضل اسماعيل الدليمي، النقود والبنوك ، بغداد، ١٩٩٠، ص ٢٨٩ .

(<sup>١٤</sup>) احمد حسين علي الهيتي، اقتصاديات النقود والمصارف، وزارة التعليم العالي، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(<sup>١٥</sup>) محمد حامد دويدار وعادل احمد حشيش، مبادئ الاقتصاد النقدي والمصرفي ، مؤسسة الثقافة الجامعة، الاسكندرية، مصر ، ١٩٨٤، ص ٢١٩ .

(<sup>١٦</sup>) اديب قاسم شندي، المصدر السابق، ص ١١٢ .

(<sup>١٧</sup>) اديب قاسم شندي، النقود والبنوك، دار الضياء، بغداد، ٢٠١٠، ص ٢٩ .

(<sup>١٨</sup>) اسامة كامل وعبد الغني حامد، النقود والبنوك، مؤسسة لورد العالمية للشؤون الجامعية، البحرين، ٢٠٠٦، ص ١٧٧ .

(<sup>١٩</sup>) اديب قاسم شندي، النقود والبنوك، ص ٣٠ .

(<sup>٢٠</sup>) سامة محمد القولي وزينب عوض الله، اقتصاديات النقود والتمويل، دار الجامعة الجديدة، الازاربطية، ٢٠٠٥، ص ١٦٦ .

(<sup>٢١</sup>) للمزيد من التفاصيل عن اسماء المحافظين ينظر ملحق رقم (١) .

(<sup>٢٢</sup>) أكرم حداد ومشهور هذلول، النقود والمصارف - مدخل تحليلي ونظري، ط٢، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠٠٨، ص ٨٧ .

(<sup>٢٣</sup>) اونراوزلو، تنمية وإعادة بناء الاقتصاد العراقي، ترجمة: مركز العراق للأبحاث، شركة دار الحوراء للتجارة والطباعة والنشر، بغداد، العراق، ٢٠٠٦، ص ٣٨ .

(<sup>٢٤</sup>) المصدر نفسه، ص ٣٩ .

(<sup>٢٥</sup>) إيهاب الدسوقي، النقود والبنوك، ط٢، دار النهضة للطباعة ، القاهرة ، ٢٠١٠، ص ٧٨ .

(<sup>٢٦</sup>) اسامة كامل وعبد الغني حامد، المصدر السابق، ص ١٨١ .

- (٢٧) المصدر نفسه، ص ١٨٢.
- (٢٨) البنك المركزي العراقي، ذكرى اليوبيل الفضي لتأسيس البنك المركزي العراقي، مطابع ثنيان، بغداد، ١٩٧٢، ص ٥٥.
- (٢٩) البنك المركزي العراقي، المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٣٠) توماس ماير وآخرون، النقود والبنوك والاقتصاد، ترجمة: السيد أحمد عبد الخالق، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٢، ص ١٨٧.
- (٣١) اسامة كامل وعبد الغني حامد، المصدر السابق، ص ١٨٦.
- (٣٢) جوزيف براودي، العراق الجديد، ترجمة: نمير عباس مظفر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٢٢.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ١٢٣؛ جوزيف دانيالز وديفيد فانهوز، اقتصاديات النقود والتمويل الولي، ترجمة: محمود حسن حسني وونيس فرج عبد العال، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠١٠، ص ١٨.
- (٣٤) جوزيف براودي، المصدر السابق، ص ١٢٤.
- (٣٥) دريد كامل الشبيب، الأسواق المالية والنقدية، دار المسيرة للنشر، عمان، ٢٠١٠، ص ٣٤؛ حربي محمد عريقات، سعيد جمعة عقل، إدارة المصارف الاسلامية- مدخل حديث، دار وائل للنشر، عمان، ٢٠١٠، ص ١٦٢.
- (٣٦) دريد كامل الشبيب، المصدر السابق، ص ٣٥.
- (٣٧) زكريا الدوري ويسرى السامرائي، البنوك المركزية والسياسة النقدية، دار اليازوردي، العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦، ص ١٢٢.
- (٣٨) زكريا الدوري ويسرى السامرائي، المصدر السابق، ص ١٢٣.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ١٢٤.
- (٤٠) زكريا الدوري ويسرى السامرائي، المصدر السابق، ص ١٢٤.
- (٤١) سامي خليل، اقتصاديات النقود والبنوك، ج ١، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ١٩٩٨، ص ٢٣.

- (٤٢) سعيد سامي الحلاق ومحمد محمود العجلوني, النقود والبنوك والمصارف المركزية, دار اليازوردي للنشر والتوزيع, الأردن, ٢٠١٠, ص ٦٦.
- (٤٣) عبد المنعم السيد علي, دور الجهاز المصرفي والبنك المركزي في تنمية الأسواق المالية في البلدان العربية, مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية, العدد ١٦, أبو ظبي, ١٩٩٨, ص ٣٤.
- (٤٤) عبد المنعم السيد علي, اقتصاديات النقود والمصارف, مطبعة جامعة الموصل, ١٩٨٤, ج ٢, ص ٨٨.
- (٤٥) المصدر نفسه, ص ٨٩.
- (٤٦) عبد المنعم السيد علي, نزار سعد الدين العيسى, النقود والمصارف والاسواق المالية, دار الحامد للنشر والتوزيع, عمان, ٢٠٠٠, ص ٥٩؛ فائق شقير وآخرون محاسبة البنوك, دار المسير للنشر والتوزيع, عمان, ٢٠٠٠, ص ١٨٢.
- (٤٧) مجموعة باحثين, دراسات في الاقتصاد العراقي (السياسة الاقتصادية اداة لتفعيل الاقتصاد العراقي), بيت الحكمة, بغداد, ١٩٩٩, ص ٩٠.
- (٤٨) المصدر نفسه, ص ٩٢.
- (٤٩) جريدة الوقائع العراقية, العدد ١٨١, ١٩٥٩/٦/٤.
- (٥٠) مجلس السيادة: هو المجلس الذي تولى رئاسة الجمهورية العراقية ويتألف من رئيس وعضوين وصلاحيات المجلس هي نفس صلاحيات رئيس الجمهورية. ينظر: محمود درويش واخرون, دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠, مطبعة التمدن, ١٩٦١, بغداد, ص ١٣.
- (٥١) جريدة الوقائع العراقية العدد ١٩٣, في ١٩٥٩/٧/٦.
- (٥٢) مجموعة باحثين, المصدر السابق, ص ٩٧.
- (٥٣) نوري العاني واخرون, تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري, بيت الحكمة, ٢٠٠١, ج ١, ص ٢٩١ - ٢٩٣.
- (٥٤) جريدة الوقائع العراقية, العدد ٣٧٦, ١٩٦٠/٧/٢٠.

(<sup>٥٥</sup>) عبد الكريم قاسم (١٩١٤ - ١٩٦٣): ولد من عائلة فقيرة تسكن محلة المهديّة وهي أحد أحياء بغداد الشعبيّة، ضابط عسكري ورئيس وزراء العراق والقائد العام للقوات المسلّحة العراقيّة ووزير الدفاع بالوكالة من عام ١٩٥٨ إلى ١٩٦٣، ويعد أول حاكم عراقي بعد الحكم الملكي، وأحد قادة ثورة ١٤ تموز. ينظر: حميد المطبوعي، موسوعة اعلام العراق، ج٢، بغداد، ص ١٤٩.

(<sup>٥٦</sup>) مجموعة باحثين، المصدر السابق، ص ٩٧؛ جريدة الوقائع العراقيّة، العدد ٣٧٦، ١٩٦٠/٧/٢٠.

(<sup>٥٧</sup>) محمد الفولي، مجدي محمود شهاب، مبادئ النقود والبنوك، دار الجامعة الجديد للنشر، ١٩٩٧، ص ١٢٣.

(<sup>٥٨</sup>) نوري العاني وآخرون، تاريخ الوزارات العراقيّة في العهد الجمهوري ١٩٥٨ - ١٩٦٨، ج٥، ص ١١.

(<sup>٥٩</sup>) البنك المركزي العراقي، دائرة الاصدار العامّة، هل تعرف نقودك جيّدا، العراق، بغداد، ١٩٧٣، ص ٨؛ أحمد غازي السامرائي، تاريخ النقود العراقيّة ١٩٣١ - ٢٠٢٠، دار الجواهري، بغداد، ٢٠١٢، ص ٣٤.

(<sup>٦٠</sup>) أحمد غازي السامرائي، المصدر السابق، ص ٣٥.

**النقود النشأة ، والتطور في العصور  
القديمة**

**داليا جواد كاظم  
أ.د. عادل شايث جابر  
جامعة بغداد  
كلية الآداب / قسم التاريخ**



النقود النشأة ، والتطور في العصور القديمة

داليا جواد كاظم

أ.د. عادل شابث جابر

**Coins Origin, and Evolution in Antiquity**  
**Researcher: Dalia Jawad Kazem**  
**Supervisor: Prof. Dr. Adel Shabeth Jaber**

**المخلص**

تعدُّ النقود من أساسيات رفاهة المجتمع من النواحي الاقتصادية والاجتماعية . إذ تسهم في تطوير اقتصاديات الدول ، وفق نظام نقدي ثابت ، ولأنها مكون اساس في البنية التحتية لاقتصاد أي بلد . مثلت الامبراطورية الاخمينية مكانة متميزة في العالم القديم ، بحكم موقعها المتميز على طرق التجارة العالمية والوحدة السياسية لجميع البلدان التي سيطروا عليها .

**Summary:**

Money is considered one of the basics of the welfare of society in terms of economic and social aspects. As it contributes to the development of the economies of countries, according to a fixed monetary system, and because it is a basic component of the infrastructure of the economy of any country. The Achaemenid Empire represented a distinguished position in the ancient world, by virtue of its privileged location on global trade routes and the political unity of all the countries that they controlled.

**اولاً: النقود والنشأة:**

قبل الحديث حول نشأة النقود وتطورها ، لا بد من التطرق الى المراحل الأولى ال تي سبقتها ، واقصد نظام المقايضة (البيع ، الشراء) ، الذي كان سائداً عند الأمم القديمة .

أن عملية تبادل شيء أو مقايضته ، تعد من المقومات الأساسية للطبيعة الإنسانية في مراحلها الأولى . وليس من شك أن الإنسان كان يقوم بتلك العمليات منذ عصور قديمة، لاسيما عندما كان نشاطه الرئيس هو جمع القوت ، ولم يعرف كيف يحصل على النباتات ، أو يدجن الحيوانات، فضلاً عن انتقال السلع من مكان إلى آخر، أي ان التعامل كان أول الأمر في ظل اقتصاد بدائي<sup>(١)</sup> ، ربما كان أول شكل من أشكال التجارة ، هو ما يسمى "التجارة الصامتة" التي لا يوجد فيها اتصال مباشر بين المشترين، إذ يأتي أفراد العائلة أو القبيلة إلى مكان فسيح ويعرضون السلع التي يريدون التخلص منها ثم ينسحبون، وبعد ذلك تقترب الأطراف الأخرى في الصفقة ويعرضون ما يرغبون تقديمه للتبادل وينسحبون هم كذلك، ثم يعود هؤلاء الذين قاموا بالخطوة الأولى ويفحصون ما عرضه جيرانهم، فاذا رضوا أخذوا بضائع جيرانهم ومضوا تاركين بضائعهم خلفهم، وإذا ما اعتبروا أن "السعر" لا يكفي، أزالوا بعضاً من بضائعهم حتى يقتنعوا بالسعر الجديد. أي ان الانسان بدأ حياته منذ القدم معتمداً على فطرته في تأمين حاجياته . اذ شهدت البشرية آنذاك اول اشكال التعاون الاسري ، ومع زيادة حاجاته وتنوع سلعه المنتجة ، ظهرت اولى مراحل ما يسمى بالمقايضة : وهي تخصص في بيع المنتجات الغذائية وتنوعها ، وبدأ ظهور التعاون وتقسيم العمل كوسيلة لإشباع رغبات الانسان<sup>(٢)</sup>.

إن المبادلات التجارية بين شعوب العالم آنذاك ، قائمة على اساس هذا النظام قبل اختراع المسكوكات ، اذ كان يتم استبدال بضاعة مقابل اخرى، ومن اجل ذلك سعى الانسان الى ايجاد وحدة لتحديد قيمة هذه البضائع<sup>(٣)</sup>. ولا بد من القول إن هناك العديد من الاشياء الثمينة ، كان لها دور المسكوكات في مختلف المجتمعات مثل الاحجار الكريمة وبعض الحيوانات والغلات الزراعية<sup>(٤)</sup>. مثلاً كانت قيمة سبيكة نحاسية تساوي اثنا عشر بقرة ، وكان العبد يستبدل ببقرة واحدة<sup>(٥)</sup>.

بعد أن اكتشف الإنسان المعادن ، وعملية استخراجها ، ومن ثم استخدامها كسلعة ذات قيمة للتعامل التجاري ، على هيئة سبائك وقضبان رفيعة<sup>(٦)</sup> ، اذ عثر على نحو مئتي قطعة صغيرة في مملكة ليديا على هيئة قضبان مفتولة او مسطحة في علب نحاسية عدة مسكوكات نقدية.<sup>(٧)</sup>

ان علاقة الانسان في التعامل النقدي ، تعود لفترات طويلة ، لاسيما اذ عدنا النقود من الانجازات البشرية المهمة بعد اللغة ، على الرغم من معرفتنا ان هذا الأمر ، اي اختراع النقود ، كان نتيجة لتعدد حاجيات الانسان ، وتوسع رغباته .

ظهرت النقود في العالم ، كعامل لتسهيل شؤون الحياة البشرية ، حالها حال اختراع الكتابة ، واثراها في الحضارة الانسانية ، بعدها وسيلة ملائمة لتسهيل نشاط الانسان التجاري ، وفقاً لتعدد حاجاته ومتطلباته الحياتية<sup>(٨)</sup> .

والنقود كاللغة لم تظهر دفعة واحدة ، بل هي نتيجة عوامل عدة ، من مرحلة الانتاج الى عملية التبادل السلعي ، ولغرض اشباع حاجات الانسان ، لابد من وجود وسيلة للتبادل ، اكثر حيوية ، واخف مكاناً وسهولة نقلاً .

تأتي أهمية النقود ، وفق اختلاف نمط الحياة البشرية من مرحلة الى أخرى ، ولا بد من القول نحن نعالج نظام نقدي لمجتمع حضاري في مرحلة مهمة من تاريخ الشرق الأدنى القديم ، في وقت كانت فيه الحيوانات والحبوب والقماش والمعادن كوسيلة بديلة عن النقود.

يرتبط اختراع النقود من فترة الانتقال من مرحلة الانتاج الفردي الى مرحلة الانتاج الجمعي ، اعني بالضبط بداية ظهور نظام المبادلة الذي اخذ حيزاً كبير من التاريخ البشري ، والمبني على اساس نظام المقايضة التي أثقلت من كاهل الفرد وصيرورته .فضلاً عن المساوي التي تحملها هذه العملية من حيث<sup>(٩)</sup> :

١ . حاجتها الى مساحات واسعة

٢ . عدم التمييز بين البائع والمشتري .

٣. بحث الانسان عن آخر تتوافق فيه رغبات المبادلة ، مما يؤدي الى اهدار كثير من الوقت.

٤. عدم امكان توافق رغبات المتعاملين .

٥. لا يمكن تسديد الدين الا عن طريق السلع المتبادلة ، وما يترتب عليه اختلاف السلع مع بعضها.

٦. صعوبة تحقيق فكرة الادخار نتيجة لتعرض الكثير من السلع للتلف او تجزئتها.

٧. عدم امكانية تجزئة بعض السلع .

اطلق على النقود في اللغة العربية أكثر من معنى او اسم، فهي العملة والسكة<sup>(١٠)</sup>، والنقود، والعملة والعمالة حالة العمل ، كله أجر ما عمل<sup>(١١)</sup>.

أما كلمة السكة بقوله: (السكة حديدة قد كُتِبَ عليها ، يضرب عليها الدراهم وهي المنقوشة)<sup>(١٢)</sup>. وقال الماوردي<sup>(١٣)</sup>: هي (والسكة هي الحديدة التي يطبع عليها الدراهم ، لذلك سميت الدراهم المضروبة. وعدها ابن خلدون<sup>(١٤)</sup> هي) الختم على الدنانير، والدراهم المتعامل بها بين الناس، بطابع حديد، فتخرج رسوم تلك النقوش...، بعد أن يُعد عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى ، وبعد تقدير اشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عدداً<sup>(١٥)</sup>، وفي معان أخرى يقصد بالسكة العملة المتداولة بين الناس من دراهم ودنانير، وغالباً ما تزين العملة صور، أو كتابات، وتطلق على وظيفة القائم بسك النقود، والمكان الذي تضرب فيه<sup>(١٦)</sup>.

ويشير زيدان<sup>(١٧)</sup> الى ( ان ضرب النقود في العصور القديمة ، كانت بصورة بسيطة ، وهي عبارة عن طابع تنقش فيه الكلمات التي يراد ضربها على النقود مقلوبة ، ثم يقسمون الذهب أو الفضة اجزاء ، بوزن الدنانير او الدراهم ، ويضعون الطابع فوق تلك القطعة ويضربون عليها بمطرقة ثقيلة ، حتى تتأثر ، وكانت هذه الحديدة تسمى اولاً السكة ثم نقل هذا المعنى الى اثرها في النقود وهي النقوش).

النقد في البيع: خلاف النسيئة، و "نقد" جيد لا زيف فيه، وجمعه نقود، والنقد فن تمييز جيد الكلام وصحيحه<sup>(١٨)</sup>. ونتيجة لهذا التداخل في المعنى ، يفضل الاقتصاديون استخدام كلمة النقود بدلا من النقد. أما النقود فهي: أي شيء يتمتع بقبول عام كوسيط للمبادلة، او يضطلع في الوقت نفسه بوظيفة وحدة الحساب<sup>(١٩)</sup>، أو هي : أي شيء يتمتع بقبول عام في صحة التعامل<sup>(٢٠)</sup>.

ولم تعرف العملة في العصور القديمة، لاسيما في المجتمعات التي كانت تعتمد نظام المقايضة في حياتها اليومية ، والمرتبطة بالمواشي منها<sup>(٢١)</sup>.

لذلك يمكن القول ان النقود ظهرت في مرحلة من مراحل التطور الحضاري لتؤدي وظائف معلومة ، تخدم الإنسان وتنظم نشاطه الاقتصادي، إذ كانت الماشية قبل ذلك تستخدم بدل النقود. ثم حلت النقود المعدنية تدريجياً محل الأشكال السلعية<sup>(٢٢)</sup>.

### ثانياً: النقود في الممالك القديمة :

عند الحديث حول اصدار العملة وانتشارها في العصر الأخميني ، لا بد من التطرق التي البدايات الأولى لظهورها في المجتمعات القديمة ، محاولة منا بيان المراكز القديمة التي تعاملت فيها بغض النظر عن المفهوم، آخذين بنظر الاعتبار نظام المقايضة الذي كان يسود مجتمعات الشرق الأدنى القديم<sup>(٢٣)</sup> . ومن اهم هذه الامم :

#### ١. بلاد الرافدين:

كانت بلاد الرافدين هي اولى الممالك التي ظهرت فيها بوادر التعامل النقدي ، واستخدام المعادن ، كوسيلة للتبادل، فقد ورد في قوانينها التشريعية اشارات واضحة الى النقد واستخدامه : اذ نصت شريعة الملك السومري أور-نمو، مؤسس سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م)<sup>(٢٤)</sup>، على تداول ، اذ اتخذت الفضة وسيلة للتبادل والمعاملات التجارية لأول مرة في تاريخ البشرية ، ثم ورد العملات الذهبية في قانون لبث عشتار (١٩٣٤-١٩٢٣ ق.م)<sup>(٢٥)</sup> خامس ملوك مملكة ايسن ، اذ ضمت مسلته القانونية ما يقارب (٦١مادة) خاصة بعملة الشيقل،

فضلاً عن اسعار المواد الزراعية مثل الشعير والملح والسّمسم والنحاس والقصدير والذهب والفضة ، كما نظمت بعض موادها عقود البيع والشراء والاقتراض والايدياع<sup>(٢٦)</sup>.

اما في العصر البابلي القديم (٢٠٠٤-١٥٩٤ ق.م)<sup>(٢٧)</sup> ، فقد شهد هذا العصر وضع الكثير من المعاملات التجارية<sup>(٢٨)</sup>. ويعود قانون حمورابي سادس ملوك سلالة بابل الأولى (١٨٩٤-١٥٩٥ ق.م)<sup>(٢٩)</sup> من أكثر القوانين العراقية شهرة ، تضمن (٢٨٢) مادة قانونية تناولت اكثر من (٣٠) مادة منها المعاملات المالية والاقتصادية وتنظيمها ، ومنها سك العملة المعدنية واوزانها ، التي كانت تعد من صلاحية الملك ، كما حددت حقوق المودع والتزامات المودع لديه ، كما نظمت كيفية منح الائتمان النقدي وشروطه ، كدفع قيمة القرض بالفضة ام الذهب ، او المعادن أم بالسلع الزراعية والزيوت وغيرها<sup>(٣٠)</sup>.

وكانت النقود في هذا العصر عبارة عن سبائك من المعادن الثمينة، وأول معدن استعمل ، فضلاً عن الفضة هو النحاس والحديد ، وغيرهما من المعادن الرخيصة في مجال المعاملات التجارية الضيقة، علماً ان العملة كانت عبارة عن صفائح صغيرة ، أو على شكل حلقات ، أو أقراص مثقوبة ذات أوزان معلومة التصوير<sup>(٣١)</sup>.

تشير اقدم السجلات البابلية ( نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م) الى تمييز قانوني بين السلع القابلة للتبادل بين شخصاً وآخر مثل (الذهب والفضة ، والرصاص، والبرونز، والنحاس، والعسل، والزيت ، والنبيدز، والخميرة، والصوف، والجلود)، والسلع غير القابلة للتبادل التي تتطلب تصرفاً رسمياً لتحويلها<sup>(٣٢)</sup>.

ولابد من القول ان العملة في تلك الفترة كانت خالية من التصوير تعتمد على نقاوة المعدن الذي اوجد له البابليون طرائق خاصة<sup>(٣٣)</sup>.

أوجد البابليون<sup>(٣٤)</sup> طرائق خاصة لمعرفة الاوزان، لاسيما الحيوانية، اذ وجدت اعداد كبيرة من الحيوانات ، يأتي في مقدمتها شكل البط، تمثل قيمة

الأوزان المختلفة السائدة آنذاك. فضلاً عن وحدة الوزن (الحنطة) التي تعد وحدة مضمونة لا يتغير وزنها<sup>(٣٥)</sup>، كذلك وجدو وحدة قياس للأسعار الأخرى وتحديدها بالنسبة إلى الذهب بمقدار ١٤/١٠<sup>(٣٦)</sup>. فضلاً عن أن الأوزان البابلية أصبحت أساساً لجميع الأوزان التي استعملت في الشرق الأدنى القديم<sup>(٣٧)</sup>.

وتشير النصوص إلى أن الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ ق.م) استخدم قطعاً معدنية ذات أوزان معلومة تسمى (رؤوس عشتار) التي تعد الأصل الحقيقي لفكرة النقود<sup>(٣٨)</sup>.

## ٢. مصر القديمة:

أما في (مصر القديمة) فقد استعملت السبائك الذهبية الصغيرة كعملة في عصر المملكتين القديمة والوسطى<sup>(٣٩)</sup>، وفي عصر الفرعون مينا<sup>(٤٠)</sup> استخدمت السبائك الذهبية المنحنية نقوداً للتداول ، تزن الواحدة منها حوالي ١٤ غراماً تحمل اسم الملك على إحدى وجهيها<sup>(٤١)</sup>.

ويشير مورجان<sup>(٤٢)</sup> إلى أن وزن النحاس في مصر القديمة، الذي كان على نوع مختلف ( tabnu-deben-uten-utnu ) بمثابة مقياس للقيم، قبل اعتماد النقود وسيلة للدفع.

## ٣. ليديا:

في هذه المملكة يرجع استعمال النقود المسكوكة حوالي سنة (٧٠٠ ق.م) ، تقع ليديا في غرب آسيا الصغرى<sup>(٤٣)</sup> ، ويبدو أن الليديين أخذوا الفكرة الآشورية - رؤوس عشتار التي أشرنا إليها وحسنوا فيها<sup>(٤٤)</sup>، فقد ذكر هيرودوت (٤٨٤-٤٢٥ ق.م)<sup>(٤٥)</sup>، "بأن أهل ليديا من بين الناس الأوائل الذين نعرف عنهم، كانت عندهم مسكوكات من الذهب والفضة عليها رسوم معينة<sup>(٤٦)</sup>".

ينسب سك العملة في هذه المملكة إلى كروسييس (CROESEUS) أو إلى فيدن (PHIDON) حاكم مدينة أركوس (ARGOS) الذي سك العملة في القرن السابع قبل الميلاد<sup>(٤٧)</sup>.

وهناك رواية تقول: إن الذي شجع أهل ليديا على سك العملة هو أن أنهارها ، لاسيما نهر (باكتوس) الذي يمر بالعاصمة (ساردس)، الذي كان يحمل في جريانه معدن مزيج من الذهب والفضة، بنسبة ٨٠% من الذهب، و ٢٠% من الفضة، ومن هذا المعدن الثمين سکوا أول نقودهم<sup>(٤٨)</sup>.

كذلك كانت النقود تضرب عندهم من الذهب الخفيف المسمى (الكتروم). وهو سبيكة طبيعية من الذهب والفضة عرفت عند الإغريق رسمياً باسم الذهب الباهت " Pale Gold" ومؤخراً سُمى شعبياً باسم "الالكتروم" "Electrum"، وهو الذي وجد في "ليديا" Lydia" فكانت المادة الأولى التي استخدمها الإغريق في صناعة العملات<sup>(٤٩)</sup>.

### ٤. اليونان:

يعد استعمال العملة المسكوكة متأخراً في بلاد الإغريق، إذ ظهرت أقدم العملات المعروفة منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، إذ كان ظهورها مقتصرًا على المدن الكبرى مثل إيجينا<sup>(٥٠)</sup> وكورنث وأثينا<sup>(٥١)</sup> ، ثم أصبح بعد ذلك لكل مدينة يونانية عملة خاصة بها لغرض التداول المحلي، أما العملة المسكوكة في مدينتي أثينا وكورنث ، فقد كانت هي فقط المتداولة في الأسواق الخارجية<sup>(٥٢)</sup>.

لقد شهدت نقوش المسكوكات اليونانية تطوراً ملحوظاً من الناحية الفنية، متأثرة بتطور الفن اليوناني، فنقش على تلك المسكوكات رسوم واضحة لبعض الحيوانات مثل الأسد والثور<sup>(٥٣)</sup>، وكان طرا أثينا، الذي بدأ تداوله في حدود سنة ٥٧٥ ق.م تقريباً، يحمل في وجهه المسكوكة رأس المعبودة "أثينا" وهي ترتدي خوذة مزينة من الأمام بغصن زيتون، تتدلى منه ثلاث ورقات، وقد ربط شعر أثينا بعصابة. أما الظهر فنقش عليه رسم لبومة<sup>(٥٤)</sup> تتجه إلى اليمين وخلفها غصن زيتون<sup>(٥٥)</sup>.

علماً ان العملة آنذاك كانت من الذهب ، او الفضة ، او الكتروم، يطبع عليها رسم او رمز يعترف به رسمياً كضمان لوزن المعدن ونوعه، وحتى لا تكون هناك حاجة الى اعادة وزنه او فحص نوعه، فضلاً عن ذلك كان لكل مدينة مستقلة الحق في اصدار عملة خاصة بها كما ذكرنا، انتفع معظمها من هذا

الامتياز، وتفاخروا في أبراز اجمل الرموز واكثرها تنوعاً، وتعد العملة اليونانية من اهم اسانيد الفن والتاريخ والاقتصاد<sup>(٥٦)</sup>.

**ثالثاً: مسكوكات ملوك الدولة الأخمينية :**

اختلفت الروايات التاريخية فيما يتعلق بتاريخ اختراع المسكوكات النقدية وهي أول دولة سكته في التاريخ القديم، فقد وضع العلماء المتخصصون دراسة لتاريخ المسكوكات ونتائج أبحاثهم في خدمة المؤرخين الذين أقبلوا بدورهم على اقتباس ما ينطبق مع الحقيقة<sup>(٥٧)</sup>، فقبل اختراع المسكوكات النقدية، كانت المبادلات التجارية والتعاملات الاقتصادية بين شعوب ودول العالم القديم آنذاك تتم على أساس نظام المقايضة (مبادلة البضائع)، فنظام المقايضة كان معمولاً به حتى بين المناطق البعيدة جداً عن بعضها البعض<sup>(٥٨)</sup>، ففي هذا النظام كانت التبادلات التجارية تتم باستبدال بضاعة مقابل بضاعة أخرى أو خدمة مقابل خدمة<sup>(٥٩)</sup>، فعدم وجود معيار ثابت وموحد لتحديد قيمة البضائع المتبادلة ، كان سبباً في استخدام بعض البضائع الثمينة شيئاً فشيئاً كـمعيار ، أو وحدة ثابتة ، في المبادلات التجارية (كمسكوكات بدائية)، وفي الحقيقة ان العديد من الأشياء الثمينة التي كان لها دور المسكوكات في مختلف المجتمعات القديمة آنذاك ، كانت عبارة عن عدد من السلع الطبيعية ، مثل أنواع الأصداق، أنواع الاحجار الكريمة ، وأنواع الأطعمة مثل (الرز، البيض ، الشاي والملح)، وغيرها من السلع والغلات، فضلاً عن بعض المعدات مثل المجاريف والفؤوس ، وبعض الحيوانات كالماعز والبقر ، وأحياناً بعض أجزاء الحيوانات مثل الريش والجلد والعاج<sup>(٦٠)</sup>، ففي الغالب كان مقياس وميزان اثمان الاشياء هي الحيوانات فمثلاً كانت قيمة سبيكة نحاسية تساوي اثنتي عشرة بقرة وكان العبد يستبدل ببقرة واحدة ، كما ان بعض الكلمات من قبيل نقود رأس المال، اقتصاد، وامثالها في بعض اللغات (اليونانية واللاتينية والسامية) ، هي في الأصل من مشتقات احدى الكلمات المتعلقة بالحيوانات ، فكلمة رأس المال مشتقة من كلمة أصلها تعني رأس حيوان ، فبعد أن اكتشف البشر المعادن واستخرجها من الأرض استخدمها

كسلعة ذات قيمة في المبادلات التجارية فكانت متنوعة، وبأشكال مختلفة من السبائك والقضبان (الاسلاك أو الحلقات) الرفيعة والضخمة أو كانت أحياناً على شكل حلّي كالأسورة والخواتم والقلادات والأقراط<sup>(٦١)</sup>، فعلى سبيل المثال استفاد الميديون من قطع من الفضة بأحجام مختلفة في التبادلات التجارية، فقد عُثر عام ١٩٤٧م على نحو مائتي قطعة صغيرة من الفضة في تلة نوشيجان ، على هيئة قضبان مفتولة أو مسطحة في علبه نحاسية، وقد عدها الباحث بيفار مسكوكات نقدية بدائية<sup>(٦٢)</sup>، فوجهة نظر اغلب المؤرخين والباحثين ، بما فيهم هيرودوت هو ان الليديين هم أول من سكوا العملات الذهبية والفضية<sup>(٦٣)</sup> (ليديا هي أرض قديمة تقع في جنوب غرب تركيا الحالية، التي كانت لها علاقات وثيقة بالمدن اليونانية على سواحل بحر ايجيه، وذلك لتوفر مصادر الذهب ، والفضة ، والنحاس في أراضيها، إذ كان الليبيون أول الشعوب القديمة الذين سكوا ، وضربوا المسكوكات الفضية والذهبية واعترف بذلك العلماء المتخصصون بتاريخ العملات، وفي الحقيقة وبسبب الثروة الخيالية التي امتلكها الملوك الليديون فان هذا الامر لا يبدو مستبعداً<sup>(٦٤)</sup>، إذ أدرك أولئك الملوك أهمية العملات المعدنية ، لذلك جعلوا ضربها وسكها تحت اشرافهم وأوامرهم، فقاموا بتصحيح وتعديل أشكال العملات المعدنية وترتيبها وتنظيمها ، ففي زمن كروسسس آخر ملك ليدي الذي هُزم أمام كورش الثاني كانت العملات المعدنية لها أشكال جميلة، ولكن لم يكونوا آنذاك ينقشون صوراً على وجوهها وظهورها، فأول عملات هذا العهد سكت وضربت من معدن اسمه الالكتروم ، وهو خليط طبيعي من الذهب والفضة وسميت عملتهم بهذا الاسم، وفيما بعد سكوا العملات من الذهب الخالص والفضة الخالصة ، كل على حدة ، وأكثر العملات المتداولة في تلك الفترة كان منقوش عليها رأس أسد وبقرة متقابلين، وفي الجهة الأخرى اطار مربع غير منظم واحتمال انه مكان مخصص لذكر مكان سك تلك العملات، وقد عد العلماء اختراع العملة أهم اختراع في تاريخ البشرية بعد الكتابة<sup>(٦٥)</sup>.

بعد اختراع العملة ، استفاد الناس من معيار واحد ومشترك ، لتقدير قيمة السلع والبضائع ، والخدمات ، اذ أصبحت قيمة الضرائب والمبادلات التجارية والسلع والخدمات داخل وخارج حدود الممالك تتم على أساس العملات المعدنية، ويمكن القول بشكل عام أن العملة في البداية ، كانت تمسك وتضرب بالمطرقة ، وكانت طريقة السك سهلة وبسيطة ، استمرت لقرون على هذا المنوال، ففي البداية كانت الصورة الخلفية للعملة تنقش وبشكل معاكس على نوع من الفولاذ القوي والصلب، إذ كانوا يضعون القطعة المعدنية المراد سكها وضربها في وسط سندان ، اذ ينقشون عليها صورة الوجه الأمامي للعملة وبعد تقدير المعيار المناسب من المعدن والنحاس والفضة كانوا يقطعونها بالحجم والوزن المناسب وبد طرقها بالمطرقة تصبح على شكل مسكوكات<sup>(٦٦)</sup>.

فبعد انتصار كورش الاخميني على الميديين عام (٥٥٠ ق.م)<sup>(٦٧)</sup> أسس الامبراطورية الاخمينية، ولم يبلغ كورش الاول سك العملات وظلت المدن الصغيرة على سواحل آسيا الصغرى طوال عهده وعهد ابنه قمبيز بل وحتى في مطلع حكم دارا الأول تُسك وتُضرب النقود كما في السابق<sup>(٦٨)</sup>، إذ كانت المسكوكات الليدية الذهبية والفضية تُسك على هيئتها السابقة في دار سك العملة في سارد ولكونها كانت عملات ملكية فإنها بعد عزل ملك ساردس المحلي (التابع) توقف سك العملات المعروفة بـ (كروسس)، ولكن كوروش الأول وافق على تداول عملات كروسس بعد اجراء تعديلات طفيفة عليها ، وأما ما يتعلق بعملات بقية المناطق التي لم يكن لها سمة وجنبة ملكية فقد استمر سكها دون تغيير<sup>(٦٩)</sup>، وعلى الرغم من ادراك كوروش الثاني ضرورة سك العملات وتأسيس دار سك للعملة، إلا أنه لم تتوفر له الفرصة المناسبة لسك العملة ونشرها، إذ لا يوجد أي دليل على ان كوروش الثاني سك عملة خاصة به، وكذلك الحال بالنسبة ايضا لابنه قمبيز، لذا فإن التبادلات التجارية والاقتصادية في زمنهما ، كانت تتم عبر نظام المقايضة، الذي كان معمولا به منذ آلاف السنين، وبشكل عام يمكن القول انه قبل عهد دارا الأول لم يكن في إيران القديمة عملة فارسية ، ولكن في

آسيا الصغرى ، كانت العملات الذهبية والفضية الليدية متداولة فيها بشكل كبير، إذ كان يُفاد منها عبر المؤسسة الإدارية للإمبراطورية الاخمينية في ساردس، وهناك احتمال ان عملات (كروسس) الفضية سُكت وراجت من زمن فتح ساردس على يد كورش الثاني ، وأدت دوراً مهماً في التبادلات التجارية بعدها عملة ملكية<sup>(٧٠)</sup>.

كان إدارة الإمبراطورية الاخمينية الشاسعة ، يستوجب وجود مؤسسات إدارية ووزارية واقتصادية ونظام مالي ونقدي موحد ، وعلى هذا الأساس فبعد أن تقبل داريوش الأول الأنظمة الادارية والمالية للشعوب التابعة له، قرر أن يسك عملة خاصة به تكون جديرة بإمبراطورتيه الواسعة ، ويتم تداولها في كل مكان ، ففي عهده كانت هناك عملات مختلفة ومتنوعة ، لها تأثيرٌ سلبيٌّ على التبادلات التجارية ، وكان لابد من ايجاد عمل موحدة لها قيمة ثابتة ومكانة محترمة في مختلف ارجاء امبراطوريته ، وان لا يقتصر تداولها في داخل الامبراطورية<sup>(٧١)</sup>، فاول عملة وصلت إلى أيدينا من العهد الاخميني هي عملة دارا الاول ، وقد حظيت تلك العملة بشهرة عالمية وسُميت بـ (داريك) ، وتعني دارا وليس لاسم تلك العملة اية علاقة بكلمة الذهب ، وعلى الرغم أنها كانت مصنوعة من الذهب الخالص<sup>(٧٢)</sup>، ففي اواسط حكمه استخدم دارا الأول الذهب والفضة في سك النقود كما كان معمولاً به في ليديا ولكن عملائه امتازت بقلّة وزنها، وعلى ذلك امر دارا الاول في عام (٥١٧ ق.م) بسك عملة دريك الذهبية بوزن ٨/٤١ غرام ، وعملة شيقل الفضية بوزن ٥/٦٠ غرام وأمر بتداولها<sup>(٧٣)</sup>، فمن ناحية النقوش الموجود عليها كان ممتازة جداً<sup>(٧٤)</sup>، وكانت قيمة كل مسكوكة ذهبية اخمينية (دريك) تعادل قيمة عشرين مسكوكة فضية (شيكل) وكل عملة فضية بدورها تعادل قيمة عشرين عملة نحاسية<sup>(٧٥)</sup>، إن دارا الأول هو أول ملك إيراني سك وضرب العملة ، وان العملة النقدية الذهبية الايرانية التي سماها اليونانيون دريك هي من العملات الذهبية الخالصة والتميزة، ففي عهد حكم دارا الاول شهدت التجارة والنشاطات الاقتصادية ازدهارا كبيرا بفضل استقرار الدولة

ومركزيتها ، وانتشار الامن في ربوعها<sup>(٧٦)</sup>، وهذا الامر ساعد شيئاً فشيئاً ان تؤدي البنوك دوراً مهماً في النشاطات التجارية والاقتصادية ، اذ ان البنوك اخذت تقدم القروض بناءً على التماس الناس ، وكانت عائلة اجيبي (ازيبي) أهم عائلة بابلية تمتلك بنكا وكانت يهودية الأصل وكان مؤسس البنك شخص اسمه يعقوب<sup>(٧٧)</sup>.

كذلك كانت هناك دور سك العملة (الملكية) الحكومية ، مسؤولة عن سك العملات الملكية في جميع أرجاء الامبراطورية ، وحسب الحاجة، ولكن في أوقات الحروب كان الملك الاخميني يُعين أحد المرزبانان الثقات (الحكام المحليين) نائباً له ويكلفه بجمع الجيش أو القوات البحرية وتهيئة متطلبات ومستلزمات ذلك الجيش ويُرسل له جزءاً من الذهب والفضة من خزينة الدولة ويُخوله بسك العملة متى ما شاء وفي أي مكان حسب ما تتطلبه ظروف الحرب، وعلى هذا الأساس يمكن القول ان الامبراطورية الاخمينية شهدت سك انواع مختلفة من العملات النقدية ، فمنها العملات الملكية ، وعملات المرزبانان (الحكام المحليين وقادة الجيوش) وعملات محلية متعلقة بالأماكن التي كانت تحت سلطة الفرس<sup>(٧٨)</sup>.

من عام (٥١٣ ق.م) حلت مسكوكات جديدة اخمينية محل المسكوكات الليدية ، اذ كان من نتيجة التنقيبات التي جرت عام ١٩٣٣م في قصر آبادانا (عبادان) ، وفي الأجزاء الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية من هذا القصر عُثر على (٣٠٠٠) لوح طيني فيها معلومات عن الواردات ونظام الحسابات ومرتبات العاملين في قصر جمشيد و(٧٥٠) لوح منها هي خاصة بخزانة القصر وتعود إلى السنة الثلاثين من حكم دارا الأول حتى السنة السابعة من حكم اردشير الأول يعني من سنة (٤٩٢ - ٤٥٨ ق.م) ، كما عثر على صندوقين وفي كل واحد منهما قرص ذهبي وآخر فضي من دارا الأول عليهما نصوص مكتوبة بثلاث لغات (الفارسية القديمة، العيلامية والبابلية) وتحتها توجد أربع تماثيلٍ ذهبيةٍ ليديّة وعملتان فضيتان يونانيتان<sup>(٧٩)</sup>

فالمسكوكات الملكية الاخمينية، هي ذاتها الدريك والشيكل من الذهب والفضة ، تحملان صورة الملك الاخميني ويروي ارنست بابلون<sup>(٨٠)</sup> رواية مشابهة لهذا الأمر إذ يروي: "ان داريوش وبالتزامن مع سكه عملة ذهبية استاتر (ستاتر) باسمه (دريك) قد سك عملة فضية بنفس شاكلة وحجم عملة الدريك فالعملة الجديدة (عرفت باسم درخم وكان وزنها ٥/٦٠ غرام ، وكتب في أسفلها اسم شيكل أو سيكل وهو ذات الاسم الذي سماه به المؤرخون "الدرخم الايراني" أو "الدريك الفضي" وعلى الرغم من أن اسم استاتر أو ستاتر اطلق على العملة الذهبية ذات الوزن ٨/٤٢ غرام ولكن يجب في الحقيقة القول ان هذه العملة كانت فقط نصف (ستاتر) في الوقت الذي فيه العملة الذهبية الدريكين كانت بوزن ١٦/٨٤ غرام ومن جهة أخرى أن اسم شيكل الذي اطلق على العملة الفضية في الواقع وكما يعتقد لنورمان هي ذاتها العملة الـ (نصف شيكل) ، ويبدو ان دارا الاول كان بصدد ان يسك عملة أخرى ، تكون متناسبة ومتطابقة من حيث الحجم مع العملات التي كانت رائجة في المدن اليونانية ونشرها ، والعملية المقصودة هي ذاتها عملة نصف استتر والدرخم ، التي أخذت تعرف وتحت تأثير اللغات المحلية باسم شيكل<sup>(٨١)</sup>، واحتمال ان ملتا الدريك والشيكل كانتا دوما تسكان وتضربان في سارديس<sup>(٨٢)</sup>، إذ كان اليونانيون يسمون العملة الذهبية الاخمينية (دريك) والعملية الفضية (شيكل)<sup>(٨٣)</sup>، وأما بالنسبة للممالك التابعة والمدن اليونانية في آسيا الصغرى التي كانت تحت سلطة الايرانيين والحكام التابعين (ساترابات أو مرزبانات) ، وقادة الجيوش فكانوا مخولين بسك العملات الفضية فقط ونحت صورهم عليها مثل فرناباد، تيسافرن، تريياز، سبهردار، داتام ومازايبوس<sup>(٨٤)</sup>، وهم اما ممتطين صهوات الخيول أو جالسين أو منظر جانبي لهم على اوجه العملات<sup>(٨٥)</sup>، وأحيانا يشاهد علاوة على صورة القادة والحكام ايضا صورة الملك الاخميني، مثل عملة تيسافرن حيث توجد على احد أوجهها النصف العلوي من صورة تيسافرن وفي الوجه الآخر صورة اردشير الثاني كاملة<sup>(٨٦)</sup>، وبالنسبة لعملات الملوك التابعين للامبراطورية الاخمينية ، فهي عملات كانت متعلقة

بولايات مثل كاري، لبيي، سالامين ، قبرص، فينيقيا، اذ كان حكام هذه المناطق تحت سلطة الاخمينيين مع تمتعهم بالحكم الذاتي فإنه كان يحق لهم فقط وبعد حصولهم على رخصة وموافقة دارا الاول على سك العملات الفضية حصراً ، ومن ناحية الصور المنقوشة عليها كان لهم مطلق الحرية بتصوير ما يرغبون عليها من الأمور المتعلقة بمذهبهم او الهتهم والكتابة عليها بخطوطهم المحلية<sup>(٨٧)</sup>.

فسك العملات الذهبية كان حكرأ على مركز الدولة فقط (العاصمة)، فالصور الموجودة على العملات الذهبية والفضية الاخمينية (الدريك والشيكل) هي عبارة عن رام قوس فارسي، ويُعتقد أنه يمثل شخص الملك الفارسي، كما يُشاهد على ظهر هذه العملات اشكال غير واضحة وغير منتظمة، فعملات الدريك ، ولنقاوتها كانت رائجة ومتداولة بكثرة بين اليونانيين، وبسبب وجود صورة رامى السهم عليها فقد سموها بالعامية بينهم بـ (الرامي)<sup>(٨٨)</sup>، ومما تجدر الاشارة اليه هنا انه في السنوات الأولى من حكم المقدونيين سُكت وضُربت عملات الدريك بوزن ١٦/٨ غرام بأسلوب وطريقة الدربكات الاخمينية<sup>(٨٩)</sup>، ويعتقد هيرودوت ان عملة الدريك الاخمينية تُعد من العملات الذهبية النقية جداً وكان وزنها اثقل من عملة كروسس التي كان وزنها ٨/١٧ غرام ، ولهذا السبب تم تداولها بكثرة وراجت لعدة قرون في آسيا واليونان وأغلب دول العالم القديم، ويبدو ان دارا الاول كان يهدف إلى أن تكون عملته ذات وزن ويحظى بمقبولية في المدن التجارية الايونية<sup>(٩٠)</sup>، وعلى هذا الأساس يمكن القول ان (الدريك) الذهبية ، كانت مرغوبة جدا في المبادلات التجارية وكانت تدفع بها رواتب الجنود المرتزقة الأجانب في الجيش الأخميني ، وكمثال على ذلك ففي عهد خشيارشتا وخلال حربه مع اليونان كانت عملات الشيكل (الذهبية) الخاصة بالدولة الاخمينية متداولة في الدول المجاورة إلى درجة أن أصحاب البنوك الأجانب كانوا يستفادون من النقود الاخمينية في المعاملات التجارية والمصرفية<sup>(٩١)</sup>.

الخاتمة:

- ١- كان للنقود دور كبير في تسهيل التبادل التجاري ودفع مرتبات الجند.
- ٢- من خلال دراسة المسكوكات يمكن تتبع ومعرفة الاحداث التاريخية .
- ٣- سميت العملة التي سكها دارا بـ (الدريك) وكانت من معدني الذهب والفضة، تتوقف قيمتها على نقاوة المعدن.
- ٤- كان العمل في النظام النقدي (النقود) ذات اثر سياسي وليس اقتصادي.
- ٥- على الرغم من اختراع العملة ، ضلت المقايضة اساس التعامل في مختلف بلدان الامبراطورية.
- ٦- كانت العملة الاخمينية اغلب التعامل فيها مع المدن الايونية.
- ٧- اعتمد الاخمينيون في ادارة البلاد وتنظيمها وحكمهم وفق ما كان سائدا في بلاد الرافدين في العصرين الاشوري والبابلي .

الهوامش:

- (١) محمد ، عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ، ( القاهرة ، ١٩٦٤م )، ص١٢ .
- (٢) مورجان، فكتور ، تاريخ النقود ، سلسلة الألف كتاب ، تر: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٣م)، ص١٢ .
- (٣) مورجان، المصدر نفسه ، ص١٢ .
- (٤) Mac Donald .G. THE evolution of goinge, cambirdg (New York, 1616), p.22.
- (٥) Mac Donald .G. THE evolution of goinge, cambirdg (New york, 1616), p.22.
- (٦) قد احتلت المعادن النفيسة مكانة بارزة بين السلع القابلة للتداول كوسيلة للدفع وكان من شأن تنوع اشكالها ، برزت قضبان معدنية او سبائك تكاد تكون معيارية . ينظر: مورجان ، تاريخ النقود ، ص ١٤ .

- (7) P,var, ad.h. achaemenid coins, weight and ngeasures.ch, ii , p. 613.
- (8) كبة ، ابراهيم، دراسات في تاريخ الاقتصاد والفكر الاقتصادي، (بغداد ، ١٩٧٠م) ، ج١، ص١٦٣.
- (9) علي ، عبد المنعم السيد ، والعيسى ، نزار سعد الدين ، النقود والمصارف والاسواق المالية ، ط١ ، مطبعة الحامد ، ( عمان ، ٢٠٠٤م) ، ٣٣.
- (10) السكة : لفظ يعبر عن معان عدة ، تدور معظمها حول النقود ، التي تعامل بها الانسان منذ القدم سواء كانت ذهبية ام فضية ، فيقصد به حيناً تلك النقوش التي تزين بها النقود على اختلاف انواعها ، وحياناً يعني القوالب الي يختم بها على العملة. محمد ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ص٧.
- (11) ابن منظور، جمال الدين، ابو الفضل مكرم بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ) ، لسان العرب، در صادر، (بيروت ، د ، ت) ، ج١١، ص٤٧٦.
- (12) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠، ص٤٤٠ ؛ علي ، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ساعد جامعة بغداد على طبعه ، ( بغداد ، ١٩٩٣م) ، ج٣، ص٤٨٩ ؛ المازندراني ، السيد موسى الحسيني ، تاريخ النقود الاسلامية ، ط٣ ، دار العلوم ، ( بيروت ، ١٩٨٨م) ، ص٨.
- (13) الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: احمد مبارك البغدادي، ط١، مكتبة دار ابن قتيبة، (الكويت، ١٩٨٩م)، ص١٩٩؛ الكعبي ، عبد الحكيم عنتاب، نشأة فكرة النقود وتطورها من القرن السابع ق.م حتى القرن السابع الميلادي، مجلة دراسات تاريخية ، كانون الاول، ٢٠١٣م ، العدد ٥ ، ص٥٦.
- (14) عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط٤، دار الفكر، (بيروت ، ٢٠٠١م) ، ج١، ص٢١.
- (15) ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ) ، المقدمة ، ط١، دار يعرب ، (بيروت ، ٢٠٠٤م) ، ص٤٤٦.
- (16) احمد ، عبد الرزاق ، الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٩٠م) ، ص٥٦.
- (17) جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، د ، ت) ، ج١، ص١٣٩.
- (18) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، ط٣، (د.ت) (د.م) ، ج٢، مادة عمل.
- (19) الكعبي، نشأة فكرة النقود وتطورها، ص٥٧.

- (٢٠) شافعي، احمد زكي، مقدمة في النقود والبنوك، ط٧، دار النهضة العربية، (بيروت، د.ت)، ص٢٦.
- (٢١) فيز هوفر، يزف، فارس القديمة، ٥٥٠ ق.م/ ٦٥٠ م، التاريخ، الحضارة، العبادات، الادارة، المجتمع، الاقتصاد، الجيش، تر: محمد حديد، مراجعة: زياد متي، ط١، قومس للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٩م)، ص١٠٥.
- (٢٢) دفتر، ناهض عبد الرزاق، الطراونة، خلف فارس، المسكوكات وقراءة التاريخ، (عمان، ١٩٩٩م)، ص١٠.
- (٢٣) الشرق الأدنى: تعبير اصطلاحي، امتدت معالم الحضارات القديمة في هذه المنطقة بشكل واسع، على الرغم من غلبة الطابع الصحراوي على معظم اراضيه، امتدت حضاراته من اعالي الشام والعراق شمالاً، حتى سواحل العرب (المحيد الهندي) جنوباً ومن =مصر وجزء كبير من شمال افريقيا حتى سواحل الخليج العربي شرقاً. ينظر: صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، مصر والعراق، مكتبة الانجلو المصرية، (القااهرة، ٢٠٠٤م)، ص٧.
- (٢٤) سلالة اور الثالثة: دام حكم هذه السلالة قرن واحد (٢١١٢-٢٠٠٢ ق.م)، حكم فيها خمسة ملوك، اعيدت في عهدهم وحدة بلاد الرافدين السياسية. باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص٣٨٢.
- (٢٥) قانون لبت عشتار، خامس ملوك أسرة ايسن، سجل هذا القانون في اللغة السومرية. سليم أحمد أمين، مصر والعراق دراسة حضارية، ط٢، دار النهضة العربية، (القااهرة، ٢٠٠٩م)، ص٣٦٩؛ باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص٤١٤.
- (٢٦) باقر، طه، قانون لبت عشتار، قانون مملكة اشنونا، ط١، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٨٧م)، ص٥-٢٤؛ باقر، طه، مجلة سومر، المجلد٤، ج١، كانون الثاني ١٩٤٨، ص٥-٨.
- (٢٧) باقر، المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٦.
- (٢٨) العصر البابلي القديم: يطلق على الفترة الزمنية الواقعة ما بين نهاية سلالة اور الثالثة في حدود (٢٠٠٤ ق.م) وبين نهاية سلالة بابل الاولى في حدود (١٥٩٤ ق.م) وتأسيس الدولة الكشية او سلالة بابل الثالثة. باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص٤٠٦.
- (٢٩) يُعد هذا القانون، الاكتشاف الأكبر في ميدان القانون العراقي القديم، عثرت عليه البعثة الفرنسية للأثار، برئاسة دي مورجان، في بداية عام ١٩٠١ و١٩٠٢ في مدينة سوسة، سليم، مصر والعراق، ص٣٧١.

- (٣٠) الحاج : وليد عيدي عبد النبي ، تاريخ الصيرفة والرقابة عليها ، التراث المصرفي القديم والحديث منذ عهد البابليين ، ( بغداد ، د ، ت ) ، ص ٧.
- (٣١) جاردنر ( E.A.GARDNER ) ، علم الاثار ، نقله الى العربية : محمود حمزة وزكي محمد حسن ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ( القاهرة ، ١٩٣٦ م ) ، ص ١٣٧ ؛ الكعبي ، نشأة فكرة النقود وتطورها ، ص ٥٨ ؛ علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٧ ، ص ٤١٦ - ٤٢٠ .
- (٣٢) مورجان ، تاريخ النقود ، ص ١٣ .
- (٣٣) نقصد المجتمع البابلي .
- (٣٤) تكرات بيال ، تاريخ سكة ، ارقد يمتز بن ارمنه نادوره باساثيان ، جلد اول ، انتشارات دانكشاه ، ( تهران ، ١٣٧٢ ش ) ، ص ٤٩ - ٥٠ .
- (٣٥) فريضة ، صحن ، اقتصاديات النقود والبنوك ، ( الاسكندرية ، ١٩٩٠ م ) ، ص ٤٥ .
- (٣٦) باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ١ ، ص ٥٦١ .
- (٣٧) علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٧ ، ص ٤١٩ .
- (٣٨) اولمستد ، الامبراطورية الفارسية عبر التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .
- (٣٩) المملكتين القديمة والوسطى :
- (٤٠) مينا : ملك مصر القديم يعزى اليه تأسيس اول سلالة مصرية حكمت على مصر . باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
- (٤١) الكعبي ، نشأة النقود وتطورها ، ص ٥٨ .
- (٤٢) تاريخ النقود ، ص ٣٩ .
- (٤٣) جاردنر ، علم الاثار ، ص ١٣٧ .
- (٤٤) الكعبي ، نشأة فكرة النقود وتطورها ، ص ٥٨ .
- (٤٥) تاريخ هيروودوت ، ك ٧ ، ف ١٥ .
- (٤٦) ديورانت ، قصة الحضارة ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .
- (٤٧) جاردنر ، علم الاثار ، ص ١٣٦ .
- (٤٨) بيالي ، مليكزادة ، تاريخ سكة از قدم ، ازمنه نادوره ساسانيان ، انتشارات دانكشاه ، تهران ( مهران ، ١٣٧٢ ش ) ، جلد أول ، ص ٥٠ .

(49) J.G Milne, Greek & Roman Coins & The Study of History, London, 1939, p.8;

- ارم ، مايكل، عملات معدنية وعملة إيرانية السلالة الاخمينية ، دائرة الدراسات الايرانية ، تهران، ٢٠٠٩، ص٢.
- (٥٠) بدأ سك العملة الفضية نحو (٧٥٠ق.م) . مورجان ، تاريخ النقود ص ١٥.
- (٥١) كانت العملات الفضية صغيرة بالقدر الكافي لاستخدامها للتجارة البسيطة ودفع الاجور، فقد سكت في هذه المدينة بين عامي(٤٠٧-٤٠٦ق.م) اثناء الحرب البيلوبونزية . مورجان ، تاريخ النقود ص ١٦-١٧.
- (٥٢) جاردر، علم الاثار ، ص ١٣٦.
- (٥٣) العث، محمد ابو الفرج، النقود العربية الاسلامية، (الدوحة، ١٩٨٤م)، ج١، ص ١٥.
- (٥٤) علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٧، ص٤٩٣.
- (٥٥) قادوس، عزت زكي، العملات اليونانية والهلنستية ، الاسكندرية ، ص ٧٦.
- (٥٦) جاردر، علم الاثار ، ص ١٣٥.
- (٥٧) ملكزاده بياني، تاريخ سكه از قديم ترين ازمنه تا دوره ساسانيان، انتشارات دانشگاه تهران، تهران، ١٣٨٩ش، ص١٤.
- (٥٨) منصور كركز ، بررسي نظام حسابداري حسابري در ايران باستاندوره هخامنشي ، فصلنامه تخصصي فقه وتاريخ تمدن سال بنجم شماره هجدهم ، ١٣٨٧ش، ص١٣٧.
- (٥٩) سيد اصغر محمود آبادي ومرتضى زلفي، تأثير مسكوكات هخامنشي در تغيير شرايط اقتصادي دنياي قديم (قرن بنجم و چهارم ق.م) فصلنامه علمي بزوهشي تاريخ ، سال ششم شماره بيست ويك، ١٣٩٠ش، ص١٥٣.
- (60) MacDonald, G(1916), The Evolution of Coinage, Cambridge/New York, p.27.
- (٦١) حسن رضايي باغ بيدي ، بيدايي و آغاز ضرب سكه در ايران ، كتاب ماه تاريخي وجغرافيا ، شماره ١٧٨، ١٣٩١ش، ص٢.
- (62) Bivari, A.D.H, (1985) , achaemenid coins, weight and measures, CHI II, p.613.
- (٦٣) علي أكبر سر فراز وفريدون اورزماني ، سكه هاي ايران از اغاز تا دوران زنديه، انتشارات سمت، تهران، ١٣٩١ش، ص٥؛ ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٢، ص٣٠٦.
- (64) Davies , G ., (2002), A history of money from ancient times to the present dary, 3<sup>rd</sup> ed., Cardiff, p.64.

(٦٥) جراغلي اعظمي ، تحول سكه در ايران از دوره هخامنشي تا اوایل دوره اسلامي ، هنر و مردم شماره صد ، ١٣٤٩ش ، ص ٩ .

(٦٦) سيد اصغر محمود آبادي ومرتضى زلفي، تأثير مسكوكات هخامنشي ، ص ١٥٥ .

(٦٧) باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج ١، ص ٥٥٤ .

(٦٨) هريري نوبري وديكران ، تحليلي در باره زيزكي هاي ظروف زرین وسيمين دوره هخامنشي در مقايسه با آثار فلزي بيش از آن) دانشگاه هنر، ١٣٨٩ش، شماره ٦، ص ٧٩-٨٩ .

(٦٩) سيد اصغر محمود آبادي ومرتضى زلفي، تأثير مسكوكات هخامنشي، ص ١٥٦ .

(٧٠) سيد اصغر محمود آبادي ومرتضى زلفي، تأثير مسكوكات هخامنشي ، ص ١٥٦ .

(٧١) ابو الفتح قهرماتي ، سكه نشان قوميت و آزادكي، هنر و مردم ، شماره ٤٩ ، ١٣٩٢ش، ص ٢١-٣٥ .

(72) Schimidt, E. F., Persepolis II: Contents of the Treasury and other Discoveries, Chicago, plate, 84, p.110.

(٧٣) م.أ. دنداميف ، تاريخ سياسي واقتصادي هخامنشيان ، ترجمة: مير كمال ، بني بور ، انتشارات كسترده، تهران، ١٣٥٨ش، ص ٤١ .

(٧٤) سيد اصغر محمود آبادي واحمد هراتيان، شكل يا سيكل (نظرية أي جديد درباره وزن سكه نقره دوران هخامنشي)، تاريخ اسلام و ايران (فصلنامه علمي - بزوهشي علوم انساني دانشگاه الزهراء)، سال نوزدهم ، دوره جديد ، شماره ٣، ١٣٨٨ش، ص ١٤٧ .

(٧٥) أ.ت. اولمستد ، تاريخ شاهنشاهي هخامنشي، ترجمة: محمد مقدم ، انتشارات امير كبير ، تهران، ١٣٥٧ش، ص ٢٥٦؛ فرزاد فيضي وديكران، منبع قبلي، ص ١٢٣ .

(٧٦) فرهنگ خادمي ندوش ، مروري کوتاه بر ضرابخانههاي شبه قاره هند مدرس علوم انساني ، شماره ١٤، ص ١٩٠ .

(٧٧) سيد اصغر محمود آبادي ومرتضى زلفي، تأثير مسكوكات هخامنشي ، ص ١٥٧ .

(٧٨) سيد اصغر محمود آبادي ومرتضى زلفي، المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .

(79)Schmidt, E. F, op. Cit., p.110

(٨٠) ارنست بابلون سكه هاي ايران در دوره هخامنشي، ترجمة: ملكزاده بياني وخانبابا بياني ، انتشارات انجمن آثار ملي، تهران ، ١٣٥٨ش، ص ٢٥٣-٢٥٤؛ سيد اصغر محمود آبادي ومرتضى زلفي، تأثير مسكوكات هخامنشي، ص ١٥٨ .

(٨١) ارنست بابلون، سكه هاي ايران دوره هخامنشي، ص ٢٥٥-٢٥٧ .

(82) Nimchuk, C., L., (2002) 'The "Archers" of Darius: Coinage of Tokens of Royal Esteem, Ars Orientalis XXXII, p.60.

(٨٣) حسن رضابي باغ بيدي ، ضرب سكة در ايران ، ص٥.

(٨٤) رجال في ميدان ادارة فارس واقتصادها . فيزهوفر ، فارس القديمة ، ص٩٧.

(٨٥) عباس قدباني، تاريخ فرهنگ وتمدن ايران در دوره هخامنشيان، نشر فرهنگ مكتوب ، تهران، ٣٨٧ش، ص٢٤٤.

(٨٦) سيد اصغر محمود آبادي ومرضى زلفي، تأثير مسكوكات هخامنشي، ص١٥٨.

(٨٧) فلورانس نامجويان وزهرا غفاريان كنگاشي بر فرانسوي هنر هميشه جاويد هخامنشيان، جيستا، شماره ٢٢٤ و ٢٢٥، ٣٨٤ش، ص٣٠٣.

(٨٨) حسن رضابي باغ بيدي ، ضرب سكة در ايران ، ص٥.

(89) Mitchiner, M., (1975), indo-greek and indo-scythian coinage, vol.1, the early indo-greek and their antecedants, London, p.17.

(٩٠) سيد اصغر محمود آبادي ومرضى زلفي، تأثير مسكوكات هخامنشي ، ص١٥٨.

(٩١) ملكزاده بياني ، تاريخ سكة از قديم، ص٩٢.

النظام القضائي في كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان  
للعيّني (ت: ٨٥٥هـ / ١٤٥١م)

**The judicial system in the book Aqd al-Juman fi  
Tarekh Ahl al-Zaman al-Ayni (T: 855 AH / 1451  
AD)**

دعاء احمد محمد

كلية التربية للبنات\_ جامعة بغداد

[dooda2ahmed7@gmail.com](mailto:dooda2ahmed7@gmail.com)

أ.د. وئام عدنان عباس

كلية التربية للبنات\_ جامعة بغداد

[weaamadnan8@gmail.com](mailto:weaamadnan8@gmail.com)



النظام القضائي في كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان للعيني (ت:

٨٥٥هـ/١٤٥١م)

دعاء احمد محمد

أ.د. وئام عدنان عباس

الملخص:

تمثل المؤسسات الدينية وعلى رأسها القضاء أهم مظاهر التطور، ففي القضاء يكون استقامة المجتمع وعدله، حيث حظي القضاء على مر العصور بمكانة رفيعة من خلال اهتمام الخلفاء والسلطين بهذه المؤسسة، كما تطرق البحث إلى التغيير الكبير الذي حصل في الديار المصرية عند زوال حكم الفاطميين وابتداء حكم بني أيوب من خلال تغيير مذهب البلاد من الإسماعيلي إلى الشافعي وتغيير كل ما يلزم تغييره، هذا فضلاً عن ذكر أهم القضاة الذين تولوا المنصب خلال حقبة الدراسة.

**Abstract:**

Religious institutions, led by the judiciary, represent the most important manifestations of development. In the judiciary, the integrity and justice of society is the case, as the judiciary has enjoyed a high position throughout the ages through the interest of the caliphs and sultans in this institution. Bani Ayoub by changing the doctrine of the country from Ismaili to Shafi'i and changing everything that needs to be changed, in addition to mentioning the most important judges who took office during the study period.

الكلمات المفتاحية: المؤرخ العيني، القضاء، مصر وبلاد الشام.

Keywords: Al-Ainy historian, judiciary, Egypt and the Levant.

المقدمة:

لأن النظام القضائي مؤسسة دينية وإدارية مهمة، ولبيان تلك الأهمية فقد عمدنا إلى تقسيم البحث إلى خمسة محاور تناول الأول: القضاء في اللغة والاصطلاح، وجاء الثاني

ليتناول: القضاء في العهد الزنكي وفيه وضحنا القضاء على عهد نور الدين زنكي وبيننا أهم القضاة على عهده ، وتحدثنا في المحور الثالث: عن القضاء في العهد الأيوبي وبيننا أهم التغييرات التي طرأت على المؤسسة القضائية ، ثم اختص المحور الرابع: بوظائف ومهام القاضي ، وتناول الخامس والأخير أهم قضاة الدولة الأيوبية.

### أولاً: القضاء في اللغة والاصطلاح:

القضاء في اللغة مشتق من الفعل قضى، ويأتي بعدة معاني منها: الحكم أو الإلزام<sup>(١)</sup>، وهذا ما نراه في قوله تعالى: {اقض ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا}<sup>(٢)</sup>. بمعنى اصنع واحكم، لذلك سمي القاضي قاضياً لأنه يصدر الأحكام وينفذها<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد لفظ القضاء في القرآن الكريم على وجوه عديدة، ففي معنى الخلق جاء في قوله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ}<sup>(٤)</sup>. وفي الإرادة قوله تعالى: {وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}<sup>(٥)</sup>. وفي الموت والانقطاع قال تعالى: {فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ}<sup>(٦)</sup>. هناك معانٍ كثيرة يطول الكلام فيها، إلا إن جميعها لا تخلو من الفصل وحسم الأمر وإنجازه.

وفي الاصطلاح: هناك تعريفات عديدة للقضاء، حيث اختلف الفقهاء في تعريفاتهم ويرجع ذلك ربما إلى اختلافهم في حقيقة القضاء هل هو صفة؟ أم فعل؟ أم عمل يقوم به القاضي؟ إلا إننا يمكن أن نستخلص تعريفاً مبسطاً وشاملاً للقضاء على إنه: "الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع"<sup>(٧)</sup>. ويعرفه الكاساني<sup>(٨)</sup> (ت ٥٨٧هـ / ١١٩١م) بقوله: " القضاء هو الحكم بين الناس بالحق، والحكم بما أنزل الله عز وجل".

ويعد القضاء من أفضل المظاهر التي يتمثل فيها العدل، وبه قوام المجتمع وعدله وبقاؤه " فلا بقاء إذا لم يكن هناك عدل، ولا عدل إذا لم يكن هناك قضاء"<sup>(٩)</sup>.

وعندما جاء الإسلام أمر الله تعالى رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يحكم بين الناس بما أنزل سبحانه وتعالى من احكام وتعاليم تخص الأمور الدينية والدنيوية<sup>(١٠)</sup> انطلاقاً من قوله تعالى: { وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ }<sup>(١١)</sup>، لذا فإن أول من تقلد القضاء في الإسلام هو رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث مارسه حكماً وشرعاً، ثم تقلده الخلفاء الراشدين

(رضي الله عنهم) من بعده سائرين على نهجه، يباشرونه بأنفسهم<sup>(١٢)</sup>. لكن الأمر لم يستمر على هذا الحال، فبعد اتساع سلطانهم كان من الطبيعي أن تتسع مهامهم، وكثرة المهام هذه اضطرتهم إلى استنابة من يتولى عنهم أمور القضاء، سواء في مركز الخلافة أو الاعمال وغيرها<sup>(١٣)</sup>.

ورغم بساطة القضاء في العصر الأموي إلا إنه حظى بأهمية كبيرة، والقضاة فيه مستقلين في آرائهم وأحكامهم عن الخليفة أو الوالي<sup>(١٤)</sup>. وقد تطور هذا النظام القضائي تطوراً واضحاً في العصر العباسي، حيث ضعفت فيه روح الاجتهاد، وذلك لظهور المذاهب الأربعة وعلى هذا الأساس أصبح القاضي ملزماً بإصدار أحكامه وفق أحد المذاهب الأربعة، فنرى بأن العراق كان يحكم على المذهب الحنفي، بينما المغرب كان يحكم وفق المذهب المالكي، وإما الشام ومصر فعلى المذهب الشافعي<sup>(١٥)</sup>.

وفي العصر العباسي تأثر القضاء بالسياسة لمحاولة الخلفاء إضفاء الصبغة الشرعية على الحكم، مما جعل الكثير من القضاة يبتعدون عن قبول المنصب حتى لو أكرهوا خوفاً من الله سبحانه وتعالى وخشية من الوقوع في الخطأ اثناء إصدار الحكم<sup>(١٦)</sup>.

ومما يدل على ارتفاع مكانة القاضي وعلو منزلته هو ما أنيط به من مسؤوليات أخرى إضافة إلى القضاء وهو النظر في المظالم والمواريث والحسبة والمكاييل وغيرها<sup>(١٧)</sup>. وبذلك أصبح القاضي يتمتع بسلطات واسعة جداً.

### ثانياً: القضاء في العهد الزنكي :

حظي القضاء برعاية واهتمام الزنكيون وبالأخص السلطان نور الدين محمود، أكثر من أي وظيفة ثانية، حيث جعلت المؤسسة القضائية في قمة الأجهزة الإدارية، وهذا ما لمسناه من حديث العيني عن خبر وفاة السلطان نور الدين زنكي والذي خصص له حوالي ٢٤ صفحة<sup>(١٨)</sup> مقسمة على عدة عناوين.

ففي الحديث عن ورعه وزهده<sup>(١٩)</sup> تبين بأن السلطان نور الدين زنكي قد توج اهتمامه بالقضاء والقضاة من خلال بنائه دار للكشف في دمشق أطلق عليه تسمية " دار العدل"<sup>(٢٠)</sup>، والذي عدّ بمثابة محكمة عليا يلجأ إليها المتخاصمون وأصحاب القضايا المهمة والحقوق المسلوقة ليحكم بينهم بالعدل.

وعن السبب الرئيسي وراء قيام السلطان بهذه الخطوة يذكر العيني<sup>(٢١)</sup> ذلك بالقول: " إن الأمراء لما قدموا دمشق اقتنوا الأملاك، واستطالوا على الناس خصوصاً أسد الدين شيركوه، وكثرت الشكاوي إلى القاضي كمال الدين<sup>(٢٢)</sup>، فلم يقدر على الأنصاف من أسد الدين، فشكوا إلى نور الدين، وأمر ببناء دار العدل".

وعندما علم أسد الدين شيركوه بذلك الأمر أحضر أصحابه وديوانه وأخذ يتحدث إليهم قائلاً: " إن نور الدين ما بنى هذه الدار إلا بسببي، لينتقم مني، وإلا فمن هو الذي يمتنع على كمال الدين، والله لأن أحضرت إلى دار العدل بسبب واحد منكم لأصلبته، فإن كان بينكم وبين أحد منازعة فأرضوه مهما أمكن، ولو أتى على جميع ما في يدي، فإن خروج أملاكي من يدي أهون علي من أن يراني نور الدين بعين ظالم، ويسوي بيني وبين آحاد العوام، ففعلوا، وأرضوا الخصوم"<sup>(٢٣)</sup>.

ولما سمع السلطان نور الدين بما فعل شيركوه قال: "الحمد لله الذي جعل أصحابنا ينصفون من نفوسهم قبل حضورهم عندنا"<sup>(٢٤)</sup>. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى عدالة السلطان وحرصه على إشاعة العدل والاحسان، ورفع الظلم عن رعاياه من خلال محاسبة المقصرين.

ثم جعل السلطان نور الدين من نفسه قدوة لغيره من رجال دولته، وذلك بذهابه إلى مجلس القاضي كمال الدين الشهرزوري ليحكم بينه وبين رجل كان قد ذهب إلى نور الدين يوماً وهو يلعب في أحد ميادين الشام فوقف الرجل أمامه وأشار عليه، حينها طلب السلطان من حاجبه أن يسأله ما حاجته؟ فأجاب الرجل: أن له مع نور الدين حكومة، فذهب السلطان مع هذا الرجل إلى مجلس القاضي ليحكم بينهم بالعدل، وبعد أثبات بأن لا شيء للرجل<sup>(٢٥)</sup>، قال السلطان: " كنت أعلم إنه لا حق له عندي، وإنما حضرت معه لئلا يقال عني: إني دعيت إلى مجلس الشرع فأبيت"<sup>(٢٦)</sup>.

ويبدو أن السلطان أراد بفعلته هذه أن يبرهن للناس بأن القضاء فوق الجميع، ومن يرتكب خطأ ما سيحاسب عليه بغض النظر عن مكانته الاجتماعية ومناصبه العليا، وإن القضاء يتمتع باستقلال تام.

إضافة إلى ما سبق كان السلطان نور الدين يجلس بنفسه في دار العدل لمدة أربعة أيام وأحياناً خمسة من كل أسبوع، ويكون في حضرته العلماء، والفقهاء، ثم يأمر بإزالة البواب والحاجب حتى يصل إليه كل فئات المجتمع بما فيهم الشيخ الضعيف، والعجوز الكبيرة، وغيرهم من الفئات ليستمتع إليهم، ويسأل الفقهاء عما أشكل عليه<sup>(٢٧)</sup>.

وهذه خطوة مهمة أن يكون السلطان على اتصال مباشر مع رعاياه لحل مشاكلهم، وحل المنازعات والخصومات ليسود العدل في دولته، خاصة وأن فكرة القضاء قائمة اساساً على العدل والمساواة.

وعن عدله وزهده أيضاً حكى لنا العيني<sup>(٢٨)</sup> بأنه: "دخل يوماً إلى خزائنه، فرأى مالا كثيراً، فقال: من أين هذا؟ قال خازنه: بعث به القاضي كمال الدين من فائض الأوقاف، فقال ردوه إليه، وقولوا له: أن رقبتك رقيقة لا تقدر على حمله غداً، وأنت رقبتك غليظة تقدر على حمله". ومن ثم فإنه ما كان يصل إليه من الهدايا التي يبعثها الملوك وغيرهم للسلطان، يرسله بدوره إلى القاضي كمال الدين ليبيعه ويحرم بها بيوت الله المهجورة، ولا يتناول السلطان منها شيئاً<sup>(٢٩)</sup>.

ولم يكن السلطان نور الدين يعاقب المتهمين على الظنة والتهمة، وإنما على الشهود فإن وجد شاهد على المتهم عاقبه وفق الشريعة الإسلامية من غير تعدٍ، وبذلك قل المفسدون ببركة العدل، واتباع الشريعة الإسلامية<sup>(٣٠)</sup>.

إما بالنسبة إلى قضاة فقد كان السلطان ينتقيهم ممن يحمل مؤهلات عالية تؤهلهم لتسلم منصب القضاء كالفقه الواسع، والتقوى، والكفاءة، والأمانة، وغيرها من الصفات الضرورية، حيث برز في عهده عدد كبير من القضاة ذكر العيني<sup>(٣١)</sup> البعض منهم أمثال:

#### (١) كمال الدين الشهرزوري (ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م) :

من أشهر قضاة الشافعية في الدولة النورية، ولاة السلطان منصب قاضي القضاة في البلاد كلها، وأعطيت له الصلاحية في تعيين نواباً عنه في الأقاليم التابعة للبلاد، ثم أسند إليه مهمات أخرى إلى جانب القضاء كالنظر في الجامع والأشرف على دار الضرب، وتعمير المساجد المهجورة، وبناء الأسوار في دمشق، بالإضافة إلى بناء وتعمير البيمارستانات، والمدارس، وإليه

الحسبة، والنظر في الأمور الدينية والشرعية، كما أضيفت إليه شحنكية<sup>(٣٢)</sup> دمشق، إلا إنها سحبت منه وأعطيت للسلطان صلاح الدين فيما بعد، وكان الشهرزوري صاحب السيف والقلم في البلاد<sup>(٣٣)</sup>. ويفهم من كل ما سبق بأن الشهرزوري كان أحد ركائز الدولة والساعد الأيمن للسلطان في تمشية أمور البلاد.

ولعل ما يستري الانتباه هنا هو ظاهرة الجمع بين الوظائف وإسنادها لرجل واحد فقط، وهذا الأمر يندرج ضمن عدّة اسباب منها: كفاءة هذا الرجل وما يتمتع به من صفات غير متوفرة بأقرانه فيعهد السلطان بكل تلك الوظائف لنفس الرجل، فالشهرزوري كان يحمل من الصفات ما تؤهله لذلك، فقد كان فاضلاً، زاهداً في الدين، ورعاً، أميناً ثقة، شاعراً، أديباً، ظريفاً في المجالس، عظيم الرياسة، له خبرة واسعة بتدبير الملك، نال من المناصب ما لم يناهله أحد من أهله ( كونه من أسرة لها باع طويل بهذا المجال حيث تخصصوا بالقضاء وأبدعوا فيه)<sup>(٣٤)</sup>.

أو لربما السبب وراء جمع الوظائف برجل واحد، هو صلة أغلب هذه الوظائف بالقضاء فتجمع برجل واحد، أو في بعض الأحيان يكون القاضي مسؤولاً عن مناطق قليلة السكان من المسلمين فتجمع له تلك الوظائف مع بعضها.

ويذكر بأن الزنكيون قد زادوا في جامكية القضاة، ومن ذلك ما زاده عماد الدين زنكي في جامكية الشهرزوري حتى أنتقده الأمراء قائلين له: " إن هذا كمال الدين يحصل له في كل سنة منك ما يزيد على عشرة آلاف دينار أميرية وغيره يقنع منك بخمس مئة دينار، فقال لهم بهذا العقل والرأي تدبرون دولتي إن كمال الدين يقل له هذا القدر وغيره يكثر له خمس مئة دينار فإن شغلاً واحداً يقوم فيه كمال الدين خير من مئة ألف دينار"<sup>(٣٥)</sup>.

وبالإضافة إلى عدل كمال الدين وورعه وأمانته، فقد كان طلق اللسان في الكلام ومعرفة مخارجه ومدخله لأنه كان أديباً شاعراً، لذا وقع اختيار السلطان نور الدين عليه ليكون سفيره إلى دار الخلافة العباسية في بغداد، لأنه كان على علم بما يحمله القاضي كمال الدين من علم ورأي وحكمة وفصاحة، فيذكر العيني<sup>(٣٦)</sup> إنه في سنة (٥٦٨هـ/١٧٢م) أرسل السلطان نور الدين إلى بغداد القاضي كمال الدين ومعه الأسرى، والهدايا للخليفة العباسي المستضيء بالله ومعه كتاب يشرح فيه ما تم فتحه من البلاد، والكسرة التي حصلت للروم.

٢) شرف الدين بن أبي عصرون (ت ٥٨٥هـ/١١٨٩م) :

هو القاضي شرف الدين أبو سعد عبدالله، بن أبي عصرون، السري، بن محمد بن هبة الله بن مطهر، ابن أبي السري، التميمي، الحديثي ثم الموصلية، من فقهاء الشافعية، يعد من فضلاء عصره، درس في الموصل سنة (٥٢٣هـ/١١٢٨م)، ثم أقام في سنجار مدة من الزمن، أنتقل بعدها إلى حلب سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م)، ثم توجه بعدها إلى دمشق وبقي فيها إلى أن ملكها نور الدين زنكي سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) حيث درس فيها وتولى أوقاف المساجد ثم عاد بعدها إلى حلب وأقام بها<sup>(٣٧)</sup>.

كان ابن أبي عصرون قد تقدم عند السلطان نور الدين صاحب بلاد الشام فبنى له مدرسة بحلب، وأخرى بحماة وحمص وغيرها، وقد عينه نور الدين على القضاء، فتولى القضاء في سنجار، ونصيبين، وحران، وغيرها من ديار بكر<sup>(٣٨)</sup>.

وقد نال ابن أبي عصرون ثقة السلطان نور الدين واحترامه فمنحه صلاحيات واسعة في استنابة القضاة على المدن والنواحي التابعة لسلطانه، ومعلوم أن هذه الصلاحية لا تمنح إلا للأشخاص المشهود لهم بكفاءتهم وعدلهم وأمانتهم، ويخبرنا العيني<sup>(٣٩)</sup> بهذا الصدد أن السلطان نور الدين أراد السفر فأستدعى الشيخ ابن أبي عصرون وجعله على القضاء وفوضه باختيار نوابه على الأقاليم بقوله: "فنهض من فوره إلى السفر... واستنقى الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون وكان على سنجار، ونصيبين، والخابور، فاستناب فيها ابن أبي عصرون نواباً من أصحابه".

ثالثاً: القضاء في العهد الأيوبي :

بعد أن ضعفت الدولة الفاطمية بشكل كبير، ودانت الديار المصرية لحكم الزنكيين متمثلة بصلاح الدين الأيوبي ممثل السلطان الملك العادل نور الدين زنكي في مصر، عمل صلاح الدين على إنهاء الحكم الفاطمي بشكل رسمي سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) من خلال قطع الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد، وإقامة الخطبة للخليفة العباسي<sup>(٤٠)</sup>.

وبهذا الحدث عاد المصريون إلى مذهب أهل السنة والجماعة الذي كان سائداً قبل الحكم الفاطمي للبلاد<sup>(٤١)</sup>، وقبل هذه الخطوة بعام واحد فقط (٥٦٦هـ/١١٧٠م) عمل السلطان صلاح

الدين على تغيير كل ما يخص الدولة الفاطمية في محاولة منه لتقويض ركائزها، فقام بعزل قضاة مصر من الشيعة الإسماعيلية<sup>(٤٢)</sup>، وولى مكانهم على رأس المؤسسة القضائية قضاة على المذهب الشافعي منهم: قاضي القضاة صدر الدين بن درباس<sup>(٤٣)</sup> الشافعي المذهب، ومنحه السلطان كافة الصلاحيات في تيسير الأعمال الشافعية، وله الحق أيضاً في تعيين قضاة شافعية ينوبون عنه في الأقاليم التابعة للبلاد بدلاً من المذاهب الشيعية<sup>(٤٤)</sup>.

ولتغطية حاجة مصر من قضاة الشافعية وسدّ النقص الحاصل في الكوادر القضائية، عمد صلاح الدين إلى هدم سجن بمصر تعرف بـ "دار المعونة" وبنى على أنقاضها مدرسة لتدريس الفقه الشافعي، ولم ينتهي عند هذا الحد بل أنشأ أيضاً مدرسة للمالكية<sup>(٤٥)</sup> لتدريس الفقه المالكي وذلك في النصف من محرم لسنة (٥٦٦هـ/ ١٧٠م)<sup>(٤٦)</sup>.

وفي ذات السنة قام تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أخي صلاح الدين بشراء دار كانت تسمى بـ "منازل العز"<sup>(٤٧)</sup> فحولها مدرسة للشافعية<sup>(٤٨)</sup>. حيث أصبح القضاء كله على المذهب الشافعي، وبهذا أنتشر المذهب الشافعي في عموم البلاد، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مصر شافعية<sup>(٤٩)</sup>.

ولم يكن السلطان صلاح الدين الأيوبي وحده من المتحمسين لمذهب الشافعية من بين أهله وأقربائه، بل كل أبناء البيت الأيوبي كانوا ينتمون إلى المذهب الشافعي، عدا الملك المعظم عيسى (٦١٥\_٦٢٤هـ/١٢١٨\_١٢٢٧م) الذي كان على المذهب الحنفي، ويعد من المتعصبين لمذهبه، ولم يكن هناك حنفي سواه في جميع أهل بيته<sup>(٥٠)</sup>، وكان قد عوقب على ذلك حتى قيل له كما يذكر العيني<sup>(٥١)</sup>: "لم خالفت آباءك وأهلك؟ فقال: أما ترضون أن يكون في بني أيوب مسلم واحد". وكان المعظم حسب ما ذكر العيني<sup>(٥٢)</sup> قد أنشأ في بيت المقدس مدرسة الحنفية لتدريس الفقه الحنفي والتي أطلق عليها تسمية المدرسة المعظمية<sup>(٥٣)</sup>.

#### رابعاً: وظائف ومهام القضاة :

زادت أهمية القضاء على غيرها من التراتيب الإدارية والدينية، وأوكلت مهمات أخرى بجانب القضاء كما حصل في العهد الزنكي، فقد ذكر العيني<sup>(٥٤)</sup> إنه في سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) عندما أفتتح السلطان صلاح الدين عكا أقيمت أول صلاة جمعة في ساحل فلسطين بعد انقطاعها لفترة طويلة جداً، أقامها الفقيه جمال الدين عبد اللطيف<sup>(٥٥)</sup> بن الشيخ (أبي النجيب السهروردي).

وبعد إطلاع السلطان على سعة علمه وتقواه أسند إليه القضاء والخطبة، إضافة إلى شؤون الأوقاف والحسبة وغيرهما من الأمور الدينية<sup>(٥٦)</sup>.

وعند تحرير مدينة عسقلان في نفس السنة، ألقى السلطان صلاح الدين ذات المهمة على جمال الدين عبدالله بن عمر<sup>(٥٧)</sup>، حيث فوض إليه القضاء والخطابة وغيرها من الوظائف الدينية<sup>(٥٨)</sup>.

وكان القاضي محيي الدين بن الزكي، قد تولى خطبة الجمعة إلى جانب القضاء، فيروى إن السلطان صلاح الدين لدى فتحه بيت المقدس سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، رسم للقاضي محيي الدين أن يخطب الجمعة، فخطب خطبة بدیعة، وعُدَّ ابن الزكي أول من خطب بعد فتح القدس، ثم أستمروا في ذلك حتى تم تعيين خطيب جديد<sup>(٥٩)</sup>.

ومن الذين تولوا وظائف ومهام عديدة إلى جانب القضاء هو القاضي " جمال الدين يونس بن بدران بن فيروز المصري"<sup>(٦٠)</sup> المتوفي (٦٢٣هـ/١٢٢٥م) والذي كان وكيلاً لبيت المال ثم أسند إليه منصب قاضي القضاة بدمشق، ثم تولى مهنة التدريس في المدرسة العادلية الكبيرة<sup>(٦١)</sup>، فكان جمال الدين أول من درس بها<sup>(٦٢)</sup>.

وكان بهاء الدين بن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) متولي قضاء بيت المقدس، قد فوض إليه التدريس بالمدرسة التي أعادها السلطان بعدما حولها الإفرنج إلى كنيسة كما كانت قبل الإسلام، وأسند إليه أيضاً النظر في الأوقاف<sup>(٦٣)</sup>.

وقد كان بعض القضاة يعينون نواباً عنهم في حال انشغالهم بمهام أخرى، أو لأسباب صحية، ففي هذه الحالة يعمدوا إلى الاستعانة بأشخاص موثوقين لينوبوا عنهم، مثلما فعل قاضي حلب محيي الدين ابن الزكي عندما أختار زين الدين نبأ (أبن البانياسي)<sup>(٦٤)</sup> ليكون نائباً له كي يباشر أمور القضاة في حال غيابه<sup>(٦٥)</sup>.

إما القاضي شرف الدين بن أبي عصرون فقد أصيب بالعمى أواخر عمره (قبل موته بعشر سنوات) فجعل ابنه محمد ينوب عنه وهو باق في منصب القضاء، وصنف جزءاً على المذهب الشافعي في جواز قضاء الأعمى<sup>(٦٦)</sup>.

وعلى الرغم من اجتهاد السلاطين في العصر الأيوبي وتحريّهم في اختيار القضاة، إلا إنهم لخطورة هذا المنصب وحساسيته كانوا غالباً ما يخضعون المؤسسة القضائية إلى الرقابة المستمرة، وتتبع مسيرة القضاة لمعرفة أحوالهم الخاصة والعامة وعلاقاتهم بالمجتمع، وإذا ثبت لديهم إن سلوكيات بعض القضاة وممارساتهم لا تتسجم مع المعايير التي وضعت لهذه المؤسسة فغالباً ما يكون مصيرهم العزل. وأسباب العزل عديدة منها:

تخطي بعض القضاة لحدود وظيفتهم والتدخل في اختصاصات ووظائف أخرى بعيدة عن طبيعة عملهم، مثل ما حصل للقاضي "أبي حامد محمد بن أبي عصرون" الذي كان دائم التدخل في شؤون الجند، كما منح لنفسه الحق في مشاركة الأمراء ببعض الامتيازات التي كانت لا تمنح لغيرهم كاتخاذ الخيول والمماليك<sup>(٦٧)</sup>.

ومن الاسباب الأخرى للعزل وحسب ما جاء ذكره في كتاب العيني<sup>(٦٨)</sup> هو الخروج على الدين والشريعة، فهذا "شهاب الدين السهروردي الحكيم"<sup>(٦٩)</sup> الذي أتهم بالتعطيل والتحلل وفساد عقيدته، فكان الناس مختلفين في أمره فمنهم: من نسبه إلى الإلحاد، ومنهم: من نسبه إلى الزندقة، ومنهم: من يرى فيه الصلاح، ومهما كان من أمره، فأن السلاطين الأيوبيين لم يتساهلوا معه عندما أفتى العلماء بإباحة قتله.

ويكون عزل القضاة أحياناً يكون بوشاية من المتصيدين والحاقدين، وخير مثال على ذلك: هي محنة "زكي الدين أبو العباس الظاهر محيي الدين"<sup>(٧٠)</sup> فأن هذا الرجل وفقاً للخبر الذي ساقه لنا العيني تعرض لمكيدة حاكها له جمال الدين المصري (ناظر بيت المال) لخصومة بينهما<sup>(٧١)</sup>، ورغم إنه كانت تتوفر فيه جميع مؤهلات القاضي الناجح، فكان يوصف بأنه: "مَعْرِقاً فِي الْقَضَاءِ، وَرئيساً نبيلاً محتشماً، عالماً، ماضي الأحكام"<sup>(٧٢)</sup>، وكان من الفقهاء الذين يتمتعون بالعفة والنزاهة والهيبة<sup>(٧٣)</sup>، ومع كل ذلك فأن هذا الرجل تعرض إلى دسياسة من قبل جمال الدين يونس بن بدران المصري (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٥م) حيث أدعى الناظر أن القاضي زكي الدين كان قد استحوذ على أموال أودعها عنده رجلاً من كبار الدولة لفكأك أسرى المسلمين، فحاولت جماعة من أهل الخير دفع التهمة عن القاضي زكي الدين، إلا إن محاولتهم لم تثنِ الملك العادل من انزال العقوبة بالقاضي، وشككت بعض المصادر بزمة هذين الشاهدين، وألمحت إلى أنهم ما تقدموا إلى هذه الشهادة إلا بسبب حقدهم على القاضي لأحكام سابقة اتخذت ضدهم كان قد مضى بها زكي الدين<sup>(٧٤)</sup>.

### خامساً: قضاة الدولة الأيوبية :

تولى في هذه الحقبة عدد كبير من القضاة موزعين على البلاد التابعة للأيوبيين، وسنبدأ بالحديث عن قضاة بلاد الشام ومنهم:

**الفقيه كمال الدين الشهرزوري (ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م)** الذي كان قاضياً في الدولة الزنكية<sup>(٧٥)</sup>، وبعد وفاة السلطان نور الدين زنكي (٥٦٩هـ/١١٧٣م) ومجيء صلاح الدين إلى دمشق، أبقى على القاضي كمال الدين ورحب به وأكرمه حتى بالغ في إكرامه<sup>(٧٦)</sup>، رغم ما كان يحدث بينهما من مشاحنات وعدم تقبل بعضهم البعض<sup>(٧٧)</sup>، وأستمر في منصب القضاء حتى وفاته (٥٧٢هـ/١١٧٦م)<sup>(٧٨)</sup>.

ويتضح لنا من خلال بعض الروايات التي ذكرها العيني<sup>(٧٩)</sup> أن أسر دمشقية معينة مثل: آل الشهرزوري، وآل عصرون، وآل الزكي توارث عدد من أفرادها منصب القضاء رغم من المراتب العالية والسيادية التي تعتمد عليها السلطة الحاكمة في إرساء القواعد السليمة لتنظيم المجتمع ولا ينفع معها التوريث، لذا والحالة (توريث القضاء) في هذه الحقبة لعله يعود إما لنشأتهم العلمية وتمرسهم بالقضاء، أو إن السلاطين الأيوبيين تركوا لقضاة هذه الأسر لمقدرتهم ونزاهتهم وعدلهم، حرية اختيار من يجيء بعدهم، وغالباً ما يقع اختيار هؤلاء على أفراد من أسرهم يتقون بعلمهم ومقدرتهم على الاستنباط الفقهي ليتصدروا المسؤولية من بعدهم، فالقاضي كمال الدين الشهرزوري أوصى قبل وفاته أن يتولى ابن أخيه (ضياء الدين)<sup>(٨٠)</sup> القضاء من بعده. ورغم المناكفات التي كانت بين القاضي كمال الدين والسلطان صلاح الدين إلا إن وصيته نفذت إكراماً لمكانته<sup>(٨١)</sup>.

ومن أسرة آل عصرون تولى القضاء في دمشق، القاضي شرف الدين بن أبي عصرون، الذي استمر في منصبه إلى آخر عمره رغم إصابته بالعمى<sup>(٨٢)</sup>. والقاضي (أبا حامد محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي عصرون) الذي عزل سنة عن منصبه سنة (٥٧٨هـ/١١٩١م) لتمرده على السلطان<sup>(٨٣)</sup>.

ومن أبرز من تولى قضاة دمشق لبني أيوب، القاضي "جمال الدين بن الحرستاني"<sup>(٨٤)</sup>، أختاره الملك العادل لمنصب القضاء رغم كبر سنه، إذ تولى المنصب وله من العمر أثنان

وتسعون سنة<sup>(٨٥)</sup>، الأمر الذي أثار استغراب الناس ومنهم شاعر الشام الشاغوري<sup>(٨٦)</sup> فقال فيه<sup>(٨٧)</sup>:

يا من ترع في خمل الخمول وما معانق الهم في سر وإعلان

لا تياسن روح من نادى قاضي القضاة الجمال بن الحرستاني<sup>(٨٨)</sup>.

إلا أن من يطالع سيرة الحرستاني وتدرجه في مسلك القضاء، لا يجد غرابة في اختيار العادل له، فالرجل أشتغل نائباً لأكفأ قضاة دمشق، القاضي شرف الدين بن أبي عصرون مدة طويلة، حاز خلالها من الفقه والعلم والدراية ما ناله، وما ثناء المعاصرين له من العلماء إلا دليلاً على ما وصل إليه الرجل من مكان مكين في القضاء، وفي ذلك ذكر ابن الأثير<sup>(٨٩)</sup> نقلاً عن العز بن عبد السلام<sup>(٩٠)</sup> ما قاله بحق هذا القاضي: "ما رأيت أحداً أفقه من ابن الحرستاني".

كان ابن الحرستاني من القضاة العدول لا يأخذه في قول الحق لومة لائم، ولم يكن من الذين يطلبون القضاء، ويدل على ذلك ما قاله للملك العادل أثناء حكمه على إحدى القضايا: "ما احكم إلا بالكتاب والسنة وأنا فما سألتك القضاء فإن شئت وإلا فأبصر غيري"<sup>(٩١)</sup>.

هذا ولم يدخر الملك العادل جهداً في مداراة ومراعاة الحرستاني فقد خصص له رجلاً يقوم على راحته وقضاء حوائجه<sup>(٩٢)</sup>.

وبعد وفاة الحرستاني أختار الملك العادل لقضاء دمشق، القاضي "زكي الدين أبو العباس الطاهر بن يحيى الدين" والذي كان قاضياً قبله إلا إن الملك العادل كان قد عزله<sup>(٩٣)</sup>

إلا إن هذا الاختيار لم يرق لأبنة المعظم عيسى إذ كان يبغضه وفي قلبه حزازات منه لكن حياؤه واحترامه لوالده يمنعه من الافصاح عما في داخله من كره للقاضي زكي الدين، ولما مات والده الملك العادل، أخذ يتحين الفرص للإيقاع به، وجماعته الفرصة عندما أرسلت ست الشام عمه الملك المعظم بطلب القاضي زكي الدين والشهود لتشهدهم على الدار الذي حولته إلى مدرسة، ولما بلغ هذا الأمر الملك المعظم قال: "يحضر إلى دار عمتي من غير أدني ويسمع كلامهما هو والشهود"<sup>(٩٤)</sup>.

ولعل هذه الحادثة تؤكد ما أسلفنا ذكره من أن القضاة في ظل الحكم الأيوبي لم يكونوا بمنأى عن سخط السلاطين وأذاهم الذي تستجد بعقوبات صادمة ومجحفة لا تليق بتاريخ القاضي ومكانته كما في حالة القاضي زكي الدين<sup>(٩٥)</sup>.

وتوالى ذكر قضاة دمشق في كتاب العيني، نخص بالذكر منهم: القاضي جمال الدين المصري، الذي تسنم منصبه هذا سنة (٦١٨هـ/٢٢١م) وكان قبل ذلك يشغل وكيل بيت المال<sup>(٩٦)</sup>. وتولى قضاء دمشق من بعده "شمس الدين أحمد بن خليل الخوي"<sup>(٩٧)</sup>.

وفي سنة (٦٢٦هـ/٢٢٨م) وليّ الملك الناصر داود (٦٢٤ \_ ٦٥٦هـ/١٢٢٧ \_ ١٢٥٨م) القاضي محيي الدين بن الزكي<sup>(٩٨)</sup> منصب قاضي القضاة بدمشق<sup>(٩٩)</sup>.

إما القضاة في سائر المدن الشامية الأخرى واليمن الذين أتى على ذكرهم العيني في كتابه هذا، هم: جمال الدين بن عبدالله، قاضي اليمن تولى قضاء عسقلان بعد فتح السلطان صلاح الدين لها، وكان ذلك سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)<sup>(١٠٠)</sup>، والقاضي ابن شداد الذي تولى قضاء القدس الشريف<sup>(١٠١)</sup>، أما القاضي محيي الدين بن الزكي \_ الذي تقدم ذكره \_ كان قبل تقلده منصب قاضي القضاة في دمشق، متولياً قضاء حلب بأمر من السلطان صلاح الدين<sup>(١٠٢)</sup>، وأخيراً أبو حامد عبد العزيز المعروف بـ (الرفيع الجليلي)<sup>(١٠٣)</sup> الذي تولى قضاء بعلبك بأمر من الملك الصالح إسماعيل<sup>(١٠٤)</sup>.

إما مصر فإن العيني لم يذكر من قضاتها إلا الذين كانوا على عهد السلطان صلاح الدين، وهم: "القاضي جلال الدين أبو القاسم هبة الله بن عبدالله بن كامل بن عبدالكريم الصوري"<sup>(١٠٥)</sup>. والقاضي " صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس بن مبشر بن عبدوس الهمذاني، الكردي الموصل"<sup>(١٠٦)</sup>. وصرف هذا بعد وفاة السلطان صلاح الدين وعين بدلاً عنه القاضي " زين الدين علي بن يوسف الدمشقي"<sup>(١٠٧)</sup>. هذا وقد أحجم العيني عن ذكر قضاة مصر خلال عهد السلاطين الذين جاءوا بعد صلاح الدين الأيوبي.

(١) ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. م، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج ٥، ص ٩٩؛ ابن منظور، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت، ج ١٥، ص ١٨٦.

(٢) سورة طه، الآية ٧٢.

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٩٩؛ الراوي، ريم هاني مداح و عثمان عبد العزيز صالح، الجوانب الإدارية والقضائية في كتاب المسند للإمام ابي يعلى الموصلي المتوفى سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، العدد ٤٦، ٢٠٢٠م، ص ٩.

(٤) سورة فصلت، الآية ١٢.

(٥) سورة البقرة، الآية ١١٧.

(٦) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

(٧) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون، تح: سهيل زكار، ط ١، دار الفكر، بيروت، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج ١، ص ٢٧٥.

(٨) ابو بكر بن مسعود بن احمد، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج ٧، ص ٢.

(٩) العاني، محمد شفيق، القضاء في الإسلام وأشهر قضااته، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٠، بغداد، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ص ٢٥.

(١٠) الشجيري، سندس زيدان خلف، التراتيب الإدارية في تاريخ خليفة بن خياط (٢٤٠هـ)، مجلة التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، العدد الرابع، ٢٠٠٧م، ص ٣٢٨.

(١١) سورة المائدة، الآية (٤٩).

(١٢) ابن أبي الدم، شهاب الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، أدب القضاء، تح: محيي هلال السرحان، ط ١، مطبعة الرشاد، بغداد، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج ١، ص ١٢٨.

(١٣) زيدان، تاريخ التمدن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ج ١، ص ٢٣٥.

- (١٤) العزاوي، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٦٠.
- (١٥) حسن، ابراهيم حسن، النظم الإسلامية، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، ص ٣٣٤.
- (١٦) شلبي، ابو زيد، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص ١١٠؛ العاني، محمد شفيق، القضاء في الإسلام وأشهر قضاته، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢٠، بغداد، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ص ٣٢.
- (١٧) فوزي، فاروق عمر، تاريخ النظم الإسلامية، ط ١، دار الشروق، عمان، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ٢٨٩.
- (١٨) عقد الجمان، ج ١، ص ١٤٩ - ١٧٣.
- (١٩) عقد الجمان، ج ١، ص ١٥٤.
- (٢٠) انشأها السلطان نور الدين زنكي لرفع الظلم عن رعاياه. للمزيد من التفاصيل حول هذا الدار ينظر: ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ١٦٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٢٠٦. وعن جلوييس السلطان بهذا الدار لخلص المظالم ينظر: القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ٤، ص ٤٦.
- (٢١) عقد الجمان، ج ١، ص ١٥٥، ١٥٦؛ ينظر أيضاً: سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: ابراهيم الزبيق، ط ١، دار الرسالة العالمية، دمشق - بيروت، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ج ٢١، ص ٢٠٦؛ الذهبي، تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ٣٩، ص ٣٧٩؛ سبط ابن العجمي، احمد بن ابراهيم بن محمد (ت ٨٨٤هـ/١٤٧٩م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ط ١، دار القلم، حلب، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج ١، ص ٥٤٦.
- (٢٢) هو أبو الفضل، محمد بن أبي محمد، الشهرزوري، الملقب بكامل الدين، فقيه على المذهب الشافعي، تولى القضاء في بلاد الشام، وكذلك قضاء الموصل، بنى مدرسة للشافعية، ورباطاً في المدينة المنورة، توفي سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦). للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان،

تح: احسان عباس، ط١، دار الصادر، بيروت، (١٤١٣هـ/١٩٩٤م)، ج٤، ص٢٤١؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٥٥.

(٣٣) العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٥٦؛ ينظر أيضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٠٦.

(٣٤) العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٥٦؛ ينظر أيضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٠٧.

(٣٥) العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٥٧.

(٣٦) العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٥٧.

(٣٧) العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٥٦.

(٣٨) العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٥٨.

(٣٩) العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٥٨.

(٣٠) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح: عبدالقادر احمد طليعات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (١٣٨٢هـ/١٩٦٣م)، ص١٦٧.

(٣١) عقد الجمان، ج١، ص٢٥٥، ج٢، ص١٣٢.

(٣٢) أصلها الشحنة، وهي لفظة تركية\_ فارسية تعني: صاحب الشرطة أو العسس. للمزيد من التفاصيل ينظر: الخطيب، الخطيب، مصطفى عبدالكريم، معجم المصطلحات والالقباب التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص٢٦٩.

(٣٣) العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٥٨، ١٦٦، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧.

(٣٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٤٢، ٢٤٣؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت

٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج٣، ص٢٦٦؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص٢٥٥.

(٣٥) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٦٣؛ ابو شامة، ابو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم الزبيق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص١٣٥؛ كرد علي، محمد عبد الرزاق، خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، دمشق، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج٢، ص١٥.

(٣٦) عقد الجمان، ج ١، ص ١٠٩.

(٣٧) العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ١٣٢؛ ينظر أيضاً: الخطيب البغدادي، ابو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٢م)، تاريخ بغداد وذيولاه، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج ١٥، ص ٢٢١؛ ابن اللمش، الطيب ابو حفص عمر بن الخضر (ت ٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، تاريخ دنيسر، تح: إبراهيم صالح، ط ١، دار البشائر، دم، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ١٣٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٥٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٢١، ص ٥٣.

(٣٨) العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ١٣٣؛ ينظر أيضاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٥٣.

(٣٩) عقد الجمان، ج ١، ص ٥٩.

(٤٠) العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٦٩-٧٣.

(٤١) حسن، النظم الإسلامية، ص ٣٤٩.

(٤٢) هم فرقة شيعية ينتمون إلى (إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام))، كانوا يعتقدون بإمامته وأبنائه من بعده، رفض هؤلاء إمامة الأخ الأصغر لإسماعيل وهو موسى الكاظم (عليه السلام) وذريته كما يعتقد الاثني عشرية، لكون الإمامة عندهم من الأب إلى الأبن الأكبر، ولا تنتقل من الأخ إلى أخيه بعد الأماميين الحسن والحسين (عليهما السلام). للمزيد من التفاصيل ينظر: النوبختي، الحسن بن موسى (ت ٣٠٠هـ/٩١٣م)، فرق الشيعة، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١١٤؛ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، الملل والنحل، تح: عبد العزيز الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج ١، ص ١٩٢؛ نوح، علي، الإسماعيلية بين خصومها وأنصارها، دار التوحيد للنشر، حمص، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ٤٧ وما بعدها، ص ١١٤.

(٤٣) هو صدر الدين عبد الملك بن درباس، الماراني، الكردي، قاضي القضاة بالديار الصرية، قاضي الديار الغربية، كان ذو مكانة وحظوة عند السلطان، تمهر في المذهب وأصول الفقه حتى تمكن منهما واتقنهما، توفي في الليلة الخامسة من رجب سنة (٦٠٥هـ/١٢٠٨م). للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٤٢؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٢٢٧.

(٤٤) العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٦٢، ٦٣.

(<sup>٤٥</sup>) تسمى بالمدرسة القمحية شيدها السلطان صلاح الدين سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) بجوار الجامع العتيق في الديار المصرية، كانت قبل ذلك تعرف بدار الغزل (بياع فيها الغزل) فهدمها السلطان وبنى مكانها مدرسة لتدريس الفقه المالكي، ورتب فيها أربعة من المدرسين. للمزيد من التفاصيل ينظر: المقرئزي، الخطط، ج٤، ص٢٠١.

(<sup>٤٦</sup>) العيني، عقد الجمان، ج١، ص٦٣.

(<sup>٤٧</sup>) بنتها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز، وكانت مطلة على نهر النيل، ولم يكن بمصر أحسن منها، كما تداولها الخلفاء من بعد المعز حيث كانت معدة لنزعتهم. للمزيد من التفاصيل ينظر: المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج٢، ص٤٢٦.

(<sup>٤٨</sup>) العيني، عقد الجمان، ج١، ص٦٣.

(<sup>٤٩</sup>) العيني، عقد الجمان، ج١، ص٦٤.

(<sup>٥٠</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٦٥؛ ينظر أيضاً: أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٩٤؛ اليافعي، ابو محمد عفيف الدين عبدالله بن اسعد (٧٦٨هـ/١٣٦٧م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج٤، ص٤٦؛ القرشي، القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصرالله (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مكتبة مير محمد كتب خانة، كراتشي، د.ت، ج١، ص٤٠٣؛ اللكنوي، ابو الحسنات محمد عبدالحى (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ط١، دار السعادة، مصر، (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)، ص١٥٢.

(<sup>٥١</sup>) عقد الجمان، ج٤، ص١٦٥؛ ينظر أيضاً: ابن واصل، ابن واصل، محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم (٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تح: حسنين محمد ربيع، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، ج٤، ص٢١١.

(<sup>٥٢</sup>) عقد الجمان، ج٤، ص١٦٨.

(<sup>٥٣</sup>) انشأها المعظم عيسى سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) بالصالحية، في سفح قاسيون الغربي، بجوار المدرسة العزيزية. للمزيد من التفاصيل ينظر: النعيمي، الدارس، ج١، ص٤٤٥؛ أبن بدران، عبد

القادر بن أحمد بن مصطفى، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تح: زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، ص ٢٠١.

(<sup>٥٤</sup>) عقد الجمان، ج ٢، ص ٦٦؛ ينظر أيضاً: أبو شامة، الروضتين، ج ٣، ص ٣١٢.

(<sup>٥٥</sup>) هو عبد اللطيف بن أبي النجيب عبد القاهر بن عبدالله محمد السهروردي، أبو محمد، ولد سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م)، وتوفي سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) في إربل، كان السهروردي قد ولي القضاء في بعض البلاد أيام السلطان صلاح الدين ثم أستقر في إربل إلى أن توفي. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن ابي بكر (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، ط ١، دار الكتب العلمية، (د. م، ١٩٨٨م)، ص ٣٨١؛ ابن حجر العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، لسان الميزان، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط ١، دار البشائر الإسلامية، (د. م، ٢٠٠٢م)، ج ٥، ص ٢٤٧.

(<sup>٥٦</sup>) عقد الجمان، ج ٢، ص ٨٣.

(<sup>٥٧</sup>) هو أبو محمد، جمال الدين عبدالله بن عمر بن عبدالله، الدمشقي، الشافعي، ولد بحدود (٥٥٣هـ/١١٥٨م) وقيل (٥٣٠هـ/١١٣٥م) تخميناً، توجه إلى اليمن بصحبة توارنشا، وأصبح ذو قبول وحظوة عنده فولاه القضاء في اليمن، وعلى أثر ذلك أصبح معروفاً بلقب قاضي اليمن، توفي سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) في دمشق. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٥٧٤هـ/١٣٧٢م)، طبقات الشافعيين، تح: أحمد عمر هاشم محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، (١٤١٣هـ/١٩٩٣)، ص ٧٩٤؛ ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (ت ٨٠٤هـ/١٤٠١م)، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تح: أيمن نصر الأزهرى وسيد مهني، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ٣٤٤؛ المقرئ، تقى الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، المقفى الكبير، تح: محمد السيعلاوي، ط ٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ج ٤، ص ٣٤٩.

(<sup>٥٨</sup>) العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٧٤.

(<sup>٥٩</sup>) العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ١١، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ج ٣، ص ١٥٧.

(٦٠) كان فقيهاً على المذهب الشافعي، له عدّة مؤلفات ، أختصر كتاب الأم للإمام الشافعي، تولى التدريس في المدرسة الأرمنية من قبل الوزير صفي الدين بن شكر. للمزيد من التفاصيل ينظر: العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٤٥.

(٦١) تسمى بالمدرسة العادلية الكبرى، موقعها داخل مدينة دمشق، أول من انشأها هو السلطان نور الدين زنكي، لكنه توفي ولم يكتمل بنائها بعد، وبقيت على هذا الحال حتى بنى بعضها السلطان الملك العادل إلا إنه توفي ولا يكتمل بنائها أيضاً، وفي عهد الملك المعظم استكمل بنائها بشكل نهائي ووقف الأوقاف عليها. للمزيد من التفاصيل ينظر: النعيمي، النعيمي، عبدالقادر بن محمد (٩٢٧هـ/١٥٢١م)، الدارس في تاريخ المدارس، تح: ابراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، د. م، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ج١، ص٢٧١.

(٦٢) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٤٥.

(٦٣) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٤٦.

(٦٤) هو زين الدين نبأ بن الفضل بن سليمان، المشهور بـ (أبن البانياسي)، نائب القاضي في حلب. للمزيد من التفاصيل ينظر: أبن المظفر، محمد بن عمر بن المظفر بن شاهنشاه (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)، مضمّار الحقائق وسر الخلائق، تح: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، د.ت، ص١٤٥.

(٦٥) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص١٥؛ ينظر أيضاً: أبن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٣٩٦؛ أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص١٧٤؛ أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٨٩.

(٦٦) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص١٣٣.

(٦٧) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢١٥؛ ينظر أيضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٨٩.

(٦٨) عقد الجمان، ج٢، ص٢١٩، ٢٢٠.

(٦٩) هو أبو الفتوح، شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك، كان من العلماء المشهورين في عصره، أوجد زمانه في العلوم الحكمية، كما برع في الأصول الفقهية، وكان عارفاً بعلم السيمياء. للمزيد من التفاصيل ينظر: العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢١٧.

(٧٠) هو الطاهر، زكي الدين أبو العباس بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى، بن قاضي القضاة محيي الدين، تولى منصب القضاء مرتين، كان معروفاً في الرياسة ومعرفاً بالقضاء، توفي سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م). للمزيد من التفاصيل ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ٣٣٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٣٤؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، هجر للطباعة والنشر، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج ٨، ص ١٥٣؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص ٧٩٢.

(٧١) عقد الجمان، ج ٤، ص ١٧.

(٧٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٤٤، ص ٣٣٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٣٤؛

(٧٣) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ١٤٥.

(٧٤) المياح، مشتاق كاظم عاكول، أسرة آل الزكي ودورها في القضاء والإدارة بدمشق في القرنين

السادس والسابع الهجريين، مجلة ديالى، العدد الثامن والستون، ٢٠١٥م، ص ٤٨٦.

(٧٥) العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ١٥٥، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٤، ١٧٥.

(٧٦) العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ١٩٦.

(٧٧) العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٢٠٢.

(٧٨) العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

(٧٩) العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٢٥٧؛ ينظر أيضاً: ابن واصل، مفرج الكروب، ج ٢، ص ٥٠.

(٨٠) هو ضياء الدين، أبو الفضائل، القاسم بن تاج الدين يحيى بن عبدالله بن القاسم الشهرزوري، ولد

سنة (٥٣٤هـ/ ١١٤٠م)، تولى القضاء في البلاد الشامية بعد وفاة عمه، إلا أنه انفصل عن منصب

القضاء سنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٦م). للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣،

ص ٥٤؛ العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ١٣٣؛ الأوتاني، أحمد، دمشق في العصر الأيوبي، ط ١،

التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص ١٧٨.

(٨١) ابن كثير، البداية والنهاية، تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط ١، دار هجر للطباعة والنشر

والتوزيع والاعلان، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج ١٦، ص ٥١٧.

(٨٢) العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ١٣٣.

(<sup>٨٣</sup>) العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٢١٥.

(<sup>٨٤</sup>) هو عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل، جمال الدين بن الحرستاني، أبو القاسم الأنصاري، شيخ القضاة، العالم، الصالح، المفتي، الشيخ الإمام، ولد سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) وتوفي سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م). للمزيد من التفاصيل ينظر: الذهبي، سير إعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط ٣، مؤسسة الرسالة، د. م، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج ٢٢، ص ٨٠؛ العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٢٤.

(<sup>٨٥</sup>) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٢٤، ٣٢٥؛ ينظر أيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ٨٢.

(<sup>٨٦</sup>) هو فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال، الأسدي، الدمشقي، الحنفي، المعروف بالشاغوري، كان شاعراً ماهراً، نحوياً، فاضلاً، خدم الملوك ومدحهم، توفي سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م). للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الشعار، ابن الشعار، كمال الدين ابو البركات (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، فلاتد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تح: كامل سلمان الجبوري، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج ٤، ص ٣١٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٤؛ السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، ج ٢، ص ٢٤٣.

(<sup>٨٧</sup>) العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣٢٥.

(<sup>٨٨</sup>) وردت هذه الأبيات في المصادر مع بعض الاختلافات، فعلى سبيل المثال: وردت عند الصفدي بالقول:

"يا من تدرع في حمل الحمول ويا ... معانق الهم في سر وإعلان

لا تأنسا روح من نادى لذي مائة ... قاضي القضاة جمال ابن الحرستاني"

ينظر: الوافي بالوفيات، ج ١٨، ص ٢٧٤.

(<sup>٨٩</sup>) البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٦٧.

(<sup>٩٠</sup>) هو عز الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبي القاسم، سلطان العلماء، وشيخ الإسلام، كان بارعاً في عدة علوم منها الفقه، والأصول العربية، والشعر، توفي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) في مصر. للمزيد من التفاصيل ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح:

محمد ابو الفضل إبراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، مصر، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ج١، ص٣١٦.

(<sup>٩١</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٢٦.

(<sup>٩٢</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٢٤، ٣٢٥؛ ينظر أيضاً: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٨٢.

(<sup>٩٣</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٢٤، ٣٢٦؛ ينظر أيضاً: النووي، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ج٢٩، ص٦٩.

(<sup>٩٤</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٦؛ ينظر أيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٤، ص٣٣٦.

(<sup>٩٥</sup>) عقد الجمان، ج٤، ص١٧.

(<sup>٩٦</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٧٠، ١٤٥.

(<sup>٩٧</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٤٥. والخويي: هو شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر الخويي، الشيخ العلامة، كان عالماً بفنون كثيرة، حسن الأخلاق، جميل المعاشرة، تولى منصب قاضي القضاة، توفي وله من العمر ٩٥ عاماً. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٢٤٩.

(<sup>٩٨</sup>) هو محيي الدين أبو المعالي، محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز، أبو الفضل يحيى بن قاضي القضاة، القرشي، الأموي، تولى القضاء في دمشق غير مرة، وينحدر محيي الدين من أسرة عملت في القضاء وبخاصة دمشق. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧، ص٤٨٩.

(<sup>٩٩</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٢٥.

(<sup>١٠٠</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٧٤.

(<sup>١٠١</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٢٤٦.

(<sup>١٠٢</sup>) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص١٢، ١٣، ١٥، ٧٨، ٢١٥، ج٣، ص٥٧، ١٥٨.

(<sup>١٠٣</sup>) هو الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل، رفيع الدين، أبو حامد الجليلي، الشافعي، المعروف بالرفيع الجليلي، قاضي القضاة بدمشق، تولى قضاء بعلبك قبل ذلك على أيام الملك

الصالح إسماعيل، كان هذا القاضي سيء الصيت، رديء العقيدة، مستهتراً بأمور العقيدة، فعل بالناس الأفاعيل، كان يستعمل شهود الزور كثيراً، قتل سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م). للمزيد من التفاصيل ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ١٠٩؛ ابن شاکر الکتبي، محمد بن شاکر بن احمد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، ط ١، دار صادر، بيروت، (١٣٩٤هـ/١٩٧٣م)، ج ٢، ص ٣٥٢؛ ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٧م)، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تح: سمير طيارة، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ١١٨؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، د.ت، ج ٦، ص ٣٥٠.

(<sup>١٠٤</sup>) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٩، ص ٢٧١.

(<sup>١٠٥</sup>) ولاة السلطان صلاح الدين القضاء في ذي الحجة سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م) ثم صرفه في العام التالي (٥٦٦هـ/١١٧٠م). للمزيد من التفاصيل ينظر: العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٨٨.

(<sup>١٠٦</sup>) تولى قضاء القضاة ( أعلى منصب في المؤسسة القضائية) سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) وأعطاه السلطان صلاحيات واسعة، كما استنابه في كافة الأعمال الشافعية. للمزيد ينظر: العيني، عقد الجمان، ج ١، ص ٦٢، ج ٢، ص ٢٨٨، ج ٣، ص ٢٢٧.

(<sup>١٠٧</sup>) تولى القضاء في الديار المصرية بعد وفاة السلطان صلاح الدين أي في سنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م) عوضاً عن صدر الدين بن درباس بعناية جماعة من المماليك به. ينظر: المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج ١، ص ٢٣٥؛ العيني، عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٨٨، ج ٣، ص ٢٢٧.

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي  
في انباء الاوائل والتوالي ) للعصامي ( ت ١١١١ هـ  
(١٦٩٩م)

community components the book (Stamt al-  
Nujum al-Awali fi Anbaa al-Awael and al-  
Tawali) by Al-Assami (d. 1111 AH / 1699 AD)

نشأت حميد جاسم

Nashat Hamid Jassim

أ . م . د . آلاء حماد رجه

Supervisor

Dr . Alaa Hammad Rajah

جامعة بغداد

كلية الآداب / قسم التاريخ



مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )  
للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩م )

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )  
للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩م )

نشأت حميد جاسم

أ . م . د . د . آلاء حماد رجه

### الملخص

على الرغم من عدم وجود تاريخ اجتماعي مخصص ومفصل عن المدة الإسلامية الأولى والتي شملت جميع الأجناس والديانات التي قطنت الجزيرة العربية، فإن حقائق هذه المادة من الممكن جمعها من بطعون المصادر التاريخية التي اجهدت نفسها بتبيان التاريخ السياسي والعسكري، وبما ان مادة الدراسة سمط العوالي تحتم علينا الالتزام بما يتم طرحه دون الخروج من محتوى النصوص الا للتوضيح والتبيان، اذ لم يخرج المجتمع الإسلامي عن نظام المجتمعات التي قطنت الجزيرة العربية اذ كان يقوم ذلك المجتمع على أساس النظام القبلي، فالقبيلة هي وحدة الحياة الاجتماعية، ولافرادها حقوق التملك والسيادة والتصرف ضمن أعراف القبيلة.

### Summary

the introduction Despite the absence of a dedicated and detailed social history of the first Islamic period, which included all races and religions that inhabited the Arabian Peninsula, the facts of this article can be gathered from the appeals of historical sources that have exhausted themselves in explaining the political and military history, and since the subject of the study is Smt al-Awali, it is imperative for us Commitment to what is presented without deviating from the content of the texts except for clarification and clarification, as the Islamic society did not deviate from the system of societies that inhabited the Arabian Peninsula, as that society was based on the tribal system.

### الكلمات الافتتاحية

النصارى - اليهود - البربر - الموالي - اتابك او اطابك - الافندي - النتائج - الهوامش الختامية

على الرغم من عدم وجود تاريخ اجتماعي مخصص ومفصل عن المدة الاسلامية الاولى والتي شملت جميع الاجناس والديانات التي قطنت الجزيرة العربية، فإن حقائق هذه المادة من الممكن جمعها من بطعون المصادر التاريخية التي اجهدت نفسها بتبيان التاريخ السياسي والعسكري، وبما ان مادة الدراسة سمط العوالي تحتم علينا الالتزام بما يتم طرحه دون الخروج من محتوى النصوص الا للتوضيح والتبيان، اذ لم يخرج المجتمع الاسلامي عن نظام المجتمعات التي قطنت الجزيرة العربية اذ كان يقوم ذلك المجتمع على أساس النظام القبلي، فالقبيلة هي وحدة الحياة الاجتماعية، والتي تضم الأحرار من أبناء القبيلة نفسها، ولهؤلاء حقوق التملك والسيادة والتصرف ضمن أعراف القبيلة، وعليهم التزامات التكافل القبلي بدءاً بمصروفات رئيس القبيلة ووصولاً إلى نصره من يعتدى عليه من أبناء القبيلة والأخذ بثأر من يقتل منهم، والمشاركة في دفع ديات القتلى<sup>(١)</sup> ومن تلك المكونات:

### أولاً- النصارى: Christians

واقع النصارى في المجتمع الاسلامي يمكن ان يرى عموماً بالقبول من حيث المعاملات على عكس المعاملات التي كانوا يعاملوهم بها حكوماتهم السابقة، والجدير بالذكر فقد احتضنت ارض الجزيرة العربية الكثير من الاجناس والديانات التي كانت منتشرة آنذاك ومنها النصرانية<sup>(٢)</sup> التي كان أصلها بنجران<sup>(٣)</sup> اذ كانوا قبل ذلك أهل شرك يعبدون الأصنام ومنهم ورقة بن نوفل الذي ترك الأوثان ورجع إلى النصرانية الذي بشر رسول الله ﷺ بالرسالة<sup>(٤)</sup> ولهذا التحول روايات كثيرة اشار اليها اغلب مؤرخي السير، والتي تدين بحقد اليهود على باقي الديانات، وهي عندما تنصر أهل نجران سار إليهم ذو نواس اليهودي<sup>(٥)</sup> فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختروا القتل فحدد لهم الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين

ألفاً<sup>(٦)</sup> ففي ذي نواس وجنوده أنزل الله تبارك وتعالى قوله { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ \* النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ \* إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ \* وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ \* وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ }<sup>(٧)</sup> ويشير العصامي انه عندما سأل هرقل ملك النصارى كفار قريش عن صفات النبي ﷺ قال فهل يغدر قالوا له لا فقال لهم كذلك الرسل لا تغدر<sup>(٨)</sup> فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظن أنه منكم فلو أنني أعلم أنني أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه<sup>(٩)</sup> .

فهذا النص يوحى لنا بأن هرقل قد اعترف برسالة النبي ونبوته التي كانت متوقفة على قبول بلاده بما جاء به ﷺ وفي خبر ينقله لنا القرطبي ان الجلندي ملك عمان وكان على دين النصرانية لما بلغه أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام فقال والله لقد دلني على أن هذا نبي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهاى عن شر إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر وفي بالعهود وينجز الموعد أشهد أنه نبي<sup>(١٠)</sup> فترجمة النصوص التي تم الإشارة إليها لا تحمل سوى الكره الازلي للنصارى ومن ثم للمسلمين وهذا ما اشار اليه العصامي عن ايام دخول الفرس وامتلاكهم لبيت المقدس عندما قاموا بمجزرة كبيرة بقتل النصارى وهدمهم للكنائس والشيء اللافت للنظر ان الذين أعانهم على قتلهم هم اليهود وكانوا أكثر قتلا وفتكا في النصارى من الفرس، فلما سار هرقل إليه استقبله اليهود بالهدايا وسألوه أن يكتب لهم عهدا ففعل فلما دخل بيت المقدس شكا إليه من فيه من النصارى ما كان اليهود صنعوه بهم فقال لهم هرقل و ما تريدون مني قالوا تقتلهم قال كيف أقتلهم وقد كتبت لهم عهدا بالأمان وأنتم تعلمون ما يجب على ناقض العهد فقالوا له إنك حين أعطيتهم الأمان لم تدر ما فعلوا من قتل النصارى و هدم الكنائس و قتلهم قربان نتقرب بهم الى دين النصرانية<sup>(١١)</sup> ومع تلك النصوص فكان لا بد لنا ان نذكر ان النصارى بدأت تظهر وان شمسها بدأت تشرق ، والا لما كان من الرسول ﷺ ان يبعث بأصحابه إلى الحبشة ما لم تكن علاقته بالنصارى حسنه ، وما كان أيضا أن يجازف تلك المجازفة الخطيرة ما لم يكن ضامنا خطوطا أمينة وطيبة كانت تجمعهم

والنصارى معا ، فكان ﷺ مطمأنًا لهم أكثر من اطمئنانه لليهود وإلا لكان أمرهم بالرحيل إلى يثرب منذ البداية ، وتلك المعاملة الحسنة ، النصارى في الحبشة عكست على لسان جعفر بن أبي طالب ﷺ حينما اخذ يظهر محاسنهم في الدين الإسلامي (١٢) ويعكس نظرة الإسلام والمسلمين تجاههم حين اخذ يتلو عليهم ما نزل من الله عز وجل على الرسول ﷺ ما جاء نصه في القرآن الكريم { وَأَنذَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا \* فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا \* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا \* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا \* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا \* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا \* (١٣).

ومع سماحة الدين الاسلامي فأن فئات المجتمع في الجزيرة، قامت تلك القبائل بمحاربة كفار قريش فأظفروا الله بهم وأظهروا عليهم ثم حاربتهم يهود فأمكنه الله منهم وملكه أرضهم وديارهم فقتل وسبأ وأسر فعلا عليهم وظهر ثم حاربتهم النصارى فغزاهم بتبوك ودخل عليهم بلادهم وافتتح في طريقه حصونا لهم ولغيرهم وأظهره الله عليهم وضرب على كثير من ملوكهم الجزية وظل أصحابه الكرام من بعده يقاتلون كل من كفر بالله ولا يخافون لومة لائم في الله فلقد صيروا ملوك الروم وغيرهم أدلة ثم لم يزل دين الإسلام مع مرور الأيام ينتشر بكل مكان ويظهر وهذا ما قرأناه عند دخول المسلمين الجزيرة الابييرية (١٤) وقد اشار العصامي للكثير من تلك النصوص في كتابه موضوع الدراسة والتي دلت على سماحة الدين الاسلامي وهنا لا يمكن لنا ان نقارن بسماحة الدين وفسق اليهود الذين لطالما كانوا وما زالوا يسعون لخلق بغضاء بين صفوف المسلمين فضلاً عن عدم رضى النصارى وان كانوا اقل شرا من اليهود.

### ثانياً- اليهود: Jews

اليهود من القبائل التي هاجرت واستوطنت في مختلف بقاع الارض والتي كان تعمل دائما على هيمنة ما دونها من المذاهب وتحاول قدر المستطاع جذب اكبر عدد من المجتمعات لتقوية شوكتها وليس بذلك خافياً عن الجميع سواء بعصر الرسالة او العصور

الحديثة ، اذ يذكر السهيلي ان اول من سكن الجزيرة العربية هم قبيلة عييل<sup>(١٥)</sup> والتي لا نعرف الشيء الكثير عنها، اذ قيل أنها قبيلة من العرب البائدة نزلت ناحية يثرب بعد تفرق ولد نوح وهي ترجع في نسبها إلى عوص بن ارم بن سام بن نوح<sup>(١٦)</sup> ثم أعقب بعد عييل العماليق الذين يرجع نسبهم إلى عمليق بن أرفخشد بن سام بن نوح ، وقد استغل العماليق اعتدال مناخ بعض تلك المناطق ووفرة المياه المتدفقة من الآبار والعيون ، ونتيجة لذلك قاموا ببناء الدور والأطام<sup>(١٧)</sup> ثم نزل اليهود بعدهم نتيجة الحروب التي قامت ، فغلب يوشع السמידع وابتزوا ملكهم ثم بعثوا بني اسرائيل بعثاً إلى الحجاز فملكوه وانتزعه من أيدي العماليق ملوكه ونزلوا يثرب وبلادها وخيبر ومن بقاياهم يهود قريظة والنظير وقينقاع وسائر يهود الحجاز، والملاحظ ان هذه الرواية متداخلة، لكن الذي لاشك فيه أن هنالك بطونا يهودية سكنت في جزيرة العرب، وكان لها أثر واضح في الحياة هناك في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والأدبية، وأشهر هذه البطون اليهودية وأكثرهم أثراً هم أولئك الذين سكنوا يثرب من قبائل بني إسرائيل هم بنو عكرمة ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر، وبنو قينقاع، وبنو النظير، وبنو قريظة وغيرهم<sup>(١٨)</sup> حتى نزل معهم قبائل من العرب هم الأوس والخزرج<sup>(١٩)</sup> هذا وكانت تسكن قبلهم بقايا من قبائل العرب من بنو انيف من العماليق<sup>(٢٠)</sup> وحتى يأمنوا قبائل العرب من الأوس والخزرج فقد عقدوا الاحلاف مع اليهود وظلت تلك الاحلاف زمناً طويلاً حتى بلغ الأوس والخزرج من الخيرات مبلغ الامر الذي ادى الى قطع ذلك الحلف فقامت منازعات بين العرب واليهود حتى اصبحت السيادة للعرب<sup>(٢١)</sup> ومع ذلك لم تتغير الأمر كثيراً في التصميم الطبقي، فقد ظهرت الوان من العلاقات الاجتماعية الجديدة بين الكتلتين البشريتين الكبيرتين اللتين تتقاسمان مناطق سكناهم الأوس والخزرج من جهة، واليهود من جهة أخرى، وكانت العلاقات ودية أول الأمر، أثرت في بعض الأفراد والبطون القبلية فتهودوا ، وكان من نتيجة هذا التهود أن تراخت الحواجز الاجتماعية بين الطرفين، فزوج اليهود الوافدون في عربيات يهوديات وغير يهوديات، وتزوج العرب المتهودون من يهوديات وافدات<sup>(٢٢)</sup> لقد انتشر بين اليهود في يثرب وما جاورها من القرى، الظلم كان له نتائج خطيرة أدت إلى انحلال المجتمع

اليهودي خلقياً ودينياً ، فانتشر بينهم الربا وكان نتيجة لحبهم الشديد للمال، ولفقر العرب أدى إلى التعامل مع اليهود الذين كانوا يملكون زمام الاقتصاد في المنطقة ، وأخذ اليهود التعامل بالربا الفاحش . وأكل أموال الناس بالباطل، وقد نهاهم الله عن ذلك، ومن الأمراض الاجتماعية الأخرى التي انتشرت في المجتمع اليهودي في يترتب هي الرشوة ، وهي لا تخرج عن الأسباب السابقة من ضعفهم الديني ، وحبهم للمال وظلم الحكام لهم وضياح العدل (٢٣) ومع انتقال السيادة للعرب، لم يبقى اليهود مكتفي الايدي حتى استطاعوا من خلق فتنه بين العرب اي الاوس والخزرج فقامت بينهم حروب استمرت عشرات السنين(٢٤) وظل اليهود لسنوات بعيدة يختلقون الفتن حتى ان العصامي يذكر لنا رواية مفادها ان يهودي من خيبر افتروا على رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ﷺ عندما اظهر كتاب شهد عليه رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وسعد بن معاذ ومعاوية بن أبي سفيان بإسقاط الجزية عنهم حين فتحها سنة (٦٢٨/٥٧م) فعرض الكتاب على الخطيب البغدادي(ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، فتأمله وقال هذا مزور على رسول الله وأصحابه ف قيل له كيف؟ قال لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان اذ كان اسلامه يوم فتح مكة سنة(٦٢٩/٥٨م) وفتح خيبر إنما كان سنة(٦٢٨/٥٧م) وفيه شهادة سعد بن معاذ وكان سعد قد مات يوم بني قريظة من سهم أصابه يوم الخندق سنة (٦٢٦/٥٥م) فيكون موته قبل فتح خيبر بسنتين فظهر تزوير هذا الكتاب (٢٥) والجدير بالذكر لم يكن عداء اليهود للعرب بشكل عام والمسلمين بشكل خاص وليد لحظه بل كان عدائهم منذ القدم فقد اشار العصامي في رواية بعهد الدولة مروانية، دلت على كره اليهود وحقدهم على العرب مفادها ان اليهود ادعت ان ابراهيم ﷺ جر اسحاق للذبح وليس اسماعيل، حتى ان عمر بن عبد العزيز ﷺ سأل رجلا أسلم من علماء اليهود هل ان ابراهيم أمر بذبح اسحاق، فقال والله يا أمير المؤمنين إن اليهود ليعلمون أنه إسماعيل ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب أن يكون أبا لكم للفضل الذي ذكره الله تعالى عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحاق لان اسحاق ابوهم(٢٦) ويكرر العصامي نقله للروايات التي تدل على السياسة التي اتبعها اليهود منذ العهد الاول اذ يشير ان في السنة السادسة من مولد النبي

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )

للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م )

ﷺ أتت وفود العرب ووجوهها وأشرافها وشعراؤها وفيهم عبد المطلب بن هاشم لتهنئه الملك سيف بن ذي يزن الحميري باليمن واثناء مقابله الملك لعبد المطلب بشره بأنه يولد فيهم ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما اعلمه عبد المطلب بحدوث ذلك نصحه بقوله " فاحفظ ابنك واحذر عليه من اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة في أن تكون لك الرياسة"<sup>(٢٧)</sup> ويشير في موقع اخر ان نبي الله ﷺ عندما بلغ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام فرأى ببصرى بحيرا الراهب فعرفه بصفته فأخذ بيده فقال هذا رسول رب العالمين قيل وما علمك بذلك قال لم يبق حين أقبل حجر ولا شجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي وإنا نجده في كتبنا وقال لأبي طالب لئن قدمت به إلى الشام لتقتلنه اليهود فرده خوفا عليه<sup>(٢٨)</sup> وهكذا استمر العصامي بسرد الروايات التاريخية التي اقتنينا منها الشيء البسيط لتدل على فسق اليهود وسياستهم العدائية ضد العرب المسلمين وعلى طوال حياتهم بالحيرة العربية وليومنا هذا وجاء ذلك مصداقاً لقوله تعالى { وَكَانَ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَكَانَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }<sup>(٢٩)</sup> ومع تلك السياسة التي انتهجوها اليهود كان رسول الله ﷺ مثلاً اعلى في معاملة اتجاههم حتى انه توفي ودرعة مرهون عند يهودي في المدينة، حتى انه ﷺ قال من آذى ذمياً فليس منا<sup>(٣٠)</sup>.

### ثالثاً- البربر: Berbers

عند الحديث عن البربر وانتمائهم الجغرافي والنسبي ضمن فئات المجتمع فقد كانوا ينادون آل بربر كون البربر والحبشة من ولد حام وهذا ما اشار به العصامي بقوله "فمنه جميع السودان من النوبة والبربر والزنج والحبشة"<sup>(٣١)</sup> وقد قيل إنهم من ولد جالوت من العماليق<sup>(٣٢)</sup> ويذكر أن الذي خرج على بني إسرائيل، وقتله طالوت هو جالوت الجبار ملك البربر من أرض فلسطين<sup>(٣٣)</sup> كان اذ البربر بفلسطين، يعني في زمان داود عليه السلام، فخرجوا منها متوجهين إلى الغرب وتفرقت في هذا الغرب وانتشروا فيه<sup>(٣٤)</sup> ومع مرور

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )

للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م )

الزمن فقد اسلم البربر بعد ما كانوا نصارى وقد دلل على ذلك نص عند قيام عقبة بن نافع الفهري سنة (٥٠هـ / ٦٧٠م) بأختطاط مدينة القيروان، "وسكن المسلمون إفريقية، وافتتح أعمالها، وأسلم البربر، وكانوا نصارى" (٣٥) حتى ان عقبة استطاع من القضاء على الحكم النصراني في شمالي إفريقيا مرة واحدة بمعاونة البربر انفسهم (٣٦).

واشار العصامي في يوم " قيل للإمام مالك بن أنس إن بالمغرب ملكا قائما بالشرائع يلبس الصوف ويأكل الشعير ويجاهد أعداء الدين من المشركين المجاورين له فقال ما أحوج بلدتنا إلى واحد مثله تتزين به فوصلت كلمة مالك إليه بالأندلس فجمع الناس في مملكته ونادى ألا يدان إلا بمذهب مالك فمن ثم كان أهل المغرب على مذهب الإمام مالك رضي الله تعالى عنه ثم سمع المنصور بذلك فحصلت منه إساءة إلى الإمام مالك بسبب ذلك القول وأمه بربرية وكذلك أم المنصور فكانوا يقولون ملك الدنيا ابنا بربريتين المنصور وعبد الرحمن بن معاوية" (٣٧).

هنا اخطأ العصامي بأن هذه المقولة التي نقلها يشير بان عبد الرحمن الداخل كان بالمغرب لكن الصحيح انها قيلت عند وفود اهل الاندلس الى المدينة المنورة ولقائهم بالأمام مالك فذكروا الداخل وقال قولته المشهورة بحق الداخل، ومع ان والدتي الداخل والمنصور العباسي كانتا بربريتين الا ان هذا الامر لم يكن حاجز او مانع للهيمنة على اكبر مساحة من اراضي الدولة الاسلامية، حتى وصل بهم الامر الى قتل الكثير من يعارضهم وسنرى ذلك وما فعله هارون الرشيد من قتل ادريس بن عبدالله (٣٨) عندما حس بأن حبه بدأ يكبر بقلوب مواليه من البربر.

وتبين لنا من سياق النصوص التاريخية التي تم الاشارة اليها ان المجتمعات سواء كانوا نصارى او بربر والذين قطنوا تلك البلاد هم بالأصل من النصارى فمنهم من بقى على ديانته ومنهم من دخل بالإسلام وقد لاحظنا ذلك اثناء تصفحنا لكتب التاريخ عبر مراحل الطويلة، ولا ننسى الاثر الذي لعبه سواء بالوقوف مع المسلمين او ضدهم كلا حسب الوضع السياسي الذي كان موجود آنذاك وقد لعب البربر دوراً كبيراً بأفريقية والاندلس على جميع المستويات.

رابعاً- الموالي: PRO

يعرف لنا الجوهرى معنى الولي فيقول الولي " ضد العدو ويقال منه تولاه، وجاءت المولى بمعنى المعتق، والمعتق، وابن العم، والناصر، والجار، والولي يأتي بمعنى الصهر، وكل من ولي أمر واحد فهو وليه" <sup>(٣٩)</sup> وجاء احد المؤرخين الذي لم يبتعد عن التعريف الذي ذكره الجوهرى وأشار بأن الموالي جمع مولى ، والمولى هو المالك والعبد ، والمعتق والصاحب والقريب والجار والحليف ، وسميت هذه الطبقة بذلك لمولاتها لقبيلة ما، وعيشها إلى جوارها ودخولها في حمايتها، والموالة تتم بإحدى الطرق الثلاث الجوار، الحلف، العتق ، إذ بها يسمى الشخص مولى، ويكون له بالولاء حقوق، وعليه واجبات، وهذه الحقوق وتلك الواجبات تختلف، من حالة إلى حالة ، لأن لكل حالة من حالات الولاء وضعاً خاصاً ، فالولاء بالجوار مؤقت ، والولاء بالحلف دائم والولاء بالعنف يلي درجة الحلف <sup>(٤٠)</sup> وقد اشار العصامي للكثير منهم بمختلف العصور والعهود والوقوف عليهم يتطلب منا مساحة كبيرة لذكرهم ليس تكاسلاً منا بقدر ما تطرقت المصادر الاولية لهم حتى جعلت الدراسات الحديثة محطة لدراستهم والوقوف عليهم بأدق التفاصيل، وهذا الامر جعلنا نعزف عن الوقوف على تفاصيلهم، والذي نحب ان نبينه عن مدى اسهامهم وتضلعهم بالحياة الاجتماعية حتى بدأوا يأخذوا دورهم بجميع مؤسسات الدولة لطاعتهم لولي نعمهم، اذ شغلت عناصر الموالي صدر الاسلام وقد اتخذ رسولنا الكريم الكثير منهم، والخلفاء الراشدين وواصلت مسيرتها ايام الدولة الأموية ، وكان لهم أبعاد الأثر في مختلف ميادين الحياة وقد استعمل الأمويين الموالي في أدق المناصب لتقنتهم بهم أكثر من العرب ويأمنون جانبهم، ومما يؤكد قولنا هذا ان اغلب الثورات التي حدثت في العصر الأموي كانت عربية وذات قيادات عربية خالصة، إذ لم يقم الموالي بثورة خاصة بهم ضد الحكم الأموي خلا اشتراكهم في بعض الثورات وانضوائهم تحت قيادات عربية، كثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي <sup>(٤١)</sup> وثورة عبد الرحمن بن الأشعث <sup>(٤٢)</sup> وغيرها من الثورات، فالموالي من العناصر التي لا ترفض انجاز ما يتم طلبه منهم فقد اشار العصامي في كتابه، استعانة الدولة العباسية بأحد مواليتها لقتل لإدريس بن عبد الله

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )

للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م )

بن حسن بن الحسن بن علي عليه السلام لما حصل له من التمكن والظهور حتى استقام له أمر المغرب وأنه قد استفحل أمره وكثرت جنوده وقد فتح مدينة تلمسان سنة (١٧٣/٥١٧٣م) وبنى مسجدها وأنه عازم على غزو إفريقية فاتصل الخبر بالخليفة هارون الرشيد العباسي وهو يعلم من فضل إدريس ولاسيما محبة الناس في آل البيت عموما فقلق الرشيد من ذلك واستشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال إن الرجل قد فتح تلمسان وهي باب إفريقية ومن ملك الباب يوشك أن يدخل الدار، فأشار عليه بمولى من موالي المهدي والد الرشيد واسم الرجل سليمان بن جرير ويعرف بالشماخ ووعد على قتل إدريس الرفعة والمنزلة العالية عند الرشيد ومهما يكن فقد تمكن الشماخ من قتل إدريس وقامت البربر وما قعدت كونها احد موالي إدريس ولاسيما ان زوجه إدريس منهم حتى انجبت إدريس الاصغر فبايعوا على السمع واطاعة. ويتجلى لنا من ذلك ان اغلب اذا ما قلنا الكل ممن كانت لهم الرياسة كان يستغل مواليه لتصفيه امور الشخصية على حساب الجميع وهذا ما لاحظناه عندما استغل الرشيد احد مواليه لاغتيال إدريس الاول (٤٣).

#### خامساً- أتابك او أطابك : Atabek

وتعني مقدم العسكر والقائد العام للجيش المملوكي , وأصله أطابك ومعناه : الوليد الأمير , وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة ولقبه بألقاب منها هذا (٤٤). وقد اشار العصامي في كتابه عندما تولى الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون السلطنة بان شيخو (٤٥) أتابك العساكر وهو أول من سمي بالأمير الكبير ولبس لها خلعة فصارت الأتابكية وظيفة من يومئذ وقيل : أطابك معناه أمير أب والمراد : أبو الأمراء وهو أمير الامراء المقدمين بعد النائب الكافل , وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي وغايته رفعة المحل وعلو المقام (٤٦).

وعُرف الاتابك في العصر الايوبي بمعنى الوصي اذ جرت العادة أن يقوم السلاطين الايوبيين بتولية أبنائهم، وأفراد أسرهم حكم ولاياتهم، وكانوا يقومون بتنصيب اتابكة أوصياء عليهم (٤٧) , واتخذ منصب الاتابك منذ أواخر العصر الايوبي دلالة

اخرى وهو أن معظم هؤلاء الاتابكة في تلك المدة كانوا عسكريين وكل من تولى قيادة الجيش اطلق عليه لقب أتابك العسكر ، أو أتابك الجيوش سواء كان هذا الاتابك يقوم بالوصاية ، أو لم يكن وصيا ، لهذا اطلق هذا اللقب على كل من يشغل منصب القائد العام للجيش ، وهذا ما ذكره العصامي في كتابه في الكثير من الاحداث منها تحدثه عن تولي عز الدين ايبك والذي يعد اول من شغل وظيفة اتابكية العساكر بهذه الدلالة وهذا اثناء سلطنة شجرة الدر سنة ( ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م ) قائلا : " اقاموا مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف ابن الملك المسعودي بن الكامل بن العادل ولقبوه الملك الأشرف وكان عند عماته فأحضره وكان عمره إذ ذاك نحو عشر سنين ولم يعزل المعز عن السلطنة بل كان أتابك العساكر وخطب لهما على المنابر معا وكانت هذه الحركة بعد سلطنته بخمسة أيام ..... وذكر ايضا تولى الملك عز الدين أيبك التركماني واستقر في السلطنة وقد كان هو أتابك العساكر لها رتبة الأمراء " (٤٨) .

أما الاتابكية في العصر المملوكي فلم تكن لقب شرف بل ان الاتابكيين في هذا العصر لم يقفوا عند هذا الحد بل برزوا بروزا واضحا وكثيرا ما كان الاتابك محور الدولة الذي تدور حوله وأن دولة المماليك عرفت الاتابكية منذ عرفت النيابة وكانت من أهم مناصب الدولة والقابها ويشترك الاتابك باستمرار في شؤون الدولة ويديرها ويندب لحل كثير من مشاكلها ويفصل في أمورها المعقدة والمقدم على رأس جندها وكثيرا ما كان في الاتابك نائب للسلطنة وتتصيههم لا يتم الا بتقليد من السلطان<sup>(٤٩)</sup> ، وغالبا ما كان لكل مدينة أتابكها الخاص بها ، كان الاتابك اقرب مجلسا الى السلطان ، وكثيرا ما رشحت الاتابكية شاغلها لولاية السلطنة وولي السلطنة سلاطين كانوا من قبل اتابكة<sup>(٥٠)</sup> .

وقد أشار العصامي في بعض النصوص ما يؤيد ذلك فقد ذكر في حادثة تولية الملك سلامش بن بيبرس بقوله : " تولى الملك العادل سيف الدين تسلطن بعد أخيه وهو ابن سبع سنين ونصف وصار أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي فخلع به في شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة وكانت مدته مائة يوم وليس له إلا مجرد الاسم ، ثم تولى الملك المصنور قلاوون الألفي الذي تسلطن بعد خلع سلامش وأصله من مماليك

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )

للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩م )

الملك الصالح نجم الدين أيوب اشتراه سنة سبع وأربعين وستمائة وترقى بعد موت أستاذه الصالح وعظم بدولة الظاهر بيبرس إلى أن صار يخطب له مع السلطان العادل سلامش المذكور وضربت السكة على وجهه باسم سلامش وعلى الوجه الآخر باسم قلاوون " (٥١) .  
وذكر أيضا أحداث تنصيب الملك العزيز يوسف بن برسباي وعمره أربعة عشر عاما قائلاً : " وصار مدبر مملكته الأتابك جقمق العلاني ولا زال يقوى أمره والأقدار تساعد إلى أن خلع العزيز بعد أن تسلطن نحو من ثلاثة أشهر وأربعة أيام لم يكن له فيها سوى الاسم ثم ولي مكانه يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ولقب بالملك الظاهر سيف الدين وكني بأبي سعيد جقمق العلاني وجلس على سرير المملكة والعلاني نسبة إلى مشتريه علاء الدين فنسب إليه فقيل العلاني ثم انتقل إلى الظاهر برقوق فقيل الظاهري " (٥٢) .

سادساً-الأفندي : mandarin

كلمة أفندي هي كلمة ذات أصل رومي بيزنطي انتقلت إلى اللغة التركية منذ عهد السلاجقة , وقد بدأ استعمالها في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي لدى العثمانيين للدلالة على الانسان المتعلم والمتقف واصبحت لقباً تخاطب به فئة معينة من العثمانيين هم العلماء , ثم اصبحت اللقب الرسمي للأمرء بعد اواسط القرن التاسع عشر الميلادي , وقيل استخدمها العثمانيون في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي , للدلالة على الانسان المتقف ذي التربية القويمة , ثم اطلق على بعض رجال الدولة , ثم استخدمت لقباً رسمياً للأمرء العثمانيين وكبار علماء الدين في الدولة (٥٣) , ومعناها السيد المطلق أو القائد المطلق .

وقد اطلق هذا اللقب على قاضي العسكر وعلى العلماء والمفتين وقد ذكر هذا العصامي في بعض الحوادث ومنها حوادث سنة ست وعشرين وتسعمائة عندما ذكر تولى السلطان سليمان بن سليم خان وذكر مشاهير العلماء في زمانه وعد منهم أبو السعود أفندي (٥٤) صاحب التفسير (٥٥) .

## النتائج Results

من النتائج التي كانت واضحة بانه لم تقتصر طبقات المجتمع التي تم الاشارة اليها بالجانب الاجتماعي على تعلم شيء معين منذ بدأ الخليفة بل تعداه الى ممارسة الانبياء والرسل للكثير من المهن والحرف حتى اخذ المؤرخين يقسمون الناس كلاً حسب المهنة التي يمتنها حتى اخذوا يذكرونهم بما امتهن الانبياء والرسل، ولم تقتصر التقسيمات الاجتماعية على اهل البلد بل تجاوز الى ذكر الجواري اللاتي اصبح بعضهن زوجات للخلفاء، فضلاً عن ذكر الغلمان اذ اسهم الخلفاء بمشاركتهم بالحروب، والتجارة وهذا ما لمسناه اثناء قراءتنا للأحداث في مكة وغيرها من البلاد. وكان للفقراء والمساكين دور كبير في حياة رسولنا الكريم اذ كان يجالسهم ويواكلهم حتى انزلهم وخصص لهم مكان من المسجد سماه الصفة نسبة الى صفائهم، ولم تعالج الخلافة العباسية حاله الفقر التي اخرجت من بودقته الزعر او كما يسمون بالعيارين او الصعاليك الذين كانوا لا يترددون من الاستعانة بهم من في خلق فوضى ولاسيما استغلالهم من قبل البساسيري من نهب دار الخلافة العباسية في بغداد، والتي كان من نتائجها ان قتل منهم خلق كثير.

لم تفنقر العصور التي جاءت بعد العصر الراشدي من تطورات سواء على مستوى نظام الحكم وما ظهر من نظام امرة الامراء او على مستوى تطور الدواوين وغيرها. ولم يقتصر الكتاب على ذكر المسلمين والعرب ودورهم في الحياة الاجتماعية بل ذكر النصارى واليهود وغيرهم من فئات المجتمع من موالي واتبك وغيرهم من الفئات الذين كان لهم دور بارز في الحياة الاجتماعية العامة من خلال الكتاب .

## الهوامش الختامية Closing margins

(١) بدر، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، (الرياض، د.ط،

١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١، ص١٠٩

(٢) سمط النجوم، ج١، ص٢٨١١

(٣) جاءت نجران في عدة مواضع، منها: نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة، قالوا: سمي

بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها وفي

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )  
للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م )

رواية انه لما صار إلى نجران رأى رؤيا فهايته فخرج رائدا حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران به، وذكر ان نجران هي خشبة يدور عليها رتاج الباب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٦٦

(٤) سمط النجوم، ج١، ص٣١٩

(٥) وهو يوسف بن شراحبيل ويعرف كذلك باسم ذو النواس الحميري اليهودي (468-527 م) هو أحد الملوك الحميريين في اليمن القديم وأحد أشهر اليمنيين اليهود وصاحب مذبحة نجران ويبدو أنه رأى أن استقرار حكم مملكة حمير يتوقف على القضاء على الأحباش الذين استجلبوا المسيحية إلى اليمن، فاضطهد الاحباش المسيحيون اضطهادًا شديد. ينظر: ابن هشام، سيرة ابن هشام، ج١، ص١٤٤-١٥١؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص٧٧

(٦) سمط النجوم، ج١، ص٢٨٢؛ ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ/٢٢٨م)، التيجان في ملوك حمير، تح: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، (صنعاء، دار المشرق، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م)، ص٣١٢

(٧) سورة البروج، الآيات ٤ - ٨

(٨) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م)، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تح: أحمد حجازي السقا، (القاهرة، دار التراث العربي، د.ت)، ص٣٠٧

(٩) القرطبي، الإعلام، ص٣١٦

(١٠) القرطبي، الإعلام، ص٣٠٧

(١١) الكردي، محمد طاهر المكي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، (الرياض، مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ج١، ص١٥

(١٢) العصامي، سمط النجوم، ج١، ص٣٢١

(١٣) سورة مريم، الآيات ١٦-٢١

(١٤) القرطبي، الإعلام، ص٣٣٩

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )  
للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م )

- (<sup>١٥</sup>) عبد الرحمن، الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح: عبد الرحمن الوكيل، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، د.ت.)، ج٤، ص٢٩١
- (<sup>١٦</sup>) ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، تح: عبد السلام هارون، (بيروت، دار الجبل، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م)، ص٨٣
- (<sup>١٧</sup>) الاطام: مأخوذه من ائتظم اذا ارتفع وعلا وهو الحصن. عرفة، محمود محمد، العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهرهم، (القاهرة، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ص١٥٣
- (<sup>١٨</sup>) السيد ناصر، يهود يشرب وخبير الغزوات و الصراع، (بيروت، المكتبة الثقافية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م)، ص ص ١٤-١٥
- (<sup>١٩</sup>) حمزه ، فؤاد، قلب جزيرة العرب، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص٢٣٥٤
- (<sup>٢٠</sup>) الصافي، رنا طعيمة حسين، الانظمة الاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الاداب، قسم التاريخ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، ص ص ١٠٥-١٠٦
- (<sup>٢١</sup>) الصافي، الانظمة الاجتماعية والسياسية، ص١٠٦
- (<sup>٢٢</sup>) بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج١، ص١١٠
- (<sup>٢٣</sup>) الحاطي، يوسف بن عبدالله، الاتجاهات الدينية في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، كلية الدعوة والاعلام، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م)، ص ص ٧٠-٧٢
- (<sup>٢٤</sup>) المولى، بك، واخرين، ايام العرب في الجاهلية، (بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م)، ص ص ٦٣-٦٤
- (<sup>٢٥</sup>) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج١، ص٥٧؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد وذيوله، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ج٢١، ص٤٢

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )  
للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م )

- (٢٦) سمط النجوم ، ج١، ص ٢٧٠
- (٢٧) سمط النجوم ، ج١، ص ٢٨٧
- (٢٨) سمط النجوم ، ج١، ص ٣١٨
- (٢٩) سورة البقرة، الآية ١٢٠
- (٣٠) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)، الجامع الصغير، (بيروت، د.ط، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م)، ج٢، ص ٥٤٧
- (٣١) سمط النجوم ، ج١، ص ١٥٤
- (٣٢) بن هشام ، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ / ٢٢٨ م) ، السيرة النبوية لابن هشام، تح: طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت، شركة الطباعة الفنية المتحدة، د.ت)، ج١، ص ٦١؛ السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح: عمر عبد السلام السلامي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م)، ج١، ص ١٨٣
- (٣٣) البكجري، مغلطاي بن قليج بن عبد الله المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (ت ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م)، الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء، تح: محمد نظام الدين الفتيح، (دمشق، دار القلم ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م)، ص ١٢٠
- (٣٤) الكلاعي، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري، أبو الربيع (ت ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م) ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، (بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م)، ج٢، ص ٣٥٤
- (٣٥) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تح: إحسان عباس، (القاهرة، دار المعارف، ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م)، ص ٣٤٤
- (٣٦) السهيلي ، الروض الأنف، ج٥، ص ٢٣٩
- (٣٧) سمط النجوم ، ج١، ص ٣٧٧-٣٧٨

مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )  
للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م )

- (<sup>٣٨</sup>) إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وما ان توفي حتى خلفه ولده الأغلب ثم أولاده إلى أن صار الأمر إلى زيادة. ينظر: العصامي، سمط النجوم، ج٣، ص٥٣٨؛ الصفي، وفيات الاعيان، ج٢، ص١٩٣
- (<sup>٣٩</sup>) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ / ١٠٠٣ م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)، ج٦، ص٢٥٢٦
- (<sup>٤٠</sup>) الوكيل، محمد السيد، يثرب قبل الاسلام، (الرياض، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م)، ص١٤٧
- (<sup>٤١</sup>) المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، كان والده الأمير أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف، قد أسلم في حياة النبي ﷺ استعمله عمر بن الخطاب على جيش، فغزا العراق، وإليه تنسب وقعة جسر أبي عبيد ونشأ المختار فكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقلة الدين. وقد قال النبي ﷺ يكون في ثقيف كذاب ومبير فكان الكذاب هذا، وادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣، ص٥٣٨ مغلطاي، الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة ج٢، ص١٧٥؛ العصامي، سمط النجوم، ج٣، ص٣٥٩
- (<sup>٤٢</sup>) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي أمير سجستان ظفر به الحجاج وقتله وطيف برأسه سنة ٥٨٤ بعد ان خلع عبد الملك بن مروان ودعا لنفسه في شعبان سنة ٥٨٢ وباع الناس فدوفع بدير الجماجم وقتل هناك. ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١٣٤
- العصامي، سمط النجوم، ج١، ص٤٠٦
- (<sup>٤٣</sup>) العصامي، سمط النجوم، ج٤، ص١٨١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١١؛ السلاوي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، (صنعاء، دار الكتاب، د.ت.)، ج١، ص٢١٣
- (<sup>٤٤</sup>) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج٤، ص١٨.
- (<sup>٤٥</sup>) شيخون: الأمير الكبير أتاك العساكر شيخون بن عبد الله العمري الناصري اللالا مدبر الممالك الإسلامية بالديار المصرية توفي في السابع من ذي الحجة بالقاهرة من جرح أصابه. وقيل:

## مكونات المجتمع من خلال كتاب ( سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي )

للعصامي ( ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م )

كانت وفاته في أواخر ذي القعدة وسنه نيف على خمسين سنة، وكان أصله من كتابية الملك الناصر محمد ابن قلاوون وكان تركي الجنس ، جلبه خواجه عمر من بلاده وباعه للملك الناصر وترقى بعد موت الملك الناصر حتى صار أتاكب العساكر بالديار المصرية ، وهو أول من سمي بالأمرير الكبير اي اتاكب ، وليها بخلعة ، وصارت من بعده وظيفة، وهو صاحب الجامع والخانقاه، ودفن بخانقاهه المذكورة. ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ٣٢٤ .

(<sup>٤٦</sup>) القلقشندي ، صبح الاعشى، ج ٤ ، ص ١٨ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٠، ص ٣٠٣؛ العصامي ، سمط النجوم ، ج ٤، ص ٣٣ ؛ زناتي ، انور محمود زناتي ، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الاسلامية ، ( عمان ، دار زهران، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١١ م )، ص ١٣ .

(<sup>٤٧</sup>) المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

(<sup>٤٨</sup>) العصامي ، سمط النجوم ، ج ٤، ص ص ١٩-٢١

(<sup>٤٩</sup>) سليم : محمود رزق ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي، ط٢، (القاهرة، مكتبة الآداب، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م) ، ج ١، ص ١١٥ .

(<sup>٥٠</sup>) سليم ،عصر سلاطين المماليك ،ج ١، ص ١١٦ .

(<sup>٥١</sup>) العصامي ، سمط النجوم ، ج ٤، ص ٢٥ .

(<sup>٥٢</sup>) العصامي ، سمط النجوم ، ج ٤، ص ٤٩ .

(<sup>٥٣</sup>) صابان : سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ،(الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م )، ص ٣٤

(<sup>٥٤</sup>) محمد أبو السعود أفندي بن محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى عماد الدين العمادي الأسكليبي الحنفي أو أبو السعود بن محمد العمادي ويشتهر باسم " أبو السعود أفندي " ، هو فقيه وقاضي مسلم ولد في قسبة أسكليب العثمانية في نهايات القرن التاسع الهجري. ينظر : البغدادي : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني ( ت ١٣٩٩ هـ / ١٩٢٠ م )، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،(بيروت، دار إحياء التراث العربية)، ج ٢، ص ٢٥٣ ؛ العمادي : ابي السعود بن محمد العمادي الحنفي ( ت ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م ) ، تفسير ابي السعود او ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، تح : عبد القادر احمد عطا، (الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، د.ت)، مقدمة المحقق، ص ٦ .

(<sup>٥٥</sup>) العصامي ، سمط النجوم ، ج ٤، ص ٨٥ .

الأزياء في كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي ( ت

٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م )

**Fashion in the book Lexicon of Literature  
by Yaqut al-Hamwi (d. 626 AH / 1229 AD)**

رنا فاضل عبيس مزهر

[ranaalzubidi@gmail.com](mailto:ranaalzubidi@gmail.com)

أ.م.د شيماء محمد حمزة

[shaymaa.mohammed@coeduw.uobaghdad.edu.iq](mailto:shaymaa.mohammed@coeduw.uobaghdad.edu.iq)



رنا فاضل عبيس مزهر

أ.م.د. شيماء محمد حمزة

#### الملخص :

نتيجة لكثرة عناصر المجتمع الإسلامي كثرت الأزياء و تنوعت ، و قد تطرق الحموي بين طيات كتابه عن الملابس في بعض الروايات حين يذكر صاحب الترجمة. و يعد الكساء أحد الحاجات الأساسية الضرورية للبشر وقد استعمله الانسان منذ ان ظهرت الخليفة لوقاية جسمه من آثار تقلبات المناخ ، و لصيانتة من الاخطار الخارجية التي قد يتعرض لها في البداية كانت بسيطة ثم صارت الملابس تستعمل لاطهار معالم الجمال ، و زيادة الجاذبية ، و الفتنة و للدلالة على المراكز الاجتماعية فهي توضح الشرائح الاجتماعية .

#### Abstract:

As a result of the large number of elements of the Islamic society, the costumes multiplied and diversified, and Al-Hamwi touched in the folds of his book on clothing in some narrations when he mentions the author of the translation. Clothing is one of the basic needs necessary for humans, and man has used it since creation appeared to protect his body from the effects of climate fluctuations, and to protect it from external dangers that it may be exposed to. To denote social centers, it shows the social strata.

كلمات مفتاحية : الأزياء ، معجم الادباء، ياقوت الحموي

المقدمة: و من أجل إعطاء صورة عن الملابس ، و الأزياء التي تطرق اليها الحموي رتبناها على النحو الآتي: اولاً: لباس الرأس . ثانياً: لباس البدن . ثالثاً: لباس القدم و جميعها ذكرهم.

أولاً: - لباس الرأس:

من أبرز البسة الرأس هي العمامة ، و كانت للعمامة عند العرب مكانة جلييلة فقد أعتزوا بها ، وعظّموها قال عنها عمر بن الخطاب " العمائم تيجان العرب" و قال الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) " جمال الرجل في عمته"<sup>(١)</sup> و استمر لبس العمامة حتى العصر العباسي فكان المجتمع لا يستسيغ او يتقبل الرجل حاسر الرأس و ينظر الى الرجل الذي يعري رأسه بأنه ساقط المروءة ، و تارك الاداب<sup>(٢)</sup>.

و كانت العمامة يلبسها عامة الناس من الطبقات و الأصناف المختلفة باختلاف لابسيتها" فللخلفاء عمّة و للفقهاء عمّة و للبقالين عمّة و للأعراب عمّة و للصووص عمّة و للأبناء عمّة و للروم و النصراني عمّة"<sup>(٣)</sup>.

و كانت العمامة تقّي من الحر ، و البرد و لها فوائد ذكرها أبو الأسود الدؤلي<sup>(٤)</sup> فقال"جنة في الحرب و مكنة من الحر و مدفأة من القر و وقار في الندي و وقاية من الأحداث و زيادة في القامة وهي بعد عادة من عادات العرب"<sup>(٥)</sup>.

و لحياة البذخ و الرخاء أثر في التفنن في صنع العمائم إذ هناك من يتخذ عمامة من قماش الحرير و تكون مذهبة و من ابرز من لبس العمامة المذهبة هو أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي<sup>(٦)</sup> والذي يلبس الحرير و العمامة المذهبة<sup>(٧)</sup>.

و كثيراً ما كان الخلفاء يخلعون العمائم على من يفضلون و لاسيما للشعراء ، و منهم الخليفة الراضي بالله ( ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م - ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م ) الذي أخلع أبا الحسن الناشئ عشر قطع من الثياب ، و أربعة الاف درهم و طيلسان عدني و عمامة خز ، و بقيت العمامة ، و الطيلسان معه الى أن مات<sup>(٨)</sup>.

وكان لطريقة لبس العمامة دلالات كثيرة تعبر عن شعور الشخص سواء نزعها ام لثمها أو تحنك بها ، و ذكر ياقوت الحموي رواية عن الفاضل مجير الدين<sup>(٩)</sup> و الذي كان كاتباً لوالي الإسكندرية بمصر ، و قد ذيع صيته ، و كثر حُسادُه حتى أتهموه عند الخليفة الظافر بأمر الله الفاطمي<sup>(١٠)</sup> ( ٥٤٤ هـ - ٥٤٩ هـ / ١١٥٠ م - ١١٥٥ م ) بسوء أدبه ، و استخفافه فأمر ، أن تقطع يده وقد كاتب الانشاء في هذا الموقف إذ وجد أن يكون إحضاره ، و الاستماع اليه أكثر صواباً ، و ثواباً فأحضره الظافر الى مجلسه و استمع

الى قراءته و أستحسن خطه فأمر الظافر بقلع طيلسانه ، و أخذ عذبة<sup>(١١)</sup> عمامته و فتلها ، و تحنيكه<sup>(١٢)</sup> بها ففعل ذلك و بقي في الديوان<sup>(١٣)</sup> ، وقد جرت العادة عند العرب بإرخاء العذبات و تحنيك العمامة هي دلالة على الوجاهة و الغنى<sup>(١٤)</sup>، نستدل من هذه الرواية علة الوجاهة التي حُطِّي بها من قبل الخليفة ، و علو شأنه في منصبه .

ومن طرائف العمامة أن ابن النحاس<sup>(١٥)</sup> كان شديد التقدير على نفسه ، و كان ربما وهبت له العمامة فيقطعها ثلاث عمائم ، و كان يأبى شراء حوائجه بنفسه ، و يتحامل فيها على اهل معرفته<sup>(١٦)</sup>.

وكان ابن الخشاب النحوي<sup>(١٧)</sup> يعتم العمّة فتبقى أشهراً معتمّة حتى تتسخ أطرافها من عرقه ، فتسود و كان إذا رفعها عن رأسه ثم أراد لبسها تركها على رأسه كيف أنفق فتارة تجيء عذبتها من تلقاء وجهه ، وتارة عن يمينه ، وتارة عن شماله فلا يغيرها فإذا قيل له في ذلك فيقول: ما أستوت العمّة على رأس عاقل هذه كانت حجته<sup>(١٨)</sup>. و ذكر أن أبو البركات<sup>(١٩)</sup> قد جُنَّ في شيبته فكان يتعمم بحبل البئر ، و أدعى النبوة ، و عولج حتى برأ<sup>(٢٠)</sup>.

و القلنسوة هي أطول من العمّة<sup>(٢١)</sup> وهي عالية في شكل قمع السكر<sup>(٢٢)</sup> و كانت أحد أزياء القضاة " رجل بزّي القضاة عليه قلنسوة"<sup>(٢٣)</sup> و القلنسوة مختلفة الصور و الألوان<sup>(٢٤)</sup> منها السوداء ، و هي شائعة فالرجال في بغداد يرتدون القلانس السود<sup>(٢٥)</sup> و منها التي زينت بالوبر الاسود و تكون مذهبة تأثراً بزّي الاتراك و خاصة عند الخلفاء<sup>(٢٦)</sup>.

وكان من أداب الجلوس و الاحترام بحضرة الخليفة ان لا يكشف الرأس فكانت القلانس و العمائم تلبس في المجالس و نرى ذلك من مجلس الرشيد ( ت ١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م ) الذي كان فيه اليزيدي<sup>(٢٧)</sup> و الكسائي<sup>(٢٨)</sup> وقد تخالفا على مسألة في احد الاشعار "فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض و قال : انا أبو محمد ... فقال له يحيى بن

خالد<sup>(٢٩)</sup>: أتكنى بحضرة أمير المؤمنين و تكشف رأسك؟ و الله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب الينا من صوابك مع سوء فعلتك"<sup>(٣٠)</sup>.

كما تعد الدنية قلنسوة محددة الأطراف يلبسها القضاة الكبار ، و هي من الالفاظ المستعملة بالعراق وليست من كلام العرب<sup>(٣١)</sup> و ان إنزاع الدنية من الرأس دلالة على الإهانة فما حدث للقاضي الخنجي<sup>(٣٢)</sup> و الذي " كان تياها صلفا تقلد في خلافة الأمين (١٩٣ - ٢٩٨ هـ / ٨٠٩ - ٨١٤ م) قضاء الشرقية<sup>(٣٣)</sup> وكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين الجامع فيستند إليها بجميع بدنه ولا يتحرك... و عمد بعض المجان إلى رقعة من الرقاع التي تكتب فيها دعاوى فألصقها في موضع دنيته بالدبق فلما جلس الخنجي إلى السارية<sup>(٣٤)</sup> ، وتمكن منها وتقدم إليه الخصوم وأقبل إليهم بجميع جسده كما كان يفعل انكشف رأسه وبقيت الدنية موضعها مصلوبة ملتصقة فقام الخنجي مغضبا وعلم أنها حيلة عليه وقعت فغطى رأسه بطيلسانه وتركها مكانها حتى جاء بعض أصحابه فأخذها<sup>(٣٥)</sup>.

و كان يوضع على الرأس الطيلسان رغم انه كساء يوضع على الكتف ، لكن البعض وضعها على الرأس و الكتفين<sup>(٣٦)</sup> فقد كان البلطي<sup>(٣٧)</sup> " يلقيه على عمامته و يرسله من غير ان يديره على رقبته<sup>(٣٨)</sup>.

ومن أزياء الرأس أيضاً البطيخية ولم نعرف ما شكلها ، لكن ذكر ياقوت أن اللحياني<sup>(٣٩)</sup> دخل على الكسائي يوما و كان على رأسه بطيخية ، و ان السلطان قد أفسده<sup>(٤٠)</sup>.

و كانت هناك البسة تعبر عن معاقبة الأشخاص اذا أرتدوها و ولاسيما الطرطور<sup>(٤١)</sup> و قد استخدمت هذه الطريقة في مصر ، و من الذين عوقبوا بها هو ابن الزبير<sup>(٤٢)</sup> فبسبب ميله الى أسد الدين شيركوه ، و مكاتبته له فقد طلبه شاوور<sup>(٤٣)</sup> وزير العاضد (٥٥٥ هـ - ٥٦٧ هـ / ١١٦٠م - ١١٧١م) فهرب الى الاسكندرية حتى ظفر به شارور فأمر باشهاره على جمل و على رأسه طرطور<sup>(٤٤)</sup>.

#### ثانياً: - لباس البدن:

من ألبسة البدن القمصان و هي من الألبسة الداخلية تلبس تحت الثياب<sup>(٤٥)</sup> وقد وصلت الى ملك النحاة<sup>(٤٦)</sup> "خلعة مصرية و جائزة... فأخرج القميص الديبقي<sup>(٤٧)</sup> إلى السوق فبلغ دون عشرة دنانير فقال: قولوا هذا قميص ملك كبير أهدها إلى ملك كبير ليعرف الناس قدره<sup>(٤٨)</sup>.

وحضر أبا الحسن علي بن عبدالله الناشئ مجلس أبي الحسن ابن المغلس<sup>(٤٩)</sup> الفقيه فانقلبت محبرة لبعض من حضر على ثيابه ، فدخل أبو الحسن ، وحمل اليه قميصا دبيقيا ورداء حسنا قال: فأخذتهما ، ورجعت إلى بيتي وغسلت ثيابي ولبستها ورددت القميص ، والرداء إلى أبي الحسن فلما رأهما غضبَ غضبا شديدا وقال: ألبسه، لولا أنك تتوشح بالأدب لجفوتك<sup>(٥٠)</sup> .

وقد عُرِفَت القمصان في الاندلس أيضاً فكان أبو العلاء صاعد بن الحسن ممن يلبس الاقمصة تحت ثيابه في الاندلس<sup>(٥١)</sup> .

و كان طول القميص يختلف بحسب طريقة تفصيله ، و طول من يرتديه فربما كان طويلا يخط على الأرض خطأ او قصيرا يصل الى ساقه<sup>(٥٢)</sup> وربما يكون قميصاً طويلاً الاكمام ، أو قميصاً قصيراً<sup>(٥٣)</sup> .

وقد اختلفت أنواع الاقمشة التي صنع منها ، و ألوانها فمنها من يكون " مصبوغ بالصندل<sup>(٥٤)</sup> و ماء الورد"<sup>(٥٥)</sup> او باللون الأصفر<sup>(٥٦)</sup> .

ومن ألبسة البدن المبطنه و هو لباس ثخين ، و فيه بطانة قوية يلبس فوق الثياب<sup>(٥٧)</sup> كما تميزت المبطنه أنها ألبسة أصحاب السلطان<sup>(٥٨)</sup> و كانت المبطنه معروفة في بغداد<sup>(٥٩)</sup> . ومن الطرائف ان البلطي "كان يلبس في الصيف المبطنه والثياب الكثيرة حتى يرى كأنه عدل عظيم، وكان إذا دخل فصل الشتاء اختفى حتى لا يكاد يظهر"<sup>(٦٠)</sup> .

ومن ضروب الأكسية أيضاً الطيلسان<sup>(٦١)</sup> يوضع على الكتفين<sup>(٦٢)</sup> وهو رداء القضاة و اهل العلم و الكتاب كان الناشئ كان ممن يلبس الطيالس فعندما تولى الكتابة للخليفة الراضي بالله ( ٣٢٢هـ - ٣٢٩هـ / ٩٣٤م - ٩٤٠م ) خلع عليه طيالس عدنية<sup>(٦٣)</sup> ، و البتي<sup>(٦٤)</sup> كان يلبس في بدء امره الطيلسان<sup>(٦٥)</sup> . و ان بعض القضاة كان عندهم عدد كبير من الطيالس فعندما " قبض فخر الدولة<sup>(٦٦)</sup> على احد القضاة ... باع جملة ما باع ألف طيلسان محشى و ألف ثوب مصري "<sup>(٦٧)</sup> . و كان الصاحب ابن عباد ( ٣٦٧ هـ - ٣٨٥ هـ / ٩٧٧ م - ٩٩٥ م ) يلبس الطيلسان<sup>(٦٨)</sup> .

و الفلوت احد أنواع الاكسية لكنها صغيرة لا تتظم لصغرها<sup>(٦٩)</sup> وقد ذكرها أبو العلاء المعري في احدى اشعاره بقوله " لم تعم<sup>(٧٠)</sup> الفلوت شاكي الاريز<sup>(٧١)</sup>"<sup>(٧٢)</sup> .

أما الجبة فهي من الألبسة الخارجية الخاصة بالرجال وقد عرفها ابن منظور ، و الزبيدي بقولهم "الجبة ضرب من مقطعات الثياب"<sup>(٧٣)</sup> و يذكر ياقوت الحموي أن للجبة جيب<sup>(٧٤)</sup> وقد اختلفت الجباب باختلاف مواصفاتها ، و الاقمشة المصنوعة منها و الوانها و ان كانت جباب أهل المدينة أم جباب البادية<sup>(٧٥)</sup>. وقد ذكر ياقوت الكثير من النصوص عن الجباب منها ما قاله أبو اسحاق الفارسي<sup>(٧٦)</sup> في احدى المجالس التي فيها بعض الرؤساء بالحضرة يستهدي منه جبة خز بيضاء<sup>(٧٧)</sup> فقال :

وأعن على برد الشتاء بجبة ... تذر الشتاء مقيدا مسجوننا

سوسية بيضاء يترك لونها ... ألوان حسادي شواحب جونا

عذراء لم تلبس فكفك في العلا ... تؤتي عذراها وتأبى العونا

تسبي ببهجتها عيوننا لم تزل ... تسبي قلوبا في الهوى و عيوننا

مثل القلوب من العداة حرارة ... مثل الخدود من الكواعب لينا<sup>(٧٨)</sup>

ويمكن القول أن الجبة هي من لباس الشتاء ، فيذكر ياقوت أيضا أن "رجلاً كريدياً عليه جبة ثقيلة"<sup>(٧٩)</sup>. و من الوان الجباب أيضا البنفسج فقد دخل بن بيض الحنفي<sup>(٨٠)</sup> على يزيد بن المهلب<sup>(٨١)</sup> " يوم الجمعة ، و هو يتأهب للمضي الى المسجد، و جاريته تعممه ... فأنشأ يقول:

رأيتك في المنام سننت خزا ... علي بنفسجا وقضيت ديني

فصدق يا هديت اليوم رؤيا ... رأتها في المنام كذاك عيني

قال: كم دينك؟ قال ثلاثون الفاً، قال: أمرنا لك بها و مثلها قال : يا غلمان فتشوا الخزائن فجيئوه بكل جبة خز بنفسج تجدونها فجاجوا بثلاثين جبة فنظر اليه يلحظ الجارية فقال : يا جارية عاوني عمك على قبض الجباب فاذا وصلت الى منزله فأنت له فأخذها و الجباب و انصرف"<sup>(٨٢)</sup> فكانت الجبة تصنع من الصوف فهي للطبقة المتوسطة ، و للعامية فقد شوهد ان "شيخ معه أعنز يرعاهن عليه جبة صوف"<sup>(٨٣)</sup> ، ومنهم من كان يقدم الجباب هدايا لاحد الشعراء كما فعل الفخر الرازي<sup>(٨٤)</sup> والذي خلع على احد الشعراء جبة كانت عليه<sup>(٨٥)</sup> . و أما عن كيفية إرتداء الجبة فكانت تُلبس مع القميص ، و العمامة و السروال<sup>(٨٦)</sup>.

و الدراعة وهي أيضا من أنواع الجباب لكنها مشقوقة المقدم<sup>(٨٧)</sup> و كانت معروفة بين الكتاب حتى اذا لبسها احد يقال "يلبس الدراعة على اسم الكتاب"<sup>(٨٨)</sup> و قيلَ إنَّ أبو الحسن البتي قد لبس "الدراعة و سلك في لبسه مذاهب الكتاب القدماء"<sup>(٨٩)</sup> و ممن لبس الدراعة أبا الحسين الناشئ<sup>(٩٠)</sup> و كان ابن البقال<sup>(٩١)</sup> " جميل الزي يلبس الدراعة"<sup>(٩٢)</sup>.  
و من الأزياء أيضا الازار من الملابس الخارجية ، وهو الملحفة<sup>(٩٣)</sup> و ممن ارتدى الازار إبراهيم الحربي فكان يقول "ازاري اوسخ ازار"<sup>(٩٤)</sup>.

الفرجية تعد من الثياب الفضفاضة ، و هي ضربٌ من ضروب اللباس الخارجي اما شكلها فهي مفتوحة من الامام و مزررة بالازرار من الأعلى للأسفل ، و قد أهدى الوزير ابن بقية<sup>(٩٥)</sup> الى الوزير ابن العميد<sup>(٩٦)</sup> فرجية وكان قد دعاه الى مجلسه فقال " لا بد ان اخلع على ابن العميد في مجلسي و دعاه فلما قعد و اكل و جلس على الشرب اخذ ابن بقية بيده فرجية و رداء في غاية الحسن و الجلالة و اوفى بهما الى ابن العميد و قال له ... هل ترتضيني لخدمتك و طرح الفرجية عليه و قدم الرداء بين يديه فأخذه و لبسه"<sup>(٩٧)</sup>.  
أما المقطوعة فهي من الثياب طويلة كانت أم قصيرة<sup>(٩٨)</sup> و يذكر أن أحدهم زار جحظة<sup>(٩٩)</sup> في بيته و احضر معه " رزمة ثياب صحاح و مقطوعة من فاخر الثياب"<sup>(١٠٠)</sup>.

### ثالثاً:- لباس القدم :

يعد لباس القدم مكمل للملابس لأهميتها لحماية القدم من الاضرار ، و من أنواعها الخفاف<sup>(١٠١)</sup> و كان لبس الخفاف لأرباب المراتب من وزراء و قضاة و فقهاء<sup>(١٠٢)</sup> و كان أحد البسة الكتاب هو لبس الخفين<sup>(١٠٣)</sup>. اما النوع الاخر فهو النعال<sup>(١٠٤)</sup> و فيه أنواع منه التاسومة<sup>(١٠٥)</sup> و على ما يبدو انها لباس الفقراء ، فيذكر أن " شيخاً ضعيفاً عليه قميص رث و هو بغير سراويل وفي رجليه تاسومة مخلقة و على رأسه منزر"<sup>(١٠٦)</sup> و من الأنواع أيضا هو نعال الطاق و هي التي لم تخصف<sup>(١٠٧)</sup> انما هي طاق واحد<sup>(١٠٨)</sup> و ذكر ياقوت أن شاباً من أصبهان ورد على الوزير ابن عباد " و كان عليه مرقعة وفي رجليه نعل طاق"<sup>(١٠٩)</sup> و اطلق على سير النعل<sup>(١١٠)</sup> شرك النعل<sup>(١١١)</sup> و هناك مصلح له إذا انقطع وهو متجول بين الشوارع فذكر التتوخي في معجم الادباء " كنت يوماً

في وقت قيلولة نائما فاجتاز واحد غث يصيح صباحا ازعجني و ايقضني: شراك النعال، شراك النعال. فقلت للغلام خذ كل نعل لي و لمن في داري و اخرجها لهذا الرجل ليرمها و يشتغل بها... فلما كان من الغد في مثل ذلك الوقت جاء و انا نائم فصاح و انبهني فقلت للغلام ادخله فأدخله فقلت ... امس في هذا الوقت اصلحت كل نعل لنا و عدت اليوم تصيح على بابنا ابلغك اننا البارحة تصافعنا بالنعال و قطعناها و قد عدت اليوم لعملها و إصلاحها؟»<sup>(١١٢)</sup>.

و يبدو من خلال النصوص التي اطلعنا عليها في كتاب معجم الادباء ان الحموي قدم لنا تراث حضاري عرض فيه أزياء و ملابس ذاك في تنوع الشعوب من خلال حديثه في تراجم الشخصيات.

### الخاتمة :

بعد هذا العرض السريع للازياء التي ذكرها ياقوت الحموي في معجمه عكس لنا الانتعاش الحضاري الذي شهدته الدولة العربية الإسلامية و كان سعى البعض الى مواكبة التطور في الألبسة ، و الاقمشة ، و التفاخر بها و لاسيما الطبقات المترفة فأصبح هناك تنافس لاطهار معالم الجمال ، و زيادة الجاذبية ، و الفتنة و للدلالة على المراكز الاجتماعية فهي توضح الشرائح الاجتماعية .

### الهوامش:

(١) الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م)، البيان و التبين ، دار و مكتبة الهلال ،

بيروت ، ٢٠٠٢م ، ج ٢ ، ص ٥٩

(٢) فهد ، بدري محمد ، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري بحث تاريخي في الحياة الاجتماعية

لجماهير بغداد ، طبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٧م ، ص ١٤٣

(٣) الجاحظ، البيان و التبين ، ج ٣ ، ص ٧٨

(٤) هو ظالم بن عمرو بن سيفان بن عمرو بن حلس و كان شاعرا ثقة في حديثه اقره الامام علي بن

ابي طالب (عليه السلام) على البصرة و هو اول من أسس العربية و نهج سبلها و وضع قياسها

فهو اول من وضع العربية و نقط المصاحف و من ارشده الى هذا الطريق هو الامام علي بن

## الأزياء في كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي ( ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م )

ابي طالب توفي أبو الأسود الدؤلي سنة ( ٩٩ هـ / ٧١٧ م ) بالطاعون. ينظر: الجمحي ، محمد بن سلام بن عبيد الله ( ت ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م ) ، طبقات فحول الشعراء ، تح: محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ج ١ ، ص ١٢

( ٥ ) الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ( ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ) ، معجم

الادباء ، تح: احسان عباس ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، ج ٣ ، ص ٦٩

( ٦ ) أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزي احد أئمة

اللغة و النحو و درس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد و صنف تصانيف جمة منها كتاب غريب

القرآن و كتاب مقاتل الفرسان و كتاب الكافي في علمي العروض و القوافي و شرح اللمع لابن

جني و شرح الحماسة و ديوان المتنبي و المفضليات و السبع الطوال و المقصورة لابن دريد و

سقط الزند للمعري توفي في سنة ( ٥٠٢ هـ / ١٠٨ م ) و دفن بمقبرة باب ابرز في بغداد.

ينظر: كمال الدين ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الانصاري ( ت ٥٧٧ هـ /

١١٨١ م ) ، نزهة الالباء في طبقات الادباء ، تح: إبراهيم السامرائي ، ط ٣ ، مكتبة المنار ،

الأردن ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٧٣

( ٧ ) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ٦ ، ص ٢٨٢٤

( ٨ ) م . ن . ج ٤ ، ص ١٧٨٥

( ٩ ) أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن القاضي الفاضل محيي الدين ولد سنة ( ٥٢٩ هـ /

١١٣٤ م ) و توفي سنة ( ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م ) ، اوحد دهره و فريد عصره نبلاً و فصاحةً و بياناً

لم يضاهيه احد بصناعة الانشاء و الكتب التي خلفها مائة الف و عشرون مجلدة و كان من

المقربين الى السلطان صلاح الدين ( ٥٦٧ هـ - ٥٨٩ هـ / ١١٧١ م - ١١٩٣ م ) حتى انه

استوزره و فوض اليه أمور دولته و استتابه في جميع اموره فكان كثير البر و الاثار الجميلة.

ينظر: ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ٤ ، ص ١٥٦٢ - ص ١٥٦٦ ؛ الذهبي ، شمس الدين

أبو عبدالله محمد بن احمد ( ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م ) سير اعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين

بأشراف شعيب الأرنؤوط ، ط ٣ ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ م ، ج ٢١ ، ص ٣٣٨ - ص ٣٤٢

( ١٠ ) أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد الخليفة الثاني عشر من

الخلفاء الفاطميين في مصر ولد سنة ( ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م ) بويح بالخلافة ( ٥٤٤ هـ / ١١٥٠ م

( و في أيامه انشأ جامع الفكاكين بالقاهرة و كثرت المواجهات مع الفرنج و اخذ الصليبيون مدينة عسقلان و ضعفت الدولة فكان الخليفة محكوماً من قبل الوزراء مات سنة ( ٥٤٩هـ / ١١٥٥ م ) . ينظر: ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الجزري ( ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م )

، الكامل في التاريخ ، تح: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ج ٩ ، ص ١٦٩

(<sup>١١</sup>) العذبة : طرف العمامة . ينظر: الحميري، نشوان بن سعيد اليمني (ت ٥٧٣هـ — ١١٧٨م )، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكدوم ، حسين بن عبد الله العمري واخرون ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ج ٧ ، ص ٤٤٢٩

(<sup>١٢</sup>) أي إدارة عمامته تحت حنكه كعمائم العرب . ينظر: القسطلاني ، احمد بن محمد بن ابي بكر بن عبد الملك القتيبي شهاب الدين أبو العباس (ت ٩٢٣هـ / ١٥١٧م) ، ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، ط٧ ، المطبعة الكبرى الاميرية ، مصر ، ١٣٢٣ هـ — ، ج ١ ، ص ٢٨٠ ؛ رضا ، محمد ، معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج ٢ ، ص ١٨٢

(<sup>١٣</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤ ، ص ١٥٦٣ - ص ١٥٦٤

(<sup>١٤</sup>) علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٤ ، دار الساقى ، ٢٠٠١م ، ج ٩ ، ص ٥٠

(<sup>١٥</sup>) أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل النحاس من اهل مصر رحل الى بغداد و درس على يد شيوخها ثم عاد الى مصر و أقام بها الى ان توفى سنة ( ٣٣٧هـ / ٩٤٨م ) ومن تصانيفه كتاب الانوار و كتاب الاشتقاق لأسماء الله عز وجل و كتاب اختلاف الكوفيين و البصريين اسمه المقنع و له مؤلفات اخرى تزيد على الخمسين مصنفاً . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٤٦٨ - ص ٤٦٩ ؛ القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ، انباه الرواة على انباه النحاة ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ج ١ ، ص ١٣٦ - ص ١٣٧

(<sup>١٦</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٤٦٩

(<sup>١٧</sup>) عبدالله بن احمد بن احمد بن احمد بن الخشاب النحوي ولد سنة ( ٤٩٢هـ / ١٠٩٨ م ) في بغداد و مات فيها سنة ( ٥٦٧هـ / ١١٧١ م ) اوحد زمانه و فريد اوانه و اية في علم العربية خاصة و سائر العلوم عامة كان يضرب به المثل في العربية حتى انه بلغ رتبة ابي علي الفارسي اللغوي فاق اهل زمانه في علم اللسان و كان له خط مليح مضبوط و له تصانيف عديدة . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج ٤ ، ص ١٤٩٦ - ص ١٥٠٦ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٥٢٣

(<sup>١٨</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٤٩٧

(<sup>١٩</sup>) أبو البركات الربيعي الزهيري جبر بن علي بن عيسى بن الفرّج بن صالح نحوي و احد الادباء البلغاء الفصحاء المشهورين كان ينوب عن الوزراء ببغداد و له اليد الطولى في الكتابة لكن أصابه الجنون في شببته و ادعى النبوة مات سنة ( ٤٤٩هـ / ١٠٥٧ م ). ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٧٧٦ ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل ابيك الصفدي(ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تح: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م ، ج ١١ ، ص ٣٥

(<sup>٢٠</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج ٢ ، ص ٧٧٦

(<sup>٢١</sup>) التتوخي ، المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم داود (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) ، الفرّج بعد الشدة ، تح: عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت، ١٩٧٨م ، ج ١ ، ص ٣٦١

(<sup>٢٢</sup>) دوزي، رينهارت بيتر آن ، تكلمة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، ط١، وزارة الثقافة و الاعلام، العراق، ٢٠٠٠م ، ج ٨ ، ص ٣٧٣

(<sup>٢٣</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ٢ ، ص ٨٤٨

(<sup>٢٤</sup>) إبراهيم ، رجب عبد الجواد ، المعجم العربي لأسماء الملابس ، ط١، دار الافاق العربية ، القاهرة، ص ٤٠٢

(<sup>٢٥</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج ٣ ، ص ١٢٤٤

(<sup>٢٦</sup>) ابن جبير، محمد بن احمد بن جبير الكناني ( ٦١٤هـ / ١٢١٧م ) ، رحلة ابن جبير ، دار و مكتبة الهلال ، بيروت، ص ١٨٢

(<sup>٢٧</sup>) أبا محمد يحيى بن المبارك اليزيدي مؤدب و ولد يزيد ابن المنصور الحميري خال ولد المهدي و الخليفة المأمون كان اليزيدي ثقة و احد القراء الفصحاء عالما بلغات العرب من تصانيفه كتاب

النوادر و كتاب المقصور و الممدود و كتاب مختصر النحو و كتاب النقط و الشكل توفي أبو محمد سنة ( ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م ) . ينظر: بن الجراح ، ابي عبدالله محمد بن داود ( ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ) ، الورقة، تح: عبد الوهاب عزام و عبد الستار احمد فراج ، ط٣ ، دار المعارف ، ص٢٨

( ٢٨ ) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي مؤدب ولد الرشيد كان مقدماً عند الخليفة حتى اخرجته من طبقة المؤدبين الى طبقة الجلساء و المؤنسين ومن تصانيفه كتاب معاني القرآن و كتاب مختصر في النحو و كتاب القراءات و غيرها من المؤلفات و توفي بالري سنة ( ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م ) . ينظر: الزبيدي ، طبقات النحويين و اللغويين ، ص١٢٧ - ص ١٣٠ ؛ الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص ١٧٣٨ - ص ١٧٥٢

( ٢٩ ) وهو أبو علي يحيى بن خالد البرمكي مربي الرشيد و وزيره و كان الرشيد يعتبره اباه وقد عظم هو و أولاده حتى سمي زمنهم بدولة البرامكة عرف يحيى انه من رجال الدهر حزمياً و رأياً و سياسة و عقلاً و كان كاتباً اديباً كريم جواد حذقاً بالتصرف فعندما تولى الوزارة نهض بأعباء الدولة اتم النهوض و سد الثغور و تدارك الخلل و جبي الأموال و عمر الأطراف و اظهر رونق الخلافة و تصدى لمهمات المملكة . ينظر: ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ( ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م ) ، الفخري في الاداب السلطانية و الدول الإسلامية ، تح: عبد القادر محمد مايو، ط١ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ص١٩٧ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج٩ ، ص٨٩ - ص٩٠

( ٣٠ ) الحموي ، معجم الادباء، ج٤ ، ص ١٧٤٢

( ٣١ ) الشريشي ، أبو عباس احمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي ( ت ٦١٩ هـ / ١٢٢٣ م ) ، شرح مقامات الحريري ، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠٠٦ م ، ج١ ، ص٢٥٥

( ٣٢ ) القاضي الخلنجي عبدالله بن محمد بن ابي يزيد احد أصحاب الرأي كان حاذقاً بالفقه على المذهب الحنفي واسع العلم كان عالم بالقضاء و جوهه تولى قضاء الكرخ في الشرقية و ولي قضاء دمشق و توفي سنة ( ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م ) و كان شريراً و اعظم ضرر على الناس. ينظر: الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت ( ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٢ م ) ، تاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ٢٠٠٢ م، ج١١ ، ص ٢٦٩

(<sup>٣٣</sup>) قضاء الشرقية: كانت مدينة بغداد مقسمة الى شرقية و غربية الشرقية مدينة عظيمة كثيرة الخيرات و الغربية لم يبق منها اثر . ينظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) ، اثار البلاد و اخبار العباد، دار صادر ، بيروت ، ص ٣١٥

(<sup>٣٤</sup>) السارية : و هي أسطوانة من الحجارة . ينظر: الحميري، شمس العلوم ، ج ٥، ص ٣٠٤٩

(<sup>٣٥</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ١٧٢

(<sup>٣٦</sup>) إبراهيم ، المعجم العربي لأسماء الملابس ، ص ٣٠٦

(<sup>٣٧</sup>) أبو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور التاج البلطي النحوي ولد بالموصل سنة ( ٥٢٤هـ /

١١٢٩م ) و انتقل الى الشام للتعليم ثم انتقل الى مصر و عمل بجامعة ليقريء به النحو و القران

حتى توفي بها سنة ( ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م ) كان البلطي اماما نحويا اخباريا مؤرخا شاعرا

عروضا ومن تصانيفه كتاب العروض الكبير و كتاب العروض الصغير و له عدة مصنفات.

ينظر: عماد الدين ، محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد الاصبهاني (ت ٥٩٧هـ /

١٢٠١م) ، خريدة القصر و جريدة العصر ، تح: شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ،

١٩٥٩م ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج ٤ ، ص ١٦١٠ - ص ١٦١٢

(<sup>٣٨</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ٤ ، ص ١٦١١

(<sup>٣٩</sup>) أبو الحسن علي بن حازم اللحياني و له كتاب في النوادر . ينظر: الزبيدي ، طبقات الزبيدي ،

ص ١٩٥

(<sup>٤٠</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤، ص ١٨٤٣

(<sup>٤١</sup>) طرطور: قلنسوة عالية يغطيه ازار فوقاني يستخدم كلباس رأس للنساء . ينظر: دوزي ، تكملة

المعاجم العربية ، ج ٧ ، ص ٤٠ ؛ ماير، الملابس المملوكية ، ترجمة: صالح الشيتي ، مراجعة:

عبد الرحمن فهمي محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٧٢م ، مصر ، ص ١٢٧

(<sup>٤٢</sup>) هو أبا الحسن احمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغساني

الاسواني وهو قاضي من اهل العلم و الادب و صاحب كتاب الجنان و رياض الازهان

كان في أيام الخليفة الحافظ لدين الله رسولا ارسل الى اليمن حتى لقب هناك بعلم

المهتدين و ولي الإسكندرية أيام الخليفة العاضد لكنه قتل على يد شاور سنة (

٥٦٣هـ / ١١٦٧م ) بسبب انه خدم شيركوه و صلاح الدين الايوبي . ينظر:

المقريزي ، احمد بن علي بن عبد القادر تقي الدين (ت ٥٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: محمد حلمي محمد أحمد ، إحياء التراث الإسلامي ، ج ٣ ، ص ٢٨٩

- (٤٣) هو شاور بن مجير السعدي كان متولي اعمال الصعيد ثم وزير الخليفة الفاطمي العاضد (٥٥٥هـ - ٥٦٧ هـ / ١١٦٠م - ١١٧١م) في مصر سنة ( ٥٥٨هـ / ١١٦٢م ) و تلقب بأمير الجيوش لكن الأمور لم تستقر على يده بل بقيت المنازعات على الوزارة حتى جاء ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي المنذري بجيوشه لانتزاع الوزارة من شاور فهرب الى الشام و قصد نور الدين محمود بن زنكي لمساعدته و ارجاع منصبه له و استطاع الرجوع للوزارة بعد مقتل ضرغام ، و في أيامه حاصر الفرنج القاهرة حتى اتى نور الدين و ساعد على التخلص من الحصار و قتل شاور سنة ( ٥٦٥هـ / ١١٦٩م ) . ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكرز ( ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، وفيات الاعيان و انباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م ، ج ٢ ، ص ٤٤٣-٤٤٨

(٤٤) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١، ص ٤٠٣

(٤٥) إبراهيم ، المعجم العربي لأسماء الملابس ، ص ٤٠٤

(٤٦) الحسن بن ابي الحسن صافي التاجر أبو نزار التاجر المعروف بملك النحاة ولد بالجانب الغربي من بغداد سنة ( ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م) و فتح له جامع و درس فيه ثم سافر الى بلاد خراسان و كرمان و غزنة ثم الشام و دمشق و توفي فيها سنة ( ٥٦٨هـ / ١١٧٢م ) و من مصنفاته الحاوي في علم النحو و العمد في علم النحو و غيرها من المصنفات . ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء ، ج ٢، ص ٨٦٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ١٣ ، ص ٧١ - ص ٧٩

(٤٧) ديبق: قرية من قرى دمياط في مصر ينسب اليها الثياب المتقلة و العمائم الملونة و غيرها من الثياب . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٧ ؛ المقريزي ، المواعظ و الاعتبار ، ج ١، ص ٤١٧

(٤٨) ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج ٢ ، ص ٨٧٠

(<sup>٤٩</sup>) هو عبدالله بن احمد بن محمد ابن المغلس البغدادي و هو فقيه العراق و علامة و بحر من بحور العلم و عنه انتشر مذهب الظاهرية في البلاد , ان هذا المذهب يقول بظاهر النصوص في القران و السنة ليس فيه تأويل ولا يحتمل معنى ثاني, و ان لعبد الله العديد من التصانيف في الفقه و احكام القران توفى سنة ( ٣٢٤هـ / ٩٣٥ م ) . ينظر: الذهبي ، سير اعلام النبلاء، ج١٥ ، ص٧٨ ؛ الطرسوسي ، إبراهيم بن علي بن احمد بن عبد الواحد نجم الدين (ت ٧٥٨ هـ — / ١٣٥٧ م ) ، تحفة الترك فيما يجب ان يعمل في الملك ، تح: عبد الملك محمد مطيع الحمداوي ، ط٢ ، ص ٢٣

(<sup>٥٠</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج٤ ، ص١٧٩٠

(<sup>٥١</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٤٣٩

(<sup>٥٢</sup>) داود ، زينب إبراهيم علي، الحياة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي من خلال كتاب جمل من انساب الاشراف للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠١٨م ، ص٢٨٦

(<sup>٥٣</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٦ ، ص٢٤٦٧

(<sup>٥٤</sup>) الصندل : هو خشب ملون يوجد منه اللون الأحمر و الأصفر يتميز بالرائحة الطيبة يستخرج من الالوان. ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م) ، العين ، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار الهلال ، ج٧ ، ص ١٧٩

(<sup>٥٥</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج٦ ، ص٢٤٦٧

(<sup>٥٦</sup>) م . ن . ج٥ ن، ص ٢٢٦٨

(<sup>٥٧</sup>) إبراهيم ، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص٧٠

(<sup>٥٨</sup>) الجاحظ ، البيان و التبين ، ج٣ ، ص٧٨

(<sup>٥٩</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج٣ ، ص١٢٤٤

(<sup>٦٠</sup>) م . ن . ج٤ ، ص ١٦١١

(<sup>٦١</sup>) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين الانصاري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ،  
لسان العرب، الحواشي: لليازجي و جماعة من اللغويين ، ط٣، دار صادر ، بيروت،  
١٩٩٣م، ج١٦، ص٢٠٤

(<sup>٦٢</sup>) عياض، القاضي عياض موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) ، مشارق الانوار  
على صحاح الآثار ، المكتبة العتيقة ، ج١، ص٣٢٤

(<sup>٦٣</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء ، ج٤، ص١٧٨٥

(<sup>٦٤</sup>) البتي هو احمد بن علي أبو الحسن كاتب الخليفة القادر بالله و كان اديبا شاعرا خطيبا فصيحاً و  
كان البتي صاحب الخبر و البريد في الديوان القادري من تصانيفه كتاب القادري و كتاب  
العميدي و الكتاب الفخري توفى سنة ( ٤٠٣هـ / ١٠١٢م ) . ينظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ  
بغداد، ج٥، ص٥٢٣ ؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٣٧٤

(<sup>٦٥</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٣٧٣

(<sup>٦٦</sup>) فخر الدولة أبو الحسن بن علي بن ركن الدولة ابي الحسن بن بويه ، جعل ركن الدولة همذان و  
اعمال الجبل الى فخر الدولة ولد سنة (٣٤١هـ / ٩٥٢م) توفي بالري سنة ( ٣٨٧هـ / ٩٩٧م )  
. ينظر: ابن العراني ، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م) ، الانباء في تاريخ  
الخلفاء، تح: قاسم السامرائي ، ط١، دار الافاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠١م، ص١٨٤ ؛ ابن  
الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٠١، ص٣٨١

(<sup>٦٧</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص١٧٩

(<sup>٦٨</sup>) ابن عباد ن إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني(ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) ،  
الروزنامجة ، تح: الشيخ محمد حسن ال ياسين ، مكتبة النهضة ، بغداد، ١٩٦٥م ، ص١٠٢ ؛  
ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٢، ص٧٠١

(<sup>٦٩</sup>) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد جار الله (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٤م) ، الفائق في  
غريب الحديث و الأثر، تح: علي محمد الجبائي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار  
المعرفة ، لبنان، ج١، ص٢٠٦

(<sup>٧٠</sup>) نعم : تشمل . ينظر: الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢٩ ، ص ٢٨٩

(<sup>٧١</sup>) الاريز: البرد الشديد ، أي ان . ينظر: الخطابي، أبو سلمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) ، غريب الحديث ، تح: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، خرج احاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي ، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ج١، ص٤٦٨

(<sup>٧٢</sup>) الحموي ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٣١٤

(<sup>٧٣</sup>) لسان العرب ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ؛ تاج العروس ، ج ٢ ، ص ١١٩

(<sup>٧٤</sup>) معجم الادباء ، ج ٤ ، ص ١٨٨٨

(<sup>٧٥</sup>) م . ن . ج ١ ، ص ٤٢٣

(<sup>٧٦</sup>) إبراهيم بن علي أبو إسحاق الفارسي النحوي من تلاميذ ابي علي الفارسي وقد ورد الى بخارى في أيام الدولة السامانية ( ت ٢٠٣ هـ — ٣٨٩ هـ / ٨١٩ م — ٩٩٩ م ) و درس أبناء الرؤساء و الكتاب و ولي التصفح في ديوان الرسائل ومن تصانيفه كتاب شرح الجرمي . ينظر:

الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٣٩ ؛ الحموي ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٩٠

(<sup>٧٧</sup>) الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٩٠ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص٣٩

(<sup>٧٨</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج١، ص٩٠ - ص٩١

(<sup>٧٩</sup>) م . ن . ج ٢ ، ص ٨٨١

(<sup>٨٠</sup>) حمزة بن بيض بن نمر بن عبدالله بن شمر شاعر مقدم في الشعراء وفد على سليمان بن عبد الملك ( ٩٦ هـ - ٩٩ هـ / ٧١٥ م - ٧١٧ م ) و امتدحه قبل الخلافة و لحمزة بن بيض اخبار حسان مع عبد الملك بن مروان و ابنه و ال المهلب يطول ذكرها توفي سنة ( ١١٦ هـ / ٧٣٤ م ) و قيل سنة ( ١٢٠ هـ / ٧٣٧ م ) . ينظر: ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن

عساكر ، تح: روحية النحاس و اخرون ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤م ، ج٧ ، ص٢٥٨

(<sup>٨١</sup>) أبو خالد يزيد بن المهلب بن ابي صفرة الازدي ولي خراسان في زمن سليمان بن عبد الملك (

٩٦ هـ - ٩٩ هـ / ٧١٥ م - ٧١٧ م) ففتح جرجان و دهستان ثم نقل الى امارة البصرة ولما

مات سليمان سنة ( ٩٩ هـ / ٧١٧ م ) و تولى بعده عمر بن عبد العزيز ( ٩٩ هـ - ١٠١ هـ /

٧١٧ م - ٧٢٠ م ) عزله و حبسه بطلب الى ان توفي عمر سنة ( ١٠١ هـ / ٧١٩ م ) فهرب الى

البصرة و غلب عليها الى ان قتل على يد مسلمة بن عبد الملك سنة ( ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م ) .

ينظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان، ج ٦ ، ص ٢٧٨ - ٣٠٩

(<sup>٨٢</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١ ، ص ٤٢٣ ، ج ٣ ، ص ٩٨٨

(<sup>٨٣</sup>) م . ن . ج ١ ، ص ٤٢٣ ، ج ٤ ، ص ١٦٢٣

(<sup>٨٤</sup>) أبو المعالي محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي الفقيه الشافعي ولد سنة ( ٥٤٣هـ /

١١٤٨ م ) صاحب تصانيف التفسير و المحصل و الأربعين و نهاية العقول اعتنى بكتب ابن

سينا في المنطق و شرحها و توفي سنة ( ٦٠٦هـ / ١٢٠٩ م ) . ينظر: ابن الاثير، الكامل في

التاريخ، ج ١٠، ص ٢٧٥

(<sup>٨٥</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٢٣ ، ج ٦، ص ٢٥٨٨

(<sup>٨٦</sup>) م . ن . ج ١، ص ٤٢٣ ، ج ٣، ص ١٢١٦ ؛ ج ٤، ص ١٦٣٥

(<sup>٨٧</sup>) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦ م) ، المحكم و المحيط

الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م ، ج ١،

ص ٣٦٤

(<sup>٨٨</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤ ، ص ١٧٢٤

(<sup>٨٩</sup>) م . ن . ج ١ ، ص ٣٧٣

(<sup>٩٠</sup>) م . ن . ج ٤ ، ص ١٧٨٤

( علي بن يوسف أبو الحسن المعروف بابن البقال البغدادي الشاعر نادم الوزير المهلبى )<sup>91</sup> ( ٣٣٩

هـ - ٣٥٢ هـ / ٩٥٠م - ٩٦٣ م ) و كانت له مكانة مرموقة و حظي بمكانة لدى الرؤساء

حيث كانوا يكرمونه و يقومون له اذا دخل اليهم و يترفع عن الاختلاط بالشعراء و يتكبر عليهم

. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥ ، ص ٢٠٥٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢٢

، ص ٢٠٩

(<sup>٩٢</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٥، ص ٢٠٤٨

(<sup>٩٣</sup>) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٦

(<sup>٩٤</sup>) ياقوت الحموي ، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٢

(<sup>٩٥</sup>) وهو الوزير محمد بن محمد بن بقية بن علي الملقب نصير الدولة وقد وزر لعز الدولة بختيار

بن معز الدولة بن بويه ( ٣٥٦هـ - ٣٦٧هـ / ٩٦٧م - ٩٧٨م ) كان من جلة رؤساء و اكابر

الوزراء و الاعيان كان في اول امره صاحب مطبخ معز الدولة والد عز الدولة ( ٣٤٤ هـ - ٣٥٦ هـ / ٩٥٦ م - ٩٦٧ م ) ثم تنقل في الخدمات الى ان وصل للوزارة سنة ( ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م ) وقد توفى سنة ( ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ) . ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، ص١١٨ - ص١١٩

(<sup>٩٦</sup>) هو علي بن محمد بن الحسين أبو الفتح الملقب بذي الكفائتين كفاية السيف و كفاية القلم ولد سنة ( ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م ) وزير ركن الدولة البويهبي ( ٣٢٠ هـ - ٣٦٦ هـ / ٩٣٢ م - ٩٧٧ م ) ثم ابنه مؤيد الدولة البويهبي ( ٣٦٦ هـ - ٣٧٣ هـ / ٩٧٧ م - ٩٨٤ م ) كان ادبيا ذكيا متوقدا متوسطا توفي سنة ( ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ) . ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤ ، ص ١٨٨٦ ؛ الصفدي، صلاح الدين خليل ابيك الصفدي( ت ٧٦٤ هـ / ٣٦٣ م ) ، نكت الهيمنان في نكت العميان، علق عليه و وضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٠٠

(<sup>٩٧</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص ١٨٩٠ - ص ١٨٩١

(<sup>٩٨</sup>) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل ( ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م ) ، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تح: عزة حسن، ط٢ ، دار طلاس ، دمشق ، ص١٤٥

(<sup>٩٩</sup>) جحظة هو أبو الحسن احمد بن جعفر بن موسى بن خالد بن برمك شاعر و اخباري و مغني مطبوع في الشعر حاذق بصناعة غناء الطنبور حسن الادب بارع في معناه من مصنفاته كتاب الطبخ و كتاب الطنبورتين و كتاب فضائل السكاج و كتاب النديم و كتاب ما شاهده من امر المعتمد و كتاب المشاهدات و كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الاحكام توفي بواسطة سنة ( ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ) . ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص١٧٩ ؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء ، ج١، ص ٢٠٧ ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص ٢٢١

(<sup>١٠٠</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤، ص١٥٦٥ - ص١٥٦٦

(<sup>١٠١</sup>) الخف: وهو ما يلبس في القدم. ينظر: ابن سيده، المخصص، ج١، ص٤١٠

(<sup>١٠٢</sup>) العبيدي، صلاح حسين، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية و الاثرية، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠م، ص٣٢٠

(<sup>١٠٣</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج٤ ، ص ٣٧٣

(<sup>١٠٤</sup>) النعال: ما وقيت به رجلك من الأرض. ينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) ، المخصص، تح: خليل إبراهيم، ط١، دار احياء التراث، بيروت ، ١٩٩٦م، ج١، ص ٤٠٩

(<sup>١٠٥</sup>) التاسومة: ضرب من النعل. ينظر: ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث و الأثر، ج ٥ ، ص ٨٣

(<sup>١٠٦</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٣ ، ص ٩٨٧

(<sup>١٠٧</sup>) الخصف: خوص النخل و خصفت النعل يخصفها خصفاً و الخصف قطعة أي تكون قطع بعضها على بعض . ينظر: ابن سيده ، المحكم و المحيط ، ج ٥ ، ص ٦١

(<sup>١٠٨</sup>) ابن الاثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ( ت ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م ) ، النهاية في غريب الحديث و الأثر ، تح: طاهر احمد الزاوي و محمد احمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ٥، ص ٨٣

(<sup>١٠٩</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٢، ص ٦٨١

(<sup>١١٠</sup>) عمر، احمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ج ٢، ص ١١٩٤

(<sup>١١١</sup>) الحميري، شمس العلوم، ج ٦ ، ص ٣٤٤٧

(<sup>١١٢</sup>) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٤ ، ص ١٨٤٨

# التعريف بمدينة باجة

هبة احمد عبد النبي حسين

أ.م.د. خليل جليل بخيت القيسي



التعريف بمدينة باجة

هبه احمد عبد النبي حسين

أ.م.د. خليل جليل بخيت القيسي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين. اما بعد:

تعد مدينة باجة من المدن القديمة والهامة في المغرب الادنى بشكل عام وتونس بشكل خاص، فكانت ومازالت منارة علمية ورمزاً حضارياً في الشمال الغربي التونسي، وكانت مركزاً استراتيجياً ذا اهمية بالغة، تواصل اشعاعها اثناء عصر الاغالبة، فكانت العاصمة الاقتصادية للشمال الغربي التونسي وأثرى جهات البلاد واخصبها فعدت مطور المغرب الادنى، وحظيت باهتمام الامراء فجددوا حصنها وبنوا اسوارها فكانت حصناً منيعاً ومركزاً مهماً، ونما فيها الزرع وتكاثر الانتاج فيها، واستمر رخاؤها في بداية حكم الدولة الصنهاجية وعرف سكانها الصناعات النسيجية، واتجهت عناية الفاطميين بمدينة باجة فعززوا تحصيناتها ووسعوا سورها وبنوا فيها الجامع الكبير، وفي فترة حكم الدولة الحفصية استعادت المدينة ازدهارها وبرز فيها الدور الثقافي فنشطت الحركة العلمية.

وتمتاز مدينة باجة بأهمية خاصة في تاريخ المغرب الادنى، لكونها قاعدة حصينة ومفترق طرق رئيسي فكان لها الاثر الكبير في مجرى التطورات السياسية المهمة في تونس.

### التعريف بمدينة باجة

أولاً: تسمية المدينة:

لم تنفرد مدينة باجة التونسية بهذا الاسم كما يبدو شائعاً، فقد ذكر ياقوت الحموي<sup>(١)</sup> أن هناك خمسة مواضع تحمل هذا الاسم، عرّف بثلاثة منها، فقال: "بَاجَة: في خمسة مواضع، منها: باجة، بلد بإفريقية تعرف بباجة القمح، سمّيت بذلك لكثرة حنطتها".

"وباجة الزيت بإفريقية أيضاً، ومنها بلد بالأندلس"<sup>(٢)</sup>، ولم يذكر الآخرين.

إلا أن ياقوت<sup>(٣)</sup> في موضع آخر ذكر المواضع الخمسة: الاول باجة الأندلس، والثاني باجة القمح بإفريقية، الثالث: "باجة وغابتها من نواحي مصر من كورة الفيوم... الرابع: باجة الزيت بإفريقية أيضاً... الخامس: باجة من قرى أصبهان".

ونقل هذا عنه أبو الفداء<sup>(٤)</sup>، فقال: "باجة: قال في (المشترك): وباجة من أفريقية، وباجة أيضاً كورة من الأندلس، وباجة مدينة كبيرة لها بساتين قليلة، ولها عيون ماء وهي مسورة حصينة في مستو من الأرض، وهي عن البحر على نحو مسيرة يوم... وذكر بعض المسافرين أن باجة أيضاً قرية من الفيوم شرقي مدينة فيوم على شوط فرس...".

وبعد التقصي ظهر أن هناك مواضع كثيرة تحمل هذا الاسم، بلغ ثلاثة منها في تونس، وهي:

#### ١ - باجة التونسية:

وتسمى باجة القمح، وهري إفريقية، لريع زرعها وكثرة أنواعه فيها، ورخصه فيها<sup>(٥)</sup>.

#### ٢ - باجة الزيت:

وهي مدينة بالساحل الشرقي لتونس تابعة لمدينة المهدية، قيل: سمّيت بباجة الزيت لتميزها عن باجة القمح، وتحلّ موقعاً وسط غابة الزيتون بالساحل التونسي، وقد اضمحلت تماماً في عهد الدولة الحفصية، وما زال موقعها موجوداً، وقد انتشرت فيه خرائب كثيرة<sup>(٦)</sup>.

#### ٣ - باجة القديمة:

وهي في تونس أيضاً، وكان لها وجود في العصر الوسيط، وقد اندثرت اليوم، ويعتقد أنها كانت تقع في ضواحي تونس الشمالية<sup>(٧)</sup>.

٤ - باجة الجزائر:

قال الإدريسي: " ومن سوق إبراهيم إلى باجة مرحلة<sup>(٨)</sup>، وهي مدينة حسنة صغيرة لها إقليم به شجر التين كثير جداً، ويعمل بها من التين شرائح على مثال الطوب، وبذلك تسمى، وتحمل منها إلى كثير من الأقطار"<sup>(٩)</sup>، لغرض التجارة والنفع.

٥ - باجة الأندلس:

وهي مدينة مشهورة، ولعلها من أشهر المدن التي حملت هذا الاسم بعد باجة التونسية، ولذلك كان العلماء يفرقون بينها وبين مدينة باجة التونسية<sup>(١٠)</sup>، وهي من " أقدم مدن الأندلس بنياناً، وأولها اختطاطاً، وإليها انتهى يوليوس القيصر<sup>(١١)</sup>، وهو أول من سُمي قيصر، وهو الذي سماها باجة"<sup>(١٢)</sup>، "وباسمها سميت باجة الغرب بجزيرة الأندلس"<sup>(١٣)</sup>. وهذا يشير إلى قدم مدينة باجة التونسية.

٦ - باجة المصرية:

قرية شرق مدينة الفيوم<sup>(١٤)</sup>.

أمّا عن أصل التسمية أُخْتَلِفَ في أصل تسمية المدينة، وتضاربت الآراء، وكل طرفٍ يحاول الانتصار لرأيه، فإذا عدنا إلى معاجم اللغة العربية والى الجذر اللغوي للكلمة وهي الباج، ومعناه: "الباج: البيان"<sup>(١٥)</sup>، والناس باجٌ واحدٌ، أي شيء واحدٌ، وجعل الكلام باجاً " واحداً" أي وجهاً واحداً، ومنه قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): لأجعلن الناس باجا واحداً، أي بياناً واحداً، أي: طريقة واحدة في العطاء<sup>(١٦)</sup>. وعن الجوهري: اجعل الباجان باجاً واحداً، أي ضرباً واحداً ولونا واحداً<sup>(١٧)</sup>، وبأج الشيء، أي: رخص، فلم يُشْتَر (١٨).

أما الباجة، فهي معرّب أصله بالفارسية: باها أي ألوان الأطعمة<sup>(١٩)</sup>، أمّا عن أصل التسمية، فقيل فيها اقوال عدة:

إن أصل التسمية: هي فاقا، والتسمية التي اطلقها العرب الفاتحون على المدينة منحدره من اسمها الروماني (Vaga)، والتي تعني البقرة الحلوب أو تموجات سنابل القمح عند هبوب نسيم، الأمر الذي يذكرنا بأمواج البحر المتوسط، وأن هذا الاسم هو تحريف لاسم اللوبي<sup>(٢٠)</sup> أو البونيقي<sup>(٢١)</sup> للمدينة وهو باقا (Baga)<sup>(٢٢)</sup>.

## التعريف بمدينة باجة

وما تجدر الإشارة إليه أن الفينيقيين<sup>(٢٣)</sup> والنوميديين<sup>(٢٤)</sup> ينطقون الجيم قافاً، وأن الحرف (V) لم يكن موجوداً في اللهجات اللوبية القديمة، وعلى هذا فكلمة باقا صيغة أقدم من فاقا، ولعلها هي التسمية الأصلية<sup>(٢٥)</sup>.

أمّا الحسن الوزان<sup>(٢٦)</sup>، فقال: "باجة مدينة قديمة بناها الرومان ... وانها شيدت في موقع مدينة اخرى اطلقوا عليها اسم فيتشيا، ثم تحولت الفاء باء والكاف جيما فأصبح الاسم باجا، واعتقد أن الاسم الأول الذي سماها به الرومان فسد بسبب كثرة نقلاب الحكام على المدينة واختلاف لهجاتهم وتبدل الديانات فيها، ويلاحظ أن هذا اللفظ ليس عربياً".

أما المؤرخين اللاتينيون، فيذكروها بلفظة فاكا (Vacca) وبصيغة واقا (Ouaga)، وبصيغة باقا (Baga)، إذ يتوافق مع النطق النوميدي لاسم المدينة، ويقترب من نطقه بالعربية، علماً أن نطق حرف (B) في اللغة الإغريقية يتجانس مع حرف (V)، فهذا الحرف لم يكن موجوداً في اللهجات المحلية للسكان الأصليين، وبذلك تكون فرضية التعريب الصوتي أكثر تقبلاً، وهذه التسميات إن دلت على شيء، فإنها تدل على مضايمين التسمية من خصوبة ورخاء وعطاء وافر، والتي تتوافق مع كلمة فاقا اللاتينية ومعناها<sup>(٢٧)</sup>.

ويرى بعض المؤرخين بأن "تفسير باجة في كلام العجم الصلح"<sup>(٢٨)</sup>، وهذا المعنى يستقيم مع افتراض أن هذه المدينة انضمت إلى سيطرة الإفرنج صلحاً.

### ثانياً: نشأة المدينة:

مدينة باجة لوبية الأصل نوميديية اللفظ، تشهد بذلك النصوص القديمة والمكتشفات الأثرية، وقد كان لها في العهد البوني القرطاجني مجلس بلدي منتخب يترأسه حاكمان، ولموقعها المهم أسس بها قلعة أحيطت بالأسوار، وكان لها حامية عسكرية نظامية، وكانت المدينة وفيه للقرطاجنيين القادمين من الشرق في حروبهم ضد الرومان، وأبرز ما تجشموا ذلك عام (٢١٨ ق.م) حينما لم يقصر سكان باجة على مساندة الجيش القرطاجني بقيادة هانيبال<sup>(٢٩)</sup>، في زحفه على روما بالزاد والعتاد والإمدادات البشرية، ولم يتمكن الرومان من الاستيلاء عليها عام (١٥٠ ق.م) إلا بعد حصار طويل اجهد السكان<sup>(٣٠)</sup>.

بقيت المدينة تابعة للحكم النوميدي حتى عام (٤٦ ق.م) فجرى ضمها إلى الولاية الرومانية أفريكا نوبا بعد أن كان الملك يوغرطة<sup>(٣١)</sup> المعروف بنزعتة الاستقلالية الذي اتخذها عاصمة لمملكته المعادية لروما حتى استيلاء الرومان عام (١٠٩ ق.م)، وتخريبها وتشريد سكانها وإبادة حاميتها، و كانت فيها جالية من التجار الإيطاليين، وكانوا يسيطرون عليها وعلى أسواقها إذ لم يكتفوا بالإقامة وتعاطي التجارة، بل كانوا يتدخلون في شؤون المدينة وتعاطفوا مع أعداء يوغرطة بهدف تغيير نظام الحكم لصالح إبناء جلدتهم من سكان روما<sup>(٣٢)</sup>.

بقيت باجة مدة طويلة من دون أهمية تذكر حتى منحها الإمبراطور الروماني سبتيموس سافاروس<sup>(٣٣)</sup> صفة البلدية يدير شؤونها مجلس شيوخ بلدي، وبعد الدمار الذي لحق المدينة أعاد البيزنطيون بناء سورها وقلعتها، فأصبحت المدينة في هذا العهد مركزاً ذا أهمية بالغة، وتواصل هذا حتى الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري<sup>(٣٤)</sup>.

### ثالثاً: جغرافية المدينة :

#### ١- الموقع الجغرافي:

تقع مدينة باجة في الجهة الشمالية والشمالية الغربية من تونس، تحدها شمالاً مدينة بنزرت<sup>(٣٥)</sup> وبحر الروم، وشرقاً مدينة منوبة، وغرباً مدينة جندوبة<sup>(٣٦)</sup>، وجنوباً مدينتي زغوان<sup>(٣٧)</sup> وسلوانة، وتتميز مدينة باجة بموقع جغرافي استراتيجي إذ تمثل نقطة ربط بين ولايات الشمال الغربي والشمال الشرقي ومدينة تونس<sup>(٣٨)</sup>.

أما عن المسافة بين مدينة باجة وبقية المدن فهي كما يأتي: من مدينة باجة إلى القيروان ثلاث مراحل<sup>(٣٩)</sup>، وهذه القرى غير متصلة<sup>(٤٠)</sup>، وقيل: "بين باجة والقيروان خمس مراحل"<sup>(٤١)</sup>، ولقرب باجة من القيروان سميت "باجة القيروان"<sup>(٤٢)</sup>.

ومن أراد طبرقة<sup>(٤٣)</sup> من تونس على الجادة اجتاز على مدينة باجة<sup>(٤٤)</sup>، وبين مدينة طبرقة، وبين مدينة باجة بحيرة عظيمة، هي بحيرة ذرنة<sup>(٤٥)</sup>، وبين باجة وطبرقة مرحلة وبعض<sup>(٤٦)</sup>.

ويقابل باجة في جهة الشمال، وعلى نحر البحر مدينة مرسى الخرز وبينهما مرحلة كبيرة<sup>(٤٧)</sup>، ومن مدينة باجة إلى مدينة الإربس<sup>(٤٨)</sup> مرحلتان، وبين باجة والبحر مرحلتان

خفيفتان<sup>(٤٩)</sup>.

تمتد مساحة باجة حالياً على ٣٧٤٠ كلم<sup>٢</sup>، وهو ما يمثل تقريباً ٢.٤% من مساحة تونس<sup>(٥٠)</sup>، وتتصف مدينة باجة بواجهتها الساحلية التي تمتد على طول ٢٦ كلم وتعدّ معتمدة نفزة المعتمدة الساحلية الوحيدة بالمدينة<sup>(٥١)</sup>.

### ٢- الخصائص الجغرافية:

تتمتع مدينة باجة بمناخ البحر الابيض المتوسط، وتتميز المنطقة الشمالية للمدينة بمناخ رطب مع كثرة تساقط الامطار، اما المنطقة الجنوبية فتتصف بمناخ شبه جاف، مع تساقط متوسط للامطار<sup>(٥٢)</sup>.

فيذكرها البكري<sup>(٥٣)</sup>: "وعيون خارجها لا تحصى كثيرة وهي دائمة الدجن والغيم، كثيرة الامطار والانداء، قلما يصحى هوائها، وبها يُضرب المثل بكثرة المطر، ولها نهر من جهة الشرق، جار من الجوف الى القبلة ثلاثة اميال فيها..".

ولذلك تعتمد مدينة باجة بدرجة اولى على الزراعة لتوافر الامكانات الطبيعية المهمة كالموارد المائية والتي مصدرها الامطار والعيون والانهار، والتربة الخصبة والتي تتركز على ضفاف وادي مجردة<sup>(٥٤)</sup>. ولذلك تميزت مدينة باجة بانتاج الحبوب. قيل فيها: "وارضها سوداء متشفة يوجد فيها جميع البذور.. وتسمى هري<sup>(٥٥)</sup> افريقية لربيع زرعها وكثرة رباعها وانها خصبة."<sup>(٥٦)</sup>

وتتكون باجة من تضاريس جغرافية مختلفة، ففي الشمال تكثر التلال، وفي الوسط والجنوب تكثر الوديان والاحواض الزراعية والغابات. وبسبب الطبيعة الخصبة للولاية، كثر فيها الرعي وهيأت الظروف المناسبة للطيور المائية المستقرة او العابرة<sup>(٥٧)</sup>.  
أمّا بالنسبة للجبال فتوجد في باجة العديد منها :

### ١- عين الشمس:

هو جبل كبير يمتاز بكونه شديد البياض ولشدة بياضه اطلق عليه عين الشمس وبه العديد من الانهار والعيون، ومدينة باجة قائمة على هذا الجبل<sup>(٥٨)</sup>.

### ٢- جبل القراة:

وهو مرتفع جبلي يقع بناحية<sup>(٥٩)</sup> دجة<sup>(٦٠)</sup> ويبلغ ارتفاعه (٩٦٣م)، اذ يمكن مشاهدة العديد

## التعريف بمدينة باجة

من الاماكن الطبيعية من خلاله، وتوجد عنده مناجم الزنك والرصاص<sup>(٦١)</sup>. وبقمة هذا الجبل توجد العديد من القبور الجلمودية والتي تعود الى العصر الحجري، وتكثر فيه الكهوف وعيون الماء الجارية<sup>(٦٢)</sup>.

### ٣- جبل خروفة:

وهو جبل يقع بناحية نفزة ويبلغ ارتفاعه (٦٨٣ م)، ويمتاز هذا الجبل بطبيعته الخلابة وتوجد به اثار من حجارة مصقولة واعمدة منحوتة من اثار الاول<sup>(٦٣)</sup>.

### ٤- جبل صباح:

هو من جبال باجة يقع بناحية عمدون<sup>(٦٤)</sup> ويبلغ ارتفاعه (٦٩٩م)<sup>(٦٥)</sup>، ويوجد بسفح هذا الجبل موقع اثري اكتشفت به نقائش رومانية ونصب للالهه مما يدل على وجود قرية بربرية قديمة سكنها اقوام من الرومان لمدة طويلة<sup>(٦٦)</sup>.

### رابعاً: خطط المدينة:

#### ١- قرى وكور<sup>(٦٧)</sup> باجة :-

#### أ- زانة:

وهي من القرى المهمة في باجة، وقيل : "بها عيون ماء في شعراء عظيمة شجرها كله زان"<sup>(٦٨)</sup> ومنه يجلب إلى افريقية<sup>(٦٩)</sup>، وذكرها المؤرخون عند حديثهم عن مدينة باجة: " لم ترغبون في ولاية باجة، فقال: لاربعة اشياء: قمح عندة وسفرجل<sup>(٧٠)</sup> زانة وعنب بلطة وحت درنة.." <sup>(٧١)</sup>، ويذكرها الحميري<sup>(٧٢)</sup> بأنها قرية عند باجة من الاعمال الافريقية بها واد بهيج المنظر، اجتاز مره عليه الامير ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص<sup>(٧٣)</sup> فأعجبه فقال لكاتبه محمد بن احمد بن نخيل<sup>(٧٤)</sup> قل فيه فقال على البديهة:

بالدوح ملتفة الأغصان منتظمة	واد بزاقه قد حفت جوانبه
من الضياء كدر اعجز النظمه	يسيل رهواً على حصباء قد ظهرت
وكف أحور أبدي انفه شمة	طربت فيه الى راح مشعشعة

#### ب- عندة:

وهي من القرى المهمة في باجة والتي كانت توفر المادة الاساسية لطعام أهل باجة من

## التعريف بمدينة باجة

القمح، لما كانت تتمتع به من تربة خصبة ومياه وفيرة، فكانت بساكنيها عامرة وارضها خضراء تكثر فيها الزروع، ولكثرة القمح الذي تنتجه والذي يفوق كل إفريقية اصبحت باجة تعرف بباجة القمح<sup>(٧٥)</sup>.

### ج - بلطة:

وهي من القرى التابعة لباجة، أغلب سكانها من البربر من قبيلة وزداجة<sup>(٧٦)</sup>، فهي منطقة جبلية كثيرة العيون وامطارها غزيرة مما ادى الى وفرة مراعيها واشجارها المثمرة واهمها العنب والذي يزود بقية المدن المجاورة لمدينة باجة<sup>(٧٧)</sup>.

### د - درنة:

وهي احدى قرى مدينة باجة، وافرة المياه مما ادى الى انتشار الاسماك فيها، فكانت مشهورة بالحوت البوري<sup>(٧٨)</sup>، وذكرها المؤرخون بقولهم: "وبها حوت بوري ليس له في الافاق نظير يخرج من حوت واحد عشرة ارطال شحم إذ كان من جلثها.." <sup>(٧٩)</sup> وهذا يدل على نشاطها في التجارة وارسالها للحم الحوت البوري التي كانت مشهورة به الى المدن الاخرى، فهي بحيرة كبيرة والماء فيها لالحلو ولا مالح<sup>(٨٠)</sup>.

### هـ - المغيرية:

وهي احدى قرى مدينة باجة التي يذكر المؤرخون أنّ فيها من الاثار العظيمة والعجيبة التي بناها الاقوام الاولى الذين سكنوا هذه القرية، وبها كنائس بيزنطية مبنية بشكل جميل وعظيم ومحكم عندما كانت المسيحية في اوج انتشارها في القرون الميلادية الاولى<sup>(٨١)</sup>، واما جدرانها وارضها مبنية ومفروشة من الرخام<sup>(٨٢)</sup> النفيس، وان الغربان تقف على جدرانها بكثرة "حتى يظن المرء أن غربان الارض قد تجمعت هناك"<sup>(٨٣)</sup>. ويُعتقد بوجود طلسم<sup>(٨٤)</sup> في هذه القرية<sup>(٨٥)</sup>.

### و - قلشانة:

وهي قرية كبيرة بباجة<sup>(٨٦)</sup>، وكانت موضع المعرس<sup>(٨٧)</sup> لمن خرج من القيروان وقدم إليها، ويسكنها اعداد كثيرة من الناس، وفي المدينة جامع وفنادق عديدة وحمام، وأرضها زراعية خصبة تميزت بوجود العديد من البساتين، وتكثر فيها المزروعات واهمها التين، ويصفها المؤرخون بأن لها ابواب مبنية بشكل قصير بحيث لاتستطيع الحيوانات أن

## التعريف بمدينة باجة

تدخلها والسبب في بنائها بهذا الشكل تخوفهم من نزول الجُباة والعمال فجأة عليهم<sup>(٨٨)</sup>، وبرز منها العديد من العلماء والذين كان لهم الاثر الكبير في باجة، منهم ابو عبدالله القلشاني<sup>(٨٩)</sup>، وعمر القلشاني<sup>(٩٠)</sup>.

### ز- خولان:

وهي إحدى قرى مدينة باجة تقع على نهر مجردة مما أدى الى وفرة المياه وازدهار الزراعة نتيجة خصوبة اراضيها وبالتالي تنوع المحاصيل الزراعية وكثرتها مما جعل لخولان اهمية اقتصادية كبيرة في باجة والمدن المجاورة لها لما تقدمه من منتجات زراعية متنوعة<sup>(٩١)</sup>.

### ح- باسلي:

وهي من قرى مدينة باجة على مسافة مرحلة منها، تقع في منطقة جبالية، واغلب سكانها من البربر من وزداجة، وتوجد فيها عيون ومياه عذبة، وسقوط الامطار الغزيرة عليها، مما أدى الى ازدهار الزراعة نتيجة خصوبة اراضيها ووفرة المراعي وتنوع الحيوانات وكثرة الزروع<sup>(٩٢)</sup>.

### ٢- اقضية المدينة:

وتتكون ولاية باجة من الأفضية الآتية:

#### أ- نفزة:

مدينة تقع على بعد (٤٠ كم) عن باجة شمال تونس وتبعد عن البحر المتوسط بمقدار (١٠٠ ملم ٣)<sup>(٩٣)</sup>، وسميت بهذا الاسم نسبة الى قبيلة نفزة التي سكنت بها وكان يطلق عليها بالجبل الابيض، ولها سور واسواق حافلة، وتوجد بها عين كبيرة وتشتهر بأنتاج العسل<sup>(٩٤)</sup>.

#### ب- تستور:

هي إحدى نواحي مدينة باجة تقع في الشمال الغربي التونسي وتتميز بطابعها الاندلسي وكثرة المعالم الاندلسية نتيجة هجرة الاندلسيين اليها مما جعل طابعها يشبه الطابع الاندلسي الذي اصفوه عليها<sup>(٩٥)</sup>.

ج- مجاز الباب:

وهي احدى اقصية مدينة باجة تبعد (٤كم) عن مركز باجة، وامتداداً لوادي مجردة، وتعاقب على المدينة عدة حضارات<sup>(٩٦)</sup>.

د- تيرسوق:

تقع على الطريق الرئيسي على بعد (١٠٠كم) عن العاصمة تونس وعلى جبل الرحمة<sup>(٩٧)</sup>.

ه- عمدون:

هي تابعة لولاية باجة تمتاز بوجود سهول، ونشاط الفلاحة فيها<sup>(٩٨)</sup>. فضلاً عن باقي البلديات التابعة لمدينة باجة وهي: باجة الشمالية، باجة الجنوبية، فبلاط، تيبوار<sup>(٩٩)</sup>.

٣- ابواب المدينة :

تُعرف باجة بانها مدينة مسورة أي أنّها مُحاطة بأسوار عظيمة، تعززها أبراج الحماية، وكانت وظيفة هذه الاسوار دفاعية لحماية المدينة من الاخطار الخارجية والاعداء أو الطامعين<sup>(١٠٠)</sup>. وكان لها ابواب عديدة خارجية وداخلية وذلك من أجل تأمين الدخول للمدينة والخروج منها، وأيضاً لتيسير حركة تنقل الناس والعربات والدواب، فكانت هناك ابواب بين الارياض<sup>(١٠١)</sup> وأبواب للاسواق وللحارات، فأشتملت المدينة على عدة ابواب<sup>(١٠٢)</sup> وهي:-

أبواب العين:

وهو باب قديم يوجد عند سور المدينة وجاء اسمه من اسم عين الشمس التي كانت موجودة تحت سور المدينة والباب كان هناك<sup>(١٠٣)</sup>.

ب-باب الجنائز:

ويسمى باب باجة: وسمي هذا الباب بباب الجنائز لخروج جنائز الموتى منه كما هو معروف عندهم منذ القدم بعد ان يؤدوا صلاة الجنازة في الجامع الكبير<sup>(١٠٤)</sup>.

ج-باب السوق:

هو الباب الذي يدل من اسمه أنّه كان المدخل للاسواق كسوق النحاس والغزل

## التعريف بمدينة باجة

والعطارين والخضراوات الموجودة في المدينة ويسمى أيضاً باب سوقة<sup>(١٠٥)</sup>.

د-باب السبعة :

سُمِّي بهذا الاسم احياءً الى الشخصيات السبعة من الاولياء الصالحين في باجة<sup>(١٠٦)</sup>.

ه-باب الجديد<sup>(١٠٧)</sup>

و-باب الجديد الفوقاني<sup>(١٠٨)</sup>

ز-باب المدينة<sup>(١٠٩)</sup>

ح-باب الرحبة : ويعرف ب(باب بو تفاحة)<sup>(١١٠)</sup>.

ط-باب الخلاء<sup>(١١١)</sup>

ي-باب خنو<sup>(١١٢)</sup>

٤-المعالم الاثرية للمدينة:

تمتاز مدينة باجة التونسية بمخزون اثري كبير وتحتوي على معالم متعددة أثرية وحضارية، فوقوعها بين نهر مجردة والبحر المتوسط، اضافة الى المروج الخضراء التي تغطيها جعل منها مركزاً مهماً منذ العهد الروماني وهي ما عُرُفت بمطمور<sup>(١١٣)</sup> روما، فاتخذوها مخزناً للقمح وحصناً لهم، وكانت اكبر سوق للقمح في إفريقيا، إذ كانت مفترقاً للطرق فجذبت اهتمام الرومان قديماً، وحكام المسلمين بعد الفتح الاسلامي، فمدينة باجة مدينة قديمة عُرُفت بآثارها الشاخصة والتي مازال بعضها قائماً لحد الان ومن ابرز اثارها:

أ-مدينة دقة الاثرية:

وهي من المواقع الاثرية المهمة في مدينة باجة، وتعد من المواقع العالمية وليست فقط في مدينة باجة، يقع الموقع على بعد (٩٠ كم) من العاصمة تونس وعلى بعد (٤٤ كم) من مركز مدينة باجة كانت قبل الاسلام مستوطنة رومانية، وتضم هذه المدينة العديد من المعالم الاثرية ومنها الضريح اللوبي البوني<sup>(١١٤)</sup>، والمسرح الروماني، واقواس النصر ومعبد ساتورن وكالكتس<sup>(١١٥)</sup>.

ب-الموقع الاثري هنشير الفوار:

يقع هذا الموقع على بعد (١٠ كم) من مدينة باجة، في ارض زراعية خصبة وسمي

## التعريف بمدينة باجة

بهذا الاسم نسبة الى احد العيون المنتشرة في منطقة (عين الفوار) واصبحت تعرف بها ويضم هذا الموقع معالم عديدة منها الكنسية الكبرى وحمامان وسوق وبقايا مساكن اثرية وخزان للماء ولوحات فسيفسائية<sup>(١١٦)</sup> نادرة وتمائيل واضرحة ونقوش قبرية وبقايا قلعة اسلامية<sup>(١١٧)</sup>.

### ج- القصة:

وهي معلم اثري قام بتأسيسها القرطاجنيون الرومان عام (١٧ ق.م)، وجددها الروم البيزنطيون عام (٥٥٣م) وبنوا فيها الاسوار والابراج، فهي قلعة حصينة، وبعد الفتح الاسلامي لمدينة باجة حصلت القصة على اهتمام الحكام المسلمين فهي مركز مدينة باجة، فقام الاغالبة بتوسيعها، وجددها الفاطميون<sup>(١١٨)</sup>، وعُرفت القصة باسم القلعة او الحصن، ووردت في ذكر المؤرخين: " وحصنها اولي مبني بالصخر الجليل اتقن بناء ويقال انه من عهد عيسى (عليه السلام)"<sup>(١١٩)</sup>، وذكرها الرحالة الاسباني مارمول كرخال<sup>(١٢٠)</sup>: "باجة مدينة عتيقة اسسها الرومان.. تحيط بباجة اسوار عالية، وبداخلها توجد قلعة محصنة"، فكان لها أثر رئيسي في حماية المدينة والدفاع عنها ضد الاعداء والطامعين فيها.

### د- جسر طراجان:

ويُعرف بالجسر الروماني يقع على بعد (٣ كم) جنوب مدينة باجة ويرتكز الجسر على ثلاثة اعمدة تكون معكوسة، قام ببنائه (C.Vibus Marsus) في عهد الامبراطور تيبار احد اباطرة الرومان، وتعهد به الامبراطور تراجان<sup>(١٢١)</sup>.

### ه- الجامع الكبير:

وهو معلم تاريخي ومن مآثر العهد الفاطمي قام بإنشائه الخليفة الفاطمي اسماعيل المنصور سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م)، عرف بقدسيته وعراقته في التاريخ، ويمتاز ببنائه المتقن وجمال عمارته<sup>(١٢٢)</sup>، بشهادة البكري<sup>(١٢٣)</sup>: " وبها جامع متقن البناء قبلته سور المدينة"، يتكون من ستة ابواب وارضه من الرخام والبلاط، ويحتوي على ساعة شمسية لتحديد المواقيت الشرعية للصلوات اليومية، ومئذنة مبنية على الطراز المغربي الاندلسي<sup>(١٢٤)</sup>.

### و- المغيرية:

## التعريف بمدينة باجة

تقع غرب مدينة باجة، سميت بهذا الاسم نسبة الى التابعي المغيرة بن ابي بردة الكناني<sup>(١٢٥)</sup> وفيها رفاتة، وبها اطلال كنائس بيزنطية مهمة، ذكرها المؤرخون بقولهم: "ومن قرى باجة المغيرية فيها آثار عظيمة عجيبة للأول من كنائس قائمة البنيان محكمة العمل كأنما رفعت عنها الأيدي بالأمس، وكلها مفروشة بالرخام النفيس"<sup>(١٢٦)</sup>. وهناك معالم اثرية اخرى في مدينة باجة لكنها تتعدى مدة دراستنا ومن باب التنويه عنها نورد اهمها بإختصار وهي: سبيل باب العين، قصر باردو، جامع الباي او ما يعرف بالجامع الحنفي، قنطرة الخمسة، قصر البلدية، والعديد من الزوايا<sup>(١٢٧)</sup>.

**الخاتمة:**

من خلال دراسة مدينة باجة، توصلنا الى النتائج التالية:

- ١-نتيجة للموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي تميزت به مدينة باجة اصبحت قاعدة حصينة لامتلاكها حصن كبير عرف باسم (القصة) والعديد من الاسوار والابواب التي شكلت حماية للمدينة من الاعداء الخارجيين.
- ٢-تتمتع باجة بمناخ البحر الابيض المتوسط، مما ادى الى كثرة سقوط الامطار وبالتالي تنوع المحاصيل الزراعية.
- ٣-تتمتع المدينة بظروف جغرافية وطبيعية مما انعكس على اقتصادها فنمت الزراعة واصبحت الممول الرئيسي للحبوب في المغرب العربي.
- ٤- تطور التجارة الداخلية والخارجية بسبب غزارة الحبوب وجودتها مما انعكس على اسم المدينة اذ عرفت بباجة القمح وهري إفريقية.
- ٥-تطور الفن المعماري في مدينة باجة فكان مزيجاً من الفن الروماني والاندلسي.
- ٦-وجود العديد من المعالم الاثرية في المدينة ومنها ما يرجع للعهد البوني كالضريح البوني اللوبي.
- ٧-تحتوي المدينة على فنادق وحمامات ومسارح.
- ٦- اكتسبت باجة اهمية وشهرة لوجود العديد من المعالم الاثرية المهمة فيها كمدينة دقة الاثرية العالمية.

## التعريف بمدينة باجة

٧- ازدهار الحركة العلمية في المدينة من خلال بناء الجامع الكبير أو العتيق، والذي استقطب العديد من العلماء والقضاة.

### المصادر والمراجع:

- ❖ ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت ٥٦٣٠/٢٣٣م)
- ١- الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٧/١٩٩٧م.
- ❖ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالب (ت ٥٦٠/١١٦٥م)
- ٢- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩/١٩٨٩م.
- ❖ الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠/٩٨١م)
- ٣- تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ❖ البخاري، اب
- ❖ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧/١٠٩٤م)
- ٤- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢/١٩٩٢م.
- ❖ الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف (ت ٤١٣/٨١٦م)
- ❖ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣/١٠٠٣م)
- ٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧/١٩٨٧م.
- ❖ الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠/١٤٩٥م)
- ٦- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، بيروت، ١٤٠٤/١٩٨٤م.
- ❖ ابن حوقل، أبو القاسم محمد الموصلي (ت ٣٦٧/٩٧٧م)
- ٧- صورة الارض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.
- ❖ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٨٠/١٢٥٠م)
- ٨- المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت، ١٨٨٩م.
- ❖ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ابو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت ٤٠٦/٨٠٨م)

## التعريف بمدينة باجة

- ٩- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ❖ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت ٩٣٣/٥٣٢١م)
- ١٠- جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م
- ❖ الدمياطي، احمد بن محمد بن احمد بن عبد الغني شهاب الدين (ت: ١١١٧هـ / ١٧٠٥م).
- ❖ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض مرتضى (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)
- ١١- تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥م.
- ❖ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م)
- ١٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- ❖ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، (ت ٨٤٤هـ / ٢٣٠م)
- ١٣- الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ / ١٩٩٠م.
- ❖ شامي، يحي
- ١٤- موسوعة المدن العربية والاسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣م.
- ❖ الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت ٩٨٨هـ / ٣٨٨م)
- ١٥- غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، د.م، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ❖ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت ١٠٦٦هـ / ٤٥٨م)
- ١٦- المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ❖ ابن الشماخ، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ١٤٥٩هـ / ٨٧٣م)
- ١٧- الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤م.
- ❖ ابن شمائل، عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت ١٣٣٨هـ / ٧٣٩م)
- ١٨- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ❖ الصدفي، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي (ت ٩٥٨هـ / ٣٤٧م)
- ١٩- تاريخ ابن يونس المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

## التعريف بمدينة باجة

- ❖ ابن ابي الضياف، احمد (ت ١٢٩١هـ/١٨٧٤م)
- ٢٠- اتحاف الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٩م.
- ❖ ابو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م)
- ٢١- طبقات علماء إفريقية وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، د.ت.
- ❖ العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م)
- ٢٢- المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، دار التكوين، سوريا، ٢٠٠٦م.
- ❖ العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي شهاب الدين (ت ٤٤٩هـ/١٣٤٩م)
- ٢٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ.
- ❖ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م)
- ٢٤- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ❖ أبو الفداء، السلطان الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ٢٥- تقويم البلدان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٧هـ.
- ❖ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م)
- ٢٦- العين، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ❖ المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (ت ٤٧٤هـ/١١٨١م)
- ٢٧- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونسأكلهم وسير أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- ❖ مجهول، مؤلف (ت في القرن ٦هـ/١٢م)
- ٢٨- الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ❖ المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، البشاري، شمس الدين، أبو عبد الله (ت ٣٨٠هـ/٩٠٠م)
- ٢٩- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ❖ المقرئ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت ٦٣٢هـ / ١٠٤١م)

## التعريف بمدينة باجة

- ٣٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ❖ المقريري، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين (ت ١٤٤٢/٥٨٤٥م)
- ٣١- السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- ❖ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م)
- ٣٢- لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ❖ ابن ناصر الدين، شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي (ت: ٦١٦هـ/ ١٢١٩م)
- ٣٣- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ❖ الوزان، الحسن بن محمد الفاسي المعروف بجان ليون الإفريقي (ت: ٥٥٥/٩٥٧م)
- ٣٤- وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الرغب الإسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٨٣م.
- ❖ الوزير السراج، ابو عبد الله محمد الاندلسي (ت ١٤٩/٥٤٤م)
- ٣٥- الحلل السندسية في الاخبار التونسية، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ١٢٨٧هـ.
- ❖ ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)
- ٣٦- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ٣٧- معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- ❖ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م)
- ٣٨- البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ❖ اليوسي، الحسن (ت ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م)

## المراجع

- ❖ بن شعبان، هدى، ومحمد علي الرقوبي، وعزيرة مسعدي عزام، محمد امين بن يحم

## التعريف بمدينة باجة

- ٣٩- الأطلس الرقمي لمدينة باجة، اشراف: وزارة التجهيز والإسكان والتهيئة الترابية يمثلها فتحي بن عيسى، وزهرة مخلوف، مكتب الدراسات سومر، تونس، ٢٠١٦م.
- ❖ الجمل، عبد الوهاب
- ٤٠- حكام إفريقية وتونس من الفتح العربي الاسلامي الى العهد الجمهوري، مطبقة سيمبكت، تونس، ٢٠١٧م.
- ❖ ابو حجر، امنة إبراهيم
- ٤١- موسوعة المدن العربية، دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٢م.
- ❖ الحمروني، احمد
- ٤٢- الشمال الغربي التونسي، دار سحر، تونس، ٢٠٠٦م.
- ٤٣- بلاد باجة مدائن ومعالم واعلام، دار سحر، تونس، ٢٠٠٧م.
- ❖ دينيس، تازا، ادوارد جي تار بوك، وفرديريك كي لوتجيس
- ٤٤- الارض مقامة في الجيولوجيا الفيزيائية، العبيكان للنشر، السعودية، ٢٠١٤م.
- ❖ الشاطر، خليفة، واخرون
- ٤٥- تونس عبر التاريخ من العهد العربي الاسلامي الى حركات الاصلاح، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والتونسية، مطبعة تنباكت، تونس، ٢٠٠٧م.
- ❖ الشريف، محمد الهادي
- ٤٦- تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش، محمد عجيبة، ط٣، دار سراس للنشر، تونس، ١٩٩٣م.
- ❖ ظاهر، تركي
- ٤٧- اشهر القادة السياسيين من يوليوس قيصر الى جمال عبد الناصر، ط٢، دار الحسام، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م.
- ❖ عبد الوهاب، حسن حسني
- ٤٨- ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٤م.
- ❖ عمر، أحمد مختار عبد الحميد
- ٤٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، مصر ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- ❖ غلاب، محمد السيد، ويسري الجوهري
- ٥٠- الجغرافية التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ❖ كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشق

## التعريف بمدينة باجة

- ٥١- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ❖ مجموعة مؤلفين
- ٥٢- الموسوعة العربية العالمية، مستمدة من دائرة المعارف العالمية وإضافات الباحثين العرب، ط٢، صادرة عن مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية، الناشر، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- ❖ محفوظ، محمد
- ٥٣- تراجم المؤلفين التونسيين، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٩٤م.
- ❖ مخلوف، محمد بن عمر بن علي بن علي ابن سالم
- ٥٤- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ❖ محمد، علي جمعة
- ٥٥- المكايل والموازن الشرعية، ط٢، القدس للإعلان والنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ❖ مصطفى، إبراهيم، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار
- ٥٦- المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، د.ت.
- ❖ مقديش، محمود بن سعيد
- ٥٧- زهرة الانظار في عجائب التواريخ والاعخبار، تح: علي الزاوي، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.
- ❖ الملي، مبارك بن محمد الجزائري
- ٥٨- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ❖ النيال، محمد الحلبي
- ٥٩- هوتسما، وارنولد، وباسيت، وهارتمان
- ٦٠- موجز دائرة المعارف الإسلامية، تح: ابراهيم زكي خورشيد، احمد الشنتناوي، وعبد الحميد يونس، ترجمة: حسن حبشي، وعبد الرحمن الشيخ، ومحمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ❖ كربخال، مارمول
- ٦١- إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الاخضر، احمد التوفيق، احمد بنجلون، دار المعرفة، الرباط، ١٩٠٤هـ / ١٩٨٤م.

الرسائل والاطاريح الجامعية

❖ بن يوسف، زهير

٦٢- باجة ومفكروها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة تونس الاولى، ١٩٨٨م.

شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

63- <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

64- <https://nrme.net/detail987707123.html#tit1>.

65- [باجة/https://ar.m.wikipedia.org/wiki/](https://ar.m.wikipedia.org/wiki/باجة/)

الدوريات والمجلات:

❖ الهويلمي، رمزي

٦٦- الجامع الكبير بباجة، مجلة في رحاب الزيتونة، جمعية قدماء جامع الزيتونة واحبائه، مج ٤، العدد ٤، ٢٠١٦م.

❖ بن يوسف، زهير

٦٧- لمحة عن تاريخ مدينة باجة، جريدة حقائق، تونس، العدد ٦، ٤٦٧/١٠/١٩٩٤م.

❖ بن يوسف، زهير

قصبة باجة او برج المنسي: أعرق القلاع البيزنطية الباقية، جريدة الشارع المغربي، تونس، العدد ٢٤٣، ٢٠٢٢/٨/٣٠م.

- (١) معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤.
- (٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤ - ٣١٦؛ ابن شمائل، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج ١، ص ١٤٨.
- (٣) المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ص ٣٣.
- (٤) تقويم البلدان، ص ٦١، ١٦٢.
- (٥) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٧١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤، ٣١٥؛ ابن شمائل، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج ١، ص ١٤٨.
- (٦) المالكي، رياض النفوس، ج ٢، ص ١٦٨؛ ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط اسماء الرواة، ج ١، ص ٣١٠؛ عبد الوهاب، ورفات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، ص ٤٢٩.
- (٧) عبد الوهاب، ورفات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية، ص ٤٣٠؛ بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٥.
- (٨) مرحلة: وجمعها مراحل، وهي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة، وتقدر المرحلة (٢٤) ميلاً. ينظر: محمد، المكابيل والموازين الشرعية، ص ٥٦.
- (٩) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج ١، ص ٢٥١؛ مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والاخيار، ج ١، ص ٧٧.
- (١٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٥.
- (١١) يوليوس قيصر: وهو من اشهر رجال الرومان، مؤرخ وقائد سياسي، ينتمي لعائلة ارسطقراطية، وهو اول من سمي قيصر، كان له دوراً كبيراً في تحويل روما الى امبراطورية، توفي سنة (٤٤ ق.م). ينظر: ظاهر، اشهر القادة السياسيين، ص ٩، ١٠.
- (١٢) الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٧٥.
- (١٣) مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ج ١، ص ١٦٠.
- (١٤) ياقوت الحموي، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ص ٣٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٦١، ١٦٢.
- (١٥) الفراهيدي، العين، ج ٦، ص ١٩١، ١٩٢.
- (١٦) الفراهيدي، العين، ج ٦، ص ١٩١، ١٩٢؛ الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ١، ص ٩٠.

- (١٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ١، ص ٢٧٨.
- (١٨) الفراهيدي، العين، ج ٦، ص ١٩١، ١٩٢.
- (١٩) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٠٩.
- (٢٠) اللوبيون: نسبة إلى ليبيا التي كانت تطلق على شمال إفريقيا، وبعد مجيء الفينيقيين اختصت بما يلي نوميديا شرقاً، وتعني كلمة لوبي لدى الجغرافيين اليونانيين القارة الإفريقية المعروفة في ذلك الزمن وهي جزء من شمال إفريقيا الواقع بين مصر الفرعونية والمحيط الأطلسي. ينظر: هوتسما، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج ٢٨، ص ٨٨٧٧؛ الشاطر، تونس عبر التاريخ، ج ١، ص ٩٦.
- (٢١) البونيقيون أو البونيون: مجموعة من الشعوب التي عاشت في غرب البحر الأبيض المتوسط ويعودون في أصولهم إلى الفينيقيين، ويشار بهم إلى الفينيقيين في غرب البحر الأبيض المتوسط. ينظر: هوتسما، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج ٢٢، ص ٦٩١٧.
- (٢٢) بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٨.
- (٢٣) الفينيقيون: من الشعوب السامية القديمة، استوطنوا بلاد الشام قبل الميلاد، وتمتد المنطقة الجغرافية المعروفة باسم فينيقيا على طول الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط والمناطق المجاورة لها. ينظر: غلاب، الجغرافية التاريخية، ص ٤٨٠، ٤٨١.
- (٢٤) النوميديون: هم سكان مملكة نوميديا (الجزائر حالياً) وجزء من تونس، فهم يجاورون قرطاج. ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج ٨، ص ٤١٤؛ الشاطر، تونس عبر التاريخ، ج ١، ص ٩٦.
- (٢٥) بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٨، بن يوسف، زهير، لمحة عن تاريخ مدينة باجة، ص ٢٤.
- (٢٦) وصف إفريقيا، ج ٢، ص ٦٦.
- (٢٧) بن يوسف، باجة ومفكروها، ص ٨.
- (٢٨) الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٧٥.
- (٢٩) هانيبال: هو حَنبَعْل بن حَمَلقار برقة الشهير بحنا بعل أو هانيبال أو هاني بعل، قائد قرطاجي اشتهر في الحروب البونية بين القرطاجيين والرومان، وحقق انتصارات كبيرة على الرومان، وحاصر روما (١٥) سنة، إلا أنه اضطر إلى العودة إلى قرطاج بعد أن حاصرها الرومان، فانهزم وقتل نفسه في سنة (١٨٣ ق.م). ينظر: الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج ١، ص ١٥٢ - ١٥٤.

(٣٠) الشريف، تاريخ تونس، ص ٢١، ٢٢.

(٣١) يوغرطة: أو يوجورثا وهو ملك نوميديا، ولد سنة (١٦٠ ق.م)، خاض حرباً ضد الرومان دامت سبع سنوات كبد فيها روما خسائر فادحة جدا، اعتقل بسبب الخيانة، وأخذ أسيراً إلى روما وطيف هناك به وبأثنين من ولديه، ثم قطع الحراس أذنيه لأخذ حلقات الذهب المعلقة فيهما، وقد مات جوعاً في أحد سجون روما سنة (١٠٤ ق.م). ينظر: مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، ج ٢١، ص ١٠٣.

(٣٢) الشريف، تاريخ تونس، ص ٢٢ - ٢٣.

(٣٣) الإمبراطور لوشوريوس سيبتيموس سيفيروس، أو سيفروس الأول: وهو لوسوريوس سيبتيموس سيفيروس أو غسطس، الإمبراطور الروماني الحادي والعشرون ولد سنة (٤٦ م) بمدينة لبدّة الكبرى عاصمة إقليم طرابلس آنذاك الذي كان يعد وقتها من ضمن بمقاطعة أفريكا الرومانية، وفي عام (٩٣ م) تولى السلطة، وتوفي سنة (٢١١ م). ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(٣٤) الشريف، تاريخ تونس، ص ٢٣، ٢٤.

(٣٥) بنزرت: مدينة على البحر خصبة فيها ثمار كثيرة، يشقّها نهر كبير كثير الحوت، وعليها سور حصين، وبها جامع وأسواق وحمامات وبساتين، وهي أرخص البلاد حوتا، ويوجد بها بحيرتين حلوة ومالحة، فإذا جاء الشتاء وكثرت السيول على البحيرة الحلوة، فاضت على المالحة ومدتها، وإذا جاء الصيف قل المدّ عنها وغارت واشتغلت عن المالحة، فتمدّ المالحة إلى أيام السيول، وفيها من أنواع الحوت ما لا يحصى، يصطاد فيها في كل شهر من الشهور الأعجمية نوع من الحوت لا يوجد ذلك النوع إلى ذلك الشهر بعينه في العام القابل، ولها غلة عظيمة فإن منها يحمل الحوت إلى جميع بلاد إفريقية. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٥؛ البكري، المسالك والممالك، ص ٧٢١؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ١٢٥.

(٣٦) جندوبة: مدينة واقعة على وادي المجردة، وتشتهر بزراعة القمح وتجارته. ينظر: شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ١٥١.

(٣٧) زغوان: مدينة قريبة من تونس العاصمة لجهة الجنوب، عند سفح جبل زغوان وهو جبل منيف مشرف يسمّى كلب الزقاق، وبزغوان قرى كثيرة أهلة كثيرة المياه والثمار والبساتين. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٧٠٥؛ شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ١٥١.

## التعريف بمدينة باجة

- (٣٨) بن شعبان، الأطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٨.
- (٣٩) اليعقوبي، البلدان، ج ١، ص ١٨٨.
- (٤٠) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٧١٨.
- (٤١) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٦٢.
- (٤٢) المقري، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، ج ٢، ص ٧٦، ٥١٥.
- (٤٣) طبرقة : قرية وهي عُدوة لاهل الاندلس، اليها ينتمون، ومنها الى الاندلس يركبون، وهي قرية وبنة وبها عقارب قاتلة، وبها في البحر معدن المرجان وليس يعرف في الارض معدن للمرجان الا بها، واشتهرت بكثرة ورود المراكب بالاندلسيين والتجار عليها والنزول بها. ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٣٨؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٦.
- (٤٤) ابن حوقل، صورة الارض، ص ٧٦.
- (٤٥) نرنة: هي بحيرة عظيمة تصب في البحر وماؤها لا مالح ولا حلو وفيها انواع كثيرة من الحوت. ينظر: مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ج ١، ص ١٢٦، ١٦١.
- (٤٦) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج ١، ص ٢٩٠.
- (٤٧) مرسى الخزر: هي مدينة صغيرة عليها سور حصين ولها قسبة وحولها عرب كثير وعمارة اهلها لها على صيد المرجان وهو اجمل جميع المرجان الموجود بسائر الاقطار. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج ١، ص ٢٩٠.
- (٤٨) الاربس: مدينة في وطأة من الارض عليها سور تراب جيد وفي وسطها عين ماء جارية لا يحف شرب اهلها من تلك العيون وبها معدن حديد. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في =  
= اختراق الافاق، ج ١، ص ٢٩٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٢٤.
- (٤٩) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج ١، ص ٢٩١، ٢٩٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٢٤.
- (٥٠) بن شعبان، الأطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٨.
- (٥١) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٨.
- (٥٢) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٨-١٧.
- (٥٣) المسالك والممالك، ج ٢، ص ٦٨٨.
- (٥٤) وادي مجردة: النهر الاعظم الذي يجتمع فيه سائر الاودية ويخترق شمالي تونس من الغرب الى الشرق ويصب في البحر الرومي اي البحر المتوسط، والمدن التي يجري فيها غنية

## التعريف بمدينة باجة

- بالحبوب والمزروعات والمراعي. ينظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٦، ص ١٣٥؛ الوزان، وصف إفريقيا، ج ٢، ص ٢٥٣؛ مجموعة مؤلفين، موجز دائرة المعارف الاسلامية، ج ٨، ص ٢٤٥٩.
- (٥٥) هري: الهريُّ : بيت ضخم يجمع فيه طعامُ السلطان، اي المخزن. ينظر: الازهري، تهذيب اللغة، ج ٦، ص ٢١٢؛ الفراهيدي، العين، ج ٤، ص ٨٤.
- (٥٦) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٦٨٨.
- (٥٧) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٨.
- (٥٨) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٧١٨؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ١٦٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٧٥.
- (٥٩) الناحية: الجانب والجهة من المدينة، يُقال جلس ناحية الدار، ويُقال هو في ناحية فلان اي في كنفه. ينظر: مصطفى، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩٠٨.
- (٦٠) دجة: بلدة تقع شمال غرب تبرسق بعيدا عنها ب ٢٨ كم عند سفح جبل القراعة. ينظر: الحمروني، بلاد باجة مدائن ومعالم واعلام، ص ٧٥.
- (٦١) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٢١؛ الحمروني، بلاد باجة مدائن ومعالم واعلام، ص ٧٥؛ الحمروني، معجم المدائن التونسية، ص ١٩٣.
- (٦٢) الحمروني، معجم المدائن التونسية، ص ١٩٣؛ الحمروني، بلاد باجة مدائن ومعالم واعلام، ص ٧٥.
- (٦٣) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٢١.
- (٦٤) عمدون: هي تابعة لولاية باجة تتميز بوجود سهول، ونشاط الفلاحة فيها. ينظر: الحمروني، الشمال الغربي التونسي، ص ١٦.
- (٦٥) الحمروني، بلاد باجة مدائن ومعالم واعلام، ص ١٠٥.
- (٦٦) الحمروني، معجم المدائن التونسية، ص ١٠٣.
- (٦٧) كورة: جمعها: كور، وهي المدينة او مقاطعة ريفية، والبقعة التي تتجمع فيها القرى، والكورة من كور البلدان. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٥، ص ٤٠١؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢، ص ٨٠٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٦؛ عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ٣، ص ١٩٧٠.

- (٦٨) زان: جمع زانة: شجر بري عظيم الطول يبلغ ارتفاعه اربعين متراً، من الفصيلة البلوطية، مستقيم الجذع املس اللحاء، صلب يستعمل في الصناعة ويتخذ منه الاثاث. ينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص ٩٧٠.
- (٦٩) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٧١٦.
- (٧٠) سفرجل: شجر مثمر من الفصيلة الوردية، أزهاره بيضاء، وتطلق الكلمة ايضاً على ثمر ذلك الشجر، وثمره يشبه النفاح، رائحته عطرية، يكون اخضر قبل نضجه، وإذا نضج اصفر. ينظر: عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٢، ص ١٠٧٣.
- (٧١) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٧٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣١٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٧١.
- (٧٢) الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٢٨٢.
- (٧٣) ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص: وهو ابن الشيخ ابي حفص عمر الهنتاتي من قبيلة مسمودة من جبل درن وهو من اول الحفصيين الذين حكموا إفريقية ومهد لدولة عبد المؤمن وقيام الدولة الحفصية توفي سنة (٥٦١٨/٢٢١م). ينظر: المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص ٣٣١؛ ابن الشماخ، الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، ص ٤٨؛ الجمل، حكام إفريقية وتونس، ص ١٨٣.
- (٧٤) ابن نخيل: محمد بن ابراهيم بن عبد العزيز بن نخيل الاندلس، ابو عبد الله، نزيل تونس، اديباً كاتباً مؤرخاً، وكان ابوه شاعراً صالحاً، كما كان له شأن كبير ايام الامير الحفصي عبد الواحد بن ابي حفص فمنحه صلاحيات واسعة، فعينه اول الامر رئيساً لديوان الاعمال، ثم رئيساً لديوان الرسائل، والى كتاباً لكنه لم يصل إلينا وانما نقل عنه المؤلفون التونسيون، توفي سنة (٥٦١٨/٢٢٢م). ينظر: محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص ٢٨-٣١.
- (٧٥) ابن حوقل، صورة الارض، ج١، ص ٧٤؛ المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ٢٢٦؛ البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص ٢٧٠؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ج١، ص ١٦١؛ الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج١، ص ٢٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣١٥؛ ابن شمائل، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والباقاع، ج١، ص ١٤٨.

- (٧٦) وزداجة: ويعرفون أيضا ازداجه وهم من بطون البرانس، وكثير من نسابة البربر يعدونهم في بطون زناتة، وقد يقال إن ازداجة من زناتة ووزداجة من هوارة، وأنهما بطنان مفترقان وكان لهم وفور كثيرة. ينظر: ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٦، ص١٩٠، ١٩١.
- (٧٧) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٩، ٧٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١٥؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٧٥.
- (٧٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١٥؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٦١.
- (٧٩) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧٢٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١٥؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٦١.
- (٨٠) مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٢٦؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٧٥، ٣٨٧.
- (٨١) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٩؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٦٠، ١٦١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٧٥.
- (٨٢) الرخام: هو صخر كلسي متحول، وأصله حجر جيرى او حجر الدولوميت ولونه ابيض نقي، يتكون من معدن الكالسيت، فهو سهل القطع والتشكيل، يستعمل في النحت والارضيات والجدران والتماثيل. ينظر: دينيس، الارض مقدمة في الجيولوجيا الفيزيائية، ص٢٤٠.
- (٨٣) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٩؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٦١.
- (٨٤) طلسم: هو كل ماهو غامض ومُبهم كالألغاز والاحاجي، وحدث اثار غريبة وافعال عجيبة. ينظر: الخطابي، غريب الحديث، ج٢، ص٤٩٧.
- (٨٥) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٩؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٦١.
- (٨٦) اليعقوبي، البلدان، ص١٨٦؛ ابن شمائل، مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ج٣، ص١١١٧.
- (٨٧) المُعرّس: هو المكان الذي ينزل فيه المسافر اخر الليل، وقيل الذي يسير نهاره ويُعرّس، اي ينزل اول الليل وقيل اخر الليل، اي نزول القوم في سفرهم للراحة والنوم. ينظر: ابن سيدة، المحكم والمحيط الاعظم، ج١، ص٤٧٨؛ مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، ص٥٩٣.

## التعريف بمدينة باجة

(٨٨) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٦٨١؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص٤٦٦.

(٨٩) ابو عبد الله القلشاني: هو محمد بن عبد الله القلشاني الباجي، من علماء مدينة باجة وفقهائها تولى القضاء في باجة، توفي سنة (٥٨٣٦/٤٣٢ م). ينظر: مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج١، ص٣٥٢.

(٩٠) عمر القلشاني: وهو عمر بن محمد بن عبد الله الباجي، عرف بأبو حفص، ولد سنة (٥٧٧٣/٣٧٢ م)، وهو عالم وفقه وشارك في الطب وله مؤلفات عديدة، توفي سنة (٥٨٤٧/٤٤٤ م). ينظر: السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٦، ص١٦٧؛ ابن ابي الضياف، اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان، ج٧، ص٦٢، ٦٣؛ كحالة، معجم المؤلفين التونسيين، ج٧، ص٣١٢.

(٩١) العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج٤، ص١٤٤.

(٩٢) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٩.

(٩٣) الوزان، وصف افريقيا ج٢، ص١٤٥.

(٩٤) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧٠٧؛ بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص٦٠؛ الحمروني، بلاد باجة مدائن ومعالم، ص١١، ٦١.

(٩٥) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص٢٦، ٦٠.

(٩٦) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص٦٠.

(٩٧) ابو حجر، موسوعة المدن العربية، ص٧٤؛ الحمروني، معجم المدائن التونسية، ص٣٦.

(٩٨) الحمروني، الشمال الغربي التونسي، ص١٦.

(٩٩) ينظر الخرائط رقم (١، ٢، ٣) في الملاحق.

(١٠٠) اليعقوبي، البلدان، ص١٨٨؛ البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٨؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٦٠.

(١٠١) الارباض: ومفردها ربض، والربض ماحول المدينة، ومسكن كل قوم ربض اي احياء سكنية او محلات سكنية. ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٣، ص١٠٧٦؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٤٧٧.

(١٠٢) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٧١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣١٤؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٦٠؛ الحميري، الروض المعطار في خبر

الاقطار، ص ٧٥؛ الوزير السراج، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، ص ٢٨٥؛ بن يوسف، الجامع الكبير بباجة، ص ٤٨، ٥١ .

(١٠٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٧٥؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ١٦٠ .

(104) <https://nrme.net/detail987707123.html#tit1>.

(١٠٥) بن يوسف، الجامع الكبير بباجة، ص ٤٨، ٥١ .

(106) <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/باجة/>

(١٠٧) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٧١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤ .

(١٠٨) مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ١٦٠؛ بن يوسف، الجامع الكبير بباجة، ص ٤٨، ٥١ .

(١٠٩) الوزير السراج، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، ص ٢٨٥؛ بن يوسف، الجامع الكبير بباجة، ص ٤٨، ٥١ .

(١١٠) بن يوسف، الجامع الكبير بباجة، ص ٤٨، ٥١ .

(١١١) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٧١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ١٦٠ .

(١١٢) الروض المعطار في خبر القطار، ص ٧٥؛ الوزير السراج، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، ص ٢٨٥؛ بن يوسف، الجامع الكبير بباجة، ص ٤٨، ٥١ .

(١١٣) المظمور: حُفْرَة، أو مكان تحت الأرض قد هبىء خفياً، يُطْمَر فيه طعام أو مال، وتُخبأ فيها الحبوب، والجمع المطامير. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٧، ص ٤٢٤؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٢، ص ٤٣٣ .

(١١٤) الضريح اللوبي البوني: وهو احد اضرحة مدينة دقة يبلغ علوه (٢١ م) ذو ثلاثة طوابق ينتهي بقمة هرمية ويحمل الضريح زخرفة اندثرت منه اجزاء. ينظر: الشاطر، تونس عبر التاريخ، ج ١، ص ١٠٨ .

(١١٥) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٢٤ .

(١١٦) فسيفساء: قطع صغيرة ملوثة من الرُخام أو الحصباء أو الخرز أو غير ذلك، يُضَم بعضها إلى بعض فيكوّن منها صور ورسوم تُزيّن بها أرضية البيت أو جدرانه. ينظر: مصطفى، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٢٨٨ .

## التعريف بمدينة باجة

- (١١٧) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٢٤، ٢٥.
- (١١٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٧١؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٤، ص ٢٥٦؛ بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٢٦؛ بن يوسف، قصبة باجة أو برج المنسي، ص ٢٤.
- (١١٩) البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٧١٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١٤؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٧٥.
- (١٢٠) إفريقياء، ج ٣، ص ٩٦.
- (١٢١) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٢٧.
- (١٢٢) بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٢٦؛ الهولمي، الجامع الكبير بباجة، ص ٤٧.
- (١٢٣) المسالك والممالك، ج ٢، ص ٧١٩.
- (١٢٤) ولمزيد من التفاصيل عن المعلم التاريخي ينظر: بن يوسف، الجامع الكبير بباجة، ص ٤٥ - ٥٢.
- (١٢٥) المغيرة بن ابي بردة الكناني: وهو التابعي من بني عبد الدار بن قصي القرشي كان ممن اوطن إفريقيا، وكان وجهاً من وجوه من بها، وكان على جيش إفريقية الذين غزوا القسطنطينية. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١٨٦؛ ابو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص ٢٢؛ الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج ٢، ص ٢٣٦.
- (١٢٦) المسالك والممالك، ج ٢، ص ٧١٩؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ١٦١، ١٦٢؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٧٥.
- (١٢٧) لمزيد من التفاصيل ينظر: بن شعبان، الاطلس الرقمي لولاية باجة، ص ٢٦، ٢٧.

موقف الامم المتحدة من قضية كشمير  
(دراسة تاريخية)

أ.د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي  
جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم  
التاريخ

٠٧٧٢٦٠٠٣٠٤٧



أ.د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي

## The position of the United Nations on the issue of Kashmir historical study

Mr. Dr. Uday Hatem Abdul Zahra Al-Mafarji

Karbala University - College of Education for Human Sciences - Department  
of History

### Abstract

The issue of Kashmir constituted a preoccupation with the international community since the declaration of India's independence and the formation of the state of Pakistan on August 15, 1947. This issue was a matter of controversy between the two newly emerging states, and even reached military wars between two parties and an intelligence, psychological and ideological conflict. The international community has the need to intervene and put an end to the problems between the two countries.

Thus, the importance of the research appeared in knowing the international efforts in resolving this issue, the diplomatic messages, and the extent of the possibility of countries in reconciliation between the two countries, or if some countries had put the stick in the wheel of international efforts in the pursuit of peace, especially since the Cold War exploited every small and large in the world.

شكّلت قضية كشمير هاجس قلق لدى المجتمع الدولي منذ إعلان استقلال الهند وتشكيل دولة باكستان في ١٥ آب ١٩٤٧ فكانت هذه القضية مثار جدل بين الدولتين الناشئتين حديثاً بل وصل إلى حروب عسكرية بين طرفين وصراع استخباري ونفسي وإيديولوجي وزاد الطين بلل امتلاك الدولتين أسلحة نووية مما شكّل عامل خطر لدى المجتمع الدولي وضرورة التدخل ووضع نهاية للمشاكل بين الدولتين.

وبذلك ظهرت أهمية البحث في معرفة الجهود الدولية في حل هذه القضية والرسائل الدبلوماسية ومقدار إمكانية الدول في الوفاق بين الدولتين أو كانت بعض الدول قد وضعت العصا في عجلة الجهود الدولية في انشاد السلام وبخاصة ان الحرب الباردة استغلت كل صغيرة وكبيرة في العالم. فضلاً عن ذلك أن خطر الإرهاب العالمي استدعى الجهد الدولي لمكافحته والذي كانت بعض خلايا الإسلام السياسي الثوري تظهر ونما في أرض كشمير وبدعم باكستان.

قسمت الدراسة من هذه المقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة ومصادر، تطرق الأول إلى نظرة عامة على ولاية جامو وكشمير والجدور التاريخية للقضية لمعرفة الاسس المجتمعية في ظهور مشكلة محلية تحولت الى قضية دولية، أما الثاني إلى الجهود الدولية لحل قضية كشمير التي شعرت بخطورة الامر بعد التحول الى نزاع عسكري وفتيل ملهب للحرب بين الدولتين، وكان الثالث سلط الضوء الى التطورات السياسية والعسكرية لقضية كشمير وموقف الأمم المتحدة منها وبخاصة بعد ظهور الإسلام الجهادي في طرف الصراع. أما الخاتمة فكانت أبرز استنتاجات البحث.

## المطلب الأول

### نظرة عامة على ولاية جامو وكشمير والجذور التاريخية للقضية

تقع الهند من الناحية الجغرافية على الدرجة (١٧,٣٢) في شمال خط الاستواء ويلامس أسفله الدرجة (٥) في جنوبه , ويسود المنطقة مناخ حار رطب في السواحل والسواحل الجنوبية ويتلطف من الشمال , يحد شبه الجزيرة من الشرق سلسلة من الجبال تتحدر من سلسلة جبال ( هملايا ) وحتى خليج ( البنغال ) وتحده من الغرب روافد نهر الهندوس التي تصب في بحر العرب في ( كراتشي ) , وقد شاءت تطورت السياسة ان تمتد حدود الهند سياسيا إلى ابعد من هذه الحدود الطبيعية إلى خط عرض (٥٨,٣٦) في شمال خط الاستواء والتي تقع ضمنها ولاية (جامو وكشمير) (١) .

تقاليد السكان وعاداتهم ولغتهم أكثر انسجاما مع باكستان التي تقع جنوب كشمير وغربها وشمالها الغربي ولكن يلحظ فيها خليط غريب من الناس فنجد السحنات المنغولية والتبتية والاوزبكية والفارسية والعربية وغيرها , اما مساحة ( جامو وكشمير ) يقدر بـ ( ٨٤٤٧ ) ميلا مربعا من الأراضي الجبلية التي يتخللها سهلان أولهما معروف بوادي كشمير وطوله (٨٤) ميلا وعرضه (٢٥) ميلا تتوسط عاصمته (سرينجار ) الواقعة على ضفتي نهر ( جيلوم ) وثانيهما سهل (جامو ) المتاخم (للبنجاب ) ويمر بقسمه الشرقي (نهر شناب ) وفي غربه نهر ( جيلوم ) الفاصل بين (جامو ) و ( البنجاب ) (٢) .

حدود ولاية ( جامو وكشمير ) من الشمال تركستان ومن الجنوب ولاية البنجاب الهندية بقسميها الشرقي والغربي ومن الشرق جبال (الهملايا ) التي تفصل بينها وبين (هضبة التبت ) ومن الغرب ولايات الحدود الشمالية الغربية الباكستانية التي تمتد من غربها الجنوبي إلى شمالها الغربي , فالصلة بين هذه المنطقة والهند تنحصر في شق صغير من ارض البنجاب الشرقية التي لحقت بالهند على اثر التقسيم في ١٥ آب ١٩٤٧ (٣).

والتركيبة الاجتماعية لولاية ( جامو وكشمير ) تتدرج في حقيقة مهمة كان أساسا قويا في حدة الصراع في ولاية (جامو وكشمير ) وبالتالي اقليمياً بين الهند وباكستان وقلق دولياً , وهي ان المسلمين لا يستطيعون العيش جنباً إلى جنب مع عبدة الأصنام من الهندوس فالمسلمين يؤمنون باله واحد وللهندوس آلهة متعددة منها الآلهة (كالي ) وهي آلهة عارية حالكة السواد ذات لسان احمر فان يمتد ويقطر دما وترتدي عقدا من الجماجم , وزوجها

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

(شيفا) وهو اله الخراب ، ومن الآلهة الهندوسية الأخرى اله (براهما) ذو الرؤوس الثلاثة ، والإله (هانومان) وهو الإله القرد ، والإله (دوروجا) ذات الأيدي العشرة التي تحمل في كل يد أسباب الدمار ، والإله (جانيشا) ذو وجه الفيل الذي يعد المحاسب الإلهي ، والإله (مانيسا) وهي اله تلف الثعابين حول جسدها ، والهندوس يقدسون الثعابين والبقر والفئران ، وهذا يعني أن الهوة بين الهندوس والمسلمين كبيرة ، فالهندوس يعدون المسلمين منبوذين وبالعكس من ذلك ، والجدير بالذكر أن الهندوس بشكل عام يشكلون أكثرية في الهند بنسبة ٨٠% من سكان الهند الذي وضع وصايته على ولاية جامو وكشمير ذو الأكثرية المسلمة<sup>(٤)</sup>.

ظهرت قضية كشمير بعد عرض فيما سبق ذكره من المؤهلات الاجتماعية والجغرافية المساعدة في الصراع السياسي العسكري وتعقدت القضية بعدما ابرم البرلمان البريطاني قانون الاستقلال في ١٨ تموز ١٩٤٧ الذي نص على ما يأتي " تنشأ اعتباراً من ١٥ آب ١٩٤٧ دولتان مستقلتان من طراز الدومنيونات في الهند تعرف أحدهما الهند والأخرى باكستان ولكل دولة حاكم عام يديرها بتعين من قبل الحكومة البريطانية ، أما إقرار أمر الولايات والمقاطعات معلق لأنها كانت مستقلة داخليا في عهد البريطانيين ترتبط بعهود ومواثيق مختلفة مع البريطانيين وعددها (٦٠٠) ولاية ومنها ولاية جامو وكشمير ، وهذه المواثيق ملغاة من تاريخ تأسيس الدولتين ، وأمر التحاق هذه الولايات يكون حسب صلة جوارها وأكثر سكانها وارتباطها اقتصاديا"<sup>(٥)</sup>. وارى ان بريطانيا وضعت بذلك قضية سياسية تستغل في الحسابات الدولية فيما بعد.

اما الطريقة القانونية لهذه الولايات هو الدخول في علاقات فيدرالية نص عليها ( قانون الهند ) لعام ١٩٣٥ او (قانون استقلال الهند ) لعام ١٩٤٧ واللذان نصا بان الأساس القانوني لاستقلال الهند وباكستان حق انضمام أماره وولاية إلى إحدى الدولتين بمقتضى إعلان يصدره حاكم الولاية أو الإمارة والغريب بالإمر ان حاكم ولاية جامو وكشمير هندوسي وضع من قبل بريطانيا ، ولا نعرف السبب الرئيس الذي دفع محمد علي جناح<sup>(٦)</sup> ممثل الحركة السياسية الباكستانية الى تأييد وقرار والاعتراف هذا الأساس القانوني الذي ظم شعب كشمير<sup>(٧)</sup>. ويبدو ان السبب هو الضغوط البريطانية من جهة والبحث عن السلطة من جهة أخرى .

ساند هذا القرار الوفد الوزاري التابع للحكومة البريطانية والتي بدورها قدمت مذكرة إلى رئيس الأمراء في الهند خص الإمارات الهندية في ٢٢ أيلول ١٩٤٦ وجاء فيه " عندما تقوم في الهند البريطانية حكومة أو حكومات تتمتع إما بالحكم الذاتي أو الاستقلال الكامل فان حكومة صاحب جلالة الملك لن تستخدم نفوذها في تلك الحكومات بحيث تجبرها على تنفيذ الالتزامات على حقوق السيادة التي تتمتع بها المملكة المتحدة كما أنها لاتفكر في استبقاء الجيوش البريطانية في الهند لهذا الغرض ولذلك فان حكومة جلالتهم تمشياً مع مقتضيات المنطق ورعاية للرغبات التي تقدمت اليها باسم الولايات الهندية (الإمارات) ستكف عن مالها من حقوق السيادة ومعنى هذا ان الحقوق تتمتع فيها الولايات المنبثقة من صلة الولايات بالتاج لن تضل قائمة وان جميع الحقوق التي كانت قد تنازلت عنها في الأصل للسلطة صاحبة السيادة ستعود اليها وبذلك تنتهي الترتيبات السياسية القائمة عن هذه الولايات من جانب وبين التاج البريطاني والهند البريطانية من جانب آخر , أما ما ينجم عن ذلك من فراغ فيملاً أما بدخول الولايات مع بعضها البعض في علاقة فيدرالية مع الحكومة او الحكومات التي تخلف السلطة صاحبة السيادة في الهند وأما إذا لم يتيسر تحقيق ذلك بعقد اتفاقية خاصة بين هذه الولايات وبين الحكومة او الحكومات التي تقوم في الهند<sup>(٨)</sup> . وهذا الأمر يشير إلى ابتعاد الحكومة عن جوهر القضية ووضع آلية معينة لتلك الولايات ومنها (جامو وكشمير ) مثل الفيدرالية والاتفاقية المتبادلة التي لا تعد حلول كافية لقضية هذه الولايات التي وقع بعض شعوبها مثل جامو وكشمير في ظلم واقصاء وتهميش وعدم الامتثال لرغباتهم .

حاولت باكستان ممارسة الضغط العسكري والاقتصادي والإعلامي حتى تجبر سكان ولاية جامو وكشمير على إعلان الانضمام اليها. فكان الحصار الاقتصادي بمنع المواد الغذائية والوقود وغيرها من الوصول , ووضعت العراقيل في طريق المواصلات , و حالت دون انتقال الناس من جهة إلى أخرى , والضغط العسكري منها الغارات على حدودها , واخذ الرعايا الباكستانيون يتسللون اليها من الجهات الباكستانية المتاخمة لها , ولم يحل شهر تشرين الأول ١٩٤٧ حتى اخذ المغربون من التسلل إلى جهات (ميربور) وكانوا مسلحين بأسلحة حديثة , وفي ١٥ تشرين الأول ١٩٤٧ بدأ الحصار على حصن (أوين ) واشترك في هذه العملية (٥٠٠٠) من المغربين الباكستانيين ولم يكذ ينقض يوم ٢٢ تشرين الأول ١٩٤٧ حتى كانت هذه التسللات والغارات قد تحولت إلى هجوم عسكري شامل<sup>(٩)</sup>.

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

قام الكشميريون بتشكيل هيئات للمقاومة الشعبية لوقف تيار المغيرين من التغلغل في بلادهم ولكن المغيرين تمكنوا من الوصول في ٢٧ تشرين الأول ١٩٤٧ إلى نقطة لا تبعد عن (سرينكار) إلا أربعة أميال ونصف وبالتالي هبت حكومة (جامو وكشمير) وعلى رأسها المهراجا إلى الاستجداد بالحكومة الهندية برسالة عاجلة وملحة تطلب فيها قبول الانضمام إلى الهند، وقبلت حكومة الهند الرسالة والموافقة على الانضمام وبتأييد (مؤتمر كشمير الوطني) وتوقيع وثيقة الانضمام التي أصبحت بموجبها الهند من الناحية القانونية والدستورية ملزمة بالدفاع عنها فأرسلت قوات عسكرية إلى ولاية (جامو وكشمير) <sup>(١٠)</sup>. وهنا تأزمت القضية وبخاصة بعد مخاطبة الحكومة الهندية بكتاب للحكومة الباكستانية في ٢٢ كانون الأول ١٩٤٧ تطالب فيه

- ١- توضيح ما معنى إن الإمدادات والمساعدات التي يلقاها المغيرون هي باكستانية .
- ٢- تحريم مرور المغيرون من الأراضي الباكستانية واستخدام الأراضي الباكستانية قواعد لعملياتهم .
- ٣- يجب إن يحرم التزود بالمؤن والمواد العسكرية من باكستان.
- ٤- يجب إن يحرم الحصول على أية مساعدات أخرى من شأنها تعطيل مدة البقاء .
- ٥- الحصول على رد واضح على هذا الخطاب . ولم ترسل الحكومة الباكستانية أي رد فأرسلت الحكومة الهندية في ٣١ كانون الأول ١٩٤٧ كتابا تؤكد فيه ان القضية قد تحولت بإرادتها إلى مجلس الأمن الدولي <sup>(١١)</sup> .

### المطلب الثاني

#### الجهود الدولية لحل قضية كشمير

بعث مجلس الأمن الدولي لجنة تمكنت من الوصول الى (اتفاق) بين الهند وباكستان وفق قراراتين الاولى في ١٣ اب ١٩٤٧ والثاني في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٩ ، ونصوص الاتفاق الدولي

- ١- وقف اطلاق النار ورسم خطوط وقف اطلاق النار .

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

٢- الاتفاق على هدنة تنص على انسحاب رجال القبائل والمواطنين الباكستانيين الذين دخلوا ولاية (جامو وكشمير) لمقاومة الزحف الهندي، وانسحاب القوات الباكستانية ومعظم الجيش الهندي في وقت واحد، وإجراء استفتاء تحت إشراف دولي ورقابة مدير الاستفتاء<sup>(١٢)</sup>.

نص الاتفاق الدولي أيضا ان يكون بعد التوقيع على الاتفاقية أن تعقد بين (الهند وباكستان) اتفاق يضمن حرية الاستفتاء وإبداء الرأي في ولاية (جامو وكشمير) (١٣).

ولم تنفذ هذه القرارات ما عدا القرار الأول وكان السبب مطالبة الهند بضرورة تسريح (جيوش كشمير الحرة) وتجريدها من السلاح وهي قوات موالية لباكستان<sup>(١٤)</sup>، ومن جانب آخر فإن باكستان عارضت سحب وتسريح هذه الجيوش ما لم يتم تنفيذ الاستفتاء<sup>(١٥)</sup>. فأصبحت قضية كشمير في دور التدهور من جديد والمسعى الاممية لم تستطع حل هذه القضية الدولية.

وفي زوايا مجلس الأمن الدولي كان رئيس الوفد الهندي (غوبالا سوامي) الذي قال في معرض الحديث عن تحويل القضية إلى مجلس الأمن "أن الهند بقبولها الضم رفضت إن تستغل الأزمة الفورية التي وجدت الولاية نفسها فيها وأبلغت الحاكم بشأن الضم يجب ان يحسم نهائيا بواسطة استفتاء طالما يعود الأمن والنظام"، وقال "ان قضية مصير كشمير ومستقبلها ازاء جيرانها والعالم عامة... اعترفنا بأنها تخص شعب كشمير الذي يحق له ان يقرر كل ما يريد"<sup>(١٦)</sup>.

وقد أعلنت الحكومة الهندية في (كتابها الأبيض) الذي أصدرته في عام ١٩٤٨ بأنها تعد هذا الضم مؤقتا حتى يحين الموعد الذي تقرر فيه رغبة الشعب كما أنها أذاعت بيانا صادرا عن رئيس الوزراء (نهر) (١٧) أكد فيه "لقد قررنا قبول هذا الضم وإرسال قوات بطريق الجو ولكننا اشترطنا ان يعيد شعب كشمير النظر في الضم عندما يعود الأمن والنظام" وقال في بيان سياسة وموقف الهند من القضية "وهنا دعوني أوضح ان سياستنا كانت دائما حينما يكون هناك نزاع حول انضمام ولاية ما إلى احد الدوليين فان القرار النهائي يجب ان يصدر عن شعب الولاية ووفقا إلى هذه السياسة أضفنا نصا إلى وثيقة انضمام كشمير قلنا فيه لقد اعلنا ان مصير كشمير يجب ان يقرر في النهاية بواسطة شعبها، لقد قطعنا على أنفسنا هذا الوعد ولقد أيده المهرجا لا لشعب كشمير فحسب بل للعالم بأسره واننا لن نتراجع ولا نستطيع ان نتراجع عن وعدنا هذا وإننا على استعداد عندما يعود الأمن

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

والسلام لإجراء الاستفتاء تحت إشراف هيئة دولية مثل الأمم المتحدة ، وإنما نريد انعكاساً عادلاً وصحيحاً لرأي الشعب وإنما سنقبل قرارهم واني لا أتصور عرضاً آخر أكثر إنصافاً وعدالة<sup>(١٨)</sup> . وهو أمر يؤكد نمو وتصاعد الدبلوماسية الهندية تجاه المساعي الدولية لحل القضية .

ترجع جذور التعقيد السياسي في الصراع بين الهند وباكستان إلى الحزبين الرئيسيين وهما (حزب المؤتمر ) و(الرابطة الإسلامية) اللذان كانا يصارعان القوى الاستعمارية البريطانية وبعد خروج بريطانيا واعترافها بالاستقلال في ١٥ آب ١٩٤٧ تعارضتا فيما بينهما بالنسبة للوضع الدستوري المقبل في الإمبراطورية الذي انعكس على ولاية جامو وكشمير إذ تمسك (المؤتمر ) ذو الأكثرية الهندوسية بوحدة الهند وتمسكت (الرابطة) ذات الأكثرية المسلمة بالتقسيم إلى دولة هندية ودولة إسلامية ، ونالت الرابطة في النهاية مرادها فظهرت دولتان هما (الهند وباكستان )<sup>(١٩)</sup> . والذي زاد من شأن الصراع هو الأهمية الاستراتيجية لولاية جامو وكشمير بالنسبة للهند هي:-

١- تعدها عمقا استراتيجيا أمام الصين وباكستان .

٢- تنظر إليها كامتداد جغرافي وحاجز طبيعي مهم أمام فلسفة الحكم الباكستاني الإسلامية التي تعدها نابعة على أسس دينية مما يهدد الأوضاع الداخلية في الهند ذات الأقلية المسلمة الكبيرة العدد في الوقت نفسه.

٣- تخشى الهند إذا سمحت لكشمير وجامو بالاستقلال على أسس دينية أو عرقية ان تفتح بابا لا تستطيع غلقه أمام الكثير من الولايات الهندية التي تغلب فيها عرقية معينة أو يكثر فيها معتنقو ديانة معينة .

أما أهمية ولاية جامو وكشمير الاستراتيجية بالنسبة لباكستان فهي :-

١- تعد منطقة حيوية لأنها وذلك لوجود طريقين رئيسيين وشبكة للسكة الحديد في منطقة (سرحد) شمال شرق (البنجاب) تجري بمحاذاة كشمير .

٢- ينبع من الأراضي الكشميرية ثلاثة انهار رئيسية للزراعة في باكستان مما يجعل احتلال الهند لها تهديدا مباشرا للأمن المائي لباكستان<sup>(٢٠)</sup> .

ان هذه الاهمية الاستراتيجية لكلا البلدين لم ينظر لها في المساعي الدولية في حل القضية واقتصر على جانب واحد وهو الرهان على الاستفتاء الشعبي. وفي المقابل كان الباكستانيون يضغطون ويوجهون سياستهم عن طريق إحدى ولايات كشمير وتدعى (كليكيت) وهي إحدى مدن كشمير المسلمة الحرة لاطلاع فيها الرأي العام الإسلامي بخاصة والعالمي عامة على وجهة نظر باكستان في نزاعها مع الهند , ومنها ما قام به رئيس وزراء باكستان (لياقت علي خان) عندما زارها في ٢٩ أيلول ١٩٤٩ فألقى خطابا مصورا للناس يؤكد فيه بان حكومة باكستان تعمل لأجل السلام والأمن في المنطقة وقام بفضح دور المهراجا حاكم كشمير وعلاقته مع حكومة الهند , وأكد بان كشمير وباكستان شعب واحد ووحدة جغرافية غير قابلة للتجزئة<sup>(٢١)</sup> .

اصدر مجلس الأمن الدولي في سبيل مواجهة التصعيد الدبلوماسي المتطرف بتاريخ ١٤ آذار ١٩٥٠ اقراره المرقم (٨٠) الخاص بقضية كشمير وقدمته كل من (كوبا والنرويج وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ) وكان تحت رقم (س١٤١٩) ومن نصوصه إن أفضل حل للجنة الأمم المتحدة للهند وباكستان هو تعيين وسيطا واحد لتسوية الخلافات حول نزع السلاح وتحديد موعد للاتفاق على هذا الموضوع وقد اختير قاضي استرالي وهو السير (اوين دكسن ) للقيام بهذه المهمة بموافقة الطرفين فعقد سلسلة من المحادثات الثلاثية(الأمم المتحدة والهند وباكستان) في دلهي اشترك فيها رئيس وزراء الهند وباكستان وقد عرض رئيس وزراء باكستان (لياقت علي خان ) نيابة عن حكومته انسحاب جميع القوات الباكستانية من كشمير وتخفيض عدد قوات (كشمير الحرة ) شريطة ان توافق الهند على عمل الشيء نفسه فيما يتعلق بجيشها المرابط في الولاية وقوات المهراجا وقوات الولاية بل انه ذهب إلى ابعد من ذلك فوافق على سحب القوات الباكستانية في يوم معين وعدد محدود من الأيام ولكن حتى هذا الاقتراح لم يكن مقبول من قبل الهند فقد عاد نهرو نغمة الضم القانوني لكشمير وشرعيته وفي الوقت نفسه كان الموقف الدولي من هذا القرار(٨٠) بعد جهود اللجنة الثلاثية التي دعمت جهود باكستان هو التصويت بالشكل التالي (مؤيدون ) " الصين وأكوادور وفرنسا وكوبا والنرويج وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية " و (المعارضون ) " لا احد " والممتنعون " الهند ويوغسلافيا " و ( المتغيبون ) الاتحاد السوفيتي السابق "<sup>(٢٢)</sup> .وبالمقابل اتهم نهرو الدعاية الباكستانية المنتشرة في أرجاء غربي باكستان التي تخص ولاية جامو وكشمير ووصفها بأنها سامة تبث باسم الدين وتبعث على الكراهية والعنف والحرب<sup>(٢٣)</sup>.وهنا الدبلوماسية الهندية اخذت موقف المتشدد.

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

واصدر مجلس الأمن الدولي قراره المرقم (٩١) في عام ١٩٥١ المتعلق بقضية كشمير بجهود المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية في ٣٠ آذار ١٩٥١ وبوثيقة تحت الرقم (س٢٠١٧) والذي دعا الفريقين في حالة فشل مناقشتهما مع ممثل الأمم المتحدة في التوصل الى اتفاق كامل فسوف تتحول كقضية للتحكيم الدولي حول جميع نقاط الخلاف البارزة وفقا للفقرة التي تنص بتكليف ممثل الأمم المتحدة بان يقدم تقريرا ضمن ثلاثة أشهر من تاريخ وصوله إلى شبه القارة الهندية , وكان المصوتون كما يأتي (المؤيدون) "البرازيل والصين وأكوادور وفرنسا وهولندا وتركيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية" و(المعارضون) "لا احد" و(الممتنعون) " الهند ويوغسلافيا والاتحاد السوفيتي" (٢٤) .

اتخذ مجلس الأمن الدولي قرارا رقم (٩٨) الذي صدقه مجلس الأمن الدولي برقم (٦١١) بتاريخ ٢٣ كانون الأول ١٩٥٢ والوثيقة تحت رقم (س ٢٨٨٣) والذي نص على عودة حكومتي الهند وباكستان في الدخول بمفاوضات عاجلة تحت إشراف مندوب الأمم المتحدة للهند وباكستان للوصول إلى اتفاق بشأن العدد المحدد للقوات الذي سيبقى على كل من جانبي خط وقف إطلاق النار بعد انتهاء مدة تجريد الولاية من السلاح وان يتراوح هذا العدد بين (ثلاثة آلاف وستة آلاف) جندي من القوات المسلحة في الجانب الباكستاني من خط وقف إطلاق النار ويتراوح بين (اثني عشر ألف وثمانية عشر ألف جندي) من القوات الهندية على الجانب الهندي من خط وقف إطلاق النار , ووافقت باكستان على هذا القرار ورفضته الهند , وكانت نتائج التصويت كما يأتي (المؤيدون) "البرازيل وتشيلي والصين وفرنسا واليونان وهولندا وتركيا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية" و(المعارضون) (لا يوجد) و(الممتنعون) " الاتحاد السوفيتي " وعضوا واحدا لم يشارك في الاقتراع وهو "باكستان" (٢٥).

صدر في شهر آب من عام ١٩٥٣ بيان مشترك من رئيس حكومتي الهند وباكستان جاء فيه " لقد اتفق الطرفان بأن قضية كشمير ينبغي ان تحل بشكل يضمن رفاه سكانها ولا يسبب اضطراب ممكن لحياة سكان الولاية وان أفضل وسيلة ممكنة لمعرفة رغبات السكان هي عن طريق إجراء استفتاء حر نزيه , وتقرر تعيين مشرف على الاستفتاء في نهاية شهر نيسان من عام ١٩٥٤" (٢٦) . ويبدو انها محاولة منهما لكسب الوقت وتخفيف الضغط الدولي.

وفي الوقت نفسه قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإدخال قارة آسيا في سلسلة من التحالفات العسكرية ومنها باكستان قاصدة بذلك الحيلولة دون انتشار الشيوعية وأخذت هذه

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

البلدان بالمساعدات العسكرية والاقتصادية<sup>(٢٧)</sup>. وكان رد فعل الهند في تغيير الوضع السياسي بأجمعه وبخاصة ما يتعلق بقضية كشمير، إذ أرسل رئيس الوزراء الهندي (نهر و) إلى الحكومة الباكستانية في ٥ آذار ١٩٥٤ ما نصه "ان القرار القاضي بمنح هذه المساعدة لباكستان قد غير مجمل الوضع في قضية كشمير وان هذه المحادثات الطويلة التي أجريناها حول هذه القضية لا تتصل بالحقائق الناتجة عن هذه المساعدة" لذا قطع (نهر و) جميع المفاوضات في شهر أيلول من عام ١٩٥٤، رغم ان الهند سبق وان دخلت في تحالف عسكري مع الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥١!<sup>(٢٨)</sup>. وهو أمر يؤكد المراوغة الدبلوماسية التي تنتهجها الهند في قضية كشمير .

اتجهت الهند إلى منظمة دول عدم الانحياز<sup>(٢٩)</sup>. للابتعاد عن الأطراف الدولية الضاغطة على الهند مع الإدراك ان الغرب هو المسيطر الفعلي على منظمة هيئة الأمم المتحدة، وبخاصة ان فلسفة عدم الانحياز نبعت عند دول ومنها الهند من كراهية الاستعمار الأوربي ومن أدراك عميق لمدينة وحرية قارة آسيا ومن الإيمان بان هذه القارة بقيت مهملة زمن طويل<sup>(٣٠)</sup>. وهنا توظيف اخر لمنظمة دولية اخرى في قضية كشمير وعرضها بشكل واضح كورقة ضغط .

كانت باكستان متمسكة بالمنظمة الدولية هيئة الأمم المتحدة اذ طالب وزير خارجية باكستان (فيروز خان) في يوم ١٦ كانون الأول ١٩٥٧ أمام منصة مجلس الأمن الدولي باتخاذ إجراءات وفق الاسس التالية:-

١- مطالبة الهند بالامتناع عن قبول التغيير الذي نص عليه الدستور الجديد الذي اتخذته الجمعية التأسيسية في سرينكار .

٢- القيام بمقتضى المادة (٣٧) من ميثاق الأمم المتحدة بتفسير التزامات الأطراف وفق الشروط الاتفاقية الدولية الخاصة باجراء استفتاء كما تضمنتها قرارات الأمم المتحدة . وأكد ان التجريد من السلاح هو شرط ضروري سابق لإجراء الاستفتاء الحر<sup>(٣١)</sup>.

وفي ضوء ذلك قرر مجلس الأمن الدولي في ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٧ قراره رقم (١٢٢) في جلسة (٧٦٥) ذكر فيه "ان قرارات الأمم المتحدة السابقة تنهل من حق تقرير المصير النهائي لولاية جامو وكشمير الذي سيقدر وفق رغبة الشعب التي يجب يتم الإعراب عنها بواسطة الوسائل الديمقراطية وهو الاستفتاء الحر النزيه تحت إشراف الأمم المتحدة، والإعلان عن دعوة جمعية تأسيسية للانعقاد وأوصى بذلك المجلس العام للمؤتمر الوطني

لعموم جامو وكشمير الذي سيقدر وفق رغبة الشعب التي يجب ان يتم الإعراب عنها بواسطة الوسائل الديمقراطية ، وهو الاستفتاء الحر النزيه تحت إشراف الأمم المتحدة ، والإعلان عن دعوة جمعية تأسيسية للانعقاد ، وأوصى بذلك المجلس العام للمؤتمر الوطني لعموم جامو وكشمير ، وأي إجراء اتخذته تلك الجمعية او تحاول اتخاذها لتقرير مستقبل أو شكل او ارتباطات الولاية بأسرها او جزء منها او أي من قبل الفرقاء المعنيين تأييدا لمثل هذه الإجراءات من قبل الجمعية لا يمكن ان يشكل تقريبا لمستقبل الولاية وفقا للمبدأ السالف الذكر ونص ان يقرر اهتمامه بالنزاع " (٣٢). وكان التصويت (المؤيدون) "استراليا والصين وكولمبيا وكوبا وفرنسا والعراق والفلبين والسويد وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية " (المعارضون لا يوجد)، (المتنعون الاتحاد السوفيتي) (٣٣).

اتهمت الهند موقف باكستان في قضية الحدود الهندية - الصينية فقد رفض الجانب الصيني من خلال المباحثات التي جرت على مستوى رسمي بحث الحدود في (القطاع الغربي) الى الغرب من ممر (كارا كورام) في كانون الاول ١٩٦٠ والتي تفصل الصين وبين جزء من ولاية جامو وكشمير الذي تسيطر عليه باكستان ، وبذلك أخذت الحكومة الصينية تشكك لأول مرة في شرعية انضمام تلك الولاية الى الهند ، وحتى عام ١٩٦٢ أعلنت الحكومتان الصينية والباكستانية بالعزم بالدخول في مفاوضات بغية تحديد خط الحدود الممتد الى الغرب من ممر (كار كورم) وقد سارعت الحكومة الهندية إلى إبلاغ الصين بان الاتحاد الهندي وحده هو صاحب السيادة على جميع أرجاء ولاية جامو وكشمير وان أي اتفاق يتم مع باكستان عكس ذلك فهو غير شرعي (٣٤). إلا ان هذا الأمر يؤكد على حقيقة نمو الدبلوماسية الباكستانية في تصعيد القضية وإشراك دولة ثالثة في الصراع ضد الهند .

وكانت المحادثات الدبلوماسية المباشرة من كلا الطرفين في محاولة لحل القضية قد بدأت منذ شهر كانون الأول ١٩٦٢ وحتى شهر أيار ١٩٦٣ اذ عقد وزيراً خارجية باكستان والهند السيد ( ذو الفقار بهوتو ) والسردار (سوارن سنغ) ست جلسات من المحادثات وذلك بناء على بادرة من الرئيس الباكستاني (أيوب خان) ولكن هذه المحادثات فشلت فأعلنت الهند تجميد الموقف (٣٥) . وكررت باكستان هذا الامر في شهر حزيران ١٩٦٤ عندما أصبح (لال بهادر شاستري) رئيساً لوزراء الهند ، اذ بدأت مساعي باكستانية لجس النبض من جديد في عقد قمة هندية - باكستانية ولم يأتي رد مباشر من الهند (٣٦). في محاولة الابتعاد عن الجهود الخارجية الدولية وحل القضية بين الهند وباكستان فقط.

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

رجعت الجهود الدولية من جديد وكان المبادر الأول لها من طرف باكستان والسبب لانهم كانوا ينظرون إليها بعد فشل المفاوضات المباشرة بالرجوع الى ان القضية دولية , وعبر عن ذلك وزير خارجية باكستان (ذو الفقار علي بهتو) في جلسة مجلس الأمن في شباط ١٩٦٤ اذ قال "... ان التدهور الخطير في العلاقات بين الهند وباكستان , اذا اعتبرنا ان النزاع يشمل سدس الجنس البشري ... " (٣٧) وهي محاولة لتدويل القضية فضلا عن ذلك انتهاج سياسة التصعيد الدبلوماسي .

وبذلك وضع وزير خارجية باكستان أمام مجلس الأمن الدولي إجراءات الهند في الضم واتهم (بخشي غلام محمد ) الحاكم الجديد لولاية جامو وكشمير القيام بمجموعة من الإجراءات منها :-

- ١- تغيير لقب صدر الرياسة الى لقب حاكم.
- ٢- تغيير لقب رئيس الوزراء الى كبير الوزراء اسوة بالمقاطعات الهندية .
- ٣- قيام رئيس الوزراء الجديد بتشكيل حكومة مكونة من سبعة هندوس على الرغم من ان الأغلبية من المسلمين.
- ٤- طرد أكثر من مئة (١٠٠) موظف حكومي واستبدالهم بأشخاص تابعين للحكومة الهندية ممن يملكون نظرة علمانية وقومية ووحودية أكثر.
- ٥- قيام (مستر ناناندا) وزير الداخلية الهندي في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٣ بإجراءات غير قانونية من وجهة نظر باكستان وهي:-
  - أ- دمج المهنتين القضائية والطبية في كشمير مع أمثالها في الهند .
  - ب- اختيار و(تعيين) ممثلين عن جامو وكشمير في (لوك سابها ) " البرلمان الهندي " عن طريق الانتخاب المباشر كما هو الحال في المقاطعات الهندية .
  - ج- تعيين صدر رئاسة في جامو وكشمير (حكما عاما) لها كما سيعين رئيس وزرائها (كبير الوزراء) وسيتم استصدار التشريعات بوضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ خلال الدورة التالية للمجلس التشريعي للولاية (٣٨). ويبدو ان الحكومة الهندية عازمة على تنفيذ ضم الولاية بشكلها الإداري والقانوني .

اثر هذا التصعيد من قبل طرفي النزاع .اذ كان التوتر الذي قد وقع في مجسد (حضرة بال ) بسبب سرقة شعرة النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم ) قد أثارت ردت

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

فعل وحوادث مؤسفة في ٣ كانون الثاني ١٩٦٤ ضد الأقلية الهندوسية في منطقتي (خولنا وجيسور) بباكستان الشرقية واتهم (ذوالفقار علي بهرتو) الصحافة الهندية زيادة التوتر بين الهند وباكستان<sup>(٣٩)</sup>، وزاد التوتر الى درجة الخطورة على السلام والاستقرار في جنوب شرقي آسيا<sup>(٤٠)</sup>.

ردت الهند عن طريق رئيس وفدها (محمد علي شاغلا) الذي خطب في مجلس الأمن الدولي في ٥ شباط ١٩٦٤ ضد اتهامات بهرتو اذ قال " ان دولتنا علمانية ومجتمعنا سيقوم على المساواة حيث يتمتع كل فرد بالمساواة في الحقوق والفرص وحماية القانون له، ليس للدولة دين رسمي، الهندوس والمسلمون والمسيحيون والبوذيون والسيخ وغيرهم لهم الحرية الكاملة في العبادة، والحقوق الأساسية التي نص عليها الدستور مضمونة لكل مواطن"<sup>(٤١)</sup>.

واتهم (محمد علي شاغلا) باكستان بتعظيم حادثة (مسجد بال) في محاولة منها الى إثارة الشعور الإسلامي واستشهد بخطاب الرئيس الباكستاني (أيوب خان) في ٤ كانون الثاني ١٩٦٤ الذي قال فيه " ان سرقة الشعرة المقدسة مؤامرة سياسية مدروسة لإخضاع المسلمين في كشمير المحتلة لآثام أخرى اضع وأكثر "<sup>(٤٢)</sup>، وهو أمر يؤدي إلى هياج الرأي العام وتعقيد قضية كشمير.

وكرر وزير خارجية باكستان في مجلس الأمن الدولي مطالبته بكشمير ووظفت باكستان الدين بعد إطلاق الشيخ (محمد بن عبد الله) الملقب بـ (أسد كشمير) يوم ٣ نيسان ١٩٦٤ حملة جمع على اثرها الحركة الوطنية المغلفة بالإسلام السياسي وأعلنوا:

- ١- ان موافقة المهراجا ١٩٤٧ كانت مؤقتة وخاضعة للاستفتاء.
- ٢- ان أي حل لقضية كشمير مبني على خط وقف إطلاق النار.
- ٣- دعوة الهند وباكستان والأمم المتحدة احترام حق شعب كشمير في تقرير المصير.
- ٤- ان الانتخابات في ولاية جامو وكشمير كانت تلاعبا وزيفا وخداعا.
- ٥- ان الخطوات التي أخذت او التي فكرت بها الهند لضم الولاية إلى الاتحاد الهندي باطلة<sup>(٤٣)</sup>.

ودعا (ذو الفقار علي بهرتو) الى ضرورة الاستفتاء لتقرير المصير واستدعاء الشيخ (محمد بن عبد الله) إلى مجلس الأمن الدولي ليشرح ظروف قضية كشمير<sup>(٤٤)</sup>. وهو يدل على تزايد النشاط الدبلوماسي الباكستاني واستخدام ورقة الاسلام السياسي.

ردت الحكومة الهندية عن طريق رئيس وفدها (محمد علي شاغلا) في ١٠ شباط ١٩٦٤ برفضها لفكرة إجراء الاستفتاء والعمل الديني الذي تلوح به باكستان وقال "إننا ننكر ونشجب أية فلسفة تسعى لربط القومية بالدين وان الفلسفة الأساسية التي تركز عليها بلادنا والذي يقوم عليها دستورنا هي مجتمع متعدد الأجناس يستطيع ان يعيش فيه أفراد ذوي ديانات مختلفة بسعادة ويعملون معاملة متساوية" (٤٥).

### المطلب الثالث

#### التطورات السياسية والعسكرية لقضية كشمير وموقف الأمم المتحدة منها

ازداد التوتر يوم بعد يوم بين الدولتين الهند وباكستان وسبق وان عبر عن هذا الشعور المتنامي (نهرو) ووصفه " ... ولكن ثمة امر مؤكد وهو ان الخصام لم يأتي بأي نتيجة وطالما لا توجد محاولة لحسم الخلاف فان مستقبل الهند وباكستان سيبقى غارقا في طوفان من الشرور النابعة من قضية كشمير" (٤٦).

وعاد التوتر بين الجانبين فحاول الباكستانيون دعم المقاتلين الكشميريين وأخذت الأحداث تخرج من نطاق السيطرة وتتابع بصورة درامية لتأخذ شكل الحروب بين الدولتين في اوائل أيلول ١٩٦٥ واستمرت لمدة (١٧) سبعة عشر يوما ولم يتحقق فيها نصرا حاسما وانتهت الحرب بعد جهود دولية (٤٧). اذ اصدر مجلس الأمن الدولي قرار (٢١١) في جلسة (١٢٤٢) بتاريخ ٢٠ أيلول ١٩٦٥ وقرر ما يلي:-

١- تنفيذ وقف إطلاق النار يوم الأربعاء المصادف ٢٢ أيلول ١٩٦٥ في الساعة السابعة صباحا (حسب توقيت غرينتش) سحب القوات إلى نقاط ما قبل ٥ آب ١٩٦٥ .

٢- دعوة السكرتير العام لمجلس الأمن الدولي إلى توفير المساعدات الكافية لضمان الإشراف على وقف إطلاق النار وسحب القوات المسلحة .

٣- دعوة جميع الدول إلى الامتناع عن كل عمل من شأنه ان يؤدي إلى زيادة الوضع سوءا في المنطقة .

٤- يقرر أن يبحث بأسرع وقت ممكن ما اذا كانت الفقرة العملية (١) قد طبقت ونفذت (٤٨).

ونقلا عن مجلة ( نيوزك ويك ) ( أخبار الأسبوع اللندنية ) في ٢٧ أيلول ١٩٦٥ في وصف الحرب " وعلى كل حال فقد كان الهنود يلجئون إلى المزيد من الهجمات الجوية على المراكز المدنية , فصباح ذات يوم مثلا هاجمت طائرات هندية نفاثة سوفيتية الصنع من طراز ميغ (٢١) مدينة سيالكوت المزدهمة بالسكان وأسقطت قنبلة زنة ألف رطل على مركز المدينة وكان الدمار والبؤس اللذان تخلفا عن ذلك كبيرين جدا<sup>(٤٩)</sup> .

وتحدث المندوب السوفيتي (اندرية غروميكو ) ووزير الخارجية عن قضية الحرب في قاعة مجلس الأمن الدولي بأنها أحداث تدعو للقلق ومن الضروري حلها<sup>(٥٠)</sup> , وقال المندوب الأمريكي بعقدة القضية وعمقها وهي حقيقة , وأكد بان وقف النار هي خطوة أولى اذ من الضروري ان تتبعها خطوات وتسويات وحلول جذرية مشرفة في سبيل قيام سلام دائم في شبه القارة الهندية<sup>(٥١)</sup> .

تعمق التياران الإسلامي والقومي العلماني في القضية الكشميرية بعد التقسيم (١٩٤٧) وانقسمت الخريطة السياسية إلى أحزاب سياسية تتجه وسائل المقاومة السياسية لتحقيق أهداف وجماعات جهادية عسكرية تؤمن باستخدام السلاح .

### الأحزاب السياسية

أ- (الأحزاب التي تؤيد الانضمام إلى الهند ) وهي أحزاب يغلب عليها الطابع القومي العلماني وتهدف إلى الانضمام إلى الهند وهي:-

١-المؤتمر الكشميري القومي : يترأسه الدكتور( فاروق عبد الله ) ويؤمن بان كشمير جزء من الهند غير انه يطالب بحكم ذاتي واسع .

٢-المؤتمر القومي الهندي: لا يختلف توجهاته عن المؤتمر القومي الكشميري؛ اذ ينادي بانضمام كشمير إلى الهند ويلاحظ على هذين الحزبين قلة الشعبية في كشمير .

ب- ( أحزاب مستقلة ) وهي التي تنادي بالاستقلال وعدم الانضمام للهند وباكستان أهمها:-

١-جبهة تحرير جامو وكشمير : ويترأسها السيد (ياسين ملك ) وأسست عام ١٩٦٥ وتطالب هذه الجبهة باستقلال كشمير عن الهند وباكستان وأفرادها ينشطون على جانبي خط الهدنة ولها جناح عسكري يسمى جبهة التحرير يرأسه (رفيق دار )<sup>(٥٢)</sup> .

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

٢- المؤتمر الشعبي : ويرأسه السيد (عبد الغني لون ) ويطالب بالاستقلال عن كل من الهند وباكستان وله جناح عسكري يدعى (البرق ) يرأسه السيد (بلال رحيم ) وعرف عن هذا التيار بانخفاض الشعبية في كشمير .

٣- الجبهة الشعبية الديمقراطية : يترأسها السيد (شير احمد شاه ) ويدعو هذا الحزب إلى الاستفتاء العام وبضرورة قبول نتيجته , وله جناح عسكري اسمه (مسلم جانباز فورس ) يقوده السيد (محمد عثمان ) وهو كسابقه لا يتمتع بشعبية .

ج - (الأحزاب التي تؤيد الانضمام لباكستان ) وهي أحزاب تقوم برامجها السياسية على فكرة رئيسية مفادها الانضمام الى باكستان وهي:-

١- الجماعة الإسلامية : ويترأسها السيد (غلام محمد بت ) وتعتمد فضلا عن نشاطها السياسي التربية والتعليم للحفاظ على الهوية الإسلامية لشعب كشمير وبرز قاداتها ( محمد علي الجيلاني ) .

٢- مؤتمر مسلمي كشمير: أسس عام ١٩٨٧ ويترأسه عبد الغني بت ويهدف إلى تخليص كشمير ممن يطلق عليه الاحتلال الهندي والانضمام إلى باكستان.

٣- حزب رابطة المجاهدين : ويترأسه السيد (نصرت عالم ) وله جناح عسكري ويدعى (حزب الله ) ويقوده السيد (اشتياق احمد ) ولا يتمتع بشعبية كبيرة في كشمير .

٤- اللجنة الشعبية القومية : ويترأسها السيد (مير واعظ عمر فاروق ) ولهذا الحزب شعبية في (سيريجنار) وله جناح عسكري يسمى (عمر مجاهدين ) .

٥- حركة تحرير جامو وكشمير: ويرأسها السيد (سعد الله تانثري ) ونشاطها في إقليم جامو .

٦- جمعية اهل الحديث في كشمير: ويترأسها (مولانا طاهري ) وله جناح عسكري يسمى (تحريك المجاهدين ) يرأسه الشيخ (عبد الله الغزالي ) والشيخ (جميل الرحمن) وعمله عسكري محدود (٥٣) .

### الجماعات المسلحة

وهي تكوينات سياسية انتهجت أسلوب المقاومة المسلحة بهدف التخلص مما تعدده الاحتلال الهندي لكشمير وتسعى إلى الانضمام إلى باكستان ولا يوجد لأغلبها قواعد ثابتة في باكستان للتدريب والإدارة وهي :-

١- حزب المجاهدين : أسس عام ١٩٨٩ بقيادة السيد (صلاح الدين) ويضم عشرة آلاف مسلح واغلبهم من الكشميريين .

٢- جماعة معسكر طيبة : وهي جماعة سلفية جهادية أسست عام ١٩٩٥ برئاسة البروفسور (حافظ سعيد) وتضم أكثر من ستة آلاف مقاتل ويطلق عليها أحياناً (شكر طيبة) وبعد أن أدرجتها الولايات المتحدة ضمن قائمة الجماعات الإرهابية فانقسمت في داخلها إلى قسمين الأول (دعوي) بقيادة حافظ سعيد والثاني (عسكري) بقيادة عبد الواحد كشميري .

٣- جيش محمد : يقوده مولانا (محمد اظهر) الناشط السابق بحركة الأنصار وتضم ثلاثة الاف مقاتل (٣٠٠٠) وتنتهج نهج جمعية علماء الإسلام بزعامة مولانا (فضل الرحمن) وأدرجتها الولايات المتحدة في قائمة الجماعات الإرهابية .

٤- حركة الأنصار: أسست عام ١٩٨٠ وانشقت إلى جناحين (حركة المجاهدين) ويقوده مولانا فاروق كشميري وتضم ثلاثة آلاف مقاتل (٣٠٠٠) وتتبع توجهات مولانا عبد الرحمن وحركة الجهاد الإسلامية .

٦- مجاهدي بدر : انشقت عن حزب المجاهدين التابع إلى الجماعات الإسلامية ويقوده السيد (بخت زمين) وتضم ألف مقاتل (١٠٠٠) (٥٤) .

ظهر بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في ٢٦ كانون الأول ١٩٩١ عصر جديد في التوازن الدولي فبرز نظام دولي جديد ساعد على اضعاف هيئة الأمم المتحدة وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية التي مارست شتى الأساليب لضمان هيمنتها على الواقع الدولي بل سيطرت على هيئة الأمم ووظفتها لخدمة السياسة الأمريكية ووصل الأمر فقدان الدول بها كمنظمة دولية انشأت لأجل السلام واستغل الغرب هذه المنظمة لمصالحه الشخصية مثل ضرب العراق أكثر من

## موقف الامم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

مرة ويوغسلافيا وموافقة الامم المتحدة بالتدخل الامريكى ضد الصومال . وظهر جلياً ضعف هيئة الامم المتحدة بعد الاعتداء على البرلمان الهندي في ١٣ كانون الأول ٢٠٠١ واعطى ذلك فرصة للحكومة الهندية في استغلاله ورفع ورقة التصعيد العسكري من جديد بحجة القضاء على القواعد الإرهابية ومستفيدة فيما بعد من المناخ العالمي المعادي للإرهاب في الحرب على أفغانستان ٢٠٠٢, فقامت الدبلوماسية الهندية بحملة سياسية عالمية لاظهار ان باكستان طرف معتدي وارهابي , وتوقفت المصالح بينهما وتوقفت الرحلات بين البلدين , وتم تخفيض عدد موظفي السفارة الباكستانية في الهند الى ٥٠% والغاء معاهدة المياه بين البلدين , وبشكل عام يمكن القول ان الدبلوماسية الهندية نجحت في معركتها السياسية مع باكستان , اذ توافقت وجهات النظر الهندية - الأمريكية في ضرورة تشكيل منظومة أمنية في أفغانستان و اسيا الوسطى وجنوب شرق أسيا واستمرار تدفق النفط ,فضلا عن ما يمكن ان يشكل هذا التوافق من تأثير على هيكلية الارتباطات الداخلية في باكستان وبخاصة الجماعات الإسلامية المتشددة , وبخاصة بعد ان اخذ العالم يتغير في صراع جديد وشديد في حملة الولايات المتحدة الأمريكية في مكافحة الإرهاب وهي قضية تصب في خدمة الهند في صراعها مع باكستان حول كشمير , والتي سوف تبقى قضية وفتيل ملتهب بين الدولتين الجارتين وورقة للصراع الدولي (٥٥) .

### الخاتمة

اولا.. قضية كشمير صناعة بريطانية متعمدة لكي تبقى مثار جدل دولية قابلة للاستغلال بين الحين والآخر وهذا الاسلوب متبع من قبل العالم الغربي في مناطق أخرى مثل قضية تايوان على الصعيد الدولي أو مثل ناكورغي كرباغ بين ارمينيا واذربيجان على الصعيد الإقليمي.

ثانيا.. الجهود الدولية انطلقت بشكل واضح بعد الحروب العسكرية بين الهند وباكستان لكن العامل القلق لدى الامم المتحدة انطلق من امرين الأول امتلاك الهند وباكستان القنبلة النووية من جهة وصعود الراديكالية الإسلامية من جهة أخرى.

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

ثالثاً.. الجهود الدولية لم تكن فاعلة وعلى قدر المسؤولية فلم توجه قوة سلام حقيقية فاعلة كقوة دولية لفض الاشتباكات العسكرية بين الهند وباكستان أو على أقل تقدير المشاكل الطائفية بين الهندوس ومسلمي كشمير.

رابعاً.. انحصرت الجهود الدولية في زاوية الجهد الدبلوماسي بين الهند وباكستان وعقد اللقاء بين سياسي البلدين في محاولة تقريب وجهات النظر وهذا غير كافي طالما ان فوهة البنادق مرتفعة ومكائد الاستخبارات الباكستانية على قدم وساق تعمل عملها وهي جزء عنكبوتي من الاستخبارات الدولية من جهة والهند جندت كل الجهود الدولية وبخاصة استغلال فوبيا الاسلام بعد عام ٢٠٠٢ من جهة اخرى ولذا تبقى قضية كشمير والجهد الدولي خجول امامها.

### هوامش البحث

- ١- سيف الدين عبد القادر، اهم احداث العالم المعاصر، الجزء ١، بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٧١، ص ١٩٤.
- ٢- المصدر نفسه، ص ١٩٤.
- ٣- السفارة الباكستانية في القاهرة، كشمير على وشك الانفجار، مصر، مطبعة صحيفة الصباح، ب ت،، ص ٥-٧.
- ٤- سيف الدين عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢١٠.
- ٥- المصدر نفسه، ص ١٩٨.
- ٦- محمد علي جناح ١٨٧٦-١٩٤٨٠ : سياسي وأديب باكستاني وهو رئيس الحلف الإسلامي ومؤسس دولة باكستان وأول رئيس لها . المنجد في الإعلام ، الطبعة ١٣، ايران ،مطبعة سبهر، ٢٠٠١، ص ٢٠٤.
- ٧- كتب النشر والمعلومات في السفارة الهندية في القاهرة، قضية كشمير ١٩٤٧ ١٩٥٦، مصر، مطبعة الانجلو مصرية، ب ت، ص ١١.
- ٨- المصدر نفسه، ص ٧.
- ٩- المصدر نفسه، ص ٤-٥.
- ١٠- المصدر نفسه، ص ٧.
- ١١- المصدر نفسه، ص ٧.
- ١٢- السفارة الباكستانية في القاهرة، كشمير على وشك الانفجار، ص ٥٧.

- ١٣- المصدر نفسه، ص ٥٨.
- ١٤- لياقت علي خان، مراحل تطور قضية كشمير، بغداد، مطبعة النجاح، ١٩٤٩، ص ١١-١٢.
- ١٥- المصدر نفسه، ص ١٢.
- ١٦- سيف الدين عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٩٩.
- ١٧- جواهر لال نهرو ١٨٨٩-١٩٦٤: سياسي هندي ومن مؤسسي استقلال الهند الحديث وكان تلميذا لغاندي وساعده الأيمن في بناء الهند وهو من مؤسسي منظمة دول عدم الانحياز. المنجد في الإعلام، الطبعة ٢٣، إيران مطبعة سپهر، ٢٠٠١، ص ٥٧٨.
- ١٨- سيف الدين عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٩٩.
- ١٩- غي دي بوشير، مفاتيح لأجل العالم الثالث، ترجمة: فؤاد راجي المراد، بيروت، دار الحقيقة، ١٩٧٤، ص ١٠٩.
- ٢٠- قسم البحوث والدراسات، الصراع الهندي الباكستاني، كشمير.. نصف صراع قرن من الصراع. [www.algzeera.net.2001/5/11](http://www.algzeera.net.2001/5/11).
- ٢١- لياقت علي خان، المصدر السابق، ص ٤-٥.
- ٢٢- السفارة الباكستانية في بيروت، كشمير في مجلس الأمن، بيروت، بلايت، ص ٢٥-٢٦.
- ٢٣- مكتب الاستعلامات في المفوضية الهندية في بغداد، حوادث البنغال، بغداد، مطبعة صحيفة الأمة، ب ت، ص ٣.
- ٢٤- السفارة الباكستانية في بيروت، كشمير في مجلس الأمن، ص ٢٨-٢٩.
- ٢٥- المصدر نفسه، ص ٢٩-٣٠.
- ٢٦- سيف الدين عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢٠٣.
- ٢٧- تشاناكسيان، في مواجهة الحرب الباردة، مصر، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٢، ص ٢١٠.
- ٢٨- سيف الدين عبد القادر، المصدر السابق، ص ٢٠٣.
- ٢٩- كانت هناك ظروف دولية سببت ولادة هذه المنظمة ومنها الحرب الباردة وما رافقها من تطورات سياسية واقتصادية وانهايار الاستعمار القديم وويلات الحرب الكورية. للمزيد من التفصيل ينظر الى شريف جويد العلوان، سياسة عدم الانحياز وأفاق تطورها، سلسلة الموسوعة الصغيرة العدد ٩٤، بغداد، دار الجاحظ، ١٩٨١، ص ١٦.

- ٣٠- تشاناكسيان ، المصدر السابق ، ١٨٧.
- ٣١- السفارة الباكستانية في القاهرة ، كشمير على وشك الانفجار ص ٨٥.
- ٣٢- السفارة الباكستانية في بيروت ، كشمير في مجلس الأمن ، ص ٣٣٠٤.
- ٣٣- المصدر نفسه ، ص ٣٣.
- ٣٤- مكتب الاستعلامات الهند في القاهرة ، جزاء الهند على صداقتها للصين ، مصر ، مطبعة الشعب ، ب ت ، ص ٣٥-٣٦.
- ٣٥- سيف الدين عبد القادر ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤.
- ٣٦- المصدر نفسه ، ص ٢٠٥.
- ٣٧- ذوالفقار علي يهوتو ، كشمير قصة شعب يكافح من اجل حقه في تقرير مصيره ، بيروت ، بلا ، ب ت ، ص ١ ، الجلسة الاولى.
- ٣٨- ذوالفقار علي يهوتو ، المصدر السابق ، ص ٣.
- ٣٩- المصدر نفسه ، ص ١٣.
- ٤٠- المصدر نفسه ، ص ١٤.
- ٤١- مكتب النشر والمعلومات في السفارة الهندية في القاهرة ، قضية كشمير ١٩٤٧-١٩٥٦ ، مصر ، مطبعة الانجلو مصرية ، ب ت ، ص ٦.
- ٤٢- المصدر نفسه ، ص ٣ ص ٨.
- ٤٣- ذوالفقار علي يهوتو ، المصدر السابق ، ص ٤٤ ، الجلسة الرابعة.
- ٤٤- المصدر نفسه ، الجلسة الخامسة.
- ٤٥- محمد علي شاغلا ، كشمير ، ص ٧٣.
- ٤٦- ميشال بوشير ، صورة زعيم جواهر لال نهرو ، ترجمة : نخبة من الجامعيين ، بيروت منشورات المكتبة الأهلية ، ب ت ، ص ٣٤٥.
- ٤٧- قسم البحوث والدراسات ، الصراع الهندي الباكستاني ، كشمير .. نصف صراع قرن من الصراع ، ص ٨ ، [www.algzeera.net.2001/5/11](http://www.algzeera.net.2001/5/11).
- ٤٨- السفارة الباكستانية في بيروت ، كشمير في مجلس الأمن ، ص ٤٦.
- ٤٩- السفارة الباكستانية في بيروت ، الهند تتحدى العالم ، بيروت ، بلا ، ١٩٦٥ ، ص ١٤.
- ٥٠- كشمير في الجمعية العمومية للأمم المتحدة ٢٧ سبتمبر - ١٤ أكتوبر ١٩٦٥ ، بلا ، ١٩٦٥ ، ص ٢٦.
- ٥١- المصدر نفسه ، ص ٢.

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

- <sup>٥٢</sup> - قسم البحوث والدراسات ، الصراع الهندي الباكستاني ، خريطة الأحزاب السياسية في كشمير ، ص ٢، - [www.algzeera.net.2001\5\11](http://www.algzeera.net.2001\5\11)
- <sup>٥٣</sup> - المصدر نفسه، ص ٣.
- <sup>٥٤</sup> - المصدر نفسه، ص ٤.
- <sup>٥٥</sup> - موسى محمد ال طويرش ،العالم المعاصر بين حربيين من الحرب العالمية الاولى الى الحرب الباردة ١٩١٤-١٩٩١،دمشق،دار افكار،٢٠١٢،ص٢٥٧-٢٥٩؛ كشمير بين الاحتلال الهندي والانتماء الإسلامي. [www.algzeera.net.2001\5\11](http://www.algzeera.net.2001\5\11)

### المصادر والمراجع

#### أولاً : المصادر الوثائقية

- السفارة الباكستانية في بيروت ، الهند تتحدى العالم ،بيروت ،بلا ، ١٩٦٥.
  - السفارة الباكستانية في القاهرة ،كشمير على وشك الانفجار،مصر ،مطبعة صحيفة الصباح ، ب ت.
  - السفارة الباكستانية في بيروت، كشمير في مجلس الامن ،بيروت ، بلا،ب ت.
  - ذو الفقار علي بهوتو، كشمير قصة شعب يكافح من اجل حقه في تقرير مصيره،بيروت،بلا،ب ت.
  - لياقت على خان ، مراحل تطور قضية كشمير ،بغداد ،مطبعة النجاح ١٩٤٩.
  - مكتب النشر والمعلومات في السفارة الهندية في القاهرة، قضية كشمير ١٩٤٧-١٩٥٦،مصر ،مطبعة الانجلو مصرية، ب ت.
  - مكتب الاستعلامات الهند في القاهرة، جزاء الهند على صداقتها للصين ،مصر،مطبعة الشعب ،ب ت.
  - مكتب الاستعلامات في المفوضية الهندية في بغداد ،حوادث البنغال،بغداد ،مطبعة صحيفة الامة ،ب ت.
  - مكتب النشر والاستعلامات في القاهرة ،كشمير،القاهرة ،بلا ، ١٩٦٤.
- ثانياً: المصادر والمراجع العربية والمعربة

## موقف الأمم المتحدة من قضية كشمير (دراسة تاريخية)

- تشاناكسيان ، في مواجهة الحرب الباردة ، مصر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢.
- غي دي بوشير ، مفاتيح لاجل العالم الثالث ، ترجمة : فؤاد راجي المراد ، بيروت ، دار الحقيقة ، ١٩٧٤.
- سيف الدين عبد القادر ، اهم احداث العالم المعاصر ، الجزء ١ ، بغداد ، مطبعة الارشاد ، ١٩٧١.
- شريف جويد العلوان ، سياسة عدم الانحياز وافاق تطورها ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، العدد ٩٤ ، بغداد ، دار الجاحظ ، ١٩٨١.
- كشمير في الجمعية العمومية للأمم المتحدة ٢٧ سبتمبر ١٤ اكتوبر ١٩٦٥ ، بلا ، ١٩٦٥.
- ميشال بوشير ، صورة زعيم جواهر لال نهرو ، ترجمة نخبة من الجامعين ، بيروت منشورات المكتبة الاهلية ، ب ت .
- المنجد في الاعلام ، الطبعة ، ٢٣ ، ايران ، مطبعة سبهر ، ٢٠٠١.
- موسى محمد ال طويرش ، العالم المعاصر بين حربين من الحرب العالمية الاولى الى الحرب الباردة ١٩١٤-١٩٩١ ، دمشق ، دار افكار ، ٢٠١٢.

### ثالثا: شبكة المعلومات الدولية ، الانترنت

- قسم البحوث والدراسات ، الصراع الهندي الباكستاني ، كشمير نصف قرن من الصراع - [www.algzeera.net.2001\5\11](http://www.algzeera.net.2001\5\11) .
- قسم البحوث والدراسات ، الصراع الهندي الباكستاني ، خريطة الاحزاب السياسية في كشمير . [www.algzeera.net.2001\5\11](http://www.algzeera.net.2001\5\11) .
- كشمير بين الاحداث الهندي والانتماء الاسلامي - [www.algzeera.net.2001\5\11](http://www.algzeera.net.2001\5\11) .